المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

فقه الدعوة

فيما انفرد به الإمام الدارمي في سننه عن الثمانية

(من بداية مقدمة السنن إلى نهاية باب في ذهاب العلم)

(دراسة دعوية)

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:
علي محمد بن فتح محمد

إشراف الأستاذ الدكتور:
فؤاد بن عبده البعداني

العام الجامعي
١٤٣٥هـ / ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[(١)].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[(٢)].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[(٣)].

أما بعد[(٤)]:

فإن التفقه في الدين نعمة عظيمة يعطيها تبارك وتعالى لمن أراد به خيراً كما قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(٥)]، ومن الفقه في الدين فقه الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وهو وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام،

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠ – ٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلِّمها أصحابه، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والجمعة (٥٩٣/٢، برقم: ٢٨٦٨). وقد أخرجه غيره، ينظر للتفصيل: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه؛ للشيخ الألباني (ص ١٠ وما بعدها)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٢٥/١، رقم: ٧١، و٣١١٦، و٧٣١٢)، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (٧١٨/٢-٧١٩، رقم، ١٠١٩)، ت:محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع. من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

ولشرف هذا العمل العظيم فاخترت موضوعا لرسالة الماجستير:

"فقه الدعوة فيما انفرد به الإمام الدارمي في سننه عن الثمانية"

(من بداية مقدمة السنن، إلى نهاية باب في ذهاب العلم).

(دراسة دعوية)

قوله: "ما انفرد به الإمام الدارمي في سننه عن الثمانية" معناه أن الإمام الدارمي ﵀ قد انفرد في إخراج هذه الأحاديث في سننه عن الأئمة الثمانية؛ والقصد ما انفرد متنا لا سنداً، والثمانية كتبهم على النحو الآتي:

١- الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ﵀.

٢- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن حجاج القشيري ﵀.

٣- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ﵀.

٤- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني ﵀.

٥- سنن النسائي للإمام أحمد بن شعيب النسائي ﵀.

٦- سنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ﵀.

٧- الموطأ للإمام مالك بن أنس ﵀.

٨- المسند للإمام أحمد بن حنبل ﵀.

موضوع الدراسة:

دراسة دعوية للأحاديث التي انفرد بها الإمام الدارمي في سننه عن الأئمة الثمانية -سبق ذكرهم-؛ (من بداية مقدمة السنن، إلى نهاية باب في ذهاب العلم)؛ اعتمدت الدراسة على التأصيل والتوثيق واستنباط الفقه والأحكام والقواعد الدعوية، وعلاج الخلاف والنزاع الذي قد يقع بين بعض الدعاة إلى الله تعالى، مما يساعد على نجاح الدعوة، وتحقيق النتائج المرجوة منها -إن شاء الله تعالى-.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه مصدراً ثانياً من مصادر الدعوة الإسلامية؛ وفيه من الوسائل والأساليب الدعوية التي يستطيع من خلالها الداعية أن يقدم الدلائل المقنعة والبراهين القاطعة دفاعا عن منهج دعوة النبي ﷺ.

وكان عليه الصلاة والسلام يستخدم وسائلا وأساليبا دعوية متعددة ومتنوعة توافق نوعية الموضوع وطبيعة المدعوين؛ وقد يلاحظها القارئ اثناء قراءة هذا البحث.

وأما أسباب لاختيار الموضوع فقد دعتني إلى اختياره عدةُ أسباب منها :

١. شغفي بعلم الحديث وأهله وميلاني إليه.

٢. ربط الدعاة إلى الله بالسنة النبوية نشراً ودراسة وفقهاً.

٣. وقد جاءت في ترجمة أحد المحدثين أنه سئل لماذا تشتغل بالحديث النبوي؟ فأجاب: لأنني كلما أقرأ الحديث أصلي على النبي ﷺ ففي ذلك أجر عظيم، ثم نجد هديه ﷺ في أحاديثه، أو كما قال.

فمنذ ذاك الوقت زاد حرصي في ربط علم الحديث بالدعوة إلى الله على بصيرة لذلك أتممت المرحلة الجامعية في كلية الحديث الشريف مع رغبتي الوطيدة في عمل الدعوة في المستقبل، ولأجل ذلك اخترت الأحاديث النبوية لدراستها دراسة دعوية.

٤. وأما اختياري للأحاديث التي انفرد بها الإمام الدارمي عن الثمانية، فسبب ذلك أن الإمام الدارمي قد انفرد عن الأئمة الثمانية في إخراج الأحاديث بعدد كبير.

٥. وما يُرى من الحاجة إلى إبراز فقه الدعوة إلى الله في السنة النبوية، وتقديمه للدعاة سهلاً ميسراً ليستفيدوا منه في مجال الدعوة.

٦. إن خدمة السنة النبوية شرف عظيم، وأمر تتوّق إليه نفوس طلاب العلم.

٧. الرغبة في الإسهام -ولو بجهد يسير- في حقل الدعوة إلى الله -عز وجل- من حيث الجانب التنظيري الذي هو الأساس للجانب العملي الموفق في حقل الدعوة إلى الله، والتصدي العلمي لخصومها.

لهذه الأهمية البالغة، ولهذه الأسباب وغيرها رأيت أن يكون بحثي في فقه الدعوة إلى الله في السنة النبوية فيما انفرد به الإمام الدارمي في سننه عن الثمانية.

• وقد تم اشتراك عدد من الزملاء في دراسة هذه الأحاديث، وكان نصيبي أحاديث دعوية (من بداية مقدمة السنن، إلى نهاية باب في ذهاب العلم)؛ ويشتمل على (١٦٧) حديثاً وأثراً منفرداً.

المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة:

تمثلت المشكلة التي تدور حولها الدراسة في صورة تساؤل رئيسي هو:

هل هناك شروح خاصة للأحاديث الواردة في سنن الدارمي التي تساعد في استخراج الفقه الدعوي من خلال أحاديثه؟

وقد تفرع عنه تساؤلات عديدة هي:

١. ما الفقه الدعوي في جهود الإمام الدارمي في سننه؟
٢. ما الفقه الدعوي في سنن الإمام الدارمي؟
٣. ما القواعد الدعوية من خلال سنن الدارمي؟
٤. ما المسائل الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال سنن الدارمي؟
٥. ما المسائل الدعوية المتعلقة بالمدعو من خلال سنن الدارمي؟
٦. ما المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة من خلال سنن الدارمي؟
٧. ما الأحكام الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها من خلال سنن الدارمي؟
٨. ما الحل للمشكلات التي تواجه الدعوة في العصر الحديث من خلال الأحاديث التي انفرد بها الإمام الدارمي رحمه الله تعالى في سننه عن الثمانية؟

ضوابط دراسة الأحاديث:

ستكون على النحو التالي:

١- جمعت الأحاديث والآثار التي انفرد بها الإمام الدارمي في سننه عن الثمانية، واعتمدت في هذا على كتاب "القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية" للدكتور مرزوق بن هياس الزهراني.

٢- دراسة الأحاديث والآثار دراسة دعوية، وترتيبها حسب موضوعات الدعوة.

٣- ذكرت الحكم على الأحاديث في ضوء أقوال الأئمة المتقدمين أو المتأخرين في الحاشية طبقا لما أورده مؤلف الكتاب المعتمد في الدراسة "القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية" في حاشيته.

٤- وذكرت شرح المفردات الغريبة في الحديث -في الهوامش- من كتب تفسير غريب الحديث، وكتب اللغة ومعاجمها، وكتب شروح الحديث واكتفيت في أغلب الأحوال بمرجع واحد في ذلك.

٥- وقد عنونت في الهامش لتخريج أحاديث الدراسة وآثارها بقول: "تخريج الحديث"، أو "تخريج الأثر" حتى يتميز تخريج أحاديث الدراسة من غيرها الواردة في الشرح، ثم عنونت بعد التخريج مباشرة في نفس الحاشية لبيان غريب الحديث بقول: "شرح غريب الحديث"، أو "شرح غريب الأثر"، فهكذا جمع التخريج وشرح الغريب لحديث واحد في موضع واحد.

٦- استخرجت الفوائد والدروس الدعوية التي يشتمل عليها كل حديث، خاصةً ما يتعلق بالداعي، والمدعو، وموضوع الدعوة، ووسائلها، وأساليبها، وتأريخ الدعوة، وميادينها، وخصائصها، ودلائل النبوة وما إلى ذلك، ثم وضعتها في مكان مناسب له ضمن الفصول والمباحث والمطالب.

٧- وقد ذكرت غالباً أقوال أهل العلم المعتبرين توثيقا لما توصلت إليه من الفوائد الدعوية، وأحكامها ومسائلها.

٨- وقد حرصت -قدر الإمكان- على عدم تكرار أقوال العلماء عند شرح الفوائد والدروس المستنبطة.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والدراسة والبحث في المكتبات وعبر الوسائل الحديثة ومراكز المعلومات العلمية، فإنني لم أعثُر على مؤلَّف مستقل شامل يعالج موضوع الدراسة من جميع جوانبه في دراسة حديثية دعوية، تحدد الأحاديث المراد دراستها في مُصنف معين، إلا أن قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام؛ وزّع أحاديث

الصحيحين بين طلاب مرحلة الدكتوراه لإخراج موسوعة الصحيحين الدعوية.

ولكن هذه الدراسة تختلف من حيث المنهج ومن حيث الموضوع، وأما اختلافه في المنهج فالدراسة السابقة مشتملة على شرح الغريب واستخراج الفوائد الدعوية واستنباطها فقط، وأما الدراسة الحالية -إضافة على ما سبق- مشتملة على ترتيب فقهي دعوي على هيئة مصنف شامل مرتب على أبواب الدعوة الإسلامية.

وأما اختلافه في الموضوع فقد تم اختيار الأحاديث التي انفرد به الإمام الدرامي في سننه عن الأئمة الثمانية -سبق ذكرهم- فهذه الأحاديث مختلفة عن الأحاديث الواردة في الدراسات السابقة، إذاً فلا علاقة بين الدراستين.

خطة الدراسة:

تكوّنت خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وفهارس تفصيلية على النحو الآتي:

- **المقدمة : وتتضمن الآتي :**
  - موضوع الدراسة.
  - أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
  - المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة.
  - ضوابط لدراسة الأحاديث.
  - الدراسات السابقة.
  - خطة الدراسة.
  - منهج الدراسة.
- **التمهيد: وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول : التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

المبحث الثاني : ترجمة موجزة للإمام الدارمي -رحمه الله-.

المبحث الثالث : التعريف بسنن الدارمي - رحمه الله - .

المبحث الرابع : موضوع الدراسة، وعدد أحاديثها .

- **الفصل الأول: فقه الدعوة، (في بيان مفهومها، وفضلها، وأحكامها، ومقاصدها، ومصادرها، وقواعدها) وفيه ستة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية الدعوة وفضلها.

المبحث الثالث: حكم القيام بالدعوة.

المبحث الرابع: مقاصد الدعوة الإسلامية وخصائصها.

المبحث الخامس: مصادر الدعوة.

المبحث السادس: قواعد منهج الدعوة المستنبطة من خلال أحاديث الدراسة.

- **الفصل الثاني: فقه الداعية، وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف الداعية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: صفات الداعية من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث: أنواع الدعاة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الرابع: الأحكام التي تختص بالداعية من خلال أحاديث الدراسة.

- **الفصل الثالث: فقه المدعو، وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف المدعو لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أصناف المدعوين من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث: أحوال المدعوين من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الرابع: الأحكام التي تختص بالمدعو من خلال أحاديث الدراسة.

- **الفصل الرابع: فقه وسائل الدعوة وأساليبها، ويشتمل على تمهيد ومبحثين:**

التمهيد: تعريف الوسائل والأساليب والفرق بينهما، وحكمهما.

المبحث الأول: وسائل الدعوة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثاني: أساليب الدعوة من خلال أحاديث الدراسة.

- **الفصل الخامس: فقه مجالات الدعوة من خلال أحاديث الدراسة، وفيه أربعة**

مباحث:

المبحث الأول: مجالات العقيدة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثاني: مجالات العبادة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث: مجالات المعاملات من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الرابع: مجالات الأخلاق من خلال أحاديث الدراسة.

• **الفصل السادس: نماذج من تأريخ الدعوة الإسلامية من خلال أحاديث الدراسة.**

• **الخاتمة**، وسيكون فيها:

- أهم النتائج.

- التوصيات.

• **الفهارس:**

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأبيات الشعرية.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس المحتويات.

منهج البحث والدراسة:

تقوم هذه الدراسة على:

– المنهج الاستدلالي الاستنباطي(١): واستخدمتُ هذا المنهج عند استنباط الفوائد والدروس الدعوية.

– المنهج الوصفي التحليلي(٢): واستخدمت هذا المنهج في دراسة وتحليل الفوائد والدروس الدعوية تحليلا علمياً، فلم أكتف بذكر الفوائد والدروس فقط.

واستخدمت في التعامل مع المادة العلمية الخطوات التالية:

١- الاعتماد في كتابة الأحاديث على النسخة التي حققها ورقَّمها الأستاذ حسين سليم أسد الداراني، طبعة دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض؛ المملكة العربية السعودية، في أربع مجلدات، واعتمدت في كتابة الأحاديث الزوائد وتخريجها على كتاب "القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية" للدكتور مرزوق بن هياس الزهراني (متناً وحاشية).

٢- كتابة أحاديث الدراسة مضبوطةً بالشكل.

٣- الرجوع إلى المصادر الأصيلة مباشرة سواءٌ من شروحات الحديث، أو كتب التفسير، أو الكتب الأخرى في جميع فنون الشريعة الإسلامية، والفنون الأخرى.

---

(١) المنهج الاستدلالي الاستنباطي: هو "عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية واحدة، أو عدة قضايا إلى قضية أخرى، تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى تجربة". البحث العلمي ومناهجه النظرية –رؤية إسلامية–، د. سعد الدين السيد صالح، (ص ٢)، مكتبة الصحابة، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

(٢) المنهج الوصفي التحليلي: "عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها". البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، (ص ١٨٣) دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤- عند نقل النصوص من أقوال العلماء فقد عزوتُها إلى المصدر الأصلي، إلا إذا تعسر الوصول إليها في المصدر الأصلي فعزوتُها للمراجع المأخوذة منها.

٥- عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

٦- عزوت الأحاديث التي يتم الاستشهاد بها عند شرح الفوائد إلى مصادرها من كتب السنة، وكتابتها بين قوسين صغيرين «»، مع ذكر كلام أهل العلم في الحكم عليها إذا كانت من غير الصحيحين.

٧- الترجمة الموجزة للأعلام الذين لهم علاقة مباشرة بسياق البحث، وبعبارة أوضح فقد ترجمت لرواة أحاديث الدراسة وآثارها من غير الصحابة، إلا إذا كان الصحابي مختلف في صحبته، أو مبهم باسمه أو كنيته؛ فذكرت ترجمته.

٨- التعريف الموجز بالأماكن والبلدان وكل ما يحتاج تعريفه.

٩- الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبطه.

١٠- تذييل البحث بفهارس تفصيلية على النحو المبيَّن في الخطة.

****

كلمة الشكر:

انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(١).
وقول الرسول ﷺ: **«لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاس»**(٢).

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً، وأشكره شكراً جزيلاً، كما يحب ربنا ويرضى، على جميع نعمه الظاهرة منها والباطنة التي لا تحصى، وأشكره سبحانه وتعالى على توفيقه وتيسيره لإتمام هذه الرسالة، وأصلي وأسلم على خير البرية نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى لوالدي الكريمين امتثالا لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾(٣) على حسن تربيتهما، وتشجيعهما على طلب العلم ومواصلة الدراسة، ودعواتهما الصالحة لي بالتوفيق والسداد، فأسأل الله أن يبارك لهما في عمرهما، ويختم لهما بأحب الأعمال إليه، ويدخلهما الجنة.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى ولاة أمور هذه البلاد وفي مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين ونائبيه –حفظهم الله ورعاهم– على اهتمامهم بالمسلمين والأقليات في أرجاء المعمورة تعليما ودعوة وإرشادا، وتوفير المنح الدراسية لطلبة العلم؛ ليتزودوا بالعلم الشرعي والثقافة الإسلامية.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل: (٢/٢٥٨) ط: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، واللفظ له. الأدب المفرد للبخاري، مع صحيح الأدب للألباني (ص: ٩٩)، دار الصديق للنشر والتوزيع، بدون ذكر بلد الطبع، ١٤١٨هـ. وسنن أبي داود: (٥/١٥٧-١٥٨ رقم الحديث: ٤٨١١) كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، دار الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ. وسنن الترمذي: (٤/٣٣٩)، كتاب البر، باب ما جاء في الشكر، وقال: هذا حديث حسن صحيح، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد، وإبراهيم عطوة عوض، ط: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ. وقد صححه الألباني في صحيح السنن الترمذي (رقم: ١٥٩٢)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ٤١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، -الصّرح الإسلامي العملاق- ، ممثلة في معالي مديرها، ووكلائها الأفاضل، والقائمين على الدراسات العليا، والقائمين على كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية خاصة، على إتاحة الفرصة لي للالتحاق بها، وعلى ما تقوم به من جهد في سبيل نشر العلم، وخدمة طلابه، والعناية بتراث السلف دراسة وتحقيقا ونشرا، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

وأخص بالشكر الجزيل والثناء العاطر أستاذي وشيخي الفاضل، الأستاذ الدكتور: فؤاد بن عبده البعداني، الذي تكرّم بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ومنحني الكثير من وقته وجهده وتفضّل عليّ بتوجيهاته الكريمة وآرائه السديدة، وملحوظاته النفيسة، ونصائحه القيمة التي كان لها الأثر الطيب في إنجاز هذه الرسالة، فجزاه الله عني أحسن الجزاء، وأجزل له الأجر والمثوبة وبارك الله في علمه وعمره.

كما أتوجه بالشكر والدعاء لأعضاء لجنة المناقشة وهما: (فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن لطيف عبد الله الهبيدي، وفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد حافظ الخليفة) على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث وتقويمه، على كثرة مشاغلهم؛ فشكر الله لهم عملهم، وبارك الله في علمهم.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير لجميع مشايخي في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، خاصة الشيخان الفاضلان الأستاذ الدكتور غازي بن غزاي المطيري، والدكتور عبد الله بن صالح العبود -حفظهما الله- اللذان أرشداني في اختيار هذا الموضوع ووضع الخطة والضوابط للدراسة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأشكر في الختام كل من بذل لي نصحاً، أو أفادني بعلم، أو مشورة، أو تصحيح، أو مراجعة، وأمتثل فيهم حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: «**من صُنِعَ إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء**»(1) فاللهَ أسأل أن يجزيهم جميعاً عني خير الجزاء، وأن يرفع منازلهم في الدنيا والآخرة، ويضاعف لهم الأجر والمثوبة.

(١) سنن الترمذي (٤/٣٨٠، رقم: ٢٠٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٣٥).

هذا وقد بذلت الجهد بتوفيق الله وفضله ومنّه، محاولة مني لإخراج هذا الموضوع بهذه الصورة المتواضعة، ولا أدعي الكمال والعصمة فيه، بل أقول ما قاله أبو بكر(١)، وعمر(٢)، وابن مسعود(٣) رضي الله عنهم: «فَإِنْ يَكُ صَوَابًا، فَمِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً، فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ منه» وأستغفره من كل ما لا يرضيه.

أسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله جل وعلا أن يجعل جهدي هذا في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

---

(١) ينظر: سنن الدارمي، كتاب الفرائض، باب الكلالة (١٩٤٤/٤، رقم: ٣٠١٥).

(٢) ينظر: شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) (٢١٤/٩)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٠٨/٧-٣٠٩، رقم: ٤٢٧٦). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. قال محققوه: حديث صحيح.

التمهيد:

فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

المبحث الثاني: ترجمة موجزة للإمام الدارمي رحمه الله.

المبحث الثالث: التعريف بسنن الدارمي رحمه الله.

المبحث الرابع: موضوع الدراسة، وعدد أحاديثها.

المبحث الأول:

التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

عنوان الدراسة: "**فقه الدعوة فيما انفرد به الإمام الدارمي عن الثمانية**".

المفهوم الإجمالي لعنوان الدراسة: أي دراسة الأحاديث التي أخرجها الإمام الدارمي ولم يخرّجها الأئمة الثمانية في كتبهم المعروفة، يعني انفرد بإخراجها الإمام الدارمي فقط من الأئمة التسعة؛ فدراسة هذه الأحاديث تكون دراسة دعوية على المنهج الاستدلالي والتحليلي كما هو مبين في خطة الدراسة.

المفهوم التفصيلي لعنوان الدراسة: أي بيان معنى مفردات عنوان الدراسة كالآتي:

قال الرازي ﷺ: "اعلم بأن المركب لا يمكن أن يُعلم إلا بعد العلم بمفرداته. لا من كل وجه، ولكن من الوجه الذي لأجله يصلح أن يقع التركيب فيه"[(١)]. ولذلك أبدأ بتعريف المفردات.

أولاً: تعريف "الفقه" في اللغة والاصطلاح:

أما **تعريفه في اللغة**؛ فيأتي لعدة معان:

١- الفهم[(٢)]: وإلى هذا ذهب أكثر اللغويين والأصوليين، وهذا الذي يؤيده نصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: -إخبارًا عن موسى عليه السلام-: ﴿ قَالَ رَبِّ

(١) كتاب المحصول للرازي: (٧٨/١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور (١٣/ ٥٢٢)، مادة (ف ق هـ) ط: دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ. والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص١٢٥٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ. والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٦/١) المكتب الإسلامي بيروت لبنان، بدون ذكر سنة الطبع. وإرشاد الفحول للشوكاني (١٧/١) دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ.

﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾[1]. وَقَالَ الله تَعَالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾[2]، أَي: لا يكادون أن يفهموا. وقال أيضاً: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾[3]، أي ولكن لا تفهمون تسبيحهم. وقال أيضاً: ﴿مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾[4]، أي وما نفهم كثيرا مما تقول، ونحوه[5]. وقد قال النبي ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**[6].

٢- فهم الأشياء الدقيقة: ذكره أبو إسحاق وصاحب اللباب من الحنفية [7].

٣- فهم غرض المتكلم في كلامه: ذكره أبو الحسن، والرازي[8].

٤- العلم: ذكره إمام الحرمين[9].

٥- هو "التوسل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم". قاله الراغب[10].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٢٥ – ٢٨.

(٢) سورة النِّسَاء، الآية: ٧٨.

(٣) الإسراء: ٤٤.

(٤) هود: ٩١.

(٥) في هذه الآيات جاء لفظ "الفقه" بمعنى "الفهم"، ينظر: في تفسير الجلالين (١/١١٤) و(١/٢٩٨) و(١/٣٧٠).

(٦) متفق عليه، تقدم تخريجه ص: ٤.

(٧) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/١٤)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢١هـ.

(٨) ينظر: المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسن المعتزلي (١/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ. والمصدر السابق (١/١٣).

(٩) ينظر: التلخيص في أصول الفقه لإمام الحرمين (١/١٠٥)، دار البشائر العلمية، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

(١٠) البحر المحيط للزركشي (١/١٣).

وأما تعريفه في الاصطلاح: قال الآمدي ﷺ: "الفقه مخصوص بالعلم الحاصلِ بجملةٍ من الأحكام الشّرعيَّة الفروعيَّةِ بالنّظر والاستدلال"(١).

وقال الشوكاني: هو العِلمُ بالأحكام الشرعية، عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال(٢).

ثانياً: تعريف "الدعوة"(٣) في اللغة والاصطلاح:

الدعـوة لغة: الطلب والنداء والاستدعاء(٤).

واصطلاحا: تبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع الحياة(٥).

ثالثاً: تعريف "فقه الدعوة" باعتبار الإضافة:

قيل: إن المراد بـ"فقه الدعوة": الفهم والإدراك والمعرفة لفضلها ومكانتها وأدلتها وأحكامها وأساليبها وطرقها وموضوعها وصفات القائمين بها وغير ذلك(٦).

وقيل: "هو استنباط وفهم تاريخ الدعوة، وأسبابها، وأركانها، وأساليبها، ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها، استنباطاً وفهماً على ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، يُمكِّن الدعاة إلى الله تعالى من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم

(١) كتاب الإحكام في أصول الأحكام (١/٦).

(٢) إرشاد الفحول (١/١٧).

(٣) وسيأتي تعريفها مفصلا في المبحث الأول من الفصل الأول (ص: ٤٩ وما بعدها).

(٤) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور: (٣/٢٥٨)، (مادة: دعو)، والقاموس المحيط؛ للفيروز آبادي (ص ١٦٥٤).

(٥) المدخل إلى علم الدعوة؛ للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني (ص١٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٦) فقه الدعوة، عارف الركابي، وهو متاح على الرابط التالي: http://arifalrikabi.com/play.php?catsmktba=56، تم زيارته في تاريخ ١٤٣٤/٤/٢٤هـ، الساعة: ٩:٥٣ص، وهو متاح أيضاً على رابط فيس بوك، بعنوان "فقه الدعوة" وتم زيارته بتاريخ ١٤٣٦/٥/٣هـ، الساعة ١٠:٣٠ص:
https://www.facebook.com/permalink.php?id=182059025178756&story_fbid=440346299350026

الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم ولغاتهم، ومتعدد أجناسهم"[١]، عملاً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢].

وقيل: "هو معرفة سبل هداية الناس للإيمان والترقي فيه"[٣].

شرح هذا التعريف: قوله: "هداية الناس": أي عموم الناس.

قوله: "للإيمان": أي لتحقيق أصل الإيمان وهذا خاص بالكفار.

قوله: "الترقي فيه": يقصد به أهل الإيمان الذين معهم أصله ودعوتهم هنا من أجل زيادة إيمانهم. كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

رابعاً: المراد بقول الباحث: "فيما انفرد به":

الأحاديث التي انفرد الإمام الدارمي ﷺ بإخراجها عن الأئمة الثمانية، ولا يعني ذلك أنه لم يخرّجها أحد من الأئمة بل المراد بالانفراد عنه "الأئمة الثمانية" فقط في كتبهم المعروفة فقط. ويُعرف مثل هذه الأحاديث في اصطلاح المحدثين بـ "الأحاديث الزوائد" والكتب التي تحتوي عليها يُعرف بـ "الكتب الزوائد"[٤]. فهذه الأحاديث التي

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، د. علي عبد الحليم محمود (١/١٨)، مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م. نقلا من كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لسعيد القحطاني (١/٣).

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

(٣) تعريف فقه الدعوة، محمد أبو يونس، شاركه في منتدى دار القرآن بتاريخ: ٢٩/١٠/٢٠١١م، وهو متاح على الرابط التالي، وتم زيارته في تاريخ ٢٤/٤/١٤٣٤هـ، ساعة: ١١:٢٠ص:
http://mountada.darcoran.org/index.php?showtopic=31835:

(٤) عرّف الإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني (المتوفى ١٣٤٥هـ) "الزوائدَ" بقوله: "الأحاديث التي يزيد بها بعض كتب الحديث على بعض آخر معين" منها: كزوائد سنن ابن ماجة على كتب الحفاظ الخمسة للشهاب البوصيري سماه: "مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة" في مجلد، و"فوائد المنتقي لزوائد البيهقي" في سننه الكبرى على كتب الستة و"إتحاف السادة المهرة الخيرة بزوائد المسانيد العشرة" أي: على الكتب الستة له أيضا وقد اختصره، و"المطالب =

انفرد به الإمام الدارمي عن الأئمة الثمانية زوائد على الكتب الثمانية.

خامساً: المراد بقوله: "الإمام الدارمي":

هو الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام، أبو محمد التميمي، السمرقندي الدارمي(١).

سادساً: المراد بقوله:"عن الثمانية":

أي الأئمة الثمانية في الحديث، وكتبهم معروفة، كالآتي:

١- صحيح الإمام البخاري.
٢- صحيح الإمام مسلم.
٣- سنن الإمام الترمذي.
٤- سنن الإمام أبي داود.
٥- سنن الإمام النسائي.
٦- سنن الإمام ابن ماجه.
٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
٨- موطأ الإمام مالك بن أنس.

****

=

العالية في زوائد المسانيد الثمانية" للحافظ ابن حجر. ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني، (ص:١٧٠). تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(١) سيأتي ترجمته مفصلاً في المبحث الثاني على الصفحة التالية.

المبحث الثاني :

ترجمة موجزة للإمام الدارمي -رحمه الله تعالى-(*).

لما أن هذا البحث دراسة لأحاديث سنن الدارمي فلابد أن يُذكر لمؤلفه تعريفاً موجزاً ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ.

اسمه ونسبه:

هو الإمام الحافظ الحجة المحدث المفسر عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد(1)، أبو محمد التميمي، الدارمي، السمرقندي(2)، من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، هذه القبيلة التي أنجبت الفرزدق وغيره من أمراء البيان.

(*) مصادر ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (١٠/٢٩-٣٢)، الثقات لابن حبان: (٨/٣٦٤)، تهذيب الكمال للمزي: (١٥/٢١٠، برقم ٣٣٨٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٢/٢٢٤-٢٣٢)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (١/١٨٨)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٥/٩٩)، تذهيب التهذيب: (٢/١٦٠/٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي: (٢/٩٠)، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: (٥/٢٩٤-٢٩٦)، الرسالة المستطرفة للكتاني: (٣٢).

(١) وفي سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٢/٢٢٤)، تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بدون سنة طبع: "بهرام بن عبد الله" وهو مخالف لكل من ترجم له حتى في تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٩٠)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) نسبة إلى مدينة سمرقند: وهي مدينة تشبه بخارى في العمارة والحسن، لها قصور عالية شاهقة ونهور دافقة، وهذه المدينة في أوزبكستان حالياً. تشتهر بتخريج علماء الدين، والمسافة بين سَمَرقند و"بخُارى" ١٥٠ ميلاً، وأرض "سَمَرقند" خصبة، وافرة الخيرات، تمتد فيها حقول القمح حول الأنهار إلى قرب مدينة "بنجيكت" المشهورة بأشجار اللَّوز، والجوز. ينظر: المسالك والممالك للكرخي (ص: ٣١٩)، دار صادر بيروت ٢٠٠٤م. وعجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين ابن الوردي (ص: ٩٥) جامعة عين شمس بدون سنة طبع.

مولده ونشأته:

ولد الإمام الدارمي -رحمه الله تعالى- سنة ١٨١هـ في سمرقند، كما قال إسحاق بن إبراهيم الوراق: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: ولدت في سنة مات ابن المبارك، سنة إحدى وثمانين ومائة[١].

وأما نشأته العلمية فلم يذكر أحد من المترجمين بدايته ولكن يستفاد شيء من أقوال أهل العلم أنه كان رحمه الله نشأ على غاية من العقل والديانة، مَنْ يُضْرب به المثَلُ في الحِلم والدراية، والحفظ والعبادة والزهادة، أظهرَ علمَ الحديث والآثار بسمرقند، وذبَّ عنها الكذِبَ، وكان مُفَسِّرا كاملاً، وفقيهاً عالماً[٢].

شيوخه[٣]:

روى الإمام الدارمي رحمه الله عن جماعة من أهل العلم، من المشايخ والعلماء والمحدّثين، فمن المشهورين هم:

١. أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الشامي الحمصي (ت ٢١٢هـ)[٤].
٢. أبو علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي البصري، (ت ٢٠٩هـ)[٥].
٣. أبو مُسْهِر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الغسّاني (ت ٢١٨هـ)[٦].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (١٠/٣٢)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، وتهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (١٥/٢١٦)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٢/٢٢٧)، وتهذيب التهذيب: (٥/٢٩٥) لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.
(٣) ينظر: تهذيب الكمال للمزي: (١٥/٢١٠، برقم:٣٣٨٤).
(٤) ينظر ترجمته: المرجع السابق (١٨/٢٣٧).
(٥) ينظر ترجمته: المرجع السابق (١٩/١٠٤).
(٦) ينظر ترجمته: المرجع السابق (١٦/٣٦٩).

٤. أحمد بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي مولاهم (ت ٢١١هـ)[١].

٥. أبو عبد الرحمن الأسود بن عامر، شاذان، الشامي، نزيل بغداد (ت ٢٠٨هـ)[٢].

٦. بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهراني، الأزدي (ت ٢٠٧ أو ٢٠٩هـ)[٣].

٧. خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ)[٤].

٨. عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد التميمي العنبري (ت ٢٠٧هـ)[٥].

٩. محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي الفِرْيَابي (ت ٢١٢هـ)[٦].

١٠. وهب بن جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي (ت ٢٠٦هـ)[٧].

١١. يزيد بن هارون بن زاذي أو زاذان السلمي مولاهم (ت ٢٠٦هـ)[٨].

وغيرهم كثير.

تلاميذه[٩]:

أحصى من تلامذته الحافظ المزي أربعين تلميذا، ويكفيه فخرا أن مسلما روى عنه في صحيحه، وأن البخاري إمام المحدثين روى عنه في غير الصحيح.

ومن أشهر تلاميذه:

١. إسحاق بن إبراهيم بن يونس المنجنيقي، أبو يعقوب البغدادي (ت٣٠٤هـ)[١٠].

---

(١) ينظر ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (١/٢٦٣).

(٢) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٣/٢٢٦).

(٣) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٤/١٣٨).

(٤) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٨/٣١٤).

(٥) ينظر ترجمته: المرجع السابق (١٨/٩٩).

(٦) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٢٧/٥٢).

(٧) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٣١/١٢١).

(٨) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٣٢/٢٦١).

(٩) ملخص من المرجع السابق: (١٥/٢١١)، وتقريب التهذيب لابن حجر في مواضعهم.

(١٠) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٢/٣٩٢).

٢. الحسن بن الصباح بن محمد البزار أبو علي الواسطي البغدادي (ت ٢٤٩هـ)[١].

٣. رجاء بن مُرَجَّى بن رافع الغفاري السمرقندي (ت ٢٤٩هـ)[٢].

٤. سليمان بن الأشعث بن إسحاق، أبو داود صاحب السنن (ت ٢٧٥هـ)[٣].

٥. عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٩٠هـ) [٤].

٦. عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد القرشي، أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ)[٥].

٧. محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي، أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ)[٦].

٨. محمد بن النضر بن سلمة العامري، أبو بكر الجارودي النيسابوري (ت٢٩١هـ)[٧].

٩. محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري الملقب ببندار (٢٥٢هـ)[٨].

١٠. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)[٩].

وغيرهم كثير.

رحلاته العلمية:

قال الخطيب البغدادي: "كان أحد الرحّالين في الحديث ..."[١٠].

وقال الذهبي: "طوَّف أبو محمد الأقاليم، وصنف التصانيف"[١١].

يستفاد من خلال ترجمته في كتب التراجم أنه –رحمه الله- رحل لطلب الحديث

---

(١) ينظر ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (١٩١/٦).

(٢) ينظر ترجمته: المرجع السابق (١٦٨/٩).

(٣) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٣٥٥/١١).

(٤) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٢٨٥/١٤).

(٥) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٨٩/١٩).

(٦) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٣٨١/٢٤).

(٧) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٥٥٣/٢٦).

(٨) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٥١١/٢٤).

(٩) ينظر ترجمته: المرجع السابق (٢٥٠/٢٦).

(١٠) تاريخ بغداد: (٢٩/١٠)

(١١) سير أعلام النبلاء: (٢٢٩/١٢).

إلى بلدان مختلفة:

فرحل إلى خراسان وسمع فيها من عثمان بن بجلة، ومحمد بن سلام، وغيرهما.

ورحل إلى العراق وسمع من عبيد الله بن موسى، وأبي نعيم، وروح بن عبادة، وعبدان، وغيرهم.

وذهب إلى مصر وسمع من سعيد بن أبي مريم، وأبي صالح، وغيرهما.

ورحل إلى الحجاز فسمع من المقرئ، والحميدي، وابن أبي أويس، وغيرهم.

وذهب الشام فسمع من محمد بن يوسف الفريابي، وأبي اليمان، وأبي مسهر، وغيرهم(١).

ولكن لم يوجد في كتب التراجم تفاصيل هذه الرحلات باعتبار السنة والتاريخ.

ثناء العلماء عليه:

قال محمد بن إبراهيم الفقيه السمرقندي: "كنت عند أحمد بن حنبل (ت٢٤١) فذُكر الدارمي فقال: ذاك السيد، عُرِض عليَّ الكفر فلم أقبَل(٢)، وعرضت عليه الدنيا فلم يَقبل. وقال أيضاً: كان ثقة وزيادة وأثنى عليه خيراً"(٣).

وقال إسْحاق بنُ داودَ السمرْقَندِيُّ: "قدم قريب لي من الشاش(٤)، فقال: أتيت أحمد بن حنبل فجعلت أصف له أبا المنذر وجعلت أمدحه، فقال ابن حنبل: لا أعرف

---

(١) ينظر: موقع الألوكة، ترجمة موجزة للإمام الدارمي الحنظلي التميمي، وهو متاح على الرابط التالي بتاريخ: ١٤٣٧/٨/١٨هـ بوقت ١٢:٠٠: http://majles.alukah.net/t27072/

(٢) أي: مسألة خلق القرآن، ذكره الدكتور مرزوق الزهراني في "القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية" (ص ٨) في ترجمة المؤلف.

(٣) تاريخ بغداد: (١٠/٢٩-٣٠). وسير أعلام النبلاء: (١٢/٢٢٩).

(٤) الشاش: مدينة جليلة من أعمال سمرقند وقصبتها بنكث، وله مدن كثيرة، ويتصل ببلاد الشاش بلد إيلاق، وهما جميعاً لا فصل بينهما، عمارتهما متصلة متكاثفة لا تنقطع، هي التي تسمى اليوم طشقند القديمة، كما أن هذه المدينة نفسها هي التي تسمى "بنكث"؛ وينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحِميري (ص: ٣٣٥)، ط: مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، ١٩٨٠م.

هذا، قد طالت غَيبة إخواننا عنا، ولكن أين أنت عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن؟ عليك بذاك السيد، عليك بذاك السيد، عليك بذاك السيد، عبد اللَّه بن عبد الرحمن"(١).

وقال محمد بن عبد الله بن نُمير: "غلبَنَا عبد الله بن عبد الرحمن بالحفظ والورِع"(٢).

وقال محمد بن بشار (ت٢٥٢): "حُفَّاظُ الدُّنيا أربعةٌ: أبو زُرْعة (ت٢٦٤) بالرَّيّ، ومُسْلِمُ (ت٢٦١) بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن [الدارمي] (ت٢٥٥) بسَمَرْقَنْد، ومحمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦) ببُخَارَى". قال الذهبي: "كان بندار يفتخر بكونهم حملوا عنه"(٣).

وقال أبو حامد بن الشرقي: "إنما أخرجتْ خُراسان من أئمة الحديث خمسة : محمد بن يحيى، ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبد الرحمن (الدارمي)، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم بن أبي طالب"(٤).

وقال أبو حاتم الرازي (ت٢٧٧): "عبد الله بن عبد الرحمن إمام أهل زمانه"(٥).

وقال أبو حاتم بن حبان (ت ٣٥٤): "كان الدارميُّ من الحفاظ المتقنين، وأهلِ الورعِ في الدين مِمَّن حفظ وجمع، وتفقّه، وصنَّف وحدَّث، وأظهر السنة ببلده، ودعا إليها، وذبّ عن حريمها، وقمعَ من خالفها"(٦).

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب: (٣٢/١٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٢٦/١٢).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب: (٣٢/١٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٢٦/١٢). وشذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ): (١٣٠/٢)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٢٦/١٢) وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: (٢٩٥/٥).

(٤) تاريخ دمشق ابن عساكر، ط: دار الفكر بيروت لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. (٣١٧/٢٩)

(٥) تاريخ بغداد للخطيب: (٣٢/١٠).

(٦) الثقات لابن حبان: (٣٦٤/٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٢٧/١٢)، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: (٢٩٥/٥).

وقال رجاء بن جابر المُرجَّى: "ما رأيت أحدا أعلم بحديث رسول الله ﷺ من عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي"(١).

وقال أبو بكر الخطيب: "كان أحد الرحّالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجَمْعِهِ والإتقان له، مع الثقة والصدق، والورع والزهد، واستُقضِي على سمرقند، فأبى، فألحَّ السلطانُ(٢) عليه حتى يُقَلِّده، وقضى قضية واحدة، ثم استعفى، فأعفي، وكان على غاية العقل، ونهاية الفضل، يضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة، والاجتهاد والعبادة، والزهادة والتقلل(٣).

وقال أحمد بن حامد السمرقندي: سمعت رجاء بن مُرجًّا يقول: رأيت أحمد، وإسحاق، والشاذكوني، وعلي بن المديني، فما رأيت أحفظ من عبد الله الدارمي(٤).

قال الذهبي (ت٧٤٨): "قد كان الدارميّ ركناً من أركان الدين"(٥).

ألقابه العلمية من خلال الأقوال السابقة:

الحافظ، الإمام، الفقيه، المحدث، المفسر، العالم، المصنف، المجتهد، الداعية، السيد، رحال للأحاديث، القاضي، ركنا من أركان الدين، وهذ اللقب الأخير فيه مبالغة.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١٧/٢٩).

(٢) لم يذكر أحد من المؤرخين والمترجمين مَن هو السلطان هذا؟ وليس من السهل تحديده بالضبط لأن الإمام الدارمي عاش في زمن تسعة من الخلفاء العباسيين، حيث ولد الإمام الدارمي عام ١٨١هـ في زمن هارون الرشيد، وتوفي عام ٢٥٥هـ في زمن المعتز، ففي مدة حياته حكم تسعة من الخلفاء فلم يعرف من جعله قاضياً؟ والله تعالى أعلم.

ينظر: الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، (٥/٥ وما بعدها)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣) تاريخ بغداد: (٢٩/١٠).

(٤) تاريخ بغداد: (٣١/١٠).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٢٢٩/١٢).

صفاته من خلال الأقوال السابقة:

الزهد، والورع، وثقة وزيادة، والديانة، والحلم، والرزانة، والدراية، والحفظ، والعبادة، والإتقان، والثقة والصدق، كان على غاية العقل، ونهاية الفضل.

آثاره العلمية:

صنف الإمام الدارمي -رحمه الله- كتباً عديداً في فنون مختلفة، ومن مصنفاته ﷺ:

١- المسند.

٢- التفسير.

٣- الجامع.

٤- ثلاثيات الدارمي، وهي: خمسة عشر حديثاً، وقعت في مسنده بسنده. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون[١]. وذكره أيضاً عمر بن رضا في معجم المؤلفين[٢].

وذكر -الثلاثة الأولى- الخطيب البغدادي في معرض الثناء عليه إذ يقول: "وصنّف المسند، والتفسير، والجامع"[٣].

وقال أحمد بن سيار المروزي الحافظ: "كان الدارمي حسن المعرفة قد دوّن المسند، والتفسير"[٤].

وقال الزركلي في الأعلام: "له «المسند»، (خ) في الحديث، منه نسخة في طوبقبو، و«الجامع الصحيح»، (ط) ويسمى «سنن الدارميّ» وله «الثلاثيات»، (خ) منه نسخة

---

(١) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) (١/ ٥٢٢)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

(٢) ينظر: معجم المؤلفين لعمر بن رضا: (٧١/٦)، ط: دار أحياء التراث العربي بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) تاريخ بغداد: (٢٩/١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٢٢٩/١٢).

قديمة جيدة في خزانة الرباط (٤٤٢ كتاني). يظهر من قول الكتاني أن المسند غير السنن. والله تعالى أعلم"[١].

وقال محمد بن إبراهيم بن منصور الشيرازي: "... أظهرَ علمَ الحديث والآثار بسمرقند، وذبَّ عنها الكذِبَ، وكان مُفَسِّرا كاملاً، وفقيهاً عالماً"[٢].

وذكر ترجمته الداوديُّ في طبقات المفسرين[٣]، فهذا يدل على أنه ﵀ صنّف مصنفاً في التفسير أيضاً.

فيظهر من هذه الأقوال أنه كان ﵀ محدّثاً مفسراً فقيهاً، وصنف التصانيف في هذه الفنون، ولكن مع الأسف الشديد لم تصل إلينا من هذه المصنفات القيمة إلا كتابه السنن المعروف بـ «المسند».

وإذا نظرنا إلى هذا الكتاب الجليل بنظرة إمعان نجد أنه ﵀ كان عالما بالجرح والتعديل، وعالما بالناسخ والمنسوخ من الحديث، ومفسرا للقرآن الكريم، وفقيها دقيق النظر، وعالما باللغة إذ يذكر معاني الغريب وتراكيبها، فكل ذلك يظهر في كتابه السنن أو المسند.

وفـــاتــــه:

توفي الإمام الدارمي ﵀ سنة ٢٥٥هـ. كما قال أحمد بن سيّار المروزي الحافظ: "مات في سنة خمس وخمسين ومائتين. يوم التروية بعد العصر، ودفن يوم عرفة يوم الجمعة، وهو ابن خمس وسبعين سنة"[٤].

---

(١) الأعلام للزركلي (٩٥/٤)، ط: دار العلم للملايين، بدون ذكر بلد الطبع، ٢٠٠٢م.

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢٢٧/١٢)، وتهذيب التهذيب: (٢٩٥/٥)

(٣) طبقات المفسرين للداودي: (٢٤٢/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بدون سنة طبع.

(٤) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٢٩٥/٥).

وقال الحافظ مكي بن محمد بن أحمد بن ماهان البلخي تلميذه في تاريخ وفاته نحو ذلك[1].

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: "كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري، فورد عليه كتاب فيه نَعْيُ عبد الله بن عبد الرحمن ، فنَكَّس رأسه، ثم رفع واسترجع، وجعل تسيل دموعه على خدَّيه، ثم أنشأ يقول:

إنْ تَبْقَ تُفْجَعْ بالأحبَّةِ كُلِّهم وفَنَاءُ نَفْسِكَ لا أبَالَكَ أَفْجَعُ

ثم قال إسحاق: وما سمعناه ينشد شعراً إلا ما يجيء في الحديث"[2].

****

(١) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (٢٠٩/١١).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٨/١٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢٩٦/٥)، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، الحافظ زين الدين العراقي (٤٥/٢)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

المبحث الثالث

التعريف بسنن الدارمي -رحمه الله-

تسمية الكتاب:

أُطلق عليه ثلاثة أسماء: ١- المسند، ٢- والصحيح، ٣- والسنن.

أما الاسم الذي جاء على صورة غلاف المخطوط فهو كالتالي:

"**كتاب المسند** من حديث رسول الله ﷺ وسننه المأثورة تأليف الإمام الحافظ الناقد أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي السمرقندي رحمة الله عليه"

قال الحافظ ابن حجر(ت٨٥٢): "كذا يعرف بـ «المسند» وهو مع ذلك مرتب على الأبواب"[(١)].

وقال الحافظ زين الدين العراقي (ت٨٠٦): "وقد عدّه ابن الصلاح (ت٦٤٣) في المسانيد فوَهِم في ذلك لأنه مرتب على الأبواب الفقهية لا المسانيد"[(٢)].

لكن قال الحافظ ابن حجر: "اشتهر تسميته بـ"المسند" كما سمى البخاري كتابه بـ"المسند الصحيح" -وإن كان مرتباً على الأبواب- لكون أحاديثه مسندة، إلا أن "مسند الدارمي" كثير الأحاديث المرسلة والمعضلة والمنقطعة والمقطوعة"[(٣)].

وقال الذهبي (ت٧٤٨) : "إنه مسند عال في طبقة منتخب مسند عبد بن

---

(١) تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، للحافظ ابن حجر العسقلاني (١/٣٨)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي؛ للحافظ زين الدين العراقي (١/١٧٠) تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ. وتوضيح الأفكار للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (١/٢٠٧) تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

(٣) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن صلاح، للعراقي: (ص:٥٦)، وتوضيح الأفكار للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (١/٢٠٧).

حميد"[1].

وأما تسميته بـ "الصحيح" فقد جاء في كلام المنذري (ت٦٥٦)، والعلائي (ت٧٦١)، والمغلطائي (ت٧٦٢)، كما ذكره الحافظ ابن حجر؛ إذ يقول: "ولم أر لمغلطائي سلَفاً في تسمية الدارمي صحيحاً، إلا قوله إنه رآه بخط المنذري، وكذا قال العلائي"[2].

وقال الحافظ في النكت: "بقي مطالبة مغلطائي بصحة دعواه بأن جماعة أطلقوا على مسند الدارمي كونه صحيحا، فإني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه. ثم وجدت بخط مغلطائي أنه رأى بخط الحافظ أبي محمد المنذري ترجمة كتاب الدارمي بالمسند الصحيح الجامع. وليس كما زعم، فلقد وقفت على النسخة التي بخط المنذري، وهي أصل سماعنا للكتاب المذكور، والورقة الأولى منه مع عدة أوراق ليست بخط المنذري، بل هي بخط أبي الحسن ابن أبي الحصني، وخطه قريب من خط المنذري، فاشتبه ذلك على مغلطاي وليس الحصني من أحلاس هذا الفن حتى يحتج بخطه في ذلك، كيف ولو أطلق ذلك عليه من يعتمد عليه لكان الواقع يخالفه لما في الكتاب المذكور من الأحاديث الضعيفة والمنقطعة والمقطوعة"[3].

وقال السيوطي(ت٩١١): "قيل: ومسند الدارمي ليس بمسند، بل هو مرتب على الأبواب، وقد سماه بعضهم بـ «الصحيح»"[4].

وأما تسميته بـ «السنن» فقد جاء في كلام الحافظ ابن حجر؛ إذ يقول: "وأما

---

(١) تذكرة الحفاظ: (٥٣٥/٢).

(٢) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (١٧٤/١)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٣) ينظر: "النكت على كتاب ابن الصلاح" للحافظ ابن حجر (٢٨٠/١)، تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١، ١٤٠٤هـ.

(٤) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي: (١٧٣/١).

كتاب (السنن)، المسمى: (بمسند الدارمي) فإنه ليس دون (السنن) في المرتبة، بل لو ضُم إلى الخمسة، لكان أولى من ابن ماجة، فإنه أمثل منه بكثير"[1].

عدد أحاديثه:

عدد الأحاديث في كل طبعة مختلف عن بعضها، وتفصيله كالآتي:

أما عدد أحاديثه حسب ترقيم الطبعة التي حققها حسين سليم أسد الداراني؛ فهو (٣٥٤٦) ثلاثة آلاف وخمس مائة وست وأربعين. (وعلى هذه النسخة اعتمدت في هذه الرسالة التي بين أيدينا).

وأما عدد أحاديثه حسب ترقيم الطبعة التي حققها فواز أحمد زملي، وخالد السبع العلمي؛ فهو (٣٥٠٣) ثلاثة آلاف خمس مائة وثلاث.

وأما عدد أحاديثه حسب طبعة المكنز فهو (٣٥٦٧) ثلاثة آلاف وخمس مائة وسبع وستين.

وأما عدد أحاديثه حسب ترقيم طبعة "فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي" للسيد أبي عاصم نبيل بن هاشم الغمري، فهو (٣٧٧٥) ثلاثة آلاف سبع مائة وخمس وسبعين.

اشتمل سنن الدارمي على (٣٤٥٥) ثلاثة آلاف وأربع مائة وخمس وخمسين، نصًا مسندًا،حسب ما جاء في وكيبيديا.

وجاء في نسخة كوبريلي في إحدى صفحاتها الأخيرة: عدد الأحاديث (٣٥٥٠) ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون حديثاً.

ترتيبه ومنهجه:

رتَّب الإمام الدارمي كتابه السنن على الأبواب الفقهية، بدأ بمقدمة طويلة نافعة حيث احتوت على عدة أبواب في الشمائل النبوية، واتباع السنة، وآداب الفتيا، وفضل

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي: (١/١٧٤).

العلم وغيره. وقد قسم الشيخ أبو عاصم نبيل الغمري هذه المقدمة إلى كتابين: الأول: "كتاب علامات النبوة، وفضائل سيد الأولين والآخرين"، والثاني: "كتاب العلم".

وبعد المقدمة بدأ بكتاب الطهارة وأدرج تحته أبوابا متعددة، وختمه بكتاب فضائل القرآن.

وأما منهجه ﵀ فإنه يذكر بأسانيده الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ مع غيرها من الآثار الموقوفة والمقطوعة، ومن جملة هذه الأحاديث والآثار يوجد فيه المتصل والمنقطع، والصحيح، والضعيف، والموضوع -وهذا قليل جداً-[1]، كل هذا يورده بسنده مكتفيًا بأن من أسند لك فقد أحالك.

وفي أعقاب بعض الأحاديث ذكر شيئاً من اختياراته الفقهية، كما أنه ربما شرح لفظاً غريباً وبيّن معنىً، -يُنظر على سبيل المثال حديث رقم: ٤/٣، ٥٤/٢٠-وفي ثنايا الإسناد ذكر نسب ونسبة بعض الرواة حسب ما دعت إليه الحاجة، كما أنه ذكر علّة الحديث، وهذا قليل، والله أعلم.

منزلة الكتاب:

يعد كتاب الإمام الدارمي المسمى بمسند الدارمي أو سنن الدارمي من أعظم كتب الحديث وله منزلة عظيمة إذ هو من المصادر الأصلية في هذا الفن، ويزداد أهمية الكتاب ومنزلته حيث أنه ألّف في قرن من القرون المفضلة، ومؤلفه ﵀ من معاصري الإمامين البخاري ومسلم -رحمهما الله- بل هو من شيوخهما، وقد اهتم العلماء بهذا الكتاب اهتماما بالغا، وعدّوه من أهم كتب الحديث، وقد تلقته الأمة بالقبول، حتى قال بعضهم: "كتاب الدارمي أحرى وأليق بجعله سادسا للكتب لأن رجاله أقل ضعفاً، ووجود الأحاديث المنكرة والشاذة نادرة فيه، وله أسانيد عالية، وثلاثياته أكثر من

---

(١) حديثان فقط، حكم عليهما بعض النقاد بالوضع، ينظر: مقدمة القطوف الدانية للمرزوق بن هياس الزهراني (ص ١).

ثلاثيات البخاري"[1].

وقال الحافظ ابن حجر: "وأما كتاب (السنن)، المسمى: (بمسند الدارمي) فإنه ليس دون (السنن) في المرتبة، بل لو ضُم إلى الخمسة، لكان أولى من ابن ماجة، فإنه أمثل منه بكثير"[2].

وقال الحافظ ابن حجر أيضاً: "وكان الحافظ صلاح الدين العلائي يقول: ينبغي أن يعد الدارمي سادساً للكتب الخمسة، بدل كتاب ابن ماجه، فإنه قليل الرجال الضعفاء، نادر الأحاديث المنكرة والشاذة، وإن كانت فيه أحاديث مرسلة وموقوفة، فهو مع ذلك أولى من كتاب ابن ماجه"[3].

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة: "وقال قوم من الحفاظ منهم ابن الصلاح والنووي وصلاح الدين العلائي والحافظ ابن حجر: لو جعل مسند الدارمي سادسا كان أولى"[4].

وقال الذهبي عن مسنده: "صاحب المسند العالي الذي في طبقة منتخب مسند عبد بن حميد"[5].

وقال الشاه وليّ الله المحدث الدهلوي (ت ١١٧٦): "علماً منّي بأن مسند الدارمي إنما صنِّف لإسناد أحاديث الموطأ، وفيه الكفاية لمن اكتفى"[6].

---

(١) الحطة في ذكر صحاح الستة، أبو الطيب السيد صديق حسن خان البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، (ص:٢٢٥)، ط: دار الكتب التعليمية بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) تدريب الراوي: (١/١٧٤).

(٣) النكت: (١/٤٨٦).

(٤) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة (ص: ١٣).

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٥٣٤).

(٦) المسوّى شرح الموطأ (١/٦٤)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون ذكر سنة الطبع.

خدمة الكتاب:

خدم العلماء هذا الكتاب باعتبارات متعددة، شرحاً، وتحقيقاً، وإخراجاً بأحاديثه الزوائد.

- من شروحات هذا الكتاب: "فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن المسمى بـ المسند الجامع"، شرحه وقابله على الأصول الخطية السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري، وقد طبع ونشر في عشرة أجزاء من مكتبة دار البشائر الإسلامية والمكتبة المكية.
والكتاب نفيس من حيث التخريج والتحقيق ولكن من الناحية العقدية يوجد فيه بعض الملاحظات(١).
- ومن التحقيقات على كتاب مسند الدارمي : تحقيق الدكتور حسين سليم أسد الداراني، في أربع مجلدات، طبعه مكتبة دار المغني للنشر والتوزيع، عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- ومن التحقيقات أيضاً: تحقيق فواز أحمد زملي، وخالد السَّبع العَلميّ، طبعه قديمي كتب خانه كراجي.
- ومن خدمة كتاب الدارمي إخراج أحاديثه الزوائد على كتب الثمانية، كما فعل الدكتور مرزوق بن هياس الزهراني حيث أخرج أحاديثه الزوائد على الثمانية، -أي الأحاديث التي انفرد به الإمام الدارمي عن الثمانية- فجمع في كتاب مستقل، وسماه: "القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية" وقد طبع الكتاب في

---

(١) ينظر المقال: نقد كتاب "فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن" شرح وتحقيق: نبيل هاشم الغمري، كتبه: عبد الرحمن بن صالح السديس، وهو منشور على موقع صيد الفوائد، وتم زيارته بتاريخ: ١٤٣٦/٥/٥هـ ساعة: ١١:٣٥ص، وهو متاح على الرابط التالي: http://www.saaid.net/Doat/sudies/14.htm
وكذلك موجود في أرشيف ملتقى أهل الحديث-٥ في المكتبة الشاملة، وأيضاً على الموقع.
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-19633.html

مجلد واحد، ووزع الكتاب على طلبة العلم في مكتبة كلية الحديث بالجامعة الإسلامية عام ١٤٣٠-١٤٣١هـ

طبعات الكتاب: طبع كتاب سنن الدارمي عدة مرات، ومن أهم طبعاتها:

١- طبعة على الحجر في كوانبور سنة ١٢٩٣هـ، ثم في حيدر آباد سنة ١٣٠٩هـ، ثم في دهلي ١٣٣٧هـ على هامش المنتقى للمجد، وكلها بدون تحقيق.

٢- طبعة بتحقيق محمد أحمد دهمان، صدرت عن دار إحياء السنة النبوية بالقاهرة، سنة ١٣٤٦هـ.

٣- طبعة بتخريج وتعليق وتحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، صدرت عن دار إحياء السنة النبوية بالقاهرة، سنة ١٤٠٤هـ، وهي مصورة عن طبعة صادرة بفيصل آباد. (هذه الطبعات الثلاثة ذكرها الغمري في فتح المنان).

٤- طبعة بتحقيق فوّاز أحمد زمرلي، وخالد السبع، صدرت عن دار الكتاب العربي ببيروت، سنة ١٤٠٧هـ.

٥- طبعة بتحقيق وشرح وتعليق مصطفى ديب البغا، صدرت عن دار القلم بدمشق، سنة ١٤١٢هـ.

٦- طبعة بتحقيق وشرح أبو عاصم نبيل الغمري، صدرت عن دار البشائر الإسلامية ببيروت ، والمكتبة المكية بمكة المكرمة، سنة ١٤١٩هـ.

٧- طبعة بتحقيق حسين سليم أسد، وصدرت عن دار المغني بالرياض، ودار ابن حزم ببيروت، سنة ١٤٢١هـ.

****

المبحث الرابع:

موضوع الدراسة وعدد أحاديثها

موضوع الدراسة هي: دراسة الأحاديث دراسة دعوية، وذلك ببيان معاني غريب الحديث، وتخريجه، وترجمة راويه، واستنباط مسائل الدعوة وأحكامها، ثم ترتيبها حسب أبواب الدعوة، وتوثيق المسائل المستنبطة من أقوال أهل العلم في الغالب.

فالمقصود من الأحاديث في هذه الدراسة هي التي انفرد به الإمام الدارمي عن الأئمة الثمانية -وتقدم ذكرهم- وأما الأحاديث التي درستُ في هذه الرسالة هي من بداية مقدمة السنن إلى نهاية "باب ذهاب العلم"، وعددها في الجملة (١٦٧) حديثاً وأثرا، وتنقسم هذه الأحاديث والآثار في الأبواب الفقهية حوالي عشرين بابا، وبيان ذلك كالآتي:

١- باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي ﷺ من الجهل والضلالة؛ وفيه ثلاثة أحاديث وآثار.
٢- باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه؛ وفيه ثمانية أحاديث، وآثار.
٣- باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ ؛ وفيه حديثان.
٤- باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به، والبهائم، والجن؛ وفيه حديثان.
٥- باب ما أكرم النبي ﷺ بحنين المنبر؛ وفيه حديث واحد.
٦- باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل؛ وفيه خمسة أحاديث.
٧- باب في حسن النبي ﷺ؛ وفيه ستة أحاديث.
٨- باب في سخاء النبي ﷺ؛ وفيه ثلاثة أحاديث.
٩- باب في وفاة النبي ﷺ؛ وفيه تسعة أحاديث.
١٠- باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته؛ وفيه ثلاثة أحاديث.
١١- باب اتباع السنة؛ وفيه خمسة أحاديث.
١٢- باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة؛ وفيه عشرون حديثاً.

١٣- باب كراهية الفتيا؛ وفيه ثمانية أحاديث.

١٤- باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع؛ وفيه سبعة وعشرون حديثا وأثرا.

١٥- باب الفتيا وما فيه من الشدة؛ وفيه اثنا عشر حديثا وأثرا.

١٦- باب، وفيه أربعة عشر حديثاً وأثراً.

١٧- باب تغير الزمان وما يحدث فيه؛ ويشتمل هذا الباب على خمسة عشر حديثاً.

١٨- باب في كراهية أخذ الرأي؛ وفيه اثنا عشر حديثا وأثرا.

١٩- باب الاقتداء بالعلماء؛ وفيه أربعة أحاديث وآثار.

٢٠- باب في ذهاب العلم؛ تسعة أحاديث وآثار.

****

الفصل الأول : فقه الدعوة

(في بيان مفهومها، وفضلها، وأحكامها، ومقاصدها، ومصادرها، وقواعدها)

فيه ستة مباحث:

المبحث الأول : الدعوة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : أهمية الدعوة وفضلها.

المبحث الثالث: حكم القيام بالدعوة.

المبحث الرابع : مقاصد الدعوة الإسلامية وخصائصها.

المبحث الخامس: مصادر الدعوة.

المبحث السادس: قواعد منهج الدعوة المستنبطة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الأول:

تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً:

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الدعوة في اللغة:

تطلق لفظة الدعوة في اللغة على عدة معان، منها: الاستمالة، والطلب، والنداء، والسؤال، والحث والتحريض، والاستغاثة، والأمر، والدعاء، والأذان. وأصله -كما قال ابن فارس-: (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد(١)، أذكر هذه المعاني بإيجاز مع ذكر الأمثلة لاستخدامه من القرآن، أو السنة، أو من كلام العرب(٢).

١- **الاستمالة**: وهو أن تميلَ الشيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك(٣).

٢- **الطلب**: كما في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾(٤) بمعنى لا تطلبوا اليوم هلاكاً واحداً بل اطلبوه مراراً(٥).

٣- **النداء**: نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ

(١) ينظر لتلك المعاني (مادة: دعو): لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٥٧-٢٦٢). ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني (٢/٢٧٩)، ط: دار الفكر العربي ١٢٩٩هـ. والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص١٢٨٢-١٢٨٣). والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (مادة: دعا)، (ص:٢٨٦)، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ.

(٢) ذكر غير واحد من أهل العلم هذه المعاني في كتبهم بأساليب متعددة، منهم شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الرب نواب الدين في "مدخل إلى علم الدعوة"، و"مذكرة أصول الدعوة" وغيره. وجمعت كلها في مكان واحد.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/٢٧٩).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١٤.

(٥) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، (ص ٥٣٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

﴿يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾[1] "فدعوهم" أي فنادوهم للإغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم[2].

٤- **السؤال**: نحو قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾[3] أي اسأل ربّك يبين لنا ما لون البقرة التي أمرنا بذبحها[4].

٥- **الحث والتحريض** على فعل شيء: نحو قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[5] بمعنى أنه ليس من العدل والإنصاف أن أحثّكم وأحرضكم على فعل ما من شأنه نجاتكم في الدنيا والآخرة، وأنتم تحرضونني على فعل ما من شأنه هلاكي[6].

٦- **الاستغاثة**: نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[7] بمعنى: هل إذا أتاكم عذاب وغضب من الله وأصابتكم كارثة أو مصيبة أو أتتكم الساعة هل إذ حدث ذلك تستغيثون بغير الله؟ فإن كلمة تدعون في الآية بمعنى الاستغاثة[8].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٢.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٣/٢٨٤)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: ١، ١٤١٨هـ.

(٣) البقرة:٦٩.

(٤) ينظر: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (١/١٢٥) تحقيق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.

(٥) غافر: ٤١.

(٦) ينظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود (٢/٩٢).

(٧) الأنعام: ٤٠-٤١.

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١١/٣٥٤)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧- **الأمـر**: نحـو قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ ﴾[١] أي والرسول يأمركم أن تؤمنوا بالله ربكم[٢].

٨- **الدعاء**: نحو قوله ﷺ : "**لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة**"[٣]؛ يعني الشيطان الذي عرض له في صلاته، وأراد بدعوة سليمان عليه السلام، قوله: ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾[٤]، ومن جملة ملكه تسخير الشياطين وانقيادهم له[٥].

٩- **الأذان**: نحو قوله ﷺ : «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ"، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦]. والمقصود بالدعوة التامة: (الأذان)، كما قال ابن رجب رحمه الله: "المراد بالدعوة التامة : دعوة الأذان ؛ فإنها دعاء إلى أشرف العبادات، والقيام في مقام القرب والمناجاة"[٧].

ولكن إذا نظرنا بشيء من الإمعان إلى تلك المعاني سوف نجد أنها تعود جميعها إلى أصل واحد وهو معنى «الطلب».

فالنداء: هو طلب الحضور والمجيء سواء لأمر حسي أو معنوي.

والسؤال: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً لدى السائل.

---

(١) الحديد:٨.

(٢) ينظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود (٩٢/٢).

(٣) صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج القشيري، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل ... (٣٨٥/١) برقم: (٥٤٢).

(٤) سورة ص، جزء من آية: ٣٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٢٢/٢). ولسان العرب، لابن منظور (٢٥٨/١٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، (١٢٦/١، رقم:٦١٤)، وكتاب التفسير، باب قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، (٨٦/٦، رقم: ٤٧١٩).

(٧) فتح الباري لابن رجب (٤٦٥/٣)، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، السعودية الدمام - ١٤٢٢هـ.

والتحريض والحث: هو طلب إتيان فعل غير مرغوب فيه عند المخاطب.

والاستغاثة: طلب رفع ضرر واقع على المستغيث.

والأمر: طلب إتيان الفعل مطلقاً.

والدعاء: هو الطلب من الله سبحانه وتعالى.

وتعدّد معاني الدعوة كما هو واضح بغرض بيان القصد المراد منها[1].

والجدير بالذكر أن لفظة الدعوة كما تطلق على دعوة الحق كذلك تطلق على دعوة الباطل، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[2]. فقوله:(يدعون إلى النار) هي دعوة الباطل، وقوله:(والله يدعو إلى الجنة) هي دعوة الحق.

وكذلك الداعية قد يدعو إلى الحق وقد يدعو إلى الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**[3].

فالذي يدعو إلى الكتاب والسنة فهو داعية إلى الحق، والذي يدعو إلى غيرهما فهو داعية إلى الباطل.

---

(١) نقلت هذا من موقع اسلام ويب، وموقع شبكة صيد الفوائد، وقد نشر فيهما مقال بعنوان "أساليب الدعوة إلى الله" للشيخ عبد القادر بن فالح الحجيري السلمي، وذكر فيه معاني الدعوة لغة واصطلاحا، ونقلت منها بتصرف يسير، وهو متاح على الرابط التالي، بتاريخ ٢٠/٠٨/١٤٣٧هـ، http://www.saaid.net/aldawah/492.htm?print_it=1، ساعة: ١١:٣٠ص.

(٢) البقرة، جزء من الآية: ٢٢١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (٤/٢٠٦٠، رقم:٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف الدعوة إلى أقوال متعددة ولكن أغلبها مترادفة أو متقاربة، إلا أن بعضهم رجّح جانب موضوع الدعوة في بيان تعريفها؛ وبعض الآخرين رجّح جانب منهج الدعوة مع موضوعها، أو عملية النشر والتبليغ، وذلك لسعة هذه الكلمة وشمولها؛ كما تقدم معانيها.

أما التعريفات التي غلب فيها جانب موضوع الدعوة؛ هي كالتالي:

١- **تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ: الدعوة إلى الله هي: "الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله؛ لتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا به".

ثم يفسر هذا التعريف بقوله: "وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، وأيضاً الدعوة إلى الله أن يعبد ربه كأنه يراه. وهذه مراتب الإسلام الثلاثة : الإسلام ـ الإيمان ـ الإحسان"[(١)].

٢- عرّفها الشيخ ابن عثيمين ﷺ بقوله: هي "الدعوة إلى الله تعالى دعوة خير وحق؛ لأنها دعوة إلى العدل والإحسان، دعوة ما تقتضيه الفطر السليمة، وتستحسنه العقول الخالصة، وتركن إليه النفوس الزكية"[(٢)].

٣- وقيل في تعريفها: الدعوة الإسلامية هي: "دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة"[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. (١٥/١٥٧، ١٥٨).

(٢) رسالة في الدعوة إلى الله، محمد بن صالح العثيمين (ص: ٧)، ط: ١، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ. ورسالة إلى الدعاة، محمد بن صالح العثيمين (ص: ٧)، ط:١، مؤسسة آسام للنشر، ١٤١٢هـ..

(٣) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد راوي (ص: ٣٩)، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، =

٤- وقيل في تعريفها: الدعوة هي: "الدين الذي قضاه الله تعالى للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ"(١).

وأما التعريفات التي غلب فيها جانب التبليغ، أو عملية النشر، أو منهج الدعوة مع موضوعها؛ هي كالآتي:

١- الدعوة هي: "الحث على فعل الخير، واجتناب الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب في الفضيلة، والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل"(٢).

٢- أن الدعوة إلى الله هي: "قيام من له أهلية في دعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً"(٣).

٣- وعرّفها بعض أهل العلم بأنها: "قيام المسلم ذي الأهلية -في العلم والدين- بتبصير الناس بأمور دينهم، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل" (٤).

٦- وقيل في تعريف الدعوة: "هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"(٥).

٧- وعرفها بعض أهل العلم بأن الدعوة إلى الله هي: "قيام الداعية المؤهَّل

=

المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (والصحيح أنها طبعة ثالثة) ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(١) موقع فيس بوك: فقه الدعوة، وهو متاح على الرابط التالي:
https://www.facebook.com/permalink.php?id=182059025178756&story_fbid=440346299350026 وتم زيارته في تاريخ ١٤٣٥/١/١٥هـ ساعة ١١:٤٥ص.

(٢) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب (ص:٢٤)، دار المعرفة، ١٤٠١هـ.

(٣) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب (ص:٢٧)، ط:١، دار الوفاء، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٦هـ.

(٤) معالم في منهج الدعوة لصالح بن عبد الله بن حميد: (ص: ٩)، دار الأندلس الخضراء، بدون ذكر بلد الطبع، ١٩٩٩م.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، د. البيانوني (ص: ١٦)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ.

بإيصال دين الإسلام، إلى الناس كافة، وفق منهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان"(١).

٨- تعريف آخر: "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(٢).

٩- وقيل: "الدعوة هي: السعي لنشر دين الله عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، وبذل الوسع في ذلك"(٣).

وهناك تعريفات كثيرة ذكرها أهل العلم في كتب الدعوة الإسلامية، واكتفيت على بعض المهم منها، وأما تقسيم هذه التعريفات إلى القسمين المذكورين؛ فقد أشار إلى ذلك غير واحد من أهل العلم، منهم الشيخ الدكتور عبد الرب نواب الدين آل نواب؛ إذ يقول بعد ذكر تعريفات الدعوة: "يتبين أن مفهوم «الدعوة الإسلامية» يتضمن أصلان عظيمان يتداخلان ويتآزران ويتكون بمجموعهما المفهوم الأشمل للدعوة، وهما:

١- جانب الموضوع، والمضمون، والهدف، وهو (الدين) بمراتبه الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، ومنها العقيدة والشريعة والأخلاق، وهذا هو الجانب الموضوعي للدعوة، وهذا ما نعبر عنه بقولنا: إلى ماذا ندعو؟

٢- جانب العرض وكيفية الأداء، والإيصال، وهو ما يعبر عنه بالمنهج، أو الطريق، أو الأسلوب، أو الوسيلة، وهذا هو الجانب المنهجي للدعوة، وهذا ما نعبر عنه بقولنا: كيف ندعو؟

وقد أشار القرآن العظيم إلى تلازم هذين الأصلين، قال تعالى في موضع: ﴿ قُلۡ

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي (١/٤٨)، ط: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٤هـ.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، د. علي محفوظ (ص: ١٧)، دار الاعتصام بدون ذكر سنة الطبع والبلد.

(٣) العلماء هم الدعاة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، (ص ١٠)، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾(١)، وقال في موضع: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(٢).

فالدعوة إلى الله كما في الآية الأولى هي الدعوة إلى دينه الذي ارتضاه لعباده، وهو سبيل فلاحهم في الدنيا والآخرة، ويشمل مراتب الدين الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، كما في الحديث الذي عرض هذه المراتب الثلاث ثم سماها ديناً، وفي آخره: **«هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»**(٣).

وأما الدعوة إلى سبيل الله، فهي انتهاج تلك الطرائق التي بينها الكتاب والسنة، وعمدها الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

وبمعرفة هذين الأصلين نعرف إلى ماذا ندعو؟ وكيف ندعو؟"(٤).

وإلى تلازم هذين الأصلين يشير ابن تيمية ﵀ بقوله: "الله -سبحانه وتعالى- يذكر أنه أمر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله تارة، وبالدعوة إلى سبيله تارة، وذلك أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لابد فيما يدعو إليه من أمرين:

أحدهما: المقصود المراد. والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود.

فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله، وتارة إلى سبيله، فإنه -سبحانه- هو المعبود المراد المقصود بالدعوة"(٥)اهـ.

****

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب سؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١/٢٧ برقم:٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/٣٩ برقم: ٩).

(٤) مدخل إلى علم الدعوة، (ص: ١٧-١٩)، ط: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

(٥) مجموع الفتاوى: (١٥/١٦٢).

المبحث الثاني:

أهمية الدعوة وفضلها

إن الدعوة إلى الله مقام شريف وعمل جليل ولها أهمية بالغة وفضائل عظيمة، وكيف لا يكون لها فضل وأهمية؟ إذ أنها وظيفة الأنبياء والمرسلين، ووظيفة من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كما قال الله جل شأنه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[(1)]، والقائم بهذه الوظيفة أحسن الناس قولاً على الإطلاق كما قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(2)]، وأحسن الناس عملاً أيضاً؛ لأنه يعمل على ما يدعو إليه، كما قال تعالى في الآية المذكورة: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾؛ فالحاصل أن وظيفة الداعية من أحسن الوظائف سواء كانت وظيفته قولية أم عملية، أو كانت وظيفته تطوعية أم رسمية؛ فكل ذلك داخل في فضل الدعوة إلى الله تعالى.

ففي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على أهمية الدعوة وفضلها، كما تدل على فضل من قام بهذا العمل الجليل، منها الحديث الذي أخرجه الإمام الدارمي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ[(3)]، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ،**

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) فصلت: ٣٣.

(٣) هو عويمر بن عامر بن مالك، وقيل: اسمه عامر بن مالك، كان فقيها عاقلا حكيما، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، اختلف في شهوده غزوة أحد وشهد ما بعدها، تولى قضاء دمشق في خلافة عثمان، وتوفي ﷺ قبل أن يقتل عثمان بسنتين. يراجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بـ ابن عبد البر النمري القرطبي، (٣٨٠/١) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ»[1].

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المغني بالرياض، ودار ابن حزم بيروت، سنة ١٤٢١هـ. بابُ الاقْتِدَاء بالعلمَاءِ (٣٠٣/١) برقم: (٢٣٦). قال المحقق حسين سليم أسد الداراني: إسناده ضعيف غير أن الحديث صحيح.

وقال الزهراني (القطوف الدانية، ص: ٦٩) : فيه عبد الرحمن بن زبيد اليامي: سكت عنه البخاري، وأبو حاتم (التاريخ: ٢٨٦/٥، والجرح والتعديل: ٢٣٥/٥) وذكره ابن حبان في (الثقات: ٦٧/٧) وينظر: (مجمع الزوائد: ١٣٧/١، ١٣٨).

شرح غريب الحديث:

قوله: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً» نَضَرَهُ ونَضَّرَهُ وأَنْضَرَهُ: أَيْ نَعَّمَه. ويُروى بالتخفيف والتشديد من النضارة، وهي في الأصل: حسن الوجه، والبريق، وإنما أراد حسن خلقه وقدره. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٧١/٥).

قوله: «امْرَأً» أي شخصاً، أو رجلاً، مؤنثه امرأة. ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٥٦/١).

قوله: « سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا» وفي رواية الترمذي وابن ماجه: **«سمع منّا شيئاً»**، قال الطيبي: "يعم الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ يدل عليه صيغة الجمع في "مِنَّا"".

وقال ابن حجر: "قوله: "مِنَّا" يحتمل أنه للجماعة فيشمل من سمع من الصحابة شيئا من الأقوال". وقال ملا على القاري: "وقد يسمع من الصحابي أنه عليه الصلاة والسلام كان يفعل، كذا صح أن يتعلق السمع بالفعل بهذا المعنى، مع أن المراد بالسمع هو العلم الذي يشمل القول والفعل والشمائل أيضا، وإنما خص السمع بالذكر لأن مدار العلم عليه غالبا".

ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) (٣٠٨/١)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

قوله: «ثلاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ» هو من الإِغْلَال: الخيانة في كُل شيء. ويُروى «يَغِلُّ» بِفَتْحِ الْيَاءِ، مِنَ الغِلِّ وهو الحِقْد والشَّحْناء: أَيْ لَا يَدْخُله حقْد يُزِيلُه عَنِ الحقِّ. ورُوي «يَغِلُ» بالتَّخفيف، مِنَ الوُغول: الدخول في الشر. والمعنى أَنَّ هذه الخلالَ الثَّلَاثَ تُسْتَصْلَح بِهَا القلوبُ، فَمَنْ تَمسَّك بِهَا طَهُر قَلْبُه مِنَ الخِيانة والدَّغَل والشَّر. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٣٨١/٣).

=

=

قال السندي: "أي: ثلاث لا يحوي قلب المؤمن ولا يدخل فيه الحقد كائنا "عليهن"، أي: دوام المؤمن على هذه الخصال لا يدخل في قلبه خيانة، أو حقدا يمنعه من تبليغ العلم، أي: فينبغي له الثبات على هذه الخصال". اهـ. ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، (٢٦٨/٢) دار الجيل، بيروت، بدون سنة طبع.

وقوله: «عَلَيْهِنَّ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، تَقْدِيرُهُ لَا يَغِلُّ كَائِنًا عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير، (٣٨١/٣).

وقال البيضاوي: "هذه الجملة استئنافية تأكيد لما قبلها، فإنه ﷺ لما حرَّض على تعلم السنن ونشرها قفاه برد ما عسى أن يعرض مانعًا وهو الغل من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ تعلم الشرائع، ونقلها ينبغي أن يكون خالصًا لوجه الله مبرأ عن شوائب المطامع والأغراض الدنيويَّة، وما كان كذلك لا يتأثر عن الحِقد، والحسَد.

وثانيها: أنَّ أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم، وهي من وظائف الأنبياء، فمن تعرض لذلك وقام به كان خليفة لمن يبلغ عنه، وكما لا يليق بالأنبياء أن يهملوا أعداءهم ولا ينصحوهم لا يحسن من حامل الأخبار وناقل السنن أن يمنحها صديقه، ويمنع عدوه.

وثالثها: أنَّ النقل ونشر الأحاديث إنما يكون غالبًا بين الجماعات، فحث على لزومها ومنع عن النأي عنها لحقد، وضغينة، تكون بينه وبين حاضر بها، ببيان ما فيها من الفائدة العظمى، وهي إحاطة دعائهم بهم من ورائهم فتحرسهم عن مكائد الشيطان وتسويله". انتهى. ينظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي، لجلال الدين السيوطي (٢٦٢/٢).

قوله: «فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ» وفي رواية ابن ماجه **«فإنَّ دعوتهم تُحِيط من ورائهم»**: أي: تحوطهم وتكنُفُهُمْ، وتحفظهم يريد أهل السنة دون أهل البدعة، والدَّعوة المرَّة الواحدة من الدعاء. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٣٨١/٣).

قال الطيبي: "وهذا يرشد إلى أنَّ الصواب فتح مَنْ موصولاً مفعولاً لا تحيط، وقد يجوز أن يكون تقدير الكلام: فعليه أي يلزم الجماعة فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم".

ينظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي، لجلال الدين السيوطي، (٢٦٢/٢).

وقال ابن عبد البر: "معناه عند أهل العلم أن أهل الجماعة في مصر من أمصار المسلمين إذا مات إمامهم ولم يكن لهم إمام؛ فأقام أهل ذلك المصر الذي هو حضرة الإمام وموضعه إماما لأنفسهم اجتمعوا عليه ورضوه؛ فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الآفاق يلزمهم

=

فقد جاء في هذا الحديث ذكر أركان الدعوة كلها؛ إذ جاء ذكر الداعية، والمدعو، وموضوع الدعوة، وبعض أساليب الدعوة؛ فقد جاء فيه تحريض الداعية على أن يُبلِّغَ الأحاديثَ -وهي موضوع الدعوة- إلى المدعوين، ثم ذكر بعض صفات الداعية، وأساليب الدعوة، وسيأتي تفصيلها في موضعها؛ فظاهر الحديث يشير إلى أن من قام بهذه الوظيفة العظيمة فهو مستحق لدعاء النبي ﷺ؛ إذ دعا له دعوة النضارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في شرح الحديث المذكور: "وفي هذا دعاءٌ منه لمن بلَّغ حديثه وإن لم يكن فقيها، ودعاءٌ لمن بلَّغه وإن كان المستمع أفقه من المبلِّغ؛ لِمَا أُعطِي الـمُبلِّغون من النضرة؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: لا تجد أحدا من أهل الحديث إلا وفي وجهه نَضْرَة؛ لدعوة النبي ﷺ. ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظمون نقَلَةَ الحديث، حتى قال الشافعي رضي الله عنه: إذا رأيتُ رجلا من أهل الحديث فكأني رأيتُ رجلا من أصحاب النبي ﷺ"(1).

وقال العلامة ابن القيم ﷺ في شرح قوله ﷺ: «فَإن دعوتهم تحيط من ورائهم»: "هذَا من احسن الْكَلَام وأوجزه وافخمه معنى شبه دَعْوَة الْمُسلمين بالسور والسياج الْمُحِيط بهم الْمَانِع من دُخُول عدوهم عَلَيْهِم؛ فَتلك الدعْوَة الَّتِي هِيَ دَعْوَة الاسلام وهم داخلوها لما كَانَت سورا وسياجا عَلَيْهِم اخبر ان من لزم جَمَاعَة الْمُسلمين احاطت بِهِ تِلْكَ الدعْوَة الَّتِي هِيَ دَعْوَة الاسلام كَمَا احاطت بهم، فالدعوة تجمع شَمل الامة وتلم شعثها وتحيط بهَا فَمن دخل فِي جماعتها احاطت بِهِ وشملته"(2).

=

الدخول في طاعة ذلك الإمام إذا لم يكن معلنا بالفسق والفساد معروفا بذلك؛ لأنها دعوة محيطة بهم يجب إجابتها، ولا يسع أحدا التخلف عنها لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين". اهـ. ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١/٢٧٧-٢٧٨)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.

(١) مجموع الفتاوى (١/١١).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (١/٧٣) دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

وهناك فضل عظيم لهذه الدعوة باعتبار موضوعها، وموضوع هذه الدعوة هو الدين الإسلامي بأركانه الخمسة وبكل ما أمر به، وبكل ما نهى عنه. قال جل شأنه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[(١)]، ويتضح فضل هذه الدعوة باعتبار أنها دعوة رحمةٍ لجميع العلمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[(٢)].

وعن أبي صالح[(٣)] قال: كان النبي ﷺ يناديهم: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**[(٤)]. خاطب النبي ﷺ المخاطبين بالكلمة التي تدل على العموم، ألا وهي

(١) سورة آل عمران: ٨٥ – ٨٦.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) هو: ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدنى، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفانى، كان يجلب يجلب السمن و الزيت إلى الكوفة، وهو من رواة كتب الستة، تابعي ثقة ثبت، قال الإمام أحمد: ثقة ثقة، من أجل الناس و أوثقهم، و قد شهد الدار زمن عثمان، توفي سنة ١٠١هـ. يراجع ترجمته: طبقات ابن سعد (٦ / ٢٢٦)، وتهذيب الكمال للمزي (٥١٣/٨).

(٤) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ، (٦٦/١، برقم: ١٥). قال المحقق الداراني: اسناده صحيح ولكنه مرسل.

قال د. الزهراني في القطوف الدانية (ص: ١٧): مرسل، وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٠٤/١١، برقم:١١٨٣١) وابن سعد (الطبقات:١٩٢/١) والبزار (١١٤/٣، رقم:٢٣٦٩) والبيهقي (الدلائل: ١٥٨/١) بسند رجاله ثقات، عن أبي هريرة مرفوعا، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير، والتفرد من الثقات مقبول، (المستدرك: ٩١/١)، والطبراني (المعجم الأوسط:٢٢٣/٣)، وفي (مسند الشهاب:١٨٩/٢، ١٩٠)، وفي (التمهيد: ١١٨/٥). اهـ.

وصححه الألباني أيضاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، (٨٨٢/١، رقم: ٤٩٠).

شرح غريب الحديث:

قوله «مهداة»: بضم الميم أي: ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هدايته =

"الناس"، يشمل جميع أولاد آدم، سواء كانوا من المؤمنين والمسلمين، أو من الكفار والمشركين، أو من اليهود والنصارى؛ فالنبي ﷺ رحمة لجميع الناس، ولجميع العالمين، وكذلك دعوته ﷺ رحمة لجميع العالمين، فالمؤمنين قبلوا هذه الرحمة، وشكروا الله على هذه النعمة العظيمة، ولكن الكافرين لم يقبلوا هذه النعمة بل كفروها، كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "أن الله جعل محمدا ﷺ رحمة للعالمين، أي أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدينا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾"[1][2].

وكونه ﷺ رحمة للكافرين أيضاً؛ فذلك من باب الترحّم عليهم، ومن رغبته الشديدة بأن يهتدوا، ولذلك النبي ﷺ لم يدع عليهم، كما جاء في حديث مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «**إِنِّي لَمْ أبعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[3]. وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سَعِد، ومن لم يؤمن به سَلِم مما لحق الأمم من الخسْفِ والغرَقِ[4].

ومن فضل الدعوة وأهميتها: أنها دعوة توحيد، أخرجت الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، ودعوة أخلاقٍ؛ فأخرجت الناس من العادات الجاهلية -كقتل الأولاد

=

أفلح وظفر، ومن لم يقبل خاب وخسر، ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٧٠٩/٩).

(١) سورة إبراهيم: ٢٨ — ٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٨٥/٥)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (٢٠٠٦/٤، برقم ٢٥٩٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. (٣٥٠/١١).

وما إلى ذلك- إلى الأخلاق العالية.

فروى الدارمي عن الوضين[1]: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، وَكَانَتْ عِنْدِي بِنْتٌ لِي فَلَمَّا أَجَابَتْ، وَكَانَتْ مَسْرُورَةً بِدُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهَا، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَاتَّبَعَتْنِي فَمَرَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بِئْرًا مِنْ أَهْلِي غَيْرَ بَعِيدٍ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَرَدَّيْتُ بِهَا فِي الْبِئْرِ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَتَاهُ يَا أَبَتَاهُ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى وَكَفَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْزَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ» ثُمَّ قَالَ لَهُ: " أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ فَأَعَادَهُ، فَبَكَى حَتَّى وَكَفَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ عَلَى لِحْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ**»[2].

---

(١) هو الوضين بن عطاء بن كنانة بن عبد الله بن مصدع الخزاعي، أبو كنانة، و يقال أبو عبد الله، الدمشقي، وثقه أحمد وابن معين ودحيم وغيرهم، وضعفه ابن سعد والجوزجاني وغيرهم، وقال الذهبي: ثقة، وبعضهم ضعفه، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق سيء الحفظ، و رمي بالقدر، توفي سنة ١٤٩هـ. تراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي: (٤٤٩/٣٠ برقم: ٦٦٨٩)، وعلل أحمد: (٢/ ٦٣، ١٦٦)، وأحوال الرجال للجوزجاني، (رقم: ٣٠٦)، وتاريخ الكبير للبخاري: (٨/رقم ٢٦٥٢)، والكاشف للذهبي: (٣ / رقم: ٦١٥٣)، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: (رقم: ٧٤٠٨).

(٢) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي ﷺ من الجهل والضلالة، قال المحقق الداراني: إسناده رجاله ثقات غير أنه مرسل. (١٥٤/١ برقم: ٢).

وقال د. الزهراني في القطوف الدانية (ص: ١١): فيه الوليد بن النضر، سكت عنه الإمامان: البخاري وأبو حاتم، والوضين صدوق سيء الحفظ، أعضل هذا الخبر، ووأد البنات من عادات الجاهلية، حرّمها الإسلام.

شرح غريب الحديث:

«فلمّا أجابت»: أي كبرت، وصارت تفهم النداء، وتجيب من دعاها. ينظر: فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري (٢٠٨/١)، دار البشائر =

فهذا هو الإسلام، أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، كما أخرجهم من الظلم والجهل، إلى النور والعلم واليقين، ولم يكتف بذلك بل جبَّ وعفا عنهم كل ما عملوا في الجاهلية، كما هو واضح من قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك**» ويؤيده حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، لما ألقى الله -عز وجل- في قلبه الإسلام، قال: أتيت النبي ﷺ ليبايعني، فبسط يده إليَّ، فقلت: لا أبايعك يا رسول الله، حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا عمرو أمَا علِمتَ أن الهجرة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب، يا عمرو أمَا علِمتَ أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله من الذنوب**»(1).

وفضل دعوة الإسلام يتضح بهذا المثال العالي، لو أن رجلا بنى دارا، فصنع مأدبة وأرسل داعيا إلى الناس ليدعوهم إلى المأدبة، فمن أجابه دخل الدار، وأكل من أطعمة المأدبة ورضي عنه صاحب الدار، ومن لم يجبه، لم يدخل الدار، ولم يرض صاحب الدار بل سخط عنه، كما روى الإمام الدارمي عن ربيعة الجرشي(2)، يقول: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: لِتَنَمْ عَيْنُكَ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ، قَالَ: «**فَنَامَتْ عَيْنَايَ، وَسَمِعَتْ**

=

الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

«**فرديت بها**» أي: أسقطها، يقال: ردّى وتردّى لغتان: كأنه تفعّل من الردى: الهلاك. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: (٢/٢١٦).

«**حتى وكف**»: أي سال، يقال: وكفت العين الدمع إذا أسالته، ينظر: فتح المنان (١/٢٠٨).

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، (٢٩/٣٦٠ برقم: ١٧٨٢٧)، قال محققوه (شعيب الأرناؤوط وآخرون): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) هو ربيعة بن عمرو -أو ابن الغاز- الجُرشي الشامي، واختلف في صحبته، قال البخاري: له صحبة، وقال بعض: ليس له صحبة، ولكنه تابعي ثقة، وقُتل يوم مرج راهط في ذي الحجة سنة أربع وستين. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٣/٢٨١). والطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣٠٤) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م. والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/٤٩٣). والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/٣٩٣).

أُذُنَايَ، وَعَقَلَ قَلْبِي، قَالَ: فَقِيلَ لِي: سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، قَالَ: فَاللَّهُ: السَّيِّدُ، وَمُحَمَّدٌ: الدَّاعِي، وَالدَّارُ: الْإِسْلَامُ، وَالْمَأْدُبَةُ: الْجَنَّةُ»[(١)].

فيا من يبتغي الجنة! تعال إلى هذا الدار العظيم الذي يُعرف باسم الإسلام، فمن دخل في هذا الدار في هذه الدنيا، دخل الجنة في الآخرة بسلام، ومن لم يدخل في هذا الدار في هذه الدنيا، دخل النار في الآخرة بآلام.

وللقيام بعمل الدعوة فضل عظيم باعتبار الأجر والثواب، وقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: **«فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»**[(٢)]، و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، بَابُ صفةِ النبِيِّ ﷺ في الْكُتُب قبْل مَبْعَثه، (١/١٦٠، رقم:١١).

قال المحقق الداراني: إسناده ضعيف لضعف عباد بن منصور.

وقال الزهراني القطوف الدانية (ص: ١٦): فيه عباد بن منصور ضعيف، وربيعة بن عمرو الجرشي في صحبته خلاف، وأخرجه الطبراني (٥/٦٥، رقم: ٤٥٩٧) ومحمد بن نصر المروزي (السنة، رقم: ١٠٩) وانظر (الفتح: ١٣/٢٥٦) فقد ذكر اعتضاده.

شرح غريب الحديث:

«**مأدبة**» فيه وجهان : يقال : مأدُبة ومأدَبة؛ فمن قال : مأدُبة أَرَادَ بِهِ الصَّنِيع يصنعه الْإِنْسَان فيدعو إِلَيْهِ الناسَ يُقَال مِنْهُ: أدبتُ على الْقَوْم آدب أدْبا وَهُوَ رجل آدب مِثَال فَاعل، وَأما من قَالَ: مأدَبة فَإِنَّهُ يذهب بِهِ إِلَى الْأَدَب يَجعله مَفْعَلَة من ذَلِك ويحتج بحَدِيث: إِن هَذَا الْقُرْآن مأدَبة الله فَمن دخل فِيهِ فَهُوَ آمن. ينظر: غريب الحديث، لقاسم بن سلام (٤/١٠٨)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، ١٩٦٤م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، (٤/٤٧، ٦٠، ٥/١٨، ١٣٤) رقم (٢٨٤٧، ٢٧٨٣، ٣٠٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤/١٨٧٢) رقم: (٢٤٠٦).

قال: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**(١).

قد برزت أهمية الدعوة إلى الله وفضلها من خلال هذه النصوص؛ لأن القائم بهذا العمل الجليل يستحق من الأجر مثل أجور من تبعه حينما دعاه إلى الحق، وقبل دعوته، فصارت له صدقة جارية، تفيده ما دام في قيد الحياة، حتى بعد الممات أيضاً. قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد الحديث المذكور: "أخبر أن المتسبب إلى الهدى بدعوته لَهُ مثل أجْرِ من اهْتَدَى بِهِ، والمتسبب إلى الضَّلَالَة بدعوته عليه مثل إِثْم من ضل به؛ لأن هذا بذل قدرته فِي هِداية النَّاس، وَهَذَا بذل قدرته فِي ضلالتهم؛ فنزل كل واحد منهما بِمَنْزِلَة الْفَاعِل التَّام وَهَذِه قَاعِدَة الشَّرِيعَة، قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾(٣) وهذَا يدل على أن من دَعَا الأمة إلى غير سنة رَسُول الله ﷺ؛ فهو عدوه حَقًّا؛ لأنه قطع وُصُول أجْر من اهْتَدَى بسنته إليه وَهذَا من أعظم معاداته نَعُوذ بِاللَّه من الخذلان"(٤).

ومن فضائلها أيضا: أنها لم يكتف على قبولها الإنس والجن فقط، بل قَبِلها من الجمادات الشجر والحجر، فهذا من معجزات سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ؛ فروى الإمام الدارمي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَيْنَ تُرِيدُ؟»** قَالَ: إِلى أَهْلِي قَالَ: **«هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟»** قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: **«تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»** فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: **«هَذِهِ السَّلَمَةُ»** فَدَعَاهَا

(١) تقدم تخريج الحديث ص ٥٢.

(٢) النحل: ٢٥

(٣) العنكبوت: ١٣

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ص: ١/٦٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ(1).

إجابة الشجرة على دعوة النبي ﷺ من أهم البراهين على صدق رسالته ودعوته ﷺ، والحديث يشتمل على أهم موضوع من موضوعات الدعوة الإسلامية ألا وهي الدعوة إلى الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله ﷺ، كما تستفاد من الحديث المذكور قاعدة مهمة من قواعد الدعوة الإسلامية؛ ألا وهي "بدء الدعوة بالأهم فالأهم" -وسيأتي بيانها في موضعها-، فشهادة الشجرة من معجزات النبي ﷺ حيث تكلمت الشجرة وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فشهدت ثلاث مرات، حتى سمع الناس كلامه؛ فأسلم الأعرابي حينما رأى هذه المعجزة بعينيه، وسمع شهادتها بأذنيه، ولم يكتف على قبول الإسلام لنفسه فحسب، بل رجع إلى قومه لكي يدعوهم إلى هذه النعمة العظيمة؛ ألا وهي دعوة الإسلام والإيمان. اللهم أحينا على الإسلام وتوفّنا على الإيمان. آمين.

---

(١) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، قال المحقق الداراني: حديث صحيح (١/١٦٦-١٦٧ برقم ١٦).

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ١٨): رجاله ثقات، لكن عطاء لم يسمع من ابن عمر شيئاً، ولم يسمع أبو حيان من عطا، والحديث ورد من وجه آخر عند ابن حبان (الإحسان: ١٤/٤٣٤، رقم:٦٥٠٥، وموارد الظمآن: ١/٥٢٠) والطبراني (١٢/٤٣١، ١٣٥٤٢) والبزار (كشف الأستار: ٣/١٣٣، رقم: ٢٤١١).

شرح غريب الحديث:

«هَذِهِ السَّلَمَةُ» واحدة السلَم وهو: بفتح اللام، شجر من العضاه. النهاية: (٢/٣٩٥).

«شَاطِئِ الْوَادِي» : شَفَتُه، وجانبه، وَجمعه شُطْآن وشواطىء. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١١/٢٦٩)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٠٠١م.

«خدّ الأرض يخدها»: إذا شقها، والأخدود: شق في الأرض. الصحاح: (١/٣٣٢).

وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على تسبيح الجمادات، وسجودها لله سبحانه وتعالى، كما قال جل شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾(2). فتلك النصوص كلها تدل على أن جميع الأشياء تسبّح لله سبحانه وتعالى؛ فهذا أيضاً دليل قاطع، وبرهان ساطع على أهمية الدعوة إلى الله، وفضلها.

ومن فضائل الدعوة الإسلامية: أن الله فضَّل صاحبها -سيد المرسلين ﷺ- على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل السماء؛ فروى الإمام الدارمي رحمه الله عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ -عليهم السلام- وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَ فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(3). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(4) قَالُوا: فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(5) الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾(6) فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ(7).

---

(1) الحج: ١٨.

(2) الإسراء: ٤٤.

(3) الأنبياء: ٢٩.

(4) الفتح: ١- ٢.

(5) إبراهيم: ٤.

(6) سبأ: ٢٨.

(7) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، قال الداراني: إسناده صحيح، (١/١٩٤). =

فتزداد أهمية هذه الدعوة وفضلها بأنّ حاملها، ومُبلِّغها هو سيّد الأنبياء والمرسلين، وسيّد الأولين والآخرين، فمن أجاب دعوته فقد دخل في أمته، وأمته ﷺ أفضل الأمم، وقد يفتخر نبي الله عيسى -عليه السلام- بهذا الفضل العظيم، ومن مظاهر أهميتها أنها ليست لقوم خاصة بل هي لكافة الناس جميعا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[1].

ويتضح فضل الدعوة وأهميتها بأن الذي جاء بها هو قائد المرسلين، وخاتم النبيين، وأول شافع وأول مشفع، كما روى الإمام الدارمي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ**»[2].

=

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٠) سنده حسن وأخرجه الطبراني: (١١/٣٢٩، رقم:١١٦١٠) رجاله ثقات، والحاكم (المستدرك: ٢/٣٥٠) والبيهقي (الدلائل: ٥/٤٨٦) والقرطبي (التفسير:٣/٢٤٩).

(١) سورة سبأ: ٢٨.

(٢) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، قال الداراني: إسناده جيد. (١/١٩٧). وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص:٢١): فيه صالح بن عطاء، سكت عنه الإمامان: البخاري وأبو حاتم، ذكره ابن حبان (الثقات: ٦/٤٥٥) أخرجه الطبراني (الأوسط، رقم:١٧٢) والبيهقي (الدلائل:٥/٤٨٠) وشاهد من حديث أبي سعيد الخدري، عند أحمد (المسند:٣/٢) وفي الصحيحين شاهد لكونه خاتم النبيين: البخاري حديث: (٣٥٣٥) ومسلم حديث: (٢٢٨٦).

شرح غريب الحديث:

«**أنا قائد المرسلين**» أي: مقدمهم في الآخرة «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**» أي: في الدنيا، وعدل عن المرسلين إلى النبيين لأنهم أعم، فتكون نسبة الخاتمية أتم. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري (٩/٣٦٨٩).

«**وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**» يُقَالُ شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً، فَهُوَ شَافِعٌ وشَفِيعٌ، والْمُشَفِّعُ:
=

الحديث يدل على فضل الدعوة الإسلامية بأن صاحبها خاتم النبيين، وقائد المرسلين، وهو أول شافع، وأوّل مشفَّع، فيشفع لأمته؛ أي الذين قبلوا هذه الدعوة في الدنيا فهم مستحقون في الآخرة لشفاعة الحبيب ﷺ.

وقد دل على فضل الدعوة الإسلامية -باعتبار موضوعها- الحديث الذي رواه الإمام الدارمي عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ[1]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ أَدْرَكَ بِيَ الْأَجَلَ الْمَرْحُومَ وَاخْتَصَرَ لِيَ اخْتِصَارًا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلًا غَيْرَ فَخْرٍ: إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، وَمُوسَى صَفِيُّ اللَّهِ، وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ، وَمَعِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي فِي أُمَّتِي وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلَاثٍ: لَا يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ، وَلَا يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ**»[2].

****

=

الَّذِي يَقْبل الشَّفاعةَ، والْمُشَفَّعُ الَّذِي تُقْبَل شفاعتُه. ينظر: النهاية لابن الأثير (٢/٤٨٥).

(١) هو الصحابي: عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، المعروف بابن أم مكتوم المؤذن، واختلف في اسمه، وهذا هو الأكثر عند أهل الحديث، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أخي أمها. يراجع ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: (٣/٩٩٧، برقم: ١٦٦٩).

(٢) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، (١/٢٠٠، برقم: ٥٥).

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٢١-٢٢) : فيه كاتب الليث عبد الله بن صالح، ولقوله: نحن الآخرون ونحن السابقون شاهد عند ابن ماجه حديث (١٠٨٣) وعند أحمد حديث (٢٥٤٦) والمراد آخر من يخرج من الدنيا، وأول من يحاسب في الآخرة.

شرح غريب الحديث:

«**الأجل المرحوم**»: الوقت الذي غشيته الرحمة. ينظر: حاشية سنن الدارمي (١/٢٠٠).

«**لِوَاء**»: أي الرَّايَة، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش، وجمعه: ألوية. ينظر: النهاية (٤/٢٧٩).

« **لَا يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ**» : السنة هنا القحط والإجداب. ينظر: الصحاح (١/٦٢١).

المبحث الثالث:

حكم القيام بالدعوة

دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب القيام بالدعوة إلى الله تعالى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٢)، وقال جل شأنه: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)، ففي هذه الآيات الكريمات جاء ذكر الدعوة بصيغة الأمر؛ وهي تدل على الوجوب كما هو معلوم عند الأصوليين؛ إلا أن تصرفها القرينة عن وجوبها، وقد أمر الله جل وعلا نبيَّه ﷺ بأن يبين طريق دعوته لأمته ومن تبعه؛ إذ يقول جل وعلا: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(٥).

وقد نقل إجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير واحد من العلماء، ومنهم: أبو بكر الجصاص وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حزم، وابن كثير، والإمام النووي، والقرطبي، والإمام محمد بن عبدالوهاب، وغيرهم من علماء المسلمين وأئمتهم -رحمهم الله جميعاً-.

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: "أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسوله ﷺ في أخبار متواترة، وأجمع السلف وفقهاء

(١) سورة آل عمران: ١٠٤

(٢) سورة النحل: ١٢٥

(٣) سورة الحج: ٦٧

(٤) سورة القصص: ٨٧

(٥) سورة يوسف: ١٠٨

الأمصار على وجوبه"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "... وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[2]، وهذا الواجب: واجب على مجموع الأمة ..."، إلى أن قال: "... فمجموع أمته تقوم مقامه في الدعوة إلى الله؛ ولهذا كان إجماعهم حجة قاطعة، فأمته لا تجتمع على ضلالة"[3].

وقال ابن حزم ﷺ: "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها لقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[4]"[5].

وقال ابن كثير ﷺ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ قال: "والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه..."[6].

وقال الإمام النووي ﷺ: "وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة"[7].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/٥٩٢).

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/١٦٥، ١٦٧).

(٤) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/١٩).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦٨)، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الريان للتراث، نشر دار الحديث، القاهرة.

(٧) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر: أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه"(١).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على من قدر عليه من جميع الرعية وهو في حق الإمام أعظم"(٢).

واستعرض فضيلة الشيخ العثيمين بعض الآيات، والأحاديث الآمرة بالدعوة، والحاثة عليها، ثم بين أنها دالة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل(٣).

وللعلماء بعد هذا الإجماع أراء يمكن تلخيصها على مذهبين كما يلي:

المذهب الأول: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فرض كفائي، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين.

قال الإمام النووي رحمه الله: "ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس: سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع: أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "وقد تبين أنهما واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين، وجوب فرض الكفاية، لا وجوب فرض الأعيان، كالصلوات الخمس، بل كوجوب الجهاد"(٥).

ومن أبرز أدلتهم ما يلي:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠٦/٤) (تفسير القرطبي).

(٢) ينظر: المملكة العربية السعودية في الموسوعة العربية العالمية، (ص ١٥٩)، ط١، ١٤١٩هـ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

(٣) رسالة في الدعوة إلى الله، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (ص ١٠).

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٦٧/١٥).

١- قول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[١]، وعلى هذا: فكلمة (مِن) في الآية تبعيضيه، فمتى قام بهذا الأمر مجموعة من أفراد الأمة: سقط الإثم عن الباقين.

وبهذا قال كل من القرطبي[٢]، وابن كثير[٣]، وابن العربي[٤]، والجصاص[٥]، والفخر الرازي[٦]، وغيرهم من العلماء[٧].

٢ - وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٨]

هذه الآية لها وجهان من التفسير، أولهما أنها نزلت في الجهاد في سبيل الله، وفيها النهي عن نفرة الجميع للجهاد وترك رسول الله ﷺ، فالأمر هنا أن تنفر طائفة للجهاد وتبقى أخرى للتفقه لتنذر من رجع من الغزو، وقيل غير ذلك، وثانيهما في طلب الفقه في الدين، فتنفر فرقة للتفقه، لتنذر قومها بعد رجوعها إليها.

وعلى أي الوجهين فسرت، فإن ابن كثير رحمه الله يرى فرضيتها الكفائية في الجهاد،

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٤)، (تفسير القرطبي) ط المكتبة الألفية للسنة النبوية.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٦٨/١).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (٢٩٢/١).

(٥) ينظر: أحكام القرآن ، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي، (٣٥/٢).

(٦) ينظر: التفسير الكبير (١٨٢/٤).

(٧) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، (ص ١٢٢، ١٢٨)؛ وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٥/٢٨).

(٨) سورة التوبة: ١٢٢.

أو التفقه[1]، كما أن من وجوه الاستدلال في هذه الآية: أن كلمة {طَآئِفَةٌ} نكرة تبين أن التفقه في الدين وما يترتب عليه من الإنذار واجب على الكفاية، وتعيين مقدار الطائفة وضبط حد التفقه موكول إلى ولاة أمور الفرق فتتعين الطائفة بتعيينهم فهم أدرى بمقدار ما تتطلبه المصلحة المنوط بها وجوب الكفاية[2]، وقوله: {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} يعني ينفر بعض ويقعد بعض[3]، فلو كانت متعينة على الجميع: لأوجب الله نفرهم جميعاً؛ للتفقه في الدين[4].

٣ - قوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[5].

فهذا الحديث قيد بالاستطاعة، وقد ترك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه النهي عن تقديم الخطبة على صلاة العيد؛ وعلل ذلك الترك بخوفه على نفسه أو حصول فتنة، فسقط عنه الإنكار، وقيل غير ذلك، ولو كان واجباً عينياً لما وسع أبو سعيد تركه[6].

المذهب الثاني: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فرض عين.

واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١ - قوله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ وعلى هذا فكلمة (من) في الآية: بيانية،

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٨٢/٢، ٣٨٣).

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٦١/١١).

(٣) تفسير مجاهد (٢٨٩/١).

(٤) ينظر: في هذا المعنى: تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١٢/٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (٦٩/١، رقم: ٤٩).

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٢/١).

نظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾(١) أي اجتنبوا الأوثان فإنها رجس كلها(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(٣)، وفيه دليل على أن الأمة كلها أمرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٤).

٣ - وقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

قال ابن حزم ﵀: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم، إن قَدَر بيده فبيده، وإن لم يَقْدر بيده فبلسانه، وإن لم يقدر بلسانه فبقلبه، ولا بُدَّ، ومن خاف القتل، أو الضرب، أو ذهاب المال، فهو عذر يبيح له أن يغيِّر بقلبه فقط..."(٥).

الترجيح: بالنظر إلى الخلاف الواقع في القيود التي قُيِّد بها هذا الوجوب يتبين رجحان المذهب الأول، وهو الصحيح لما يلي:

١- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عمومه مقتض للوجوب العيني؛

---

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١/٤٣٤).

(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/٤٦٣). وقد رد الزجاج بنفسه على هذا الرأي بقوله: "ويجوز أن تكون أمرت منهم فرقة لأن قوله {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّة ...} ذكر الدعاة إلى الإيمان، والدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه الناس، وليس الخلق كلهم علماء، والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض وكذلك الجهاد" المرجع نفسه.

(٥) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، (٨/٤٢٣) دار الفكر، بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

لشمول الأدلة كل فرد من أفراد الأمة – فيما لا يعذر أحد بجهله –، كما أن الوجوب العيني في إنكار المنكر أشد منه في الأمر بالمعروف؛ ذلك أن ترك إنكار المنكر بالقلب جمعٌ بين ترك المأمور، بقوله ﷺ: "فليغيره"، وفعل المحظور بأن ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، والجبن، أو التخاذل، أو مراعاة مصلحة دنيوية في عدم الإنكار وبيان الباطل.

٢- أن الدعوة، والحسبة لابد للقائم بهما من علم، لقوله جل جلاله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]، والبصيرة: العلم، وليس متوفراً في كل مسلم.

فما كان من منكر يحتاج إنكاره إلى علم واجتهاد وفقه: فإنه لا يجب على العامي إنكاره؛ لعدم علمه، وإنما يجب الإنكار على العلماء، وهو فرض عين عليهم، إذا لم يقم أحد منهم بذلك، فإذا قام بذلك فرقة منهم: أصبح في حق الباقين فرض كفاية وسقط الإثم عنهم.

أما ما لا يحتاج إلى علم فإنه إنما يكون فيما لا يعذر أحد بجهله: كالأمور المسلم بحرمتها، فلا تحتاج إلى فقه، أو اجتهاد من المنكِر، كالزنا، وترك الصلاة، وغير ذلك مما لا يختلف اثنان على تحريمها، فيجب حينئذ على من رأى ذلك –أيا كان من أفراد المسلمين–: القيام بإنكار تلك المنكرات، والتصدي لها.

وكل أوامر العموم لها مخصصات، كما ذكر ذلك الإمام السيوطي، ومن سبقه من العلماء[2] –رحمهم الله– والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) قال الإمام السيوطي: تدبرت نصوص القرآن الكريم فلم أجد نصاً إلا وله مخصص، إلا نصاً واحداً هو قوله عز وجل {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...}، وقال في موضع آخر: "استخرجت من القرآن بعد الفكر آية..." وذكر الآية، ثم قال: "فإنه لا خصوص فيها". الإتقان في علوم القرآن (٢/٢١).

أن أعلى مراتب الإنكار: التغيير باليد للمستطيع، وليس كل مسلم مستطيع، ثم باللسان، وليس كل مسلم يستطيعه، ثم الإنكار بالقلب، وشرط ذلك كله: العلم بأنه منكر، وليس كل مسلم يعلم ذلك، فتبين بذلك كما تبين من مخصصات الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر - أيضاً -: أنها من فروض الكفاية؛ ما قام بها أحد من أفراد الأمة عموماً، فإذا لم قم بشأن الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أحد: تعيين على الجميع، وأثموا بالترك، والله أعلم.

وخلاصة ما سبق:

أن المذهبين متفقان على أن الدعوة: واجبة.

أن المذهبين متفقان على أن الدعوة: فرض عين في كل من توفرت فيه الأهلية (العلم، والاستطاعة)، ورأى المنكر، وعلم به في مكان لا يعلم به أحد غيره، أو لا يستطيع أحد غيره أن يقوم بإنكاره.

أنه إنما حصل النزاع فيمن لم تتوفر فيه الأهلية، وكذلك فيمن توفرت فيه الأهلية: إذا رأى المنكر في مكان ظاهر وفيه من يغيره غيره.

والصواب ما ذهب إليه الجمهور، وهو الوجوب الكفائي؛ لأنه المتمشي مع روح الشريعة ومقاصدها، لقول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[1]، ولقوله ﷺ: «... فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[2][3].

وقد أوضح الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله هذا بقوله: "صرَّح العلماء أن الدعوة

(١) سورة التغابن: ١٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٩/٩٤، رقم: ٧٢٨٨). وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر. وفي كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه. (رقم ١٣٣٧).

(٣) إلى هنا ملخص من كتاب جهود المملكة في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية (٦/١٧-٢٥).

إلى الله -عزَّ وجلَّ- فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإنَّ كلّ قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة، وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية؛ إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً. وعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل -كحالنا اليوم- تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعيّن بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه. أما بالنظر إلى عموم البلاد؛ فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله -جلَّ وعلا- في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله - عزَّ وجل- بالطرق الممكنة"[1].

ويستدل على وجوب القيام بالدعوة إلى الله من حديث ربيعة الجرشي عند الدارمي، أن رسول ﷺ قال: ... **سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ ..الحديث**[2].

مقتضى الحديث يدل على وجوب القيام بالدعوة إلى الله، لأن الحديث يدل على وجوب إجابة دعوة الداعية فصار عمله -وهو الدعوة إلى الله- واجباً عليه أيضاً.

****

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ص٢٠ - ٢١)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٨هـ. ومجموع فتاوى ابن باز (١/٣٣٠)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، بدون ذكر بلد الطبع وسنتها.
(٢) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٤).

المبحث الرابع:

مقاصد الدعوة الإسلامية وخصائصها

إن الدعوة الإسلامية جاءت بمقاصد عظيمة، وغايات رفيعة، تُخرج الناسَ بها من الظلامات إلى النور والهدى، كما أنها جاءتْ بخصائص متميزة، تتميزّ بها الأمة الإسلامية عن باقي الأمم في شؤون الحياة كلها، سواء كانت اجتماعية أم ثقافية، وهذا المبحث يشتمل على مقاصد الدعوة وخصائصها، وقسّمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: مقاصد الدعوة. **والمطلب الثاني**: خصائص الدعوة.

المطلب الأول: مقاصد الدعوة الإسلامية:

المقاصد هي معلومة ومعروفة عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فسأذكر أولا تعريفها، ثم أذكر أهم هذه المقاصد التي وردت في أحاديث الدراسة.

المقاصد في اللغة: جمع مقصد، وهو مصدر ميمي من فعل قَصَدَ يَقصد قَصْدًا ومَقْصَدًا، فَهُوَ قاصِد، أي اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [1]؛ أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أَي وَمِنْهَا طَرِيقٌ غَيْرُ قَاصِدٍ. وطريقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ. وسَفَرٌ قاصدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ [2] سَفَرًا قَاصِدًا أَي غيرَ شاقٍّ. والقَصْدُ: العَدْل [3].

وأما في الاصطلاح: "أنه عملية بيان هدف الدعوة إلى الله تعالى، وتحديد المطلب الذي يسعى الدعاة إلى الله لتحصيله، ووضعها في إطار شرعي، والعمل لتحقيقه،

(١) سورة النحل: ٩.

(٢) سورة التوبة: ٤٢.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٣٥٣) مادة (قصد). ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل (٣/١٨٢٠).

والاستقامة على الطريق بالضوابط الشرعية التي أمر الله بها تحقيقاً لقول الله -عز وجل-: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(١)(٢)].

مقاصد الدعوة إلى الله تعالى هي على النحو التالي:

المقصد الأول: حماية التوحيد والتحذير من الشرك:

وهو مقصد عظيم؛ إذ هو أول مقصد من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى؛ من أجل ذلك بُعث الأنبياء، وأُرسل الرسل، وأُنزل الكتب، وخُلق الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[(٦)]؛ فهذه الآيات الكريمة كلها تدل على هذا المقصد العظيم وهو "حماية التوحيد والتحذير من الشرك"، وهناك أدلة كثيرة توضح هذه الغاية العظيمة، وسأذكر بعضاً منها من السنة، خاصة من أحاديث الدراسة.

فروى الإمام الدارمي عن الوضين: "أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، ..." الحديث[(٧)]؛ فقول الرجل : "إنا

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، لسعد بن عبد الله القعود (ص ١١)، دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ، وأصل هذا الكتاب أطروحة أعدها المؤلف لنيل درجة الماجستير في علم الدعوة الإسلامية من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) البقرة: ٢١.

(٥) النحل: ٣٦.

(٦) الأنبياء: ٢٥.

(٧) تقدم الحديث كاملا مع التخريج في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٦٣).

كنا... الخ" يدل على أنهم كانوا على الشرك يعبدون الأوثان والأصنام، ولكنهم الآن تركوا هذه الجريمة الشنيعة، وقبلوا التوحيد، ودخلوا في الإسلام، وحصلوا على بركات هذه الدعوة العظيمة، ألا وهي دعوة الإسلام، دعوة حق، ودعوة توحيد؛ فمفهوم هذا الحديث يشير إلى حماية التوحيد والتحذير من الشرك الذي هو أعظم ذنب، -نسأل الله السلامة والتوفيق-، كما قال -جل شأنه-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[١]، وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ من دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[٢].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في شرح هذا الحديث: وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله"، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه[٣].

إذ يتضح من هذا أن المقصود بالدعوة هو وصول العباد إلى عبادة ربِّ العباد، بتحقيق التوحيد والتحذير من الشرك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وكان المقصود بالدعوة وصول العباد إلى ما خُلِقوا له من عبادة ربهم وحده لاشريك له[٤].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم، وسعادتهم، ونجاحهم هي: معرفة الله، ومحبته، وعبادته وحده لا شريك له، وهي حقيقة

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، (٥٣/١) برقم (٢٣). من حديث أبي مالك عن أبيه رضي الله عنه.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، (ص:١١٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٢).

قول العبد "لا اله إلا الله" وبها بعث الرسل، ونزلت جميع الكتب، ولا تصلح النفس، ولا تزكو، ولا تكمل إلا بذلك"(١).

فالحاصل أن تحقيق التوحيد وحمايته، والتحذير مما يضادّه من أهم مقاصد الدعوة، بل هو مرجع للمقاصد الأخرى؛ لأن جميع المقاصد ترجع إليه في المنتهى، كما سيأتي بيانه.

المقصد الثاني: حماية السنة والتحذير من البدعة.

من المقاصد المهمة للدعوة الإسلامية: حماية السنة المطهرة والتحذير مما يضادّها من البدع والخرافات والخزعبلات، قبل أن أبدأ في بيان هذا المقصد العظيم، فمن المناسب أن أذكر مفهوم السنة وإطلاقها عند السلف الصالح، فقال الإمام ابن رجب ﷺ:

"**السُّنة**: هي الطريقة المسلوكةُ، فيشمل ذلك التمسُّك بما كان عليه هو(ﷺ) وخلفاؤُه الرَّاشدونَ مِنَ الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنةُ الكاملةُ، ولهذا كان السلف قديماً لا يُطلقون اسمَ السُّنَّةِ إلا على ما يشمل ذلك كلَّه، ورُوي معنى ذلك عن الحسن، والأوزاعي، والفُضيل بن عِياض"(٢).

إذا عرفنا مفهوم السنة عند السلف الصالح، فنبدأ ببيان حمايتها وتحقيقها، التي هي من أهم مقاصد الدعوة إلى الله، ويستفاد هذا المقصد العظيم من عدة أحاديث الدراسة، منها: حديث عبد الله بن الديلمي(٣)، قال: بَلَغَنِي «إِنَّ أَوَّلَ ذَهَابِ الدِّينِ تَرْكُ

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، (١٢٠/٢).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (١٢٠/٢) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) هو أبو بِشْر، عبد الله بن فيروز الدَّيْلَمِيّ، كان يسكن بيت المقدس. قال ابن حجر: ذكره ابن قانع في معجم الصحابة، وأبو زرعة الدمشقي في تابعي أهل الشام. توفي عام مائة. يراجع: تاريخ الكبير للإمام البخاري (٨٠/٥). وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي (٥٠٩/١) المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، =

السُّنَّةِ، يَذْهَبُ الدِّينُ سُنَّةً سُنَّةً، كَمَا يَذْهَبُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً»(١).

الحديث يدل دلالة واضحة على أهمية حماية السنة وحفظها؛ لأن حفظ السنة حفظ الدين، وعدم حفظها ذهاب الدين، أي ينسى الدين الأصلي من الكتاب والسنة، أو يتغيّر بالبدع والخرافات، وباتباع خطوات الشيطان، ولكن الله تبارك وتعالى حفظ هذا الدين، ووعد بحفظها، ووفق الصحابة والتابعين، والأئمة والمحدّثين لحفظ هذا الدين؛ فاهتموا بحفظ السنة اهتماماً بالغا، وحذّروا عما يضادّها من البدع والمحدثات، ويدل على ذلك كثير من الآثار الواردة عنهم؛ إذ يحثّون على الاعتصام بالكتاب والسنة، ويحضّون على حصول العلم الحقيقي وهو الكتاب والسنة، كما أنهم حذّروا عن ذهاب العلم وقبضه.

ومن الآثار الدالة على هذا المقصد العظيم ما رواه الإمام الدارمي ﵀ عن الإمام الزهري ﵀(٢)، أنه قال: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ

=

القاهرة مصر، الطبعة: الأولى، بدون سنة الطبع.

(١) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة (١/٢٣٠، برقم ٩٨). قال الداراني: إسناده صحيح.

قال الزهراني في (القطوف الدانية، ص: ٣٢، ح: ٤٤): رجاله ثقات. رواه الحافظ يعقوب بن سفيان (المعرفة:٣/٣٨٦) وابن بطة (الإبانة:١/٣٥٠، رقم ٢٢٦) ومن طريقه اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد: ١/٩٢-٩٣، رقم: ١٢٧)، وابن وضاح (البدع والنهي عنها: ٦٦).

شرح غريب الحديث:

«**قوة قوة**»: القوة: الطاقة من طاقات الحبل، والجمع: قوى. ينظر: النهاية (٣/٢٣٦).

(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري المدني، أحد الأعلام الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه، من رواة الكتب الستة، توفي ١٢٥هـ، وقيل قبلها بشغب. ينظر ترجمته: تهذيب الكمال (٢٦/٤١٩ برقم: ٥٦٠٦).

ذَلِكَ كُلِّهِ»[1].

هذا الأثر كما دل على مقصد من مقاصد الدعوة -وهي حماية السنة والتحذير مما يضادّها-، كذلك يدلّ على أهمية العلم بمقاصد الدعوة إلى الله؛ لأن له تأثير كبير في الدعوة إلى الله، وتعود فائدته على الداعية نفسه، وعلى دعوته أيضاً، والتجاهل عن معرفة مقاصد الدعوة خطر عظيم، قد يقع الداعي بعدم معرفتها في زلل وضلال، ولذلك نبّه إليه جل وعلا في القرآن الكريم في مواضع متعددة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2]، وقال أيضاً جل شأنه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[3]، فأخبر الله تعالى بأن نبيّه ﷺ ومُتَّبِعوه لا يدعون إلى الله إلا على بصيرة وعلم، كما أمر في الآية الثانية بحصول العلم بقوله "فاعلم" أي تتعلم قبل أن تبدأ وظيفة الدعوة، فتتعلم إلى ماذا تدعو؟ وكيف تدعو؟ وبماذا تدعو؟ فكل ذلك داخل في الآية السابقة، وقد استدل الإمام البخاري ﵀ بالآية المذكورة، وبوّب في

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، (١/ ٢٣٠، برقم ٩٧)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٣١): رجاله ثقات. رواه الحافظ ابن بطة (الإبانة: ١/ ٣١٩-٣٠٢، رقم:١٥٩) والبيهقي (المدخل: ٤٥٤، رقم: ٨٦٠) واللالكائي (شرح أصول الاعتقاد: ١/ ٩٤، رقم: ١٣٦) وأبو نعيم (الحلية: ٣/ ٣٦٩) وابن عساكر في تاريخه ترجمة الزهري رقم: (٢١٩).

شرح غريب الأثر:

«**الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ**»: أي نجاة عن كل هلكة وزيغ وضلال وانحراف.

«**فَنَعْشُ الْعِلْمِ**»: أي تحريكه من سكونه، وإخراجه من مكنوناته يؤدي للثبات في الدين والدنيا، استفدت من شيخي ومشرفي الدكتور فؤاد البعداني.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) محمد: ١٩.

صحيحه باباً بقوله: "باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم"[1].

وأما النصوص على التحذير من البدع والمحدثات؛ فروى الإمام الدارمي عَنْ حَسَّان[2]، قَالَ: «مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3].

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ[4]، قَالَ: **"مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ"**[1].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (١/٢٤، باب رقم ١٠).

(٢) هو أبو بكر حسان بن عطية، المحاربي مولاهم، الشامي الدمشقي، الإمام الحجة تابعي ثقة فقيه عابد، من رواة كتب الستة، توفي بعد ١٢٠هـ وقيل في حدود ١٣٠هـ، ينظر ترجمته: تهذيب الكمال (٦/٣٤-٤٠، برقم: ١١٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/٤٦٦-٤٦٨).

(٣) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، (١/٢٣١ برقم: ٩٩). قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٢): رجاله ثقات. رواه الحافظ أبي نعيم في الحلية (٦/٧٣)، ويعقوب بن سفيان في المعرفة (٣/٣٨٦) ومن طريقه أخرجه اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد: ١/٩٣، رقم:١٢٩) وابن وضاح (البدع:٣٧) وابن بطة (الإبانة:١/٣٥١، رقم: ٢٢٨). اهـ. ونحوه رواه الإمام أحمد في (المسند: ٤/١٠٥) مرفوعا من حديث غضيف بن الحارث الثمالي بإسناد ضعيف بلفظ: (ما أحدث قوم بدعة؛ إلا رفع مثلها من السنة، فتمسكٌ بسنة خير من إحداث بدعة).

شرح غريب الأثر:

«**نزع**»: أصل النزع: الجذب والقلع. ومنه نزع الميت روحه. ونزع القوس، إذا جذبها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٤١).

(٤) هو أبو قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو أو ابن عامر بن ناتل بن مالك، الجرمي البصري، تابعي ثقة فاضل كثير الإرسال، من رواة الكتب الستة، توفي ١٠٤هـ وقيل بعدها بالشام. يراجع ترجمته: الطبقات لابن سعد (٧/١٣٦، برقم:٣٠٥٨)، والتاريخ الكبير للبخاري =

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارَ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا -أَوْ قَالَ: حَدِيثًا- فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(٢)]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[(٣)]، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[(٤)] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ». قَالَ حَمَّادٌ[(٥)]: ثُمَّ قَالَ أَيُّوبُ عِنْدَ ذَا الْحَدِيثِ أَوْ عِنْدَ الْأَوَّلِ: وَكَانَ -وَاللَّهِ- مِنَ

=

(٥/٩٢، برقم: ٢٥٥). وتهذيب الكمال للمزي (١٤/٥٤٢، برقم: ٣٢٨٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٦٨، برقم: ١٧٨).

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، (١/٢٣١، برقم ١٠٠) قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٢): رجاله ثقات. أخرجه الآجري (الشريعة: ٦٤)، وابن سعد (الطبقات: ٧/١٨٤)، وأبو نعيم (الحلية: ٢/٢٨٧)، والفريابي (كتاب القدر: ١/٢١٣).

شرح غريب الأثر:

«**اسْتَحَلَّ السَّيْفَ**»: أي يستحلون دماء المسلمين.

(٢) التوبة: ٧٥.

(٣) التوبة: ٥٨.

(٤) التوبة: ٦١.

(٥) هو أبو إسماعيل حماد ين زيد بن درهم الأزدي البصري الجهضمي، ثقة ثبت حافظ عالم محدّث، من أتباع التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، ولد حوالي سنة ٩٨هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للإمام البخاري (٣/٢٥، برقم: ١٠٠)، والطبقات لابن سعد (٧/٢٨٦)، وسير إعلام النبلاء للذهبي (٧/٤٥٦، برقم: ١٦٩).

الْفُقَهَاءِ ذَوِي الْأَلْبَابِ يَعْنِي: أَبَا قِلَابَةَ[1].

المقصد الثالث: إظهار الدين وإعلاء كلمة الله.

من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى؛ إظهار الدين وإعلاء كلمة الله، أو بعبارة أخرى: أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، فروى الإمام الدارمي عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ[2]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ إِلَيْكُمْ لَيْسَ بِوَهِنٍ، وَلَا كَسِلٍ، لِيُحْيِيَ قُلُوبًا غُلْفًا، وَيَفْتَحَ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَيُسْمِعَ آذَانًا صُمًّا، وَيُقِيمَ السُّنَّةَ الْعَوْجَاءَ، حَتَّى يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ»**[3].

---

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، (١/٢٣١، برقم: ١٠١)، قال الداراني: إسناده صحيح. وقال الزهراني في القطوف (ص: ٣٢، برقم:٤٧): رجاله ثقات. أخرجه ابن سعد (الطبقات: ١٨٤/٧) والآجري (الشريعة: ٦٤) وأبو الفضل (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ٤٢/٥) والفريابي (كتاب القدر: ٢١٢/١) وابن عساكر (مختصر التاريخ: ١٧٠٢/١) وينظر: (الحلية: ٢٨٧/٢-٢٨٨).

شرح غريب الأثر:

«يَنْتَحِلُ قَوْلًا»: (انتحل ينتحل) أي: ادّعَاء الشَّيْء لنَفسِهِ وَهُوَ لغيره يُقَال انتحل فلَان هَذَا الشّعْر وَهَذَا الرَّأْي وَمذهب كَذَا انتسب إِلَيْهِ ودان بِهِ. ينظر: معجم الوسيط (٩٠٧/٢).

«مَن يَلْمِزُكَ»: يعيبك ويطعن عليك، يقال: هَمَزْتُ فلانا ولَمَزْته. إذا اغتبته وعبته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة: ١]. ينظر: غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص:١٨٨)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط: ١٣٩٨هـ.

«ضُرُوباً» : أي أنواعاً وأقساماً متعددة.

(٢) هو أبو عبد الرحمن جُبَيْرُ بن نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيُّ، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان ثقة فيما روى من الحديث. ومات سنة ثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، (٣٠٦/٧).

(٣) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (١/١٥٩، برقم : ٩).

=

هذا الحديث وإن كان مرسلا ولكن يؤيده نصوص أخرى من الكتاب والسنة، فقال جل شأنه في كتابه العزيز: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[(1)]، وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(2)]، وقال أيضاً: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[(3)]. فالآيات كلها تدل على هذا المقصد العظيم للدعوة إلى الله بأن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي

=

قال الداراني: مرسل إسناده ضعيف، وصحّح إسنادَه الحافظُ في الفتح (٥٨٦/٨).

وقال الزهراني في القطوف (ص: ١٥، ح: ٩): فيه بقية بن الوليد، الراجح أنه ثقة، وصرّح بالتحديث، وهو هنا كذلك، لكن جبير بن نفير أدرك النبي ﷺ ولم يره، وهو من كبار التابعين، فالحديث مرسل، وقد ورد عنه أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ، فلعل له رؤية.

شرح غريب الحديث:

«لَيْسَ بِوَهِنٍ» : الْوَهْنُ: الضَّعْفُ، قَالَ الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ [مريم: ٤] أَيْ ضَعُفَ، وَلَمْ أَسْمَعْهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] يَقُولُ: وَلَا تَضْعُفُوا. ينظر: غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي (١٠٥٦/٣)، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

«وَلَا كَسِلٍ»: الكَسَلُ: التثاقُلُ عن الأمرِ، والقعود عن إتمامه أو عنه. وكَسِلَ كَسْلا، فهو كَسِلٌ. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٧٨/٥)، ومصباح المنير (٥٣٤/٢)، (مادة: كسل).

«قُلُوبًا غُلْفًا»: أي مغشاة مغطاة، واحدها: أغلف. ومنه غلاف السيف وغيره. ومنه حديث «القلوب أربعة: فقلب أغلف» أي عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله. ينظر: النهاية (٣٧٩/٣).

«السُّنَّةَ الْعَوْجَاءَ»: أي الملة العوجاء، يعني ملة إبراهيم -عليه السلام- التي غيرتها العرب عن استقامتها. ينظر: النهاية (٣١٥/٣).

(١) الأنفال: ٣٩.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) الفتح: ٢٨.

العليا، ويظهر الدين الإسلامي على الأديان الأخرى، وأن لا تبقى فتنة الشرك على الأرض، وأن لا يعبد سوى الله سبحانه وتعالى، كما قال النبي ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[1].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في تفسير الآية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: "فأما دين الحق، فهو الإسلام. وفي قوله تعالى: "لِيُظْهِرَهُ" قولان:

أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلّمه شرائع الدِّين كلَّها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها راجعة إلى الدين. ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان:

١- عند نزول عيسى عليه السلام، فانه يتبعه أهل كل دين، وتصير المللُ واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدَّوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك.

٢- أنه عند خروج المهدي. قاله السدي.

والقول الثاني: أن إظهار الدِّين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه"[2].اهـ.

فالحاصل أن إظهار الدين وإعلاء كلمة الله من أعظم مقاصد الدعوة إلى الله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، (١٤/١، رقم: ٢٥). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، (٥٣/١، رقم ٢٢).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ. (٢٥٤/٢).

تعالى، ومن أجل ذلك أرسلت الرسل كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[١]. وكما تقدم الحديث : «**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ إِلَيْكُمْ لَيْسَ بِوَهِنٍ، وَلا كَسِلٍ، لِيُحْيِيَ قُلُوبًا غُلْفًا، وَيَفْتَحَ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَيُسْمِعَ آذَانًا صُمًّا، وَيُقِيمَ السُّنَّةَ الْعَوْجَاءَ، حَتَّى يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ**»[٢]، فالحديث صريح في بيان مقصد الدعوة إلى الله؛ لأن إظهار الدين و إعلاء كلمة التوحيد، من قبيل المقصد "حماية التوحيد والتحذير مما يضادها" وتقدم بيانه في المقصد الأول، وهناك نصوص أخرى تدل على هذا المقصد العظيم.

فروى الدارمي عن ابْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه[٣]، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ، وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ الْمِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ بِأَنْ يُشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا[٤]».

---

(١) التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨.

(٢) تقدم تخريجه، مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٨).

(٣) هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي مشهور، الحبر، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وشهد له بالجنة، حليف بني الخزرج، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي بالمدينة سنة ٤٣هـ. يراجع ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: (٩٢١/٣)، وتهذيب الكمال (٧٤/١٥)، وسير أعلام النبلاء (٤١٣/٢).

(٤) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (برقم: ٦)

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص:١٣، ١٤، ح: ٥): فيه كاتب الليث عبد الله بن صالح، الصحيح أن حديثه حسن، وهو ما تبين من النظر في أقوال النقاد، وأخرجه البسوي (المعرفة والتاريخ: ٢٧٤/٣) وانظر : (الفتح:٣٤٣/٤) وبدايته عند البخاري من حديث عبد الله بن عمرو العاص، حديث (٢١٢٥) نحوه.

شرح غريب الحديث:

=

والشاهد من الحديث هو قوله " وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ الْمِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ بِأَنْ يُشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فهذا نص صريح عن شأن النبي ﷺ في التوراة، بأنه ﷺ لن يقبض حتى يقيم الملة المتعوجة، وتكون كلمة الله هي العليا، فهكذا دلالته صريحة على مقصد "إظهار الدين وإعلاء كلمة الله"، ويزداد وضوح الدلالة بقوله: "نَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا" يعني الأعمى عن رؤية الحق، والصم عن سماع الحق، والقلوب المغلفة عن فهم الحق، فكل ذلك فُتح بدعوة كلمة التوحيد، وإظهار الدين كله.

ومثل كلام عبد الله بن سلام ورَدَ عن كعب الأحبار(1) أيضاً؛ فروى الدارمي عن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ(2)، أَنَّهُ: سَمِعَ كَعْبًا يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ ابْنُ سَلَامٍ(1).

=

«**الأميون**»: هم العرب، كما قال ابن الأثير رحمه الله: "قيل للعرب: الأميون؛ لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة". ومنه قوله تعالى: ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]. (النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٨/١). وقال الزهراني في (القطوف الدانية، ص: ١٣): الأميون هم العرب، وما جاء به الرسول ﷺ هو حصن لهم من الكفر.

«**سَخَّابٌ**»: ويقال صخاب، وكلاهما صحيح، بمعنى الصياح. (النهاية لابن الأثير:٣٤٩/٢).

«**سَمَّيْتُهُ**»: هناك التفات من الخطاب إلى الغيبة. (القطوف الدانية، ص: ١٣).

«**الْمِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ**»: قال ابن الأثير في (النهاية: ٣١٥/٣): يعني ملة إبراهيم عليه السلام التي غيرتها العرب عن استقامتها. وقال الزهراني في (القطوف الدانية، ص: ١٤): الملة المتعوجة هي ما سوى الإسلام، من الملل والنحل، ويجمعها الكفر بالله.

«**إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**»: يعني في التوراة كما هو ظاهر من حديث آخر عند الإمام البخاري في صحيحه (٦٦/٣، رقم: ٢١٢٥). وسيأتي الحديث مع تخريجه (ص: ١٤٢).

(١) هو أبو إسحاق كعب بن ماتِع الحِمْيَرِي، المعروف بـ"كعب الأحبار"، أدرك زمن النبي ﷺ، وأسلم في خلافة أبي بكر، أو عمر رضي الله عنهما، وهو ثقة من كبار التابعين، وتوفي سنة ٣٢هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه. ينظر ترجمته: الطبقات ابن سعد (٤٤٥/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل ابن حجر العسقلاني (٤٨٣/٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢) هو أبو واقد، الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر الليثي، إسلامه قبيل الفتح، وقيل: من

=

المقصد الرابع: هداية الناس وإنقاذهم من الضلالة.

إن من أهم مقاصد الدعوة الإسلامية "هداية الناس وإنقاذهم من الضلالة"، فمن اتخذ الإسلام ديناً، وقَبِل دعوة خاتم النبيين ﷺ فقد اهتدى في الدنيا، ونجا في الآخرة من النار، ويستفاد هذا المقصد العظيم من حديث رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، يَقُولُ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: لِتَنَمْ عَيْنُكَ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ، قَالَ: «**فَنَامَتْ عَيْنَايَ، وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَعَقَلَ قَلْبِي قَالَ: فَقِيلَ لِي: سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، قَالَ: فَاللَّهُ: السَّيِّدُ، وَمُحَمَّدٌ: الدَّاعِي، وَالدَّارُ: الْإِسْلَامُ، وَالْمَأْدُبَةُ: الْجَنَّةُ**»(٢).

فمفهوم الحديث صريح في أن من قَبِل دعوتَه ﷺ دخل الدارَ أي الجنة، ونجا من النار، ومن لم يجب دعوته ﷺ لم يدخل الدار، بل يدخل النار، فلإنقاذهم من النار بُعث النبي ﷺ بهذه الدعوة العظيمة، كما جاء في حديث جَابِرٍ عند مسلم، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا ، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي**»(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح هذا الحديث: "أراد النبي –عليه الصلاة

=

مسلمة الفتح. وقيل: شهد بدرا، والصحيح أنه أسلم عام الفتح، مات سنة خمس وقيل: ثمان وستين. ينظر ترجمته: معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ، (٢/٧٥٧). والإصابة في تمييز الصحابة، (٧/٣٧٠).

(١) ينظر تخريج الحديث السابق.

(٢) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه وترجمة راويه (ص ٥٩٦٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل النبي ﷺ، باب بيان مثله ﷺ ومثل أمته، (٧/٦٤، برقم: ٦٠٢٢).

والسلام- بهذا المثل أن يبين حاله مع أمته عليه الصلاة والسلام، وذكر أن هذه الحال كحال رجل في برية، أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها. والجنادب: نزع من الجراد، أما الفراش فمعروف، (يقعن فيها) لأن هذه هي عادة الفراش والجنادب والحشرات الصغيرة، إذا أوقد إنسان ناراً في البر؛ فإنها تأوي إلى هذا الضوء. قال: (وأنا آخذ بحجزكم) (الحجز: جمع حجزة وهى معقد الإزار والسراويل،) يعني لأمنعكم من الوقوع فيها، ولكنكم تفلتون من يدي، ففي هذا دليل على حرص النبي ﷺ -جزاه الله عنا خيراً- على حماية أمته من النار، وأنه يأخذ بحجزها ويشدها حتى لا تقع في هذه النار، ولكننا نفلت من ذلك، ونسأل الله أن يعاملنا بعفوه."[(١)] اهـ.

ففي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على حرص النبي ﷺ على هداية الناس، وإنقاذهم من الضلالة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٢)]، وقال جل شأنه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٣)]، وقال عز وجل: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[(٤)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: يقول تعالى مُسلِّيا رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمانَ وبُعدِهم عنه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾[(٥)]، وقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾[(٦)]، وقال: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا

---

(١) شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، (٢/٢٩٦).

(٢) النحل: ٣٧.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) الكهف: ٦.

(٥) فاطر:٨.

(٦) النحل:١٢٧.

يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1]، باخع: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم[2].

المقصد الخامس: تحقيق قيام الأمن والاستقرار في المجتمعات البشرية.

إن الله سبحانه وتعالى خَلَقَ الجن، والإنس، والملائكة، والحيوانات، والجمادات وغيرها من المخلوقات، وهو الذي يعرف كيف يعيش بعضها مع بعض؟ وكيف يتعاملون فيما بينهم؟ وكيف يقيم الإنسانُ الأمنَ والأمانَ في المجتمع؟ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3]، قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا[4].

ولكن الآية عامة تشمل أمن الدنيا والآخرة؛ فالذي آمن ولم يلبس إيمانَه بظلم أي بشرك؛ فله الأمن في الآخرة وكذلك له الأمن في الدنيا أيضاً؛ كما بيَّن سبحانه وتعالى حالَ المشركين؛ إذ يسافرون في البحر ويركبون في الفلك، وتحيط بهم الأمواج من كل الأطراف، دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجّاهم اللهُ وآتاهم الأمن إذا هم يشركون معه غيره، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

---

(١) الشعراء:٣.

(٢) تفسير ابن كثير (١٣٧/٥).

(٣) الأنعام: ٨٢.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (٥٠٤/١١).

(٥) يونس: ٢٢ – ٢٣.

فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[2].

وروى مسلم عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»[3].

فهذه النصوص كلها تدل على أن من أخلص دينه لله وحده، ولم يشرك معه غيره، فله الأمن في الدنيا والآخرة؛ فهذا هو حفظ الدين الذي هو من الضروريات الإنسانية الخمسة، كما هو مقصد من مقاصد الدعوة الإسلامية؛ لقيام الأمن والأمان في المجتمع البشري، والضروريات الخمس هي[4]:

الأول: حفظ الدين.

والثاني: حفظ النسل أو العِرض.

والثالث: حفظ النفس أو الدم.

والرابع: حفظ المال.

والخامس: حفظ العقل.

---

(١) العنكبوت: ٦٥.

(٢) لقمان: ٣٢

(٣) تقدم تخريج الحديث (ص ٨٢).

(٤) قال الإمام الشاطبي: ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة. ينظر: الموافقات، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، (٢/٢٠) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
وقال أيضاً: "فقد اتفقت الأمة -بل سائرُ الملل- على أن الشريعةَ وُضِعتْ للمحافظة على الضروريات الخمس -وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل- وعلمها عند الأمة كالضروري". المرجع السابق (١/٣١).

فالدعوة الإسلامية اهتمت بحفظها اهتماما بالغاً، ما لم تهتم بها غيرها من الدعوات والأديان، والمذاهب الأخرى؛ لأن معظم المفاسد تحصل بسبب إفساد هذه الضروريات الخمس، فالمحافظة علها واجبة؛ لقيام الأمن والأمان في المجتمعات البشرية في أيّ حال من الأحوال.

فحفظ الدين هو أول ضرورة للإنسان؛ لكي يحصل له الأمن في الدنيا والآخرة، فالإنسان إما أن يكون على دين الإسلام فيحرُم مالُه، ودمُه، وحسابه على الله، ولا خوف عليه في المجتمع بإقرار كلمة "لا إله إلا الله"، ويحصل له الأمن في الدنيا والآخرة، وإما أن يكون على غير دين الإسلام؛ فله حالتان: إما أن يكون معاهداً، أو أن يكون محارباً، إن كان معاهدا فله الأمن في الدنيا وليس له الأمن في الآخرة، وله الحرية في دينه ومعتقداته، وإن كان محاربا فهو محارب يريد انتشار الظلم، والبغي، والإرهاب، والفساد في الأرض؛ فليس له الأمن، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، بل لابد إصلاحه بالوسائل الشرعية حتى يكف عن شره، وفساده، وإرهابه.

فالشريعة الإسلامية أصدرت قرارا سديداً وشديداً لحفظ هذه الضروريات فقال ﷺ: «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يَحِلُّ دَمُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: التَّارِكُ الْإِسْلَامَ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ -أَوِ الْجَمَاعَةَ شَكَّ فِيهِ أَحْمَدُ- وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ**»(١).

ففي هذا الحديث جاء ذكر ثلاث من الضروريات:

١- **حفظ الدين**:- الدين هو أعظم ضرورة للإنسان لرضاء ربّه، ولقيام الأمن والأمان في الدنيا، ومن لم يعتن بحفظ دينه، وارتد عن دين الإسلام واعتنق غيره فإنه يُقتل عبرةً للآخرين، وحفاظا على دين الإسلام، وتحقيقاً لقيام الأمن والأمان في المجتمع، كما تقدم بيان ذلك في السطور السابقة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ .. الآية} [المائدة: ٤٥]، (٩/٥، برقم ٦٨٧٨). وصحيح مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، (١٣٠٣/٣، برقم: ١٦٧٦). واللفظ لمسلم.

٢- **حفظ النسل أو العرض**: فالدعوة الإسلامية تحث على اتخاذ الأفعال التي تكون سبباً لِنُموّ النسل كالزواج، وتمنع من جميع الأفعال التي تكون سبباً لفساد النسل كإسقاط الحمل، ووأد البنات، والزنا وغير ذلك، ووضعت حدودا على من لم يحفظ النسل، ولم يحترم أعراض الآخرين، ويأتي بجريمة الزنا قبل الزواج فإنه يُجلد ثمانين جلدة، ومن يزني بعد الزواج فإنه يُرجم حتى يموت، كما حصل مع ماعز بن مالك ﵁ فروى الدارمي عَنْ حَبِيبِ بْنِ خُدْرَةَ(١)، حَدَّثَنِي رَجُلٌ(٢) مِنْ بَنِي حُرَيْشٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ أَبِي حِينَ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ ﵁(٣)، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ الْحِجَارَةُ، أُرْعِبْتُ، فَضَمَّنِي إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ»(٤).

الحديث مهما كان حكمه ولكن الشاهد منه في هذا المكان "إثبات رجم الثيب" من قصة ماعز بن مالك ﵁، وقصته معروفة في هذه المسألة في كتب الحديث(٥).

---

(١) حبيب بن خدرة: قال الذهبي: "لا يعرف ولم أره في الأسماء" يراجع: ميزان الاعتدال (٤٥٤/١).

(٢) سمي الحريش في (أسد الغابة: ٢٥٣/١، والإصابة:٥٧/٢، ولسان الميزان:٧٥/٢).

(٣) ماعز بْن مَالِك الأسلمي: معدود فِي المدنيين، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا بإسلام قومه، وَهُوَ الَّذِي اعترف على نفسه بالزنا تائبا منيبا، وَكَانَ محصنا فرجم. روى عَنْهُ ابنه عَبْد اللَّهِ بْن ماعز حديثا واحدا. يراجع ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١٣٤٥/٣).

(٤) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في حسن النبي ﷺ، (٢٠٦/١، برقم: ٦٤)، قال الداراني: رجاله ثقات غير حبيب بن خدرة.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص:٦٤) : فيه حبيب بن خدرة: لا يعرف، أخرجه ابن الأثير (الأسد الغابة: ٢٥٣/١) وابن حجر: (الإصابة:٥٧/٢، ولسان الميزان: ٧٥/٢).

شرح غريب الحديث:

«**أُرْعِبْتُ**»: أي وقع عليه الخوف والفزع. ينظر: النهاية، باب الراء مع العين، (٢٣٣/٢).

(٥) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٨٢٤)، وصحيح مسلم، حديث رقم: (١٦٩٢ =

٣- **حفظ النفس**: حثت الدعوة الإسلامية على حفظ النفس من جميع جوانبها، سواء كان حفظها من الأمراض، أو من الاعتداء عليها، أو من غير ذلك، وأجرت حدودا شديداً على من قتل نفساً، ولم يحترم دم الآخرين؛ بأن يُقتل قصاصا، كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾(١)، وحفاظا على الحياة البشرية، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾(٢).

هذه الضروريات الثلاثة جاء ذكرها في حديث واحد، وأما الاثنان هما كالآتي:

٤- **حفظ المال**: روى الإمام مسلم عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(٣)، الحديث صريح في حفظ مال المسلم، وقد اهتمت الشريعة الإسلامية ببيان أحكام المال ومسائله من الحلال والحرام كأحكام البيع والشراء والتجارة وغير ذلك حتى يكون المال محفوظاً بطريقة شرعية، ويكون الإنسان أيضاً محفوظاً من الظلم والبغي، والاعتداء على الآخرين، بل أجرت الشريعة حدودا على من اعتدى على مال المسلم، فأمرت بقطع يد السارق، لكي لا يسرق مرة أخرى، ويعتبر به الآخرون، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

٥- **حفظ العقل**: فإن العقل شرط أساسي للأحكام التكليفية؛ إذ لا يكون الإنسان مكلفا إلا بالعقل، والمحافظة على العقل لازم وضروري للإنسان، ولذلك حُرمت الأعمال التي تزيل العقل كالسحر، وشُرْب المُسْكِر، كما قال ﷺ : «**كل**

=

و١٦٩٤ و١٦٩٥)، وسنن أبي داود، حديث رقم: (٤٤١٩ و٤٤٢٠ و٤٤٢١).

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) البقرة: ١٧٩.

(٣) تقدم تخريج الحديث (ص ٨٢).

(٤) المائدة: ٣٨.

مسكر حرام»(١). وقوله ﷺ : «**والخمر ما خامر العقل**»(٢)، فثبت من هذين الحديثين أن الشريعة الإسلامية فقد حرمت الأشياء الضارة للعقل، ولم تكتف بذلك بل أمرت بأربعين أو ثمانين جلدة على من يشرب الخمر، بل أمر بقتل في أول الأمر من استمر وأكثر في شربه، ثم نُسخ كما جاء في حديث النبي ﷺ : «**مَنْ شَرِبَ الخمر فاجلِدُوه، فإن عادَ فاجلِدُوه، فإن عاد فاجلِدوهُ، فإن عادَ في الثالثَةِ أو الرابِعَة فاقتُلُوه**» فأتِيَ برجُلٍ قد شَرِبَ فجلَدَه، ثم أُتِي به فَجَلَدَه، ثم أُتِي به فجَلَدَهُ، ثم أُتِي به فجَلَدَه، ورُفِعَ القتلُ، وكانت رخصةً(٣).

فالحاصل مما سبق أن قيام الأمن والأمان في المجتمع بحفظ الضروريات الخمس مقصد مهم من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه لو حصل الفساد في أيِّ واحد منها لن يستقيم الأمن في المجتمع البشري، بل تعمّ الفوضى والفساد، كما هو حاصل في المجتمعات غير الإسلامية، وكذلك في المجتمعات الإسلامية التي لم تطبق الشريعة الإسلامية(٤).

****

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (٥/١٦١، ١٦٢، برقم: ٤٣٤٣ و٤٣٤٤)، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، (٣/١٥٨٦، برقم: ١٧٣٣، ٢٠٠٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠] (٦/٥٣، ٤١١٩ و٥٥٨١ و٥٥٨٨)، وصحيح مسلم، كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر (٤/٢٣٢٢ و٣٠٣٢).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب إذا تتابع شرب الخمر (٦/٥٣٥، رقم: ٤٤٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٠٨١، رقم: ٦٣٠٩).

(٤) للاستزادة في الضروريات الخمس فليراجع: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش (ص: ٣٣-٧٢) دار الكتاب المصري، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

المطلب الثاني: خصائص الدعوة:

توطئة:

إن الدعوة الإسلامية كما جاءت بمقاصد عظيمة كذلك جاءت بخصائص متميزة لم تمتزّ بها غيرها من الدعوات، والمذاهب، والأديان؛ لأن هذه الدعوة دعوة خالصة من الله -تبارك تعالى- إلى كافة الناس، موافقة لكل زمان ومكان.

معنى الخصائص:

قال صاحب لسان العرب: خَصَّهُ بِالشَّيْءِ يَخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً، وَالْفَتْحُ أَفصح، وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه: أَفْرَدَه بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَيُقَالُ: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لَهُ إِذا انْفَرَدَ، وخَصّ غيرَه واخْتصّه بِبِرِّهِ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ مُخِصٌّ بِفُلَانٍ أَي خَاصٌّ بِهِ وَلَهُ بِهِ خِصِّيّة(١).

«الخصائص» جمع «خِصّيصة»، وأما «خواصّ» فهي جمع «خاصة»، وقد أقر مجمع اللغة المصري اعتبار «خصائص» جمعًا «لخصيصة» بمعنى الصفة التي تميز الشيء وتحدده(٢). وقيل: الخصوصيّة أو الخِصّيصة: الصفة التي توجد في الشيء ولا توجد في غيره(٣).

المقصود بـ"خصائص الدعوة الإسلامية" هي: الأوصاف والمزايا التي تميّزت بها الدعوة الإسلامية عن غيرها، وهذه الخصائص -الواردة في أحاديث الدراسة- هي على النحو التالي:

---

(١) لسان العرب، (٧/٢٤) مادة: خصص.

(٢) ينظر: معجم الصواب اللغوي، دليل المصقف العربي، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ط: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (١/٣٥١)، ومعجم الوسيط (١/٢٣٨)، باب الخاء.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي وزميله، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ، الطبعة: الثانية، (ص:١٩٦).

١- الربانية:

إن الدعوة الإسلامية دعوة ربّانية، منزَّلة من الرب -تبارك وتعالى-، وكونها خصيصة من حيث إن الله -تبارك وتعالى- لما بعث نبينا محمدا ﷺ بهذه الدعوة العظيمة، وَعَد بحفظها إلى قيام الساعة بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1]، وإلا فإن هناك دعوات أخرى كدعوة اليهود والنصارى وغيرهما ولكن هذه الدعوات لم تبق على أصلها، فقد حصل التغيّر والتبدّل فيها بعد وفاة نبيهم، ولذلك لا يمكن الآن أن تُتَّصف هذه الدعوات بصفة "الربانية"، وأما الدعوة الإسلامية فهي موعودة بحفظها من الله تبارك وتعالى إلى يوم القيامة؛ فهكذا تختص الدعوة الإسلامية بصفة "الربّانية". ولله الحمد والمنة.

وهناك دعوات أخرى المسمى في المصطلح المعاصر بالمذاهب الفكرية؛ فهذه الدعوات لم تتصف أبدا بصفة الربانية؛ لأنها من صنع المخلوق، وهي مخالفة لقوانين الرب تبارك وتعالى، فلهذا تبقى الدعوة الإسلامية مختصّة بهذه الصفة المباركة دون غيرها من الدعوات.

ويستفاد هذه الخصيصة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما حينما يُبيّن للناس فضلَ النبي ﷺ على سائر الأنبياء، قَالُوا: فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[2] الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[3] فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ[4].

استدل رضي الله عنه بالآية الكريمة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ على فضل النبي ﷺ، والآية تضمنت بأن الله -تبارك وتعالى- هو الذي أرسل النبيَّ ﷺ بهذه الدعوة

(١) الحجر: ٩

(٢) إبراهيم: ٤

(٣) سبأ: ٢٨

(٤) تقدم تخريجه في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٦٨).

العظيمة، فهكذا صارت الدعوة الإسلامية "دعوة ربانية" موعودة بحفظها، ومنزلة من الله تبارك وتعالى. ودلت على هذه الخصيصة المباركة نصوصٌ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(2).

٢- الفطرية:

إن من خصائص الدعوة الإسلامية: "الفطرية"، معناها أن هذه الدعوة موافقة لفطرة الإنسان، والإنسان خُلق على الفطرة أي: على دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(3). وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾ الآية(4).

فالحاصل أن المقصود بخصيصة الفطرة: اشتمال الدعوة الإسلامية على كل ما يناسب خلقة الإنسان، وتلبّي احتياجاته، وتفي بمستلزماته، وتراعي نفسيّته أثناء مخاطبته(5).

---

(١) النمل: ٦.

(٢) هود: ١.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، (٢/٩٤، برقم: ١٣٥٨). وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (٤/٢٠٤٧، برقم: ٢٦٥٨)، واللفظ لمسلم.

(٥) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي (١/٢٦٧).

تستفاد هذه الخصيصة من أثر وَاصِلٍ[1]، فيما روى الإمام الدارمي عنه، وهو عَنِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: عَائِذَةُ[2]، قَالَتْ: رَأَيْتُ ابن مسعود رضي الله عنه يوصي الرجال والنساء ويقول: «مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ مِنَ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ، فَالسَّمْتَ الْأَوَّلَ السَّمْتَ الْأَوَّلَ، فَإِنَّكُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ»[3]. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ[4]: السَّمْتُ: الطَّرِيقُ.

أي أنكم على الطريقة أو الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، والفطرة هي دين الإسلام، وهو الطريق المستقيم، فالناس فُطروا عليها، وُخلقوا من أول يوم على كلمة التوحيد كما هم قد أقرّوا بذلك في عالم الأرواح، ولذا صارت طبيعة الإنسان وفطرته موافقاً لدين الإسلام؛ لأنه دين فطرة، وهكذا صارت الدعوة الإسلامية متميزة بصفة فطرية دون غيرها. والله أعلم.

---

(١) هو واصل بن حيان الأحدب، الأسدي الكوفي، ثقة ثبت، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي بالكوفة سنة ١٢٠هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (١٧٦/٨)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١٥/٦)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (٣٣٢/٣). المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

(٢) عائذة: هي امرأة من بني أسد، وأثنى عليها خيرا، هكذا قال ابن سعد في الطبقات (٤٨٨/٨) حينما أخرج هذا الحديث، ووقع عند اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٥٤٩/٨): عاتكة، ولعله تصحيف، كما قال الغمري في فتح المنان (٢٨٠/٢-٢٨١).

(٣) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي (٢٩٤/١، رقم: ٢١٩)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٦): فيه عائذة: أخرج ابن سعد حديثها، وذكر أنها من بني أسد (الطبقات: ٤٨٨/٨) أخرجه الحافظ ابن أبي شيبة (المصنف: ١٣٣/١٤، رقم: ١٧٨٥٦، ١٧٩).

(٤) هو شيخ المصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبه. كما صرّح بذلك الغمري في فتح المنان (٢٨١/٢). ويحتمل أن يكون هو المصنف نفسه؛ لأن اسمه أيضا عبد الله، ومن منهجه أيضا في تصنيف الكتاب أنه يذكر أحيانا معاني غريب الألفاظ. والله تعالى أعلم.

٣- العالمية :

إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية بحيث إنها لجميع العالمين من الإنس والجن، وأنها لجيمع البلدان والأقوام والأجناس، وأنها لجميع الأمكنة والأزمنة، وليست خاصة بأيّ بلد ومكان أو زمان، بل هي عامة لجميع الناس، وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على هذه الخصيصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[١]، وقد استدل ابنُ عباس رضي الله عنهما بهذه الآية الكريمة على عالمية الدعوة الإسلامية ثم استدل بعالميتها على فضلها على جميع الدعوات؛ فروى الإمام الدارمي رحمه الله عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ -عليهم السلام- وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَ فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[٣] قَالُوا: فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[٤] الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾[٥] فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ[٦].

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة: أن لفظة « كَآفَّةٗ » اسم فاعل بمعنى "عامة" وهي الحال من الناس، أو من "الكاف" في «أَرۡسَلۡنَٰكَ » وكل يدل على العموم[٧].

---

(١) سبأ: ٢٨

(٢) الأنبياء: ٢٩

(٣) الفتح: ١- ٢

(٤) إبراهيم: ٤

(٥) سبأ: ٢٨

(٦) تقدم تخريج الحديث (ص ٦٨).

(٧) ينظر: خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن (ص: ١٥٥)، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

وقد دلت أحاديث كثيرة على عالمية الدعوة الإسلامية، منها حديث الذي رواه الإمام الدارمي عن أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِيهِمْ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١).

وجه الاستدلال بهذا الحديث: أن لفظ «الناس» اسم جمع لإنسان على غير لفظه، واللام الداخلة عليه للجنس، فهي لشمول أفراد الجنس(٢). وهو أيضاً من صيغ العموم، يشمل جميع أنواع الناس من الذكر والأنثى، ومن الأسود والأحمر، ومن الجن والإنس، وقد جاء هذا اللفظ في القرآن الكريم في نفس السياق، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾(٣).

٤- الرحمة:

إن الدعوة الإسلامية دعوة رحمة لجميع العالمين؛ ولم تقتصر رحمتها على المؤمنين والمسلمين فقط، بل تغتش جميع الناس في ظل رحمتها، وهكذا تميّزت الدعوة الإسلامية بهذه الخِصّيصة على غيرها من الدعوات والتيارات؛ إذ لا توجد عندهم صفة الرحمة على من سواهم، ولكن رحمة الدعوة الإسلامية أعم تشمل جميع الناس، كما دلّت على ذلك نصوص كثيرة في كتاب الله وسنة نبيه وسيرته ﷺ، قال الله -الرحمن الرحيم-: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾** ﴾(٤).

وأما الدليل القولي من سنة النبي ﷺ فهو الحديث الذي رواه الدارمي عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِيهِمْ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(٥).

وأما الدليل الفعلي من سنة النبي ﷺ، فهي كثيرة في سيرته ﷺ، ومن جملتها قصته ﷺ مع أهل الطائف حينما آذوه، وجاء إليه ملك الجبال، فقال: يا محمد (ﷺ) !

---

(١) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه في المبحث الأول من الفصل الأول (ص ٦١).

(٢) ينظر: خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن، (ص: ١٥٤).

(٣) الأعراف: ١٥٨

(٤) الأنبياء: ١٠٧

(٥) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه في المبحث الأول من الفصل الأول (ص ٦١).

إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[1].

إذا كانت هكذا رحمته ﷺ على عدوه، فكيف كانت رحمته على المؤمنين والمسلمين؟ صدق الله العلي العظيم: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2].

فهذه هي الدعوة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ دعوة رحمة لجميع العالمين من المؤمنين وغيرهم، فرحمته للمؤمنين واضحة، وأما كونها رحمة لغير المسلمين من الكفار والمشركين؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سَعِد، ومن لم يؤمن به سَلِم مما لحق الأمم من الخسْفِ والغرَقِ[3]. ومن قبيل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[4]. فوجوده ﷺ بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب[5]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان فيهم أمانان: النبي ﷺ، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار[6].

وكذلك قال الشوكاني رحمه الله في تفسير آية ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾: "أي وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال والعلل: أي ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، (٤/١١٥، برقم: ٣٢٣١). وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (٣/١٤٢٠، برقم: ١٧٩٥)

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/٢٥٠).

(٤) الأنفال: ٣٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: ٣٢٠)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٦) تفسير ابن كثير، (٤/٤٨).

بعثت به سبب لسعادة الدارين. قيل ومعنى كونه رحمة للكفار: أنهم أمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال، وقيل: المراد بالعالمين المؤمنون خاصة، والأوّل أولى، بدليل قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[(١)]"[(٢)].

*****

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (٣/٤٣٠)، دار الفكر، بيروت، بدون سنة طبع.

المبحث الخامس:

مصادر الدعوة

توطئة:

المقصود بالمصادر هي: المرجع والمنبع التي تستمد منها الدعوةُ الإسلامية مضامينَها، ومجالاتِها، وأساليبها ووسائلَها، ومناهجها، وتُرجع إليها للمعرفة التامة، كما ترجع إليها عند وقوع الخلاف، وهذه المصادر هي على النحو التالي:

المصدر الأول: القرآن الكريم.

القرآن الكريم أول مصدر من مصادر الدعوة الإسلامية، وهو كلام رب العالمين، هدىً للناس أجمعين، منزَّلٌ من الله العظيم، بواسطة جبريل الأمين -عليه السلام- على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، قال الله عز وجل في شأنه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾[(١)].

عرّفه العلماء بتعريفات عديدة، ومن بعضها فيما يلي:

- قيل هو: الكلام المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواترًا[(٢)].
- وقيل هو: اسم لما بين الدّفتين من كلام الله[(٣)].
- وقيل هو: اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس[(٤)].

وهناك تعريفات أخرى للقرآن الكريم ذكرها العلماء في كتب علوم القرآن، ونأتي

(١) الزمر: ٤١.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني (١/٨٥).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٥/٩٢).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١/١٩).

الآن إلى موضوعنا وهو أن القرآن الكريم مصدر أساسي للدعوة الإسلامية، واستفدنا هذا من أحاديث الدراسة الآتية:

روى الإمام الدارمي ﵀ بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عَامِرٍ[(١)]، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، فَمَشَى مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ، قَالَ: فَإِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ وَالْأُخْرَى خَارِجَةُ كَأَنَّهُ يُنَاجِي، فَالْتَفَتَ فَقَالَ: **«أَتَدْرِي مَنْ كُنْتُ أُكَلِّمُ؟ إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ أَرَهُ قَطُّ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، قَالَ: إِنَّا آتَيْنَاكَ -أَوْ أَنْزَلْنَا- الْقُرْآنَ فَصْلًا، وَالسَّكِينَةَ صَبْرًا، وَالْفُرْقَانَ وَصْلًا»**[(٢)].

---

(١) هو: عامر بن شراحيل، وقيل: ابن عبد الله بن شراحيل، الشعبي، أبو عمرو الكوفي، أحد الأعلام، تابعي ثقة مشهور فقيه فاضل، من رجال الكتب الستة، توفي بعد المئة الهجرية. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال (١٤/٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤).

(٢) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكُتُبِ قَبْلَ مَبْعَثِه، (١/١٦٠، برقم: ١٠).

قال الداراني: مرسل رجاله ثقات، غير أن عمرو بن أبي قبيس لم يذكر فيمن سمعوا عطاء قبل اختلاطه. وكذلك قال الزهراني في القطوف (ص ١٦): فيه عمرو بن أبي قيس، لم يذكر ممن سمع من عطاء قبل الاختلاط.

شرح غريب الحديث:

«**الْقُرْآنَ فَصْلًا**»: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ [الطارق: ١٣]، أي فاصل قاطع، ومثله جاءت صفة كلامه ﷺ «فَصْلٌ لَا نزْرٌ وَلَا هَذَر» أَيْ بَيِّن ظَاهِرٌ، يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَمِنْهُ حَدِيثُ وَفْد عَبْدِ الْقَيْسِ «فَمُرْنا بأمْرٍ فَصْل» أَيْ لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا مَرَدَّ لَهُ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٤٥١)، باب «فصل».

«**السَّكِينَةَ صَبْرًا**»: قَالَ ابْن مَسْعُود: السكينَة مَغْنم -وَهِي الْوَقار- وتركها مَغْرمٌ، وقيل: هِيَ الرَّحْمَة، وَقيل: مَا يسكن بِهِ قُلُوبهم من رَجَاء الرَّحْمَة. وَالسكينة بخلاف العجلة والإسراع كما فِي حَدِيثِ الدَّفع مِنْ عَرفة: «عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ» أَيِ الوقَار والتَّأني فِي الْحَرَكَةِ والسيْر. ينظر: غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (١/٤٨٩)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ. والنهاية في غريب =

الحديث يدلّ دلالة صريحة على أنَّ القرآن الكريم مصدر أساس، ومرجع أصلي، ومنبع نقي؛ للرجوع إليه في جميع أمور الحياة من العبادات والمعاملات والأخلاقيات، وغيرها من الأمور كلها؛ لأن «القرآن الكريم» هو "فاصل" يَفصل بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، وهذه هي الدعوة الإسلامية تريد إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولا يمكن ذلك إلا بالرجوع إليه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[1].

كما دلّ الحديث على أنّ "القرآن فصل" يفصل بين الحق والباطل، كذلك دلت عليه آيات متعددة، منها: قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾[3]. فإذاً ثبت أن القرآن الكريم هو فصل وفاصل بين الحق والباطل، ولا يمكن حل المشاكل البشرية إلا بالرجوع إليه، وهكذا «القرآن الكريم» صار مصدراً أوّلاً للدعوة الإسلامية.

ودلّت على ذلك آثار كثيرة عن الصحابة، والتابعين، وعن سلف هذه الأمة،

=

الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٣٨٥)، باب «سكن».

«**وَالْفُرْقَانَ وَصْلًا**»: قال ابن الأثير: الفُرْقَان مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ: أَيْ أَنَّهُ فَارَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «مُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ» أَيْ يَفْرُق بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِتَصْدِيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ. اهـ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٣٩).

وأما معنى «وصلا» أي موصولاً بعضه ببعض كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٥١] أي وصّلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى من الأمم بعضها ببعض. ينظر: فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي، للغمري (١/٢٤١).

(١) النساء: ٥٩.

(٢) هود: ١

(٣) فصلت: ٣

ومنها: أثر مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ[1]، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَصْمُ نَظَرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ مَا يَقْضِي بَيْنَهُمْ، قَضَى بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ، وَعَلِمَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ سُنَّةً، قَضَى بِهِ، فَإِنْ أَعْيَاهُ، خَرَجَ فَسَأَلَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ: «أَتَانِي كَذَا وَكَذَا، فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى فِي ذَلِكَ بِقَضَاءٍ؟» فَرُبَّمَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّفَرُ كُلُّهُمْ يَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ قَضَاءً. فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِينَا مَنْ يَحْفَظُ عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ، فَإِنْ أَعْيَاهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ سُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَمَعَ رُءُوسَ النَّاسِ وَخِيَارَهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَمْرٍ، قَضَى بِهِ» [2].

فهذا الأثر يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم مصدر أوّل لحلّ القضايا البشرية، وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقضي القضايا بالقرآن الكريم، ثم بالسنة النبوية، وإذا لم يجد فيهما شيء يستشير الصحابة الكرام ﷺ.

---

(١) هو أبو أيوب، ميمون بن مهران الجزَري، الرَّقِّي، أصله كوفي، ولى الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، ثقة فقيه وكان يرسل، ولد سنة ٤٠هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ أو ١١٦هـ بالجزيرة. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزّي (٢٩/٢١٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٩/٧٨).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، بَابُ الْفُتْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ، (١/٢٦٢، برقم: ١٦٣)، قال الداراني: رجاله ثقات، غير أن ميمون بن مهران لم يدرك أبا بكر فالإسناد منقطع.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٣): رجاله ثقات، أخرجه الفقيه أبو عبيد القاسم بن سلام (أعلام الموقعين: ١/٦٢) والبيهقي (السنن الكبرى: ١٠/١١٤، ١١٥) وابن عساكر (التاريخ: ٣٠/٣٢٧) وانظر الهيتمي (الصواعق المحرقة: ١/٤٩).

شرح غريب الأثر:

«**الْخَصْمُ**»: الخُصومَةُ، الجَدَلُ، واخْتَصَمَ القومُ وتَخاصَموا وخَصْمُكَ الذي يُخاصِمُكَ وجمعه خُصُومٌ. (لسان العرب: ١٢/١٨٠، مادة: خصم).

«**فَإِنْ أَعْيَاهُ**»: أي: تعب تعبا شديدا ويقال أعياه السير وعليه الأمر أعجزه فلم يهتد لوجهه ويقال أعيا الداء الطبيب. (المعجم الوسيط: ٢/٦٤٢).

وكذلك فعل عمر بن الخطاب ﷺ كما روى الدارمي عَنْ شُرَيْحٍ[1]، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنْ جَاءَكَ شَيْءٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَاقْضِ بِهِ وَلَا تَلْفِتْكَ عَنْهُ الرِّجَالُ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَانْظُرْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاقْضِ بِهَا، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْظُرْ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَخُذْ بِهِ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ. فَاخْتَرْ أَيَّ الْأَمْرَيْنِ شِئْتَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْتَهِدَ برأيكَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَتَقَدَّمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تتأخَّرَ، فَتَأَخَّرْ، وَلَا أَرَى التَّأَخُّرَ إِلَّا خَيْرًا لَكَ»[2].

فهذا الأثر عن عمر بن الخطاب ﷺ يدل دلالة صريحة على أن القرآن الكريم مصدر أول للدعوة الإسلامية ولا يلتفت عنه إلى غيره في أي حال من الأحوال. وقد أوصى النبي ﷺ بالتمسّك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بقوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**» .. الحديث[3].

---

(١) هو أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس الكندي الكوفي النخعي القاضي، ويقال: شريح بن شرحبيل، ويقال: ابن شراحيل، من كبار التابعين، وولّاه عمر قضاء الكوفة، فقيل: أقام على قضائها ستين سنة. يراجع ترجمته: (سير أعلام النبلاء: ٤/١٠١).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب الْفُتْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ، (١/٢٦٥، برقم: ١٦٩)، قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٥٥): فيه محمد بن عيينة المصيصي: أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف: ٧/٢٤٠، رقم :٣٠٣٢)، وأبو نعيم (الحلية: ٥/٢٠٦)، والبيهقي (السنن الكبرى: ١٠/١١٥).

شرح غريب الأثر:

«وَلَا تَلْفِتْكَ»: اللَّفْتُ الصَّرْفُ، يقال: ما لَفَتَك عن فلانٍ أَي ما صَرَفَك عنه؟ واللَّفْتُ: لَيُّ الشيءِ عن جهتِه كما تَقْبِضُ على عُنُق إِنسانٍ فتَلْفِتُه. لسان العرب لابن منظور: (٢/٨٤)، (مادة: لفت).

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٧/٥، برقم: ٤٦٠٧). وسنن الترمذي، =

المصدر الثاني: السنة النبوية:

المراد بالسنة النبوية: الحديث الشريف، والحديث لغة: ضد القديم. واصطلاحا: "ما أضيف إلى النبي ﷺ قولا له أو فعلا أو تقريرا أو صفة حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام"[(١)].

فالسنة النبوية أو الحديث الشريف مصدر أساسي -بعد القرآن الكريم- للدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[(٢)]. قال ميمون بن مهران: "الرد إلى الله: إلى كتابه. والرد إلى الرسول: ما كان حيا، فإذا مات فإلى سنته"[(٣)].

فالسنة تبين مجمله، وتقيد مطلقه كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[(٥)].

وأما أحاديث الدراسة الدالة على المصدر الثاني بأنها السنة النبوية، تقدم بعضها في بيان المصدر الأول (القرآن الكريم)، كأثر ميمون بن مهران في شأن أبي بكر الصديق ﷺ، "وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ، وَعَلِمَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ سُنَّةً، قَضَى بِهِ،"

=

أبو عيسى الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/٤٤، برقم: ٢٦٧٦)، من حديث العرباض بن سارية ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٤٩٩، برقم: ٢٥٤٩، ١١٨٤).

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١/١٠)، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (٢/ ٣٥٨)، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ.

(٤) النحل: ٤٤

(٥) النحل: ٦٤

وكذلك جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ في خطابه إلى شريح قاضي الكوفة: "فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَانْظُرْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاقْضِ بِهَا".

فهذان الأثران يدلان دلالة واضحة بأن السنة النبوية مصدر ثان للدعوة إلى الله تعالى، ويؤيده أحاديث مرفوعة كثيرة، منها: حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ **«أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِىِّ وَلاَ كُلُّ ذِى نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلاَّ أَنْ يَسْتَغْنِىَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»**(١).

ومنها حديث مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»**(٢).

وفي الباب نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، كلها تدل على كون السنة مصدراً للتشريع والدعوة بعد كتاب الله تعالى، وهناك آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين تدل على أنهم اتخذوا السنة مصدراً للدعوة إلى الله، فهذا ابن عباس ﷺ كان يدعو ويفتي بالكتاب والسنة، ثم بآثار خلفاء الراشدين، فروى الدارمي بسنده عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ(٣)، قَالَ: «كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَمْرِ فَكَانَ فِي الْقُرْآنِ، أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤/٢٣٨، برقم: ٤٦٠٦). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (برقم : ٤٦٠٤).

(٢) الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي (٥/١٣٢٣، برقم: ٣٣٣٨)، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة : الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. وحسنه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (١/٤٠، برقم : ١٨٦).

(٣) هو عبيد الله بن أبي يزيد المكي، مولى آل قارظ بن شيبة الكناني، حلفاء بني زهرة. روى له أصحاب الكتب الستة، تابعي ثقة، ولد سنة ٤٠هـ وتوفي سنة ١٢٦هـ. يراجع ترجمته: (سير أعلام النبلاء: ٩/٢٨١).

ﷺ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ»[(١)].

فعُلِم من ذلك أن الصحابة ﷺ كانوا يستدلون بالكتاب والسنة، وهكذا اتخذوهما مصدرا للدعوة الإسلامية، وكانوا لا يلتفتون إلى غيرهما قط إلا إذا لم يجدوا النص فيهما، وإذا لم يجدوا فيهما نصًّا يتشاورون فيما بينهم، ويستفسرون بعضهم عن بعض ثم يجتهدون برأيهم في ضوء الكتاب والسنة.

المصدر الثالث: الإجماع:

الإجماع في اللغة يأتي لمعنيين[(٢)]:

الأول: العزيمة على الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾[(٣)] أي اعزموا.

والثاني: الاتفاق، يقال: هذا أَمْرٌ مُجْمَعٌ علَيْه: أَيْ مُتَّفَقٌ عليه.

وفي الاصطلاح: "اتفاق مجتهدي العصر من هذه الأمة بعد وفاة النبي ﷺ على حكم شرعي"[(٤)].

---

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، بَابُ الْفُتْيَا وَمَا فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ، (٢٦٥/١، برقم: ١٦٨).

قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٥٤): رجاله ثقات، أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف: ٢٤٢/٧، رقم:٤٠٣٦) وابن حزم (الأحكام: ٢٠٦/٥) والحاكم (المستدرك /١٢٧) وابن سعد (الطبقات: ٣٦٦/٢) والبيهقي (السنن الكبرى: ١١٥/١٠) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٢٠٣/١) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ٧١/٢).

شرح غريب الأثر:

«**قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ**»: يعني يجتهد في تلك المسألة في ضوء الكتاب والسنة.

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (٥٣/٨)، ، وتاج العروس (٤٦٣/٢٠)، (مادة: جمع).

(٣) يونس: ٧١.

(٤) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي (٤٢٣/١)، والشرح الكبير لمختصر =

الإجماع مصدر من مصادر الدعوة الإسلامية، يستنبط الدعاةُ به موضوعات الدعوة الإسلامية، وهو حجة قاطعة عند الجمهور كما نصّ عليه غير واحد من أهل العلم(١)، واستفدت هذا المصدر من أحاديث الدراسة الآتية:

عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ أَدْرَكَ بِيَ الْأَجَلَ الْمَرْحُومَ وَاخْتَصَرَ لِيَ اخْتِصَارًا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلًا غَيْرَ فَخْرٍ: إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، وَمُوسَى صَفِيُّ اللَّهِ، وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ، وَمَعِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي فِي أُمَّتِي وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلَاثٍ: لَا يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ، وَلَا يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ**»(٢).

الشاهد من الحديث هو قوله ﷺ : «**وَلَا يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ**» فالله تبارك وتعالى وعد نبيَّه بأن لا يجمع أمته على ضلالة؛ فإذاً اجتماع مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته على حكم شرعي في عصر من العصور ليست بضلالة بل هو حق؛ ولذلك يُحتج به ويُستدل في الأمور الدعوية، وهكذا صار الإجماع مصدراً ثالثاً من مصادر الدعوة الإسلامية.

ويؤيده أيضاً حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يجمع أمتي –أو قال: أمة محمد ﷺ– على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذَّ إلى النار**»(٣).

ودلت عليه أيضاً الآثار المتقدمة في المصدر الأول (القرآن الكريم) من عمل أبي

=

الأصول من علم الأصول، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (ص٤٤٣).

(١) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي (٤٢٥/١).

(٢) تقدم تخريجه وشرح غريبه وترجمة راويه في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٧٠).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح دون ومن شذ. (٤٦٦/٤، برقم: ٢١٦٧).

بكر وعمر ﵄؛ فنقل ميمون بن مهران من عمل أبي بكر ﵁: «... فَإِنْ أَعْيَاهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ سُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَمَعَ رُءُوسَ النَّاسِ وَخِيَارَهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَمْرٍ، قَضَى بِهِ»، وكتب عمر ﵁ إلى شريح: «... فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْظُرْ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَخُذْ بِهِ... إلخ» فهذان الأثران يدلان على أن الصحابة ﵃ أيضاً كانوا يحتجون بالإجماع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهكذا الإجماع صار حجةً قاطعةً، ومصدرا ثالثاً من مصادر الدعوة الإسلامية.

المصدر الرابع: القياس:

القياس في اللغة: قاسَ الشيء يَقيسُه قَيْساً وقياساً واقْتاسه وقَيَّسه إذا قدَّره على مثاله؛ فمعناه: التقدير، يقال: قِسْت الأرضَ بالقصَبَة وقِست الثوبَ بالذراع أي قدَّرته(١).

وأما في الاصطلاح: فقد عرّفه العلماء الأصوليون بتعريفات عديدة، منها: «إنه عبارة عن الاستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل»(٢).

وقيل في تعريفه: «مساواة فرع لأصل في علة الحكم»(٣).

القياس مصدر رابع من مصادر الدعوة الإسلامية، وهو حجة قاطعة إذا لم يرد النص والإجماع، وذهب كافة الأئمة من الصحابة والتابعين وجمهور الفقهاء والمتكلمين إلى أن القياس الشرعي أصل من أصول الشرع يستدل به على الأحكام التي لم يرد بها السمع، وقال الإمام أحمد: لا يستغني أحد عن القياس(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (١٨٥/٦) (مادة: قيس)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢٣٤/٢).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢٤١/٢).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي (٥/٤)، تحقيق: محمد محمّد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٤) ينظر: المصدر السابق (١٤/٤).

وأما حجية القياس فقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وطريق العقل(١)، وأذكر هنا بعض الآثار من الأحاديث الدراسة الدالة على حجية القياس الشرعي وكونه مصدرا من مصادر الدعوة الإسلامية، ثم أذكر بعض الآثار الواردة في ذم الرأي والقياس مع بيان المراد بها؛ فأما الآثار الدالة على حجية القياس فمنها: خِطاب عمر بن الخطّاب ﷺ إلى شريح، -كما مرّ في المصدر الأول- وفيه «... فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ. فَاخْتَرْ أَيَّ الْأَمْرَيْنِ شِئْتَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْتَهِدَ برأيكَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَتَقَدَّمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تتأخَّرَ، فَتَأَخَّرْ، وَلَا أَرَى التَّأَخُّرَ إِلَّا خَيْرًا لَكَ»، وكذلك -مرّ معنا في المصدر الأول- أثر ابن عباس ﷺ؛ إذ يقول فيه بعد ذكر الكتاب والسنة وسنة أبي بكر وعمر ﷺ: «... فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ».

وجه الاستدلال من هذين الأثرين: أن الاجتهاد والقول بالرأي عند فقدان النص، يدل على القياس، كما استدل به علماء الأصول فحكى صاحب الكبريت الأحمر عن بعضهم أن القياس والاجتهاد واحد(٢)، لحديث معاذ: "أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي(٣)".

---

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، (٤/١٩-٢٤).

(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي (٤/٩).

(٣) والحديث الكامل هو: قال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ لما بعثه إلى اليمن: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟**»، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟**»، قَالَ: أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ**»، قَالَ: أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي ولاَ آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ :«**الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ**».
أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف حيدر آباد الهند، ط:١٣٤٤هـ، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ...، (١٠/١١٤، برقم: ٢٠٨٣٦).
وحكم عليه الشيخ الألباني: بمنكر، ثم قال في الأخير بعد ذكر علله: هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص، وهذا مما لا خلاف فيه، ولكنه ليس صحيح المعنى عندي فيما يتعلق بتصنيف السنة مع القرآن وإنزاله إياه معه منزلة الاجتهاد منهما. فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص في الكتاب والسنة، فكذلك لا يأخذ بالسنة إلا إذا لم يجد في الكتاب. وهذا التفريق بينهما مما لا يقول به مسلم، بل الواجب النظر في الكتاب والسنة معا =

وكذلك كان الشافعي ﷺ يسمي القياس استدلالا، لأنه فحص ونظر، ويسمي الاستدلال قياسا، لوجود التعليل فيه[1]. وحكى الزركشي: "... والذي عليه جمهور الفقهاء، أن الاجتهاد غير القياس، وهو أعم منه؛ لأن القياس يفتقر إلى الاجتهاد وهو من مقدماته، وليس الاجتهاد يفتقر إلى القياس، ولأن الاجتهاد يكون بالنظر في العمومات وسائر طرق الأدلة، وليس ذلك بقياس"[2].

وأما الآثار -من آثار الدراسة- الدالة على ذم القياس والرأي فهي كالتالي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[3]، قَالَ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ. أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ، وَلَا أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ، وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ وَخِيَارُكُمْ وَفُقَهَاؤُكُمْ يَذْهَبُونَ، ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا، وَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ»[4].

=

وعدم التفريق بينهما، لما علم من أن السنة تبين مجمل القرآن، وتقيد مطلقه، وتخصص عمومه كما هو معلوم. ينظر: (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٢٧٣-٢٨٦)، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ).

(١) المعتمد في أصول الفقه، لمحمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين (٢/١٩٢)، تحقيق : خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ١، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء : ٢..

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (٤/٩).

(٣) هو عبد الله بن مسعود ﷺ كما صرح بذلك أبو عاصم الغمري في فتح المنان (٢/٢١٦).

(٤) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (١/٢٧٩-٢٨٠، برقم: ١٩٤).

قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦٠): فيه صالح بن سهيل: مقبول، أخرجه ابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٢/١٦٥).

شرح غريب الأثر:

«**أَخْصَبَ**»: الخاء والصاد والباء أصلٌ واحد، وهو ضدُّ الجَدْب. مكانٌ مُخْصِبٌ: خَصِيبٌ. وَيُقَال أخصب الْقَوْم أمرعت بِلَادهمْ وَكثر طعامهم وشرابهم. ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/١٨٨)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٢٣٧) ط: دار الدعوة.

وهذا أثرُ عبدِ الله بن مسعود ﷺ إن كان في سنده ضعف ولكن تقوّي معناه أحاديثٌ مرفوعة صحيحة عن النبي ﷺ؛ فروى البخاري عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نَلقَى من الحَجَّاج؛ فقال: «**اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلْقَوا ربكم**» سمعته من نبيكم ﷺ[(١)].

وروى البخاري أيضاً، عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً**»[(٢)]. وروى البخاري عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهمُوهُ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**»[(٣)].

فهذه الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ كلها تقوي معنى أثر ابن مسعود ﷺ، كما أنها تدل على ذم الرأي والقياس، وسيأتي بيان التوفيق بين هذه النصوص وما يضادها، بعد إيراد جميع النصوص الدالة على ذم القياس والرأي، مستعينا بأقوال أهل العلم.

وعَنِ ابْنِ سِيرِينَ[(٤)] قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ»[(٥)].

---

(١) في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، (٩/٤٩، برقم: ٧٠٦٨).

(٢) في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ذَهابِ الصالحين، (٨/٩٢، برقم: ٦٤٣٤)

(٣) في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، (٩/١٠٠، برقم: ٧٣٠٧).

(٤) هو أبو بكر محمد بن سِيرين الأنصاري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، تابعي ثقة حجة، أحد الأعلام، كبير العلم، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي ١١٠هـ، يراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء: (٤/٦٠٦، برقم: ٢٤٦).

(٥) <u>تخريج الأثر</u>:

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (١/٢٨٠، برقم:١٩٥). قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦٠): فيه يحي بن سليم: صدوق سيء الحفظ، أخرجه =

وعَنِ الْحَسَنِ[1] أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2] قَالَ: «قَاسَ إِبْلِيسُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاسَ»[3].

وعَنْ مَسْرُوقٍ[4] أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي أَخَافُ -أَوْ أَخْشَى- أَنْ أَقِيسَ، فَتَزِلَّ قَدَمِي»[5].

=

ابن أبي شيبة (المصنف: ٨٦/١٤، رقم:١٧٦٥٥).

شرح غريب الأثر:

«**الْمَقَايِيسِ**»: جمع مقياس، مأخوذ من القياس وهو التقدير، تقدم معناه قبل قليل في بداية المصدر الرابع: القياس.

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري، مولى زيد بن ثابت، تابعي ثقة فقيه فاضل إمام، يرسل ويدلس، روى له أصحاب الكتب الستة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي ١١٠هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٢٨٩/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٦٣/٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٥/٣).

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (٢٨٠/١، برقم:١٩٦). قال الداراني: إسناده ضعيف من أجل محمد بن كثير ومطر.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦١): فيه مطر بن طهمان الوراق: صدوق كثير الخطأ أخرجه ابن جرير (التفسير: ١٣١/٨) وابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٩٣/٢).

شرح غريب الأثر:

«**قاس إبليس** ...»: قاس إبليس النار على الطين وظن أن النار الذي خُلق به إبليس أفضل من الطين، فقياسه باطل لأنه مخالف للنص.

(٤) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع الوادِعيُّ، الهمداني، الكوفي، الإمام القدوة العَلم، من كبار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي: ٦٢، ويقال: ٦٣هـ بالسلسلة. يراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء: (٦٣/٤، برقم: ١٧).

(٥) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (٢٨١/١، برقم:١٩٧).

=

وعَنِ الشَّعْبِيِّ[1]، قَالَ: «وَاللَّهِ لَئِنْ أَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ، لَتُحَرِّمُنَّ الْحَلَالَ، وَلَتُحِلُّنَّ الْحَرَامَ»[2].

وعَنْ عَامِرٍ بن شراحيل أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا [مِنْ كَلِمَةٍ] أَبْغَض إِلَيَّ "أَرَأَيْتَ، أَرَأَيْتَ" يَسْأَلُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ، وَكَانَ لَا يُقَايِسُ»[3].

=

قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦١): رجاله ثقات، أخرجه ابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٩٤/٢) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٨٣/١) وابن حزم (الأحكام: ٥٤٢/٨).

شرح غريب الأثر:

«**إِنِّي أَخَافُ**»: وذلك أنه سئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقالوا: قس لنا برأيك، قال: أخاف أن تزل رجلي، وفي رواية جابر، عن الشعبي: لا أقيس شيئاً بشيء، قالوا: ولم؟ قال: أخشى أن تزل رجلي. (فتح المنان شرح سنن الدارمي: ٢٢٣/٢).

«**فتزلّ**»: زلّ يزل زلة: أي الخطأ؛ لأن المخطئ زلّ عن نهج الصواب، (مقاييس اللغة:٤/٣).

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الهمداني الكوي، ثم الشعبي، الإمام، علّامة العصر، ثقة مشهور فقيه فاضل، من رواة الكتب الستة، توفي بعد المائة. يراجع ترجمته: (تهذيب الكمال: ٢٨/١٤، برقم: ٣٠٤٢)، و(سير أعلام النبلاء: ٢٩٤/٤، برقم: ١١٣).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (٢٨١/١، برقم:١٩٨). قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦١): سنده حسن، أخرجه البيهقي (المدخل: ١٩٦، ١٩٧، رقم:٢٢٥).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (٢٨١/١، برقم:١٩٩).

قال الداراني: صحيح بسند آخر.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦١): وفيه بشر بن سلم، قال أبو حاتم: منكر الحديث (الجرح والتعديل: ٣٥٨/٢) وذكره ابن حبان (الثقات: ١٤٣/٨) أخرجه البيهقي (المدخل:١٩٧، رقم٢٢٦) وابن بطة (الإبانة: ٥١٧/٢، رقم٦٠٥) وابن عبد البر (جامع =

وعَنِ الزِّبْرِقَانِ(١)، قَالَ: «نَهَانِي أَبُو وَائِلٍ(٢) أَنْ أُجَالِسَ أَصْحَابَ أَرَأَيْتَ»(٣).

=

بيان فضل العلم:٢/١٨٠) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١/١٨٤).

شرح غريب الأثر:

«**من كلمة**»: سقطت لفظة "من كلمة" من جميع النسخ. كما في (فتح المنان: ٢/٢٢٦).

«**أَرَأَيْتَ**»: يعني يستفسر عن الرأي ويترك الفتوى ويعارضه بالرأي كما في حديث ابن عمر ﵄ سأله رجل عن استلام الحجر، فقال: رأيتُ رسول الله ﷺ يَسْتلِمُه ويُقَبِّلُه، قال: أرأيتَ إن زُحِمتُ؟ أرأيتَ إن غُلبْتُ؟ قال: اجعل أرأيت باليَمَنِ، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر (٢/١٥١، ١٦١١).

«**وَكَانَ لَا يُقَايِسُ**»: يعني الشعبي لا يقايس شيئاً بشيء كما تقدم.

(١) هو أبو بكر الزِّبْرِقَانُ بْنُ عبد الله، الأسَدِي الكوفِي السَّرَّاج، وثقه أحمد وابن معين، توفي ما بين ١٤١-١٥٠هـ. يراجع ترجمته: (تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٨٦٣، برقم: ١٤٠)، و(الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا (٤/٢٩٤، برقم: ٣٩٤٣)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد آل نعمان، ط: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاء، اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

(٢) هو أَبُو وائل شقيق بْن سلمة الأسدي الكوفي مشهور باسمه وكنيته، ثقة من كبار التابعين، بل هو مخضرم، أدرك النبي ﷺ وما رآه، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز. يراجع ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/٧١٠). وتاريخ الكبير للبخاري (٢/٢٤٥)، ط: دائرة المعارف حدرآباد، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تغيُّرِ الزَّمانِ وما يَحدُثُ فيه (١/٢٨٢، برقم:٢٠٠). قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٦١): رجاله ثقات، أخرجه البيهقي (المدخل: ١٩٨، رقم: ٢٢٩)، وابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٢/١٧٩)، وابن بطة (الإبانة: ٢/٤٥١، رقم: ٤٢٩).

شرح غريب الأثر:

=

وعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ لَنَزَلَتْ عَامَّةُ الْقُرْآنِ يَسْأَلُونَكَ يَسْأَلُونَكَ»(١).

وعَنْ مَيْمُونٍ أَبِي حَمْزَةَ(٢) قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ(٣): يَا أَبَا حَمْزَةَ، «وَاللَّهِ لَقَدْ تَكَلَّمْتُ، وَلَوْ وَجَدْتُ بُدًّا مَا تَكَلَّمْتُ، وَإِنَّ زَمَانًا أَكُونُ فِيهِ فَقِيهَ أَهْلِ الْكُوفَةِ زَمَانُ سُوءٍ»(٤).

=

«**أَصْحَابَ أَرَأَيْتَ**»: يعني أهل الرأي، الذين يعارضون السنة بالرأي والذين يكثرون من السؤال عن النوازل وعما لم يكن. (فتح المنان للغمري: ٢/٢٢٨).

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (١/٢٨٢، برقم:٢٠١). قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٦٢): رجاله ثقات، أخرجه أبو الفضل الهروي (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ٢/٢٠٣).

شرح غريب الأثر:

«**لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ**»: الظاهر من سياق الأثر أنهم أهل الرأي وأصحاب أرأيت الذين يكثرون من السؤال عما لم يكن.

(٢) هو أبو حمزة ميمون الأعور القصاب الكوفي الراعي، قال الإمام أحمد وغيره: أبو حمزة ميمون صاحب إبراهيم ضعيف الحديث. ينظر ترجمته: (تهذيب الكمال للمزي: ٢٩/٢٣٨).

(٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، ثقة فقيه إلا أنه يرسل كثيرا، روى له أصحاب الكتب الستة، من صغار التابعين، ولد ١٤٦هـ تقريباً، وتوفي ١٩٦هـ. يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢٧٩). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٢٠).

(٤) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (١/٢٨٢، برقم:٢٠٢). قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف ميمون بن أبي حمزة القصاب.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٦٢): فيه ميمون أبو حمزة: ضعيف، ولم أقف عليه عند غير المصنف.

شرح غريب الأثر:

=

وعن عُمَرُ رضي الله عنه قال: «إِيَّايَ وَالْمُكَايَلَةَ يَعْنِي: فِي الْكَلَامِ»[1].

وعن أبي بكر الهذلي[2]، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ شُرَيْحًا وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ[3]، مَا دِيَةُ الْأَصَابِعِ؟ قَالَ: «عَشْرٌ عَشْرٌ». قَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، أَسَوَاءٌ هَاتَانِ؟ جَمَعَ بَيْنَ الْخِنْصِرِ وَالْإِبْهَامِ. فَقَالَ شُرَيْحٌ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، أَسَوَاءٌ أُذُنُكَ وَيَدُكَ؟ فَإِنَّ الْأُذُنَ يُوَارِيهَا الشَّعْرُ وَالْكُمَّةُ وَالْعِمَامَةُ فِيهَا نِصْفُ الدِّيَةِ، وَفِي الْيَدِ نِصْفُ الدِّيَةِ. وَيْحَكَ: إِنَّ السُّنَّةَ سَبَقَتْ قِيَاسَكُمْ فَاتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ، فَإِنَّكَ لَنْ تَضِلَّ مَا أَخَذْتَ بِالْأَثَرِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَقَالَ لِي الشَّعْبِيُّ: يَا هُذَلِيُّ، لَوْ أَنَّ أَحْنَفَكُمْ قُتِلَ وَهَذَا الصَّبِيُّ فِي مَهْدِهِ،

=

«**بُدًّا**»: وهو التفرق والتباعد ما بين الشيئين، (مقاييس اللغة:١/١٧٦، "بد") يعني لو وجد أحداً يتكلم فلم يتكلم هو بل يكون بعيدا عن الكلام، قاله –رحمه الله– من باب التواضع.

«**زمان سوء**»: نسب إلى نفسه "زمان سوء" من باب التواضع، وإلا أنه كان فقيه العصر.

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وما يَحْدُثُ فيه، (١/٢٨٢، برقم:٢٠٣). قال الداراني: إسناده ضعيف من أجل ليث.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٦٢): رجاله ثقات، وفيه انقطاع بين مجاهد وعمر رضي الله عنه.

شرح غريب الأثر:

«**الْمُكَايَلَةَ**»: وهي المقايَسة بالقَوْل والفعل، والمراد المُكافأَة بالسُّوءِ وتركُ الإغْضاء والاحتمالِ: وأصل ذلك إنما هو مأخوذ من الكيل في الكلام يعني أن تَكيلَ له كما يَكِيل لك وتقول له كما يقول لك؛ ويكون هذا في الفعل أيضا، وقال المحدثون: أَراد بها المقايَسة في الدِّين، وترك العمل بالأَثر. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: (٤/٢١٩)، وغريب الحديث لقاسم بن سلام: (٣/٤٠٩).

(٢) هو أبو بكر الهذلي البصري، اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل: اسمه روح، وهو ابن بنت حميد بْن عَبْد الرحمن الحميري، من الذين عاصروا صغار التابعين، أخباري متروك الحديث توفي ١٦٧هـ. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال: (٣٣/١٥٩، برقم:٧٢٦٨).

(٣) هذا كنية شريح القاضي، تقدمت ترجمته، ينظر: (ص ١١٣).

أَكَانَ دِيَتُهُمَا سَوَاءً؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَأَيْنَ الْقِيَاسُ؟(١).

فهذه الآثار -وإن كان بعض منها ضعيف الإسناد- كلها تدلّ على ذمِّ الرأي والقياس، فالمراد بهذا القياس هو القياس المذموم، المخالف للنصوص الصحيحة، وإلا أن هناك أحاديث صحيحة تدل على جواز القياس ومشروعيته؛ فالقياس إذا كان موافقا للكتاب والسنة فمحمود، وإن كان مخالفاً فمذموم كما حكى ابن بطال قولَ المهلب وغيره: "إذا كان الرأى والقياس على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود، وهو الاجتهاد والاستنباط الذي أباحه الله للعلماء، وأما الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهي عنه، فهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأن ذلك ظن ونزع من الشيطان، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾(٢)"(٣).

وقال الزركشي: "قال المزني في كتاب إثبات القياس: تعلق المانعون بآثار وردت في

---

(١) **تخريج الأثر**:
سنن الدارمي، المقدمة، باب تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، (١/٢٨٣، برقم:٢٠٤).
قال الداراني: في إسناده أبو بكر الهذلي وهو متروك.
وقال الزهراني في القطوف (ص: ٦٢): فيه حجاج بن نصير: ضعيف، وشيخه أبو بكر الهذلي: أخباري متروك الحديث، ذكره الحافظ (الفتح: ١٢/٢٣٦) عبد الرزاق (المصنف: ٩/٣٨٥).
شرح غريب الأثر:
«**الْكُمَّةُ**»: القلنسوة، ينظر: (الصحاح:٢/٤١١، واللسان: ١٢/٥٢٦).
«**لَوْ أَنَّ أَحْنَفَكُمْ**»: مراده: الأحنف بن قيس السعدي، قاله الزهراني في (القطوف ص:٦٢).
وقال أبو عاصم الغمري: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي لما اشتهر عنه من إدخاله الرأي والقياس على الآثار واعتبارهما. (فتح المنان: ٢/٢٣٤).
(٢) الإسراء: ٣٦.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم (١٠/٣٥١)، ط: مكتبة الرشد، الرياض السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

ذم الرأي والقياس، وإنما هي عندما رأى أهل البدع الذين ابتدعوا في الدين رأيا وسموا فروعه قياسا، وأغفلوا كشف القول في الرأي الموافق للكتاب والسنة والتمثيل عليهما، غير أنه كان لطيفا دقيقا يحتاج إلى حدة العقول ومعرفة معاني الأصول، كتقرير رسول الله ﷺ معاذا على الاجتهاد على أصل الكتاب والسنة، وقول الصديق رضي الله عنه في قضية الطاعون: أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا. وعلى المذموم يحمل قوله ﷺ: «**اتخذ الناس رءوسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(١) والجمع بين الأدلة أولى من تعطيل بعضها"(٢).

إلى هنا انتهت المصادر الأصلية، المتفق عليها؛ للدعوة الإسلامية، وهناك مصادر أخرى ولكنها مصادر فرعية وليست متفق عليها، وسيأتي بيانها في السطور التالية.

المصدر الخامس: قول الصحابي:

المراد بقول الصحابي: ما نقل إلينا عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ من فتوى، أو قضاء، أو عمل، أو رأي، أو مذهب في حادثة شرعية لم يرد حكمها في نص من الكتاب أو السنة، ولم يحصل عليها إجماع(٣).

وقد استفدت هذا المصدر من بعض الآثار عن الصحابة والتابعين فروى الإمام الدارمي عَنِ الشَّعْبِيِّ، قالَ: «جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ أَخْبِرْنِي أَنْتَ بِرَأْيِكَ. فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ أَخْبَرْتُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيَسْأَلُنِي عَنْ رَأْيِي، وَدِينِي عِنْدِي آثَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَاللَّهِ لَأَنْ أَتَغَنَّى أُغْنِيَّة أَحَبُّ إِلَيَّ

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (برقم:١٠٠)، ومسلم، (برقم: ٢٦٧٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢٣/٤).

(٣) ينظر: أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي، د. مصطفى ديب البغا، دار الإمام البخاري. (ص: ٣٣٩). و الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة (ص٣٨٠)، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

مِنْ أَنْ أُخْبِرَكَ بِرَأْيِي»[1].

وجه الاستدلال من هذا الأثر هو أن الشعبي -رحمه الله- إذا لم يجد نصاً في الكتاب والسنة كان يفتي ويجيب في ضوء أقوال الصحابة ولم يجب برأيه، وإذا عارض أحد ويستفسر عن رأيه فيتعجّب عليه، ويبيّن أهمية وترجيح أقوال الصحابة على آراء الآخرين، وكان الشعبي لا يقيس شيئاً بشيء بل يستدل بالكتاب والسنة ثم بآثار الصحابة، ويذم القول بالرأي، حتى قال: «وَاللَّهِ لَأَنْ أَتَغَنَّى أُغْنِيَّة أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (١/٢٣٥، برقم: ١٠٩). قال الداراني: إسناده ضعيف.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص:٣٦): فيه عيسى الحناط، قال الذهبي: ضعفوه (الكاشف: ٢/٣٧٠)، أخرجه الخطيب (الفقيه والمتفقه ١/١٨٣)، وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ٢/٩٤)، وعلقه ابن قتيبة (غريب الحديث: ٢/٢٩٤)، وأبو نعيم (الحلية: ٤/٣١٩)، وابن سعد (الطبقات: ٦/٢٤٦).

شرح غريب الأثر:

«**أُغْنِيَّة**»: من الغناء: التطريب والترنم بالْكَلَام الْمَوْزُون وَغَيره يكون مصحوبا بالموسيقى وَغير مصحوب، (المعجم الوسيط: ٢/٦٦٥).

قال أبو عاصم الغمري: وقع في النسخ الخطية، والمطبوعة "لئن أتغنّى أغنية" بالغين المعجمة، لكن جاء في هامش نسخة "ل" ما نصه: الصواب: لئن أتعنى بعنية بالعين المهملة. اهـ. وهكذا رواه الخطيب وابن قتيبة: وفسّر العَنِيَّة بأنها أخلاطٌ تَنْقَعُ في أبوال الإبِل، وتُترك حِيناً حتّى تُطْلَى بها الإبلُ من الجَرَب، يقال للرجل إذا كان جيّد الرأي: عنية تشفي الجرب، وإنما سميت عنية لطول الحبس، وكل شيء حبسته طويلاً فقد عنيته. اهـ. ينظر: (غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢/٦٥١)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧. و(الفقيه و المتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١/٤٥٩)، تحقيق: أبو عبد الرحمن الغرازي، ط: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ).

أُخْبِرَكَ بِرَأْيِي» وهذا لا يعني أنه -رحمه الله- يحبّ الأغنية، بل ذكره مبالغة في ذم القول بالرأي؛ حيث إن الأغنية عنده أخف ضرراً من القول بالرأي، وهذا حسب ما وقع في نسخة الداراني (لفظة الأغنية)، وأما بلفظة أخرى (لإن أَتَعَنَّى بِعَنِيَّةٍ) فمعناه أن العنيّة عنده أخفّ من القول بالرأي، -والله تعالى أعلم-، ومرّ معنى العنية في الهوامش ضمن شرح غريب الأثر.

الحاصل أن التابعين -رحمهم الله- كانوا يرجّحون آثار الصحابة وأقوالهم على آرائهم، ويستدلون بها عند فقدان النص من الكتاب والسنة، ولا يحبّون الفتوى بآرائهم مخافة أن يقعوا في الخطأ، بل كانوا يدعون إلى الله بكتابه وبسنة نبيه ﷺ مستعيناً بأقوال الصحابة وآثارهم وفهمهم رضي الله عنهم، وهكذا صار "قول الصحابي" مصدر من مصادر الدعوة الإسلامية.

المصدر السادس: شرع من قبلنا:

المراد بشرع من قبلنا: هو ما نقل إلينا بطريق صحيح من أحكام تلك الشرائع التي كانت الأمم السابقة قد كلفت بها على أنها شرع لله تعالى[(١)].

اتفق العلماء على كونه حجة إذا كان موافقا لشرعنا وذلك بدليل شرعنا، كما اتفقوا على عدم حجيته إذا كان مخالفا لشرعنا أو ورد في شرعنا نسخها، ثم اختلفوا في الشرائع التي نقل إلينا بطريق صحيح ولكن لم يرد في شرعنا نسخها ولا حجيتها كقصاص السن؛ فهل هي حجة أم لا؟ والراجح في هذا عند الجمهور أنها حجة لعموم الأدلة التي تأمر باتباع جميع الأنبياء كقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[(٢)]. ويستدل أيضاً على كونه حجة بأن الله تبارك وتعالى أوردها في القرآن الكريم لكي نعمل بها وإلا فما الفائدة بها[(٣)]؟

---

(١) الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، لعبد الكريم النملة، (٣٧٨/١)، (بتصرف يسير).

(٢) الأنعام: ٩٠

(٣) ينظر تفاصيل ذلك في كتب أصول الفقه، كـ روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي: (٤٥٧/١-٤٦٥).

يستفاد هذا المصدر من بعض أحاديث الدراسة الآتية:

عن كَعْب: «نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، وَيَحْمَدُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، يَتَأَزَّرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَتَوَضَّئُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ»(1).

---

(1) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (١/١٥٦، برقم: ٥).

قال الداراني: مرسل وإسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ١٣): رجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد (الطبقات: ١/٢٠٦) والحاكم (المستدرك: ٢/٦٧٨)، وأبو نعيم (الحلية: ٥/٣٨٧)، والبغوي (شرح السنة، رقم:٣٦٤٨) وعند البخاري، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه نحوه، حديث (٢١٢٥).

شرح غريب الأثر:

«**نَجْد**»: ما ارتفع من الأرض، (الصحاح: ٢/٤٤١) وفي الحديث رقم (٧) فسره بقوله: (يكبرون على كل شرف).

«**وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ**» وفي لفظ: "وَلَا يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ" كما سيأتي بعده بأثرين.

«**يَتَأَزَّرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ**»: وفي رواية التي بعده: "وَيَأْتَزِرُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ"، أي يشدُّون الأُزُرَ على أنصافهم؛ أي: من السُّرَّةِ إلى تحت الركبة. ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن ، المشهورُ بالمظْهِري (٦/١١٤)، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

«**مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ**»: (المنادي): المؤذِّن، (الجَوُّ) ما بين السماء والأرض؛ يعني: يؤذِّنُ مؤذِّنُوهم في جوِّ السماء؛ أي: في مواضعَ عاليةٍ مثل المنارة وغيرها. المرجع السابق.

«**لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ**»: يعني: لهم في الليل أصواتٌ خَفِيَّةٌ في التسبيح والتهليل وقراءة القرآن كدويِّ النحل، وهو هنيمته. المرجع السابق.

=

وعَنْ كَعْبٍ أيضاً: فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَبْدِي الْمُخْتَارُ، لَا فَظًّا، وَلَا غَلِيظًا وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، مَوْلِدُهُ، بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ» وَفِي السَّطْرِ الثَّانِي: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، رُعَاةُ الشَّمْسِ يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ، إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا، وَلَوْ كَانُوا عَلَى رَأْسِ كُنَاسَةٍ، وَيَأْتَزِرُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَيُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَأَصْوَاتُهُمْ بِاللَّيْلِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ كَأَصْوَاتِ النَّحْلِ»(١).

=

«**وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ**» يريد بالملك ها هنا النُّبُوَّةَ والدِّين؛ يعني: يَعُمُّ دينهُ جميعَ البلدان، لكن الشام يغلبُ على سائر البلادِ في اتِّباع أهلِها له، والأمْنِ من غَلَبة الكفار عليها، كما قال ﷺ: "عليكم بالشام". وأيضًا: مُلْكُه ظهرَ بالجهاد مع الكفار، ومِنْ فَتْحِ الشام إلى اليوم لا ينقَطِعُ الجهادُ بها، ولهذا أَمَرَ بالمسافرة إليه، ليغزوا، وليرابطوا، وأيضًا فهناك المسجدُ الأقصى وقبورُ أكثرِ الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. المرجع السابق (١١٣/٦).

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (١٥٨/١، برقم: ٧).

قال الداراني: إسناده فيه زيد بن عوف وهو متروك.

وقال الزهراني في القطوف (ص: ١٥): فيه زيد بن عوف البصري، قال أبو حاتم : متروك (الجرح والتعديل: ٥٧٠/٣) وأخرجه الحاكم (المستدرك: ٤٣٣/٢) وقد صح الحديث من طرق، انظر (رقم٤، ٥) وما هو الحق من صفات النبي وأمته.

شرح غريب الأثر:

«**السَّطْرِ الْأَوَّلِ**»: يعني التوراة. كما بينته الرواية الأخرى التي بعدها.

«**السَّطْرِ الثَّانِي**»: يعني الإنجيل. كما بينته الرواية الأخرى التي بعدها.

«**وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**»: شرف أي: المكان العالي المرتفع. وفي رواية الذي بعده: «وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ» وتقدم معناه في الصفحة السابقة.

«**رُعَاةُ الشَّمْسِ**»: المراد بـ "رعاةِ الشمس" الذين يحْفَظُون أوقاتَ الصلوات بطلوع الشمس

=

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: «نَجِدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُولَدُ بِمَكَّةَ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ سَرَّاءَ، وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ، يُصَفُّونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَمَا يُصَفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْتَمِعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ»[1].

وجه الاستدلال بهذه الآثار: قد جاءت في هذه الآثار بعض صفات النبي ﷺ حسب ما وردت في الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل، فهذه الشرائع السابقة كما تبشّر بعثة النبي ﷺ كذلك تبيّن صفاته الحسنة وتنفي عنه الصفات المذمومة؛ فهذا يدل على استحباب اتخاذ الصفات الحسنة، وكراهية الصفات المذمومة، كما استدل به الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- على كراهية السخب في الأسواق وعقد له باباً باسم:

=

وغروبها ودُلُوكها، وَيَنْظُرُون في سيرها؛ ليعرِفُوا مواقيتَها. ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن (٦/١١٤).

«**كُنَاسَةٍ**»: مجمع الزبالة، ملقى القمام، والمعنى: أنهم يصلون الصلاة لوقتها على أي حال كانوا لا يمنعهم عنها مانع، ولا يدفعهم عنها دافع تعظيمًا لحقها، وتقديرًا لحرمتها مطيعين أمر ربهم الذي كلفهم بها، وعلمهم كيفية أدائها عند الالتحام من عظم أمرها، فلم يعذرهم بتركها وهم في ذلك الحال، فعلموا أن عدم تركها ولو كانوا على رأس كناسة من باب أولى. ينظر: فتح المنان شرح وتخريج سنن الدارمي للغمري (١/٢٣١).

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (١/١٥٨، برقم: ٨).

وقال الزهراني في القطوف (ص: ١٥): سنده حسن، وينظر: رقم (٤، ٥، ٦).

شرح غريب الأثر:

«**يَأْتَزِرُونَ**»: من الإزار، أي يتخذون الإزار ويشدونها في وسطهم. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٣٥٣) المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

باب كراهية السخب في السوق، ثم أورد تحته حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ نحو هذه الآثار[1].

فهذا يدلّ على أن "شرع من قبلنا شرع لنا" ومصدراً من مصادر الدعوة الإسلامية، وهو حجة كما سبق، وأما الذين ذهبوا إلى عدم حجيته فيمكن أن يستدلوا هؤلاء -من آثار الدراسة- بأثر عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، إذ قال: «مَا زَالَ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ أَبْنَاءُ النِّسَاءِ الَّتِي سَبَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَقَالُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ فَأَضَلُّوهُمْ»[2].

وجه الاستدلال على "أن شرع من قبلنا ليست شرعٌ لنا": حيث إن بني إسرائيل وأمثالهم من الأمم السابقة قد ضلوا، وغيّروا كتبهم فكيف يكون شرعا لنا؟ وكيف يحتج بهم؟ ولكن يمكن التوفيق بينهما من حيث إن الشرائع السابقة التي جاءت عن طريق صحيح من الكتاب والسنة الصحيحة، ولم يرد في شرعنا نسخها؛ فهي شرع لنا ويحتج بها، وأما الشرائع التي جاءت عن طريقهم -كالتوراة والإنجيل- فليست شرعاً لنا، ولن يحتج بها؛ إلا إذا وافقت شرعنا، فالحجة هو شرعنا وليست

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، (٦٦/٣، برقم: ٢١٢٥)، وينظر: آراء الإمام البخاري الأصولية من خلال تراجم صحيحه، لفضيلة الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، (ص: ١٥). بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المحرم، ١٤٢٠هـ العدد: ٢٥.

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٤١/١، برقم: ١٢٢). قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في (القطوف الدانية، ص: ٣٩-٤٠): فيه محمد بن عيينة المصيصي، مقبول ويحمل أمره في مثل على الصدق، أخرجه ابن حزم (الإحكام:٢٢٩/٦) والحافظ يعقوب بن سفيان (المعرفة: ٣٩٣/٣) والبيهقي (المدخل: ١٩٥، رقم: ٢٢) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٦٦/٢، ١٦٧، ١٦٨) والخطيب (تاريخ بغداد: ٤١٣/١٣، ٤١٤) والدار قطني (السنن: ١٤٦/٤) والبزار (٤٠٢/٦) وابن أبي شيبة (المصنف: ٥٠٦/٧).

شرائعهم؛ لأنهم غيّروا كتبهم وبدّلوها وأدخلوا فيها آرائهم فضلّوا وأضلوا؛ إذاً فلا يحتج بكتبهم. والله تعالى أعلم.

فالحاصل أن "شرع من قبلنا شرع لنا" وهو مصدر من مصادر الدعوة الإسلامية ويستمد به الدعاةُ موضوعات الدعوة كأهمية التوحيد وخطورة الشرك كما يستفيدون به أساليب الدعوة ووسائلها، كأسلوب القصّة وضرب الأمثال والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وغير ذلك كثير من الأساليب المتنوعة في قصص الأنبياء -عليهم السلام- الواردة في القرآن الكريم، وفي السنة الصحيحة، ولله الحمد والمنة.

واكتفي بهذه المصادر للدعوة الإسلامية إذ استدللت عليه من أحاديث الدراسة وإلا أن هناك مصادر أخرى لم أجد لها دليلاً من أحاديث الدراسة، وهي الاستصحاب، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، وسد الذرائع(١). والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

---

(١) ينظر لاستزاد مصادر الدعوة: الأسس العلمية لنهج الدعوة الإسلامية للدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي (١/١٩٧-٢٢٠).

المبحث السادس:

قواعد منهج الدعوة المستنبطة من خلال أحاديث الدراسة.

توطـــئة:

إن الدعوة الإسلامية منضبطة بقواعد هامة يلتزم بها الدعاة إلى الله تعالى لكي يَصِلوا إلى نتائج مثمرة، وتكون الدعوة إلى الله على منهج قويم مستقيم، بعيداً عن الانحرافات الفكرية والخرافات البدعية، ولذلك يورد بعض القواعد المهمة من خلال أحاديث الدراسة -بعد إيراد معانيها- على النحو التالي :

القواعد في اللغة : جمع قاعدة وهي الأساس(1)، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾(2). وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾(3). ولها معان عديدة في اللغة ولكن اكتفيت على هذا المعنى لأنه أقرب للمراد في هذا المكان، ومتصل بالمعنى الاصطلاحي.

القاعدة في الاصطلاح الفقهي : عرفها علماء الأصول بتعريفات عديدة، وسأذكر أهمها: وهي "حكمٌ كُلّيٌّ ينطبق على جزئياته ليتعرَّفَ أحكامَها منه" كقولهم: كل حكم دل عليه القياس فهو ثابت، والأمر للوجوب، والنهي للتحريم. وكذلك قول النحاة: الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمضاف إليه مجرور(4).

المراد بقواعد الدعوة: اختلف العلماء والباحثون في مرادهم بها، فأراد بعضهم

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣٦١/٣) مادة: (قعد).

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) النحل: ٢٦.

(٤) ينظر: شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بها أركان الدعوة (المحتويات، والداعية، والمدعو، والوسائل والأساليب)[1]، وأراد بها الآخرون مثل القواعد الفقهية والنحوية والفنون الأخرى؛ فقالوا في تعريف القاعدة: هي "أمر كلي يندرج تحته جزئيات، توضّح أحكام الدعوة ومسائلها المنهجية"[2]. وبناء على المعنى الثاني أذكر بعض القواعد مستنبطة من أحاديث الدراسة على النحو التالي[3]:

القاعدة الأولى: بدء الدعوة بالأهم فالأهم.

إن من أهم قواعد الدعوة الإسلامية "بدء الدعوة بالأهم فالمهم"، ويجب على الدعاة أن يراعوا هذه القاعدة ولا ينسوها، والمقصود من هذه القاعدة: هو أن البدء في عملية الدعوة إلى الله يكون بالأمور التي لها أهمية أكثر من غيرها؛ لأن الأمور المهمة تستحق الأولوية على غيرها، ولا شك أن أكثر الأهمية في الدعوة إلى الله للعقيدة والتوحيد، لأن العقيدة هي الأساس، ولا يُقبل أيّ عمل من الأعمال عند الله تبارك وتعالى إذا حصل فساد في العقيدة والتوحيد، ولذا يجب على الداعية أن يبدأ دعوته بتعليم العقيدة والتوحيد، والأصل في هذا الباب هو حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه كما سيأتي بيانه.

وتستفاد هذه القاعدة من حديث عبد الله ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ

---

(١) ينظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، (ص: ٦-١٤) مطابع ابن تيمية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، أ. د. عبد الرحيم المغذوي (١/٢٩٠).

(٣) ملاحظة: وقد استفدت في إعداد هذه القواعد -بعد استنباطها من أحاديث الدراسة- من كتب عديدة، ومن أهمها كالآتي:

أ- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للمغذوي (١/٢٨٧-٣٣٣).

ب- أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، لفواز السحيمي (ص:٣٧-١١٥).

ج- تذكير أسود الصحوة بجمل من قواعد الدعوة، لوليد السعيدان.

د- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، لربيع بن هادي المدخلي.

هـ- قواعد منهجية في الدعوة إلى الله، أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير.

ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**» قَالَ: إِلَى أَهْلِي قَالَ: «**هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟**» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**هَذِهِ السَّلَمَةُ**» فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ(1).

الحديث صريح في هذا حيث إن الأعرابي لما جاء إلى النبي ﷺ دعاه أوّلاً إلى العقيدة والتوحيد، وطلب منه شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله، ولم يدعوه إلى الأعمال الصالحة الأخرى من الأخلاق الفاضلة، والعبادات، والمعاملات، بل دعاه إلى الإيمان بالله ورسوله؛ لأن هذا أهم من الأعمال الأخرى، ولن يُقبل أيّ عمل بدون هذا، ولهذا بدأ بالأهم فالمهم، وقد جاءت هذه المسألة صريحة في حديث معاذ رضي الله عنه حينما بعثه النبي ﷺ فقال له: «**إنكَ ستأتي قوماً أهلَ كتابٍ، فإذا جئتَهم فادْعُهمْ إلى أنْ يشهَدوا أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله،** (وفي روايةٍ: **فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله** ٢/ ١٢٥، وفي أخرى: **توحيدُ الله تعالى** ٨/ ١٦٤)، **فإنْ همْ أطاعوا لكَ بذلكَ** (وفي روايةٍ: **فإذا عرفوا الله**)، **فأَخْبرْهم أنَّ الله قد فرَضَ عليهمْ خمسَ صَلَواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هُمْ أطاعوا لك بذلك** (وفي روايةٍ: **لذلك** ٢/ ١٠٨، وفي أخرى: **فإذا فعلوا الصلاةَ**)، **فأخبِرْهم أَن الله قد فرَضَ عليهم صدقةً** (وفي روايةٍ: **زكاةَ أموالهم**)، **تُؤخذُ من أَغنيائِهم فتُرَدُّ على فقرائِهِمْ، فإنْ هم أطاعوا لكَ بذلكَ** (وفي روايةٍ: **فإذا أطاعوا بها**) **فإياكَ وكرائمَ أموالِهم، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنه ليسَ بينَه** (وفي روايةٍ: **بينها** ٣/ ٩٩) **وبينَ الله حِجابٌ**»(2).

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه (ص ٦٧).

(٢) مُخْتَصَر صحيح الإِمَامِ البُخَارِي، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، كتاب الزكاة، باب أَخْذِ الصدقةِ من الأغنياء وترَدُّ في الفقراء حيثُ كانوا (١/٤٤٣، برقم: ٧١٦)، مكتَبة المِعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: ".. بدأ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة"[(١)].

وإذا نظرنا بشيء من الإمعان في دعوة الأنبياء -عليهم السلام- ومنهجهم في الدعوة إلى الله، نجد أنهم بدءوا دعوتهم بالتوحيد؛ لأنه أهمّ من الأمور الأخرى، ولم نجد أنهم بدءوا دعوتهم بالصلاة والزكاة والتحكيم والسياسة وما إلى ذلك ...؛ لأن أهمية التوحيد أكثر من ذلك كلها، والنصوص في هذا الباب كثيرة أكثر من أن تحصى، وقال الشيخ صالح الفوزان: "وإنَّ أيَّة دعوة لا تقوم على هذه الأسس ولا يكون منهجُها قائماً على منهج الرسل فإنَّها ستبوء بالخيبة وتضمحل، وتكون تعباً بلا فائدة، وخير دليل على ذلك: تلك الجماعات المعاصرة التي اختطّت لنفسها منهجاً للدعوة يختلف عن منهج الرسل؛ فقد أغفلت هذه الجماعات -إلاّ ما قلَّ منها- جانب العقيدة، وصارت تدعوا إلى إصلاح أمور جانبيَّة؛ فجماعة تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة وتطالب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين النَّاس -وهذا جانب مهم لكنَّه ليس الأهم-؛ إذ كيف يطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على المشرك، كيف يُطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير، قبل أن يُطالب بتطبيق حكم الله على عبّاد الأوثان والقبور، وعلى الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطِّلونها عن مدلولاتها ويحرفون كلماتها؟"[(٢)].

فالحاصل أن الأولَويّة في بدء الدعوة تكون بالأهم فالأهم، ولا يعني ذلك إهمال الأعمال الأخرى.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٣/٣٥٩)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) مقدمة للشيخ صالح الفوزان على كتاب: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، لربيع بن هادي المدخلي (ص:٩)، مكتبة الفرقان- عجمان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

القاعدة الثانية: الإسلام يجُبُّ ماقبله.

إن هذه القاعدة قاعدة مهمة بالنسبة للمدعوين؛ إذ تحثّهم على قبول الدعوة الإسلامية؛ لأن الإسلام يجبّ ويمحو ما فعلوه من المعاصي والذنوب قبل قبول الدعوة الإسلامية، وإذا دخلوا في الإسلام يستأنفوا عملهم ويبدؤوا حياتهم من جديد، ولا عبرة للأعمال السابقة.

وتستفاد هذه القاعدة من حديث الوضين وقد جاء في آخره: أن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ»**(١) هذا الحديث وإن كان معضلا لكن يؤيده حديث عمرو بن العاص عند الإمام أحمد، لما ألقى الله -عز وجل- في قلبه الإسلام، قال: أتيت النبي ﷺ ليبايعني، فبسط يده إليَّ، فقلت: لا أبايعك يا رسول الله، حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا عمرو أمَا علِمتَ أن الهجرة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب، يا عمرو أمَا علِمتَ أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله من الذنوب»**(٢).

فهذا هو الإسلام -الذي هو موضوع الدعوة الإسلامية- يَجُبُّ ما كان من الذنوب والمعاصي قبل الدخول فيها، فهذا الشعور يحرّض المدعوين على قبول هذه الدعوة، والاستسلام لها، كما يستفيد الداعية بهذه القاعدة في عمل دعوته كأسلوب الترغيب والترهيب.

القاعدة الثالثة: لَا يُجْزَى السَّيِّئَةُ بالسَّيِّئَةِ.

المقصود من هذه القاعدة: أن الداعية الحصيف لا يدفع السيئة بالسيئة، بل يدفع السيئة بالحسنة، ويتخذ هذا الأسلوب في منهج دعوته مستعينا بالصبر واللين، ويحسن على المدعو قدر المستطاع حتى يكون قريبا إليه، وصديقا له، وتكون الدعوة الإسلامية محبوباً له، ويرضى ويقنع بالدعوة الإسلامية، هكذا كان دعوة النبي ﷺ، لا يجزي السيئة

---

(١) تقدم كامل الحديث مع تخريجه، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص: ٦٣).

(٢) المسند، (٢٩/٣٦٠ برقم: ١٧٨٢٧) قال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

بالسيئة، ولا يدفع بها، بل يدفع بالتي هي أحسن، وفي سيرته ﷺ مواقف كثيرة من هذا الأسلوب الرائع، كموقفه ﷺ حينما فعل معه أهلُ الطائف ما فعلوا، وجاء إليه ملك الجبال وقال: إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين؟ فقال ﷺ: «**بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ مِن أصْلابِهِم مَن يعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشْرِكُ بهِ شيئاً**»[1]، وكذلك موقفه ﷺ مع الرجل الذي حمل السيف عليه وكاد أن يقتله والنبي ﷺ نائم في ظل الشجرة، ولكنه ﷺ عفا وصفح عنه، وكذلك موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال حتى دخل في الإسلام. والمواقف كثيرة جداً في هذا الباب أكثر من أن تحصى، وسيرته ﷺ مليئة بمثل هذه المواقف العالية، صلوات الله وسلامه عليه.

وتستفاد هذه القاعدة من حديث كَعْب الأحبار، قَالَ: "**نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ**، ..." الحديث [2].

الشاهد من الحديث هو صفة النبي ﷺ أنه كان لا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، والنبي ﷺ هو قدوة لنا في جميع أمور حياتنا، سواء كانت الأمور دعوية أو عملية، فعلى الداعية الحصيف أن يتبع النبي ﷺ في منهج دعوته، ولا يدفع السيئة بالسيئة تأسّيا بهدي النبي ﷺ، وقد جاء في صحيح البخاري نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «**إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[3]، **قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا**

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين.. (٤/١١٥، رقم: ٣٢٣١). صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (٣/١٤٢٠، رقم ١٧٩٥).

(٢) تقدم الحديث كاملا مع تخريجه وترجمة راويه وشرح غريبه (ص ١٣١).

(٣) الأحزاب: ٤٥.

صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[1].

ففي هذا الحديث جاء ذكر صفة النبي ﷺ بأنه لا يدفع السيئةَ بالسيئة ولا يُجزي بها، وهكذا على الداعية الحصيف أن يكون متبعاً هدي النبي ﷺ ولا يدفع السيئة بالسيئةِ بل يدفع بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[2]، وقال جل شأنه بعد بيان فضل الداعية ووظيفتها: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[3]. ففي الآية الكريمة دلالة بأن يكون الداعيةُ "دافع بالتي هي أحسن" وهي من جملة الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة، ووجه الدلالة على ذلك هو ورود هذه الآية بعد ذكر فضل الدعوة والداعية في الآية السابقة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[4]، ومن جنس "دفع السيئة بالحسنة": مقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والإغضاء عن الهفوات، والاحتمال للمكروهات. وقال مجاهد وعطاء: بالتي هي أحسن: يعني بالسلام إذا لقي من يعاديه، وقيل: بالمصافحة عند التلاقي فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن، والمعنى: أنك إذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق، والبعيد عنك كالقريب منك"[5].

فالحاصل أن هذه القاعدة "لا يجزى السيئة بالسيئة" من أهم قواعد الدعوة إلى الله؛ لأن الداعية يستفيد بها في دعوته، ويترك التأثير على المدعوين باتخاذ هذا الأسلوب الرائع، فهذه القاعدة قاعدة باعتبار، وأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله باعتبار آخر كما قال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، (٣/٦٦) (برقم: ٢١٢٥)، وكتاب تفسير القرآن، باب{إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا}، (٦/١٣٥، برقم: ٤٨٣٨).

(٢) المؤمنون: ٩٦.

(٣) فصلت: ٣٤.

(٤) فصلت: ٣٣.

(٥) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (٤/٥٩١)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]؛ لأن الداعية إلى الله تعالى إذا اتخذ أسلوب "الجدال بالتي هي أحسن"؛ فإنه يدفع بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة، ولا يدفع بالسيئة والرذيلة ونحوها من سوء الأخلاق، بل يدفع بالتي هي أحسن، كما يجادل بالتي هي أحسن، فهكذا يتأثر المدعو بدعوة الداعية ويميل إليه حتى يقبل دعوته.

القاعدة الرابعة: جاءت الدعوة بحفظ المقاصد.

إن الدعوة الإسلامية جاءت بحفظ المقاصد البشرية؛ لأنها دعوة ربانية عالمية شاملة خاتمة كاملة متكاملة تكمل جميع متطلبات البشرية، وحوائجها وضرورياتها الدينية والنفسية والعقلية والنسبية والعرضية والمالية، وتقدم بيان كل الضروريات مع ذكر الأدلة ووجوه الاستدلال بها[2].

الغرض من هذه القاعدة: أنها توفّر للداعية أسلوب الترغيب؛ إذ يُرغّب بها على قبول هذه الدعوة وأهميتها؛ لأنها تكمل جميع المتطلبات الإنسانية، كما أنها توفر للمدعوين الرغبة إلى هذه الدعوة، وهكذا تفيد هذه القاعدة جميع أركان الدعوة؛ الداعية والمدعوين والأساليب والموضوعات، فلله الحمد والمنة.

وتستفاد هذه القاعدة من بعض أحاديث الدراسة؛ منها حديث الوضين: "أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد ..."[3] الحديث.

ففي هذا الحديث دلالة على أن الدعوة الإسلامية جاءت بحفظ المقاصد الدينية والنفسية؛ إذ أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الأوثان ويقتلون الأولاد؛ فجاءت الدعوة الإسلامية، وعلّمتهم الدين الإلهي، وأخرجتهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن،

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) ينظر: المقصد الخامس في المبحث الرابع (مقاصد الدعوة الإسلامية...) من الفصل الأول.

(٣) تقدم كامل الحديث مع التخريج (ص ٦٣).

ومنَعتهم من قتل الأولاد ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾[1]، وهكذا حفظت الدعوة الإسلامية مقاصدهم الدينية والنفسية وضرورياتهم كلها.

القاعدة الخامسة: الهداية بيد الله وما على الداعية إلا البلاغ.

المقصود من هذه القاعدة: أن الهداية بيد الله تبارك وتعالى، هو الذي يهدي من يشاء، وليس على الداعية إلا البلاغ والبيان والتوضيح، وعليه أن يحاول أن يقدّم الدعوة قدر المستطاع بأسلوب مناسب حتى يتأثر المدعو بدعوته، ويتوجه إليه، ويستسلم له؛ لأنه إذا لم يقبل المدعو دعوته فلا ييأس بل يستمر في عمل الدعوة، وله أجر عند الله تبارك وتعالى على عمله وجهده، وأما إدخال الإيمان في قلوب الناس فهذا بيد الله تعالى، وليس في قدرة الدعاة أن يهدوا من يشاؤوا، ولذا قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ ﴾[2].

وتستفاد هذه القاعدة من أثر ابن عباس رضي الله عنهما[3] حينما استدل فضل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء فتلا الآية في شأن الأنبياء ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾[4]، ثم تلا الآية في فضل النبي ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[5]، والشاهد في هذا الأثر هو قوله تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ فهذا يدلّ على أن عمل الأنبياء والرسل هو التبيين والتوضيح والتبليغ، وأما الهداية فهي بيد الله تعالى، ولذا قال بعده مباشرة: ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾، وقد جاءت في هذا المعنى آيات كثيرة، صريحة المعنى، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[6]، وقال تعالى حكاية

(١) التكوير: ٨ – ٩.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) تقدم هذا الأثر كاملا مع التخريج وشرح الغريب (ص: ٦٨).

(٤) إبراهيم: ٤.

(٥) سبأ، جزء من الآية رقم: ٢٨.

(٦) النور، جزء من الآية رقم: ٥٤.

عن الرُسل: ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

الفائدة من هذه القاعدة هي: حصول الصبر والتسلية للدعاة، ورفع الهمم والعزائم، وعدم اليأس؛ لأن الداعية إذا استحضر هذه القاعدة فإنه لا ييأس أبدا عن عدم قبول دعوته بل ترفع هممه وعزائمه لنشر الإسلام وتبليغه، ويستمر في وظيفته الدعوية.

القاعدة السادسة: الدعوة مبنية على العلم والبصيرة:

إن هذه القاعدة من أهم القواعد الدعوية؛ لأن العلم له أهمية بالغة في حياة الإنسان عامة وفي حياة الداعية خاصة، ولا يمكن نجاح لعمل الدعوة إلّا به، وهو أوّل ما أُمِر به النبيُّ ﷺ، ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾[2]، وهو الذي دعا به النبي ﷺ وأتباعه، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[3]، ولذا يجب على الداعية أن يتعلم العلم قبل بدء الدعوة، وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على أهميته وضرورته، وقد بوّب الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه باباً باسم: "باب العلم قبل القول والعمل"؛ فهذا يدل صراحة على أن السلف رحمهم الله كانوا يهتمون بالعلم قبل بدء الدعوة، وكانوا يتورّعون عن أن يقولوا شيئاً بالرأي.

وذكر الإمام الدارمي رحمه الله آثارا عديدا في هذا الشأن عن علماء السلف الصالح، منها: أثر محمد بن سيرين[4]، وهو إمام زمانه، واعظ، وداعية، «أَنَّهُ كَانَ لَا يَقُولُ بِرَأْيِهِ إِلَّا شَيْئًا سَمِعَهُ»[5]. وكذلك روى ابن عبد البر عن ابن سيرين أنه إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ،

---

(١) يس: ١٧.

(٢) العلق: ١.

(٣) يوسف: ١٠٨.

(٤) تقدمت ترجمته (ص ١٢١).

(٥) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (١/٢٣٤، برقم: ١٠٥)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٣٥): رجاله ثقات. أشعث هو ابن عبد الملك صاحب =

قَالَ: «لَيْسَ عِنْدِي فِيهِ إِلَّا رَأْيٌ أَتَّهِمُهُ» فَيُقَالُ لَهُ: قُلْ فِيهِ عَلَى ذَلِكَ بِرَأْيِكَ فَيَقُولُ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ رَأْيِي يَثْبُتُ لَقُلْتُ فِيهِ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَرَى الْيَوْمَ رَأْيًا وَأَرَى غَدًا غَيْرَهُ فَأَحْتَاجُ أَنْ أَتْبَعَ النَّاسَ فِي دُورِهِمْ»[1].

ومنها: أثر عطاء[2] أنه سُئِلَ عن شَيْءٍ فقال: «لَا أَدْرِي، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي»[3].

ومنها: أثر القاسم بن عبيد الله[4]، فقال له يَحْيَى بن سعيد[1]: مَا أَشَدَّ عَلَيَّ أَنْ

=

ابن سيرين، أخرجه أحمد (العلل ومعرفة الرجال: ٤٩٠/٣) وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٥/١) وأخرجه أيضاً (التاريخ: ٣٣٦/٥).

(١) جامع بيان العلم وفضله (٧٧٧/١).

(٢) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح، اسم أبيه أسلم، القرشي مولاهم، مفتي الحرم ، المكي، من رواة أصحاب الكتب الستة، تابعي ثقة فقيه فاضل، توفي ١١٤هـ على المشهور وقيل بعدها. ينظر: (سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٨/٥).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٣٤/١-٢٣٥، برقم: ١٠٨)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٣٥): رجاله ثقات. أخرجه أبو الفضل الهروي (ذم الكلام: ٧٠٧/٢) ورواه الحافظ ابن بطة العكبري (الإبانة: ٤٢٣/١، رقم: ٣٤٧) وابن عبد البر (جامع بيان العلم وفضله: ٤١/٢) والمزي (تهذيب الكمال: ٨٢/٢،) والحافظ (تهذيب التهذيب: ١٨١/٧) وابن عساكر (التاريخ: ٣٩٧/٤٠، والمختصر: ٢٢٩٧/١).

شرح غريب الأثر:

«أَنْ يُدَانَ في الأرض برأيي»: فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: دِينَ الرَّجُلُ يُدَانُ، إِذَا حُمِلَ عَلَيْهِ مَا يَكْرَهُ. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣١٩/٢-٣٢٠). وبناء على هذا يكون معنى الأثر: أن عطاء بن أبي رباح ﷺ كان يستحي من الله عز وجل أن يتخذ الناس رأيه ديناً.

(٤) هو أبو محمد القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني،

=

تُسْأَلَ عَنِ الشَّيْءِ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ إِمَامًا، قَالَ: «إِنَّ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ أَرْوِيَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ»(٢). ونحوه روى الإمام مسلم في المقدمة عن أبي عقيل صاحب بهية، قال: كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله، ويحيى بن سعيد، فقال يحيى للقاسم: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ قَبِيحٌ عَلَى مِثْلِكَ، عَظِيمٌ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الدِّينِ، فَلَا يُوجَد عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ، وَلَا فَرَجٌ -أَوْ عِلْمٌ، وَلَا مَخْرَجٌ- فَقَالَ لَهُ الْقَاسِمُ: وَعَمَّ ذَاكَ؟، قَالَ: لِأَنَّكَ ابْنُ إِمَامَيْ هُدًى. ابْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ الْقَاسِمُ: أَقْبَحُ مِنْ ذَاكَ عِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ آخُذَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ، قَالَ: فَسَكَتَ فَمَا أَجَابَهُ(٣).

الحاصل من هذه الآثار أن السلف الصالح كانوا لا يقومون بالدعوة إلا بالعلم، ولا يفتون بغير علم، ولا يروون عن غير ثقة، بل يتحرّجون عن القول بالرأي مخافة أن يُتخذ رأيهم ديناً، أو بسبب أن يكون هناك حديث في المسألة ولم يقفوا عليه. ولقد بوّب الإمام الدارمي بابا لهذه الآثار باسم: "باب التورّع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة"؛ فهذا من فقه الإمام الدارمي -رحمه الله-؛ إذ جاء بلفظ "التورّع"؛

=

ثقة من الذين عاصروا صغار التابعين، وهو قليل الرواية، روى له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم والنسائي، وتوفي سنة ١٣٠هـ تقريباً. يراجع ترجمته: (تهذيب الكمال: ٣٩٦/٢٣).

(١) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري الخزرجي النجّاري المدني القاضي، من صغار التابعين، ثقة ثبت إمام حافظ فقيه حجة، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١٤٤هـ أو بعدها. يراجع ترجمته: (سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/٥، برقم ٢١٣).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٣٧/١-٢٣٨، برقم: ١١٥)، قال الداراني: إسناده ضعيف ولكن الأثر صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٣٧-٣٨): رجاله ثقات. أخرجه البيهقي (المعرفة: ١٤١/١، رقم: ١٥٤) والخطيب (الكفاية:٣٣) وأبو زرعة الدمشقي (التاريخ: ٥١٧/١، رقم:١٣٧٦) والآجري (أخلاق العلماء: ١٥٤).

(٣) باب الكشف عن معايب رواة الحديث ونقلة الأخبار، (١٦/١).

لأنهم كانوا يتورّعون عن القول بالرأي مخافة أن يقعوا في الخطأ، مع أنّ لهم أجر في الاجتهاد ولو أخطئوا فيه، وإن أًصابوا فلهم أجران كما هو معلوم.

ولِما أن للعلم والبصيرة أهمية بالغة في الدعوة إلى الله كان السلف الصالح يحثّون بعضهم بعضاً على طلب العلم، ويحذّرون عن التبدّع والتنطّع والتعمّق، كما قال عَبْدُ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه: فيما رواه الإمام الدارمي: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»[1]. وفي رواية عن ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه أيضاً: «تَعَلَّمُوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكرِهَ التنطُّعَ والتبدّعَ، (١/٢٥٢، برقم: ١٤٥)، قال الداراني: إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو قلابة لم يدرك ابن مسعود.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٧): رجاله ثقات، أخرجه ابن بطة في الإبانة (١/٣٢٤، رقم:١٦٩) وابن وضاح (البدع والنهي عنها: ٢٥) عبد الرزاق (المصنف: ١١/٢٥٢، رقم:٢٠٤٦٥) والطبراني (الكبير: ٩/١٨٩، رقم: ٨٨٤٥) والبيهقي (المدخل: ٢٧١، رقم:٣٨٧) وابن عبد البر (الجامع: ١/١٨٤).

وصححه الداني في سلسلة الآثار الصحيحة (١/٥٦) لوجود المتابعة عن أبي إدريس الخولاني.

شرح غريب الأثر:

«وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ»: من فعل تبَدَّعَ، أي: أتى ببدعة وصار مبتدعاً، ويكون معنى الكلمة: ابتعدوا من إتيان البدعة في الدين. ينظر: معجم الوسيط (١/٤٣) (مادة: بدع).

«التَّنَطُّعَ»: مَأْخُوذٌ مِنَ النِّطَعِ، وَهُوَ الغارُ الأعْلى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعَمُّق، قَوْلًا وَفِعْلًا. ونهى النبي ﷺ عن التنطع كما في الحَدِيث: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» هُمُ المُتعَمِّقون المُغالون فِي الْكَلَامِ، المتكلِّمون بأقْصَى حُلوقهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٥/٧٤).

«التَّعَمُّقَ»: تعمَّق الرّجلُ في كلامه، إذا تنطَّع. ينظر: مقاييس اللغة؛ لابن الفارس (٤/١٤٤).

=

يَـدْرِي مَـتَى يُخْتَلَـفُ إِلَيْـهِ»[1]. وفي بعـض النسـخ «مـتى يَختـلُّ إليـه» أي مـتى يحتـاج إليـه؟ فالداعية هـو محتـاج دائمـا إلى العلـم والبصيرة، ولا يمكـن أن يسـلك طريـق الـدعوة بـدون علـم كمـا قـال الحسـن البصـري: "العامـل علـى غـير علـم كالسـالك علـى غـير طريـق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم"[2].

ولذا يجب على الداعية الحصيف أن يتعلم العلم النافع قبل بدء الدعوة.

=

وقيل: هي الغلو والمبالغة في تكلف ما لم يتكلف به. ونهى النبي ﷺ عن التعمق أيضاً كما في حديث وصال الصيام عند البخاري (كتاب التمني، باب ما يجوز من اللَّو، ٨٥/٩ رقم: ٧٢٤١): «**لَوْ مُدَّ بِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ**» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر (٢٠٣/٤).

«**الْعَتِيقِ**»: أَيِ الْقَدِيمِ الأَوَّل. ويُجْمع عَلَى عِتَاق، كشَرِيف وشِرَافٍ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (١٧٩/٣). وبناء على هذا يكون معنى قوله: "عليكم بالعتيق" أي: لازموا الطريق الأول والطريق الأول هو طريق الرسول ﷺ وأصحابه كما هو معلوم.

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكرِهَ التنطُّعَ والتبدّعَ، (٢٥٨/١، برقم: ١٥٨)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٥١): رجاله ثقات، أخرجه البيهقي (المدخل: ٢٧١، رقم: ٣٨٦) وعبد الرزاق (المصنف: ٣٢٣/٤، رقم: ٧٩٤٧) والطبراني (المعجم الكبير: ١٨٩/٩، رقم: ٨٨٤٦) وابن أبي شيبة وقال: يحيل (المصنف: ٢٨٤/٥، ٥٤١/٨، رقم: ٦١٧١) وأبو خيثمة (العلم: ١١١، رقم: ٨) وفي مسند الفردوس برقم: (٢٠٥٧).

شرح غريب الأثر:

«**مَتَى يُخْتلَفُ إليه**»: قال الداراني: أي: يقصد من جميع الأنحاء ليؤخذ عنه. اهـ.

وفي بعض النسخ: «**يَخْتَلُّ**»، من الْخَلَّة وَهِي الْحَاجة والفقر، أي يحتاج ويفتقر إليه. ينظر: مادة "خلل" في الفائق في غريب الحديث للزمخشري: (٣٩٣/١)، والنهاية لابن الأثير: (٧٢/٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢٧٢/١).

والعلم النافع هو علم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة بعيداً عن الانحرافات الفكرية، والتلبيسات المكسوَّة بحلَّة الفصاحة، والعبارة الرشيقة على غير أساسٍ علمي مكين، فيكون بذلك فتنةً للذين لا يعلمون(١)، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم ﷺ: "أن يأتي به صاحبُه مموِّهاً، مزخرف الألفاظ، ملفّق المعاني، مكسوًّا حُلَّة الفصاحة والعبارة الرشيقة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، وتبادر إلى اعتقاده وتقليده(٢)".

فالحاصل أن الدعوة إلى الله مبنية على العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، ولقد أحسن القائل:

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ سَفِيهِ
كَلَّا وَلَا نَصْبُ الْخِلَافِ جَهَالَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول"(٤). وقال أيضاً: "فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده"(٥).

---

(١) ينظر: أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فوّاز بن هليل بن رباح السحيمي (ص:٥٦)، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. بتصرف يسير.

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤٣٦/٢)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣) ذكرها ابن القيم في إعلام الموقعين عن رب العالمين (٦٣/١) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ. ونسبها إلى بعض أهل العلم، وكذلك ذكر نحوه في الفوائد (ص١٠٥) دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ.

(٤) مجموع الفتاوى (١٣٦/١٣).

(٥) المرجع السابق (١٣٧/٢٨).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "الْعلم إِمَام الْعَمَل، وقائد لَهُ، وَالْعَمَل تَابع لَهُ ومؤتم به، فَكل عمل لا يكون خلف الْعلم مقتديا به، فهو غير نَافِع لصَاحبه، بل مضرَّة عليه كما قال بعض السّلف: مَن عبَدَ الله بِغَيْر علم كان ما يفْسد أَكثر مِمَّا يصلح... فالعلم هُوَ الْمِيزَان"(١).

وفي ضوء هذه النقولات العلمية يتضح لنا أن من الواجب على الداعية أن يدعو على علم وبصيرة وإلاّ فإنه سيضل نفسه ويضل معه غيره كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢)، والداعية إذا دعا بغير علم فإنه قد يجعل المعروف منكرا، والمنكر معروفاً، ويجعل السنة بدعة والبدعة سنة، ويظن نفسه من دعاة الهدى وفي الحقيقة هو من دعاة الضلالة ويتبع في ذلك سبيل الشيطان، كما قال تعالى عن مثلهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾(٣).

القاعدة السابعة: رد الاختلاف إلى الكتاب والسنة.

إن طبائع الإنسان تختلف بعضها عن بعض، كما أن عقولهم تتفاوت بعضها عن بعض، ولذا وقوع الخلافات فيما بينهم ليس ببعيد عنهم في الأمور الدينية والدنيوية، وكذلك الدعاة إلى الله تعالى قد تقع فيما بينهم الخلافات، فما هو الحل إذاً؟ والله سبحانه وتعالى نهى أوّلاً عن الخلافات والتنازعات، ومن ثَمّ لو وقع الخلاف فيما بينهم فبيّن لهم طريقة لحله، وهو ردّ الخلاف إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٥).

---

(١) مفتاح دار السعادة (ص٢٢).

(٢) الأنعام: ١١٩.

(٣) الحج: ٣.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) الشورى: ١٠.

فهاتان الآيتان تدلان صراحة على أن الخلاف إذا وقع بين المسلمين فإنه يعرض على الكتاب والسنة، ويجري فيه حكم الله تبارك وتعالى، وكذلك إذا وقع الخلاف بين الدعاة أو للداعية نفسه في مسألة ما، فعليهم أن يردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يتعصّب في ذلك تعصبا مذهبياً، وهذا أحسن حل للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر.

تستفاد هذه القاعدة من حادثة وفاة النبي ﷺ؛ إذ اختلف الصحابة رضي الله عنهم في وفاته ﷺ، ولكن لما عرضوه على الكتاب والسنة وجدوا له حلا مناسباً، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالة قدره قد خفي عليه مسألة موت النبي ﷺ، فكان يتوعد من يقول بموت النبي ﷺ يضربه بالسيف، ولكن لما جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتلا عليه آيتين من كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[2]، استسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهاتين الآيتين، ولم يتعصب لرأيه، لأنه كان حريصاً في الحقيقة على اتباع هدي النبي ﷺ، وليس كمبتدعة اليوم[3] الذين ينكرون وفاة النبي ﷺ مهما تُليت عليهم الآيات البيّنات، تعصبا لمذهبه وبدعته، نسأل الله أن يهديهم إلى الحق المبين.

وقد ذَكَر هذه القصة بالتفصيل غيرُ واحد من المحدّثين في كتبهم المعروفة، ويُكتفى هنا على ما ذكره الإمام الدارمي في سننه عن عكرمة رضي الله عنه قال: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فَحُبِسَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتَهُ وَالْغَدَ حَتَّى دُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ» وَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ كَمَا عُرِجَ بِرُوحِ مُوسَى، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ كَمَا عُرِجَ بِرُوحِ مُوسَى، وَاللَّهِ لَا يَمُوتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى

---

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) كالبريلوية والحياتية في شبه القارة الهندية، يعتقدون حياة النبي ﷺ كالحياة الدنيوية، وينكرون وفاته ﷺ، ويحرفون في النصوص الصريحة تحريفا معنوياً. وللاستزادة راجع: كتاب البريلوية تاريخه وعقائده للشيخ احسان الهي ظهير رحمه الله، وكتاب الديوبندية للشيخ طالب الرحمن راشدي.

يَقْطَعَ أَيْدِيَ أَقْوَامٍ وَأَلْسِنَتَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَزْبَدَ شِدْقَاهُ مِمَّا يُوعِدُ وَيَقُولُ. فَقَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ، وَإِنَّهُ لَبَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْسُنُ كَمَا يَأْسُنُ الْبَشَرُ، أَيْ قَوْمِ فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ. فَإِنَّهُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُمِيتَهُ إِمَاتَتَيْنِ. أَيُمِيتُ أَحَدَكُمْ إِمَاتَةً وَيُمِيتُهُ إِمَاتَتَيْنِ وَهُوَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ؟. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ، فَإِنْ يَكُ كَمَا تَقُولُونَ فَلَيْسَ بِعَزِيزٍ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ التُّرَابَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ مَا مَاتَ حَتَّى تَرَكَ السَّبِيلَ نَهْجًا وَاضِحًا، فَأَحَلَّ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ، مَا كَانَ رَاعِي غَنَمٍ يَتَّبِعُ بِهَا صَاحِبُهَا رُءُوسَ الْجِبَالِ يَخْبِطُ عَلَيْهَا الْعِضَاةَ بِمِخْبَطِهِ وَيَمْدُرُ حَوْضَهَا بِيَدِهِ بِأَنْصَبَ وَلَا أَدْأَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كَانَ فِيكُمْ. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ. قَالَ: وَجَعَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ أَيْمَنَ تَبْكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ، قَالَ حَمَّادٌ: خَنَقَتْ الْعَبْرَةُ أَيُّوبَ حِينَ بَلَغَ هَاهُنَا[1].

---

(١) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ، (١/ ٢٢٠-٢٢٢، برقم: ٨٤)، قال الداراني: رجاله ثقات غير أنه مرسل.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٢٧): رجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد (الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٦٦) وابن عساكر (مختصر تاريخ دمشق:١/ ١٩٧).

شرح غريب الحديث:

«**كَمَا عُرِجَ بِرُوحِ مُوسَى**»: حين صعق حينما طلب رؤية ربه عز وجل، قاله الداراني، ينظر: سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ، (١/ ٢٢٠-٢٢٢، برقم: ٨٤).

«**حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أَقْوَامٍ وَأَلْسِنَتَهُمْ**»: يعني المنافقين. كما جاء ذكره صراحة في حديث عند الإمام أحمد، وسيأتي الحديث مفصلا مع التخريج على صفحة (٤٨٤).

«**حَتَّى أَزْبَدَ شِدْقَاهُ**»: أصل الزبد ما على اللبن من الرغوة وكذلك ما علا السيل أو البحر من الرغوة، والشدق جانب الفم، والشدقان: مشق الفم من داخل الفم، والمعنى: ظهر على صماغيه زبدتان من الغضب والثورة. (فتح المنان، شرح سنن الدارمي ١/ ٥٣١).

=

الشاهد من الحديث هو حل الاختلاف بالرجوع إلى كتاب الله تعالى في وفاة النبي ﷺ، ولو لم يُذكر في هذا الحديث ما جرى بين أبي بكر وعمر ﵄، وقد ذكره الإمام البخاري في صحيحه وغيرُه، ولكن حديث الدارمي يتذكّر لنا كل ما حصل في حادثة وفاة النبي ﷺ، ولو كان ذكره عند غيره من كتب الحديث، فجميع الخلافات التي حصلت بعد وفاته ﷺ ردّت إلى الكتاب والسنة وهكذا زال الخلاف وحصل الائتلاف والمودة فيما بينهم، ولله الحمد والمنة.

القاعدة الثامنة: التدرج في الدعوة إلى الله.

التدرج في الدعوة إلى الله من أهم القواعد الدعوية، والمقصود منه: هو التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وفق طرق مشروعة مخصوصة، وكذا التقدم لبلوغ الأهداف وعمل الوسائل شيئاً فشيئاً[(1)]. وضد التدرج الاستعجال وهو: طلب الأمر قبل مجيئه وتحريه قبل أوانه[(2)].

لو نظرنا بشيء من الإمعان في تاريخ البشر لوجدنا أن التدرّج سنة كونية، فننظر على سبيل المثال في مراحل تخليق الإنسان، فإن الله خلقه من تراب ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ

=

«يَأْسُنُ»: تتغير رائحته. ينظر (الصحاح:١/٢٩).

«الْعِضَاةَ»: كل شجر يعظم وله شوك. واحدة (عضاة) فالجمع بالهاء، والمفرد بالتاء، وفي حاشية الأصل: شجر الشوك. ينظر: الصحاح: (٢/١٢٧).

«يَمْدُرُ» : يصلحه بالمدر: وهو التراب الجيد. ينظر: الصحاح: (٢/٤٨٣).

«بِأَنْصَبَ» : أي بأكثر تعبا، نصب الرجل : تعب. ينظر: الصحاح: (٢/٥٧١).

«أَدْأَبَ» : أي أكثر جداً ومواصلة للعمل. ينظر: الصحاح: (١/٢٨٤).

(١) ينظر: قواعد منهجية في الدعوة إلى الله أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير (ص: ٢٧٧)، دار ابن الأثير، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

(٢) المصدر السابق (ص٢٧٨).

﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[(١)]، فالتدرج كما هي سنة كونية كذلك هي سنة شرعية، والأصل في ذلك هدي النبي ﷺ في الدعوة، ودعوته ﷺ -كما هي معلومة- قد مرّت أو تدرّجت بعدة مراحل، واستدل العلماء على ذلك بحديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن فقال له: «**إنكَ ستأتي قوماً أهلَ كتابٍ، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله، فإنْ همْ أطاعوا لكَ بذلكَ، فأَخْبِرْهم أنَّ الله قد فرَضَ عليهمْ خمسَ صَلَواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ** ..»[(٢)] الحديث. فعُلم من هذه النصوص أن التدرّج ثابت في الدعوة إلى الله حسب أحوال وظروف الدعوة، وهو غير منسوخ كما ظن به بعض[(٣)].

وقد مثّل الإمام ابن القيم رحمه الله "التدرّج في دعوة الإسلام" بالنطفة؛ إذ يقول: "كان الإسلام في بدايته كالنطفة، فاقتنع بكلمة التوحيد، فلما نفخ فيه الروح احتاج إلى الغذاء، ففرضت الصلاة، فلما تحرك وجبت الهجرة، فلما اشتد وجبت الزكاة، فلما قربت الولادة لزم الحج، فلما ظهر طفلا حبا بلفظ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[(٤)]، فلما خاف من الزلل والعقاب جاءت بشارة ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾[(٥)]، فلما ترعرع قال المؤدب: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[(٦)]، فلما بلغ أشده واستوى، جاء ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[(٧)]"[(٨)].

---

(١) المؤمنون: ١٢ – ١٤.

(٢) تقدم كامل الحديث مع التخريج في قاعدة "بدء الدعوة بالأهم فالأهم" (ص ١٣٨).

(٣) ينظر تفاصيل أحكام التدرج في كتاب: قواعد منهجية في الدعوة إلى الله أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، (ص: ٢٧٦ وما بعدها).

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) الزمر: ٥٣.

(٦) النساء: ١٢٣.

(٧) آل عمران: ٢٨، ٣٠.

(٨) بدائع الفوائد (٢٣٨/٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع.

وهناك اصطلاح آخر قد يستعمل ضد التدرّج ألا وهو "الاستعجال"(١)، وقد جاءت النصوص في النهي عنه، فروى الإمام الدارمي عن الصَّلْت بْنِ رَاشِدٍ(٢)، قَالَ: سَأَلْتُ طَاوُسًا(٣) عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لِي: كَانَ هَذَا؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: آللَّهِ. قُلْتُ آللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا أَخْبَرُونَا عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَعْجَلُوا بِالْبَلَاءِ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَيَذْهَبَ بِكُمْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَعْجَلُوا بِالْبَلَاءِ قَبْلَ نُزُولِهِ، لَمْ يَنْفَكَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ إِذَا سُئِلَ، سُدِّدَ، وَإِذَا قَالَ، وُفِّقَ»(٤).

هذا الحديث موقوف على معاذ بن جبل ﷺ ولكن ورد مرفوعا أيضاً عن النبي ﷺ عند الدارمي نفسه، كما سيأتي بيانه بعد صفحة واحدة، وسياق الحديث يدل على النهي عن سؤال المسألة قبل نزولها، ولكن عموم القول يدل على النهي عن العجلة أيضاً كما جاء في حديث آخر عن النبي ﷺ قال: «**التَّأَنِّي مِن الله والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطان**»(٥)، وقال الإمام ابن القيم ﷺ: "إنما كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفة

(١) ينظر: قواعد منهجية في الدعوة إلى الله أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغير (ص: ٢٧٧).

(٢) هو الصلت بن راشد، روى عن طاوس ومجاهد، وثقه ابن معين، توفي ما بين ١٢١هـ و١٣٠هـ، يراجع ترجمته: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٢٤/٣).

(٣) هو أبو عبد الرحمن طاوُس بن كيسان اليماني الجَنَدِيُّ، أحد الأعلام، تابعي ثقة، وقال ابْن عَبَّاسٍ: إِنِّي لَأَظُنُّ طَاوُسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وتوفي بمزدلفة أو بمنى سنة ١٠٥هـ أو ١٠٦هـ. يراجع ترجمته: تاريخ الإسلام للذهبي (٦٥/٣).

(٤) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الْفُتْيَا وَكَرِهَ التَّنَطُّعَ وَالتَّبَدُّعَ (٢٥٦/١-٢٥٧، برقم:١٥٥)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٠): رجاله ثقات، أخرجه أبو عمرو الداني (السنن الواردة في الفتن: ٧٣١/٣)، وابن بطة (الإبانة: ٣٩٥/١، ٣٩٦، رقم: ٢٩٣)، والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٢/٢)، والآجري (أخلاق العلماء:١٢١)، والبيهقي (المدخل:٢٢٦، ٢٢٧، رقم:٢٩٦) وينظر: (المطالب العالية: ١٠٦/٣، رقم: ٣٠٠٩).

(٥) الترغيب والترهيب للمنذري (٣٦٣/٢)، ومجمع الزوائد للهيثمي (٢٢/٨)، وحسنه العلاّمة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (٥٧٨/١، برقم: ٣٠١١) المكتب الإسلامي، =

وطيش وحِدة في العبد، تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعا من الشرور، وتمنعه أنواعا من الخير، وهي قرين الندامة، فقَلَّ مَن استعجل إلّا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة"[(١)].

فالحاصل أن من الواجب على الداعية ألّا يستعجل في تقديم مسائل الحياة كلها في وقت واحد للمدعوين، بل يتدرّج في ذلك خطوة خطوة حسب الأحوال والظروف، وكذلك لا يستعجل على حصول نتائج دعوته بل يستمر في دعوته؛ لأن العجلة لا تأتي بنتائج جيدة كما تقدم في ضوء أقوال العلماء.

القاعدة التاسعة: عدم العَجَلة بالبَلِيَّة قبل نزولها وعدم الوقوع في المسائل التي لا فائدة فيها.

المقصود من هذه القاعدة أنه ليس من مهمّة الداعية أن يبحث عن المسائل التي لم تقع بعد، أو لا يمكن وقوعها، أو يدخل في المسائل التي لا فائدة في بحثها كوقت القيامة والسؤال عن الروح، أو في المسائل التي نهي البحث فيها كالخوض في مسائل القدر، وفي القاعدة توجيه للمدعو أيضاً بأن لا يسأل عن مثل هذه الأشياء، ولا يكثر السؤال بعد إيضاح المسألة؛ لأنه قد يسبّب ذلك المشقّة والكُلفة.

وتستفاد هذه القاعدة من بعض الأحاديث والآثار، منها: حديث وَهْبَ بْن عَمْرٍو الْجُمَحِيّ[(٢)] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَعْجَلُوا بِالْبَلِيَّةِ قَبْلَ نُزُولِهَا، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَا**

=

بيروت لبنان، بدون سنة الطبع.

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. (ص:٢٥٨).

(٢) وَهْب بن عَمْرو الْجُمَحِيّ: قال الألباني: لم أعرفه ويحتمل أنه وهب بن عمير، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢/٢٨٦، برقم:٨٨٢)، لو كان هو وهب بن عمير فترجمته كالآتي: وهب بْن عمير بْن وهب بْن خلف القرشي الجمحي، أُسِر يوم بدر، ثم قدم أبوه بالمدينة، فأطلق له رَسُول اللَّهِ (ابنه وهب بْن عمير فأسلم، وَكَانَ له قدر وشرف، ومات =

تَعْجَلُوهَا قَبْلَ نُزُولِهَا، لَا يَنْفَكُّ الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِمْ إِذَا هِيَ نَزَلَتْ مَنْ إِذَا قَالَ، وُفِّقَ وَسُدِّدَ، وَإِنَّكُمْ إِنْ تَعْجَلُوهَا، تَخْتَلِفْ بِكُمِ الْأَهْوَاءُ، فَتَأْخُذُوا هَكَذَا وَهَكَذَا» وَأَشَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ(١).

وعن يَزِيد بن مسلم الْمِنْقَرِيُّ(٢) قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ يَوْمًا إِلَى ابْنِ عُمَرَ ﵄، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ- يَلْعَنُ مَنْ سَأَلَ عَمَّا لَمْ يَكُنْ"(٣).

=

بالشام مجاهدًا. يراجع ترجمته: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ٤/١٥٦١).

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (١/٢٣٨-٢٣٩، برقم:١١٨)، قال الداراني: إسناده ضعيف وهب بن عمرو ما عرفته، وهو مرسل.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٣٨): رجاله ثقات عدا وهب بن عمرو، لم أقف عليه في الصحابة، لعله ابن عمير، له شاهد من حديث معاذ أخرجه الطبراني (المعجم الكبير: ٢٠/١٦٧). اهـ.

وقال الألباني: هذا الإسناد وإن كان ضعيف الإسناد، فالعمل عليه عند السلف، ثم ذكر الألباني بعض الآثار في هذا الشأن، ومنها الآثار التي أوردها الدارمي، كأثر ابن عمر وزيد بن ثابت، وصحّح إسنادهما، ينظر: (السلسة الضعيفة ٢/٢٨٦-٢٨٧).

شرح غريب الحديث:

«**الْبَلِيَّةِ**» : هي البلاء أي المحنة تنزل بِالْمَرْءِ ليختبر بهَا وَالْغَم والحزن والجهد الشَّديد فِي الْأَمر. ينظر: (معجم الوسيط باب الباء، ١/٧١).

«**لَا يَنْفَكُّ**» : هذا فعل مضارع من الأفعال الناقصة، نحو ما زال، ما برح، ما انفك.

(٢) هو يزيد بن مسلم الْمِنْقَرِيُّ البصري، روى عنه ابنه حماد، وهو يروي عن ابن عمر، سكت عنه الإمام البخاري، ينظر: التاريخ الكبير (٨/٣٥٨، برقم: ٣٣٢٤).

(٣) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الْفُتْيَا (١/٢٤٢، برقم:١٢٣)، قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٠): فيه حماد بن يزيد بن مسلم المنقري، سكت عنه

=

ويؤيّده ما جاء في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: **«نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ»**(١). قال صاحب النهاية: أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»**(٣). قد يقال في توجيه هذا الحديث بأنه متعلق بزمن نزول الوحي، ولكن هناك نصوص أخرى تدلّ على ذم كثرة السؤال، منها حديث مغيرة بن شعبة حينما كتب إليه معاويةُ أن يكتب إليه ما سمعه من النبي ﷺ فكتب إليه مغيرة بن شعبة ما سمعه من النبي ﷺ، وفيه: **«كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ»**(٤).

=

كل من الإمامين البخاري، وأبو حاتم (التاريخ الكبير: ٢١/٣، والجرح والتعديل: ١٥١/٣) ووالده يزيد سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير: ٣٥٨/٨) وذكرهما ابن حبان في (الثقات:٢١٩/٦، ٥٤٥/٥) وأخرجه ابن عساكر بسنده من طريق الدارمي (التاريخ: ٣٢٨/١٩) وأشار إلى هذا الأثر البخاري (التاريخ: ٣٥٨/٨) وأخرجه الخطيب (الفقيه والمتفقه:٧/٢) وأبو خيثمة (العلم: ٤٣/١، رقم:١٤٤) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٧٥/٢، ١٧٠) إهـ. وصحّح إسناده الألباني، ينظر: (السلسلة الضعيفة ٢٨٧/٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكرَه من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، (٩٥/٩، برقم: ٧٢٩٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٩٦/٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكرَه من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، (٩٥/٩، برقم: ٧٢٨٩). وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ تَوْقِيرِهِ ﷺ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ (١٨٣١/٤، برقم: ٢٣٥٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكرَه من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، (٩٥/٩، برقم: ٧٢٩٢).

وروى الإمام الدارمي عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كَانَ يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَمْرِ: أَكَانَ هَذَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، قَدْ كَانَ، حَدَّثَ فِيهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ وَالَّذِي يَرَى، وَإِنْ قَالُوا: لَمْ يَكُنْ، قَالَ: فَذَرُوهُ حَتَّى يَكُونَ»[1]. هذا الأثر من بلاغات الزهري قد يُختلف فيه ولكن يؤيده حديث أبي هريرة ﷺ عند الشيخين، -وهو عند مسلم عن طريق الزهري أيضاً[2]- قال خطبنا رسول الله ﷺ: «... **ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[3].

والربط والمناسبة بين أثر زيد بن ثابت وبين هذا الحديث، أن زيد بن ثابت لم يبيّن المسائل التي لم تكن بعد، بل كان يقول: فذروه حتى يكون، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**ذروني ما تركتكم**»، أي اتركوني ولا تسألوني واعملوا على ما تركتُكم عليه، ولا تكثروا الأسئلة لأنها سبب الهلاك والخلاف، واعملوا قدر المستطاع على ما أمرتُكم به، واتركوا ما نهيتُكم عنه، ففي الأثر والحديث ورد "النهي عن السؤال" سواء كان النهي

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الْفُتْيَا (٢٤٣/١، برقم:١٢٤)، قال الداراني: هذا الأثر بلاغ من بلاغات الزهري، وقال الحافظ ابن حجر: "بلاغات الزهري قبض الريح".

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٢): رجاله ثقات، وفيه انقطاع بين الزهري وزيد ﷺ، أخرجه الخطيب (الفقيه والمتفقه: ٨/٢) وأبو خيثمة (العلم: ٢٦/١، رقم:٧٥) ابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٧٥/٢) والآجري: (أخلاق العلماء: ١٤٨) وابن بطة (الإبانة: ٤٠٩/١، رقم: ٣١٨) وابن عساكر (التاريخ: ١٩٦٢٨).

وقال الألباني: إسناده إلى الزهري صحيح، يراجع: (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٨٧/٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ تَوْقِيرِهِ ﷺ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ (١٨٣٠/٤، برقم: ١٣٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٩٤/٩، برقم: ٧٢٨٨). وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في اليوم (٩٧٥/٢، برقم: ١٣٣٧) واللفظ له.

عن كثرة السؤال، أو كان النهي عن السؤال عمّا لم يكن بعد، كلاهما منهي عنه.

ويؤيده من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

الحاصل من هذه النصوص والآثار أن كثرة السؤال، والسؤال عما لم يقع، والسؤال عما لا فائدة فيه، والسؤال عما ورد النهي عن سؤاله، فكلّ ذلك مكروه في الشرع ولا داعي للداعية إلى الله الخوض فيها، ولا يناسب له أن يخوض في مثل هذه الأمور، ولذلك تعدّ هذه القاعدة من القواعد المهمّة في مجال الدعوة إلى الله كما قال الإمام النووي في شرح الحديث السابق: "هذا من قواعد الإسلام المهمّة ومن جوامع الكلم التي أُعطيَها ﷺ ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام..."[2].

القاعدة العاشرة: التيسير لا التعسير في الدعوة إلى الله.

المقصود من هذه القاعدة: إن دين الإسلام دين يُسر ودين سماحة، ففيه تيسير من كل الجهات عبادةً ومعاملةً، فالمسلم إذا أصابه المرض ولا يستطيع القيام في الصلاة فيجوز له أن يصلي جالساً، وإن لم يستطيع أن يصلي جالساً فيجوز له أن يصلي مضطجعا، وكذلك في الصيام رخّص له سواء كان مريضاً أو مسافراً، فهكذا في جميع العبادات والمعاملات نجد أن دين الإسلام دين رحمة ويسر، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾[4]، وقال النبي ﷺ : **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ،**

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (١٠٢/٩) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٣) البقرة، جزء من الآية: ١٨٥.

(٤) البقرة، جزء من الآية: ٢٨٦.

فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(1).

فهذا هو دين الإسلام السمحة الحنيفية ذو التيسير لا التعسير، وهو موضوع الدعوة، إذا كان موضوع الدعوة فيه تيسير وتسديد ورفق وليونة ورحمة، فكيف لا يكون في طريقة تبليغه تيسير وتسديد وليونة؟ وقد حرّض النبي ﷺ على التيسير والتبشير والتسديد حينما أرسل الدعاة إلى بلاد مختلفة، فكان يعلّمهم أساليب الدعوة، ومن جملتها أسلوب التيسير والتبشير والتسديد، وعدم التعسير والتنفير والتشديد.

فقد روى الإمام الدارمي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﭭ، قَالَ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: **«تَسَانَدَا، وَتَطَاوَعَا، ويسِّرا وَلَا تُنَفِّرَا»** فَقَدِمَا الْيَمَنَ، فَخَطَبَ النَّاسَ مُعَاذٌ فَحَضَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي القرْآنِ، وَقَالَ: إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، فَاسْأَلُونِي أُخْبِرْكُمْ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثُوا، فَقَالُوا لِمُعَاذٍ: قَدْ كُنْتَ أَمَرْتَنَا إِذَا نَحْنُ تَفَقَّهْنَا، وَقَرَأْنَا أَنْ نَسْأَلَكَ فَتُخْبِرَنَا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذٌ: إِذَا ذُكِرَ الرَّجُلُ بِخَيْرٍ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا ذُكِرَ بِشَرٍّ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ(2).

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (١٦/١، برقم: ٣٩).

(2) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء (٢٩٩/١، برقم:٢٢٨)، قال الداراني: إسناده ضعيف لانقطاعه ... ويشهد للمرفوع منه حديث أبي موسى وهو في الصحيح. اهـ.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٦٩): فيه عمر بن أبي خليفة العبدي: إن لم يكن أبا مسلم العبدي، فلا أعرفه، أخرجه الحافظ البزار (المسند: ٢٦٧/٢، ٢٦٨) وينظر: (كشف الأستار رقم: ١٦٧٥) والطبراني (المعجم الأوسط: ٢٠٢/١) وينظر: (مجمع البحرين رقم: ٢١٠) والبيهقي (الزهد: ٣٠٣، رقم: ٨٠٨) وابن عساكر (المختصر: ٩١/٩).

شرح غريب الحديث:

«تَسَانَدَا» : كلُّ شيءٍ أَسندتَ إِليه شيئاً فهو مُسْنَد وقد سَنَدَ إِلى الشيءِ يَسْنُدُ سُنوداً واستَنَدَ وتساند وأَسْنَد ويقال سانَدته إِلى الشيء فهو يتَسانَدُ إِليه، (لسان العرب ٢٢٠/٣).

«تَطَاوَعَا» : أي تحابا، وتوافقا في الحكم ولا تختلفا لأن ذلك يؤدي إلى اختلاف أتباعكما =

الحديث صريح في أهمية التيسير وضرورته في الدعوة إلى الله، ويؤيّده ما جاء في الصحيحين وغيره من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ بعثه ومعاذا إلى اليمن، فقال: **«يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»**[(١)]، فهذا أمر النبي ﷺ للدعاة في شأن التيسير والتبشير يدلّ على وجوب التيسير في الدعوة إلى الله، وقال الإمام النووي: "إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأنه قد يفعلهما في وقتين فلو اقتصر على يسّروا لصدق ذلك على من يسّر مرة أو مرات، وعسّر في معظم الحالات فإذا قال ولا تعسّروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب"[(٢)]، ولذلك هكذا كان هدي الصحابة ﷺ، كانوا أيسر سيرة وأقلّ تشديداً كما روى الإمام الدارمي -رحمه الله- عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ[(٣)]، قَالَ: "لَمَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرُ مِمَّنْ سَبَقَنِي مِنْهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَيْسَرَ سِيرَةً، وَلَا أَقَلَّ تَشْدِيدًا مِنْهُمْ"[(٤)].

فعُلِم من هذا أن عمير بن إسحاق أدرك أكثرَ الصحابة فوجدهم أيسر سيرة،

=

فيفضي إلى العداوة ثم المحاربة، ينظر: (فتح الباري لابن حجر، ١٣/١٦٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يُكره من التنازعِ والاختلاف في الحرب، وعقوبةِ من عصى إمامَه (٤/٦٥، برقم: ٣٠٣٨)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير (٣/١٣٥٩، برقم: ١٧٣٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٢/٤١).

(٣) هو أبو محمد عُمَير بن إسحاق القرشي، مولى لبني هاشم، كان من أهل المدينة فتحوّل إلى البصرة، فنزلها، فروى عنه البصريون ابن عون وغيره. ولم يرو عنه أحد من أهل المدينة شيئًا. يراجع ترجمته: (الطبقات لابن سعد: ٧/١٦٧، والتاريخ الكبير للبخاري: ٦/٥٣٤).

(٤) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا(١/٢٤٥،برقم:١٢٨)، قال الداراني: إسناده جيد. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٣): فيه عمير بن إسحاق، مقبول، ويشهد له ما تقدم في معناه، أخرجه الحافظ ابن أبي شيبة (المصنف: ١٤/١٧) رقم: (١٧٤٠٩)، وابن سعد (الطبقات: ٧/٢٢٠).

وأقل تشديداً، فييسّرون ولا يعسّرون اتباعاً لهدي النبي ﷺ، ويؤيّده أثر آخر عند الإمام الدارمي أيضاً، فروى عن رَجَاء بن أَبِي سَلَمَةَ[(1)]، قَالَ: سَمِعْتُ عُبَادَةَ بْنَ نُسَيٍّ الْكِنْدِيّ[(2)] وَسُئِلَ عَنِ امْرَأَةٍ مَاتَتْ مَعَ قَوْمٍ لَيْسَ لَهَا وَلِيٌّ، فَقَالَ: «أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا كَانُوا يُشَدِّدُونَ تَشْدِيدَكُمْ، وَلَا يَسْأَلُونَ مَسَائِلَكُمْ»[(3)].

فهذه الأحاديث وآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين كلّها تدلّ على أهمية التيسير وضرورته، وعدم التشدّد في الدعوة إلى الله، وهذا التيسير في الدين وتبليغه لا يعني ذلك إهمال وغفلة عن أصول الدين وأحكامه ومسائله، بل التيسير في أحكام الدين هو مجموعة من الرُخص من الله تبارك وتعالى على هذه الأمة، وكذلك التيسير في الدين قد يكون ذلك بالنسبة للأمم السابقة، لأن دين الإسلام دين يسر بالنسبة للأديان السابقة، كإزالة النجاسة عن الثوب في بني إسرائيل لا تكون إلا بقصّ الثوب من مكان النجاسة، وقد شُرع لنا إزالتها بالماء، فهذا تيسير عظيم من الله جل وعلا، وأمثال ذلك كثيرة في هذا الدين، وأما التيسير في تبليغ الدين فأمثاله أكثر من تحصى في حياة النبي ﷺ، كتيسيره ﷺ مع أهل الطائف، وتيسيره ﷺ مع الرجل الذي أراد أن يقتله والنبي ﷺ نائم في ظل الشجرة والقصة معروفة، وتيسيره ﷺ مع الرجل الذي بال

---

(١) هو أبو المقدام رَجاء بن أبي سلَمة مهران الفلسطيني، أصله من البصرة وسكن الرملة، ولد ٩١هـ، ثقة فاضل من كبار أتباع التابعين، توفي ١٦١هـ، يراجع ترجمته: (تاريخ الكبير للبخاري ٣/٣١٣، برقم:١٨٩٣، وتهذيب الكمال للمزي ٩/١٦١، برقم: ١٨٩٣).

(٢) هو أبو عمر عبادة بن نُسَيٍّ الْكِنْدِيّ الشامي الأردني، قاضي طبَرية، ثقة فاضل تابعي، روى له أصحاب السنن الأربعة، وتوفي بالشام سنة ١١٨هـ، يراجع ترجمته: (تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦/٢٠٩، برقم: ٣٠٧٣، وتهذيب الكمال للمزي ١٤/١٩٤، برقم: ٣١١٠).

(٣) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا (١/ ٢٤٥-٢٤٦، برقم:١٢٩)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٣): فيه العباس بن سفيان الدبوسي، ذكره ابن حبان (الثقات: ٨/٥١٣) أخرجه ابن عساكر (التاريخ: ٢٦/٢١٧) ترجمة عبادة بن نسي.

في المسجد، وتيسيره ﷺ مع الرجل الذي قال "يرحمك الله" أثناء الصلاة، وأمثاله كثيرة كثيرة جدا في سيرته ﷺ، وكل هذه أساليب التيسير لها أثر كبير في الدعوة إلى الله.

القاعدة الحادية عشر: الدعوة مبنية على الاتباع لا على الابتداع.

الدعوة إلى الله تبنى على هدي النبي ﷺ واتباعه، لا على الهوى والابتداع، ولذلك يجب على الدعاة في سير الدعوة إلى الله تعالى أن يلزموا هدي النبي ﷺ ويقتدوه، وأن يجتنبوا كل الاجتناب عن الهوى والبدع والخرافات والخزعبلات؛ لأن الداعية المسلم مأمور بهذا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وقد سلك هذا المسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

ففي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على هذه القاعدة، ومن جملتها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[١]، وقد جاء في تفسير هذه الآية حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾»[٢]. وقد أُمِرنا في هذه الآية باتباع الصراط المستقيم، وهو طريق واحد طريق السلف الصالح المبنية على الكتاب والسنة، كما نُهِينا فيها عن اتباع "السُّبُل" وهي الطرق الهالكة والفرق الباطلة المبنية على البدع والشبهات والخرافات، كما روى الإمام الدارمي عن مجاهد في تفسير هذه الآية: "﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ قَالَ: الْبِدَعَ وَالشُّبُهَاتِ"[٣].

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (١/٢٨٥، برقم: ٢٠٨)، قال المحقق: إسناده حسن، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/٥٨، برقم: ١٦٦).

تنبيه: هذا الحديث ليس من الأحاديث الدراسة، أوردته للشرح والبيان فقط.

(٣) **تخريج الأثر:**

=

ولذلك سلك الصحابة ﷺ هذا المسلك، واتبعوا هدي النبي ﷺ وحثّوا عليه، وأمروا بالتقوى والاستقامة والاتباع، ونهوا عن البدع والخرافات؛ فروى الإمام الدارمي عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ[1]، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فَقُلْتُ أَوْصِنِي. فَقَالَ: نَعَمْ، «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»[2].

وعن عَبْد اللَّهِ (بن مسعود) ﷺ قال: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ»[3].

=

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (١/ ٢٨٦، برقم: ٢٠٩)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٦٤): سنده حسن، أخرجه محمد بن نصر (السنة: ١٢، رقم: ١٩) ومحمد بن جرير الطبري (التفسير: ٨/٨٨) والبيهقي (المدخل:١٨٤، رقم:١٩٩) وأبو نعيم (الحلية: ٣/٢٩٣).

(١) هو أبو حاضر عثمان بن حاضر الأزدي اليماني الحميري القاص، تابعي ثقة، من تلامذة عبد الله بن عباس ﷺ، روى له أبو داود وابن ماجه. وقال ابن حجر: صدوق وثقه أبو زرعه. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (٣٣/٣٢٠)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/١٤٨)، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٧/١٠٩).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (١/٢٥٠، برقم: ١٤١)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف زمعة... ولكن أخرجه المروزي بسند حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٦): فيه زمعة بن صالح، ضعيف، رواه أبو شامة المقدسي (الباعث:٢٥) وابن بطة (الإبانة: ١/٣١٨، ٣١٩، رقم:١٥٧، ١٥٨، ٢٠٠) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١/١٧٣) وأبو الفضل الهروي (ذم الكلام: ق٤٢/٢) وللحدث شواهد كثيرة من الكتاب والسنة.

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (١/ ٢٨٨، برقم: ٢١١).

قال الداراني: في إسناده علتان: الأولى: تدليس حبيب بن أبي ثابت وقد عنعن، والثانية: أبو عبد الرحمن لم يسمع من عبد الله بن مسعود .

=

وعَنْ عَبْد اللَّهِ (بن مسعود) ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ سَتُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُحْدَثَةً، فَعَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ»(١).

ففي هذا الحديث أخبر عبد الله بن مسعود ﷺ عن الأحوال المستقبلية، والصحابي إذا ذكر ما يتعلق من أحوال الغيب أو المستقبل فهو في حكم المرفوع عند المحدثين(٢)، ويؤيّد معناه حديث العرباض بن سارية ﷺ وفيه قال رسول الله ﷺ: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عبدا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ من يَعش مِنْكُم يرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**(٣).

ولقد قال الإمام مالك ﷺ كلمته الذهبية: لن يَصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صلُح به أوّلها(٤).

=

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٦٥): رجاله ثقات، وينظر: (أحاديث باب ١٩) أخرجه أبو شامة المقدسي (الباعث: ٢٤) واللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/٨٦، رقم:١٠٤) والبيهقي (المدخل: ١٨٦، رقم: ٢٠٤).

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (١/٢٧٠، برقم: ١٧٤)، قال الداراني: إسناده منقطع... وأخرجه المروزي في السنة وابن بطة في الإبانة بإسناد صحيح. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٥٥): رجاله ثقات، وفيه انقطاع، بين الأعمش وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه أبو شامة المقدسي (الباعث: ٢٤، ٢٥) وابن أبي شيبة (المصنف: ١٣٧/١٤، رقم: ١٧٨٧٣) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١/١٨٢).

(٢) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (١/١٩٠).

(٣) تقدم تخريج الحديث (ص ١١٣).

(٤) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (٨٨/٢) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

وعلى مسلك الصحابة سلك التابعون في اتباعهم لهدي النبي ﷺ واجتنابهم البدع والمحدثات، وحضّوا على اتباع السنة كما حذّروا كل الحذر عن البدع والخرافات فروى الإمام الدارمي عن حَسَّان بن عطية المحاربي، قال: «مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ»(٢).

فالحاصل من هذه النصوص والآثار أن كل بدعة طعنة في الدين، وضلالة عن الهدى، وسبب لذهاب السنن، وافتراق المسلمين واستحلال دمائهم؛ ولذلك ذمّها الله ورسوله والسلف الصالح، وحذّروا منها كل الحذر، وحثّوا على اتباع الكتاب والسنة، فيجب على الداعية المسلم الابتعاد عن البدع والابتداع، وأن لا يدعو ببدعة، ولا إلى بدعة، بل يسلك مسلك السلف الصالح في منهج دعوته، ويتجرّد اتباع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، بعيدا عن البدع والشوائب والشبهات.

القاعدة الثانية عشر: الدعوة مبنية على ما يوحى لا على الهوى والغوى(٣)

المقصود من هذه القاعدة أن الدعوة إلى الله تبنى على الوحي الذي يوحى على النبي ﷺ من الكتاب والسنة، وليست مبنية على ما يهواه النفس إليه من الشهوات

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٦).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، (١/٢٢٨، برقم:١٠٠)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٢): رجاله ثقات. أخرجه الآجري (الشريعة: ٦٤)، وابن سعد (الطبقات: ٧/١٨٤)، وأبو نعيم (الحلية: ٢/٢٨٧)، والفريابي (كتاب القدر: ١/٢١٣).

(٣) الفرق بين هذه القاعدة والقاعدة السابقة هو: أن القاعدة الأولى تمنع من البدع والابتداع وهو أعم من الهوى، لأن الهوى هو ما يهوي إليه النفس وغالبا ينسب إلى النفس، والبدعة قد لا تكون هي هوى نفسه بل تكون هوى غيره سمعها من الآخرين. والله أعلم.

والهفوات والرغبات؛ لأن هوى المسلم تابعا لما جاء به نبينا محمد ﷺ، كما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»**[1]. أي لا يكون أحد مؤمنا كاملا إلّا إذا جعل هوى النفس تابعا لما جاء به نبينا محمد ﷺ؛ لأنّ ما جاء به نبينا ﷺ كلّه من ربّنا تبارك وتعالى، ونبيه ﷺ ما ينطق عن هوى نفسه كما قال جل شأنه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2].

فعلى الداعية المسلم أن يجعل هوى نفسِه تبعاً لما جاء به نبينا محمد ﷺ، فالداعية المسلم هو قدوةٌ للآخرين؛ فعليه أن يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى، وموافقاً لهدي النبي ﷺ، خاليا عن الأهواء والشوائب والشهوات والهفوات، حتى إذا أكل وشرب فيكون منضبطاً بهدي النبي ﷺ من آداب الأكل والشرب، وإذا مشى على الأرض فيكون منضبطاً بآداب المشي، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[3]، وهكذا يكون هواه تابعا في جميع الأعمال لما جاء به النبي ﷺ، وإذا دعا إلى أي عمل، أو حكم في أي أمر أو نزاع؛ فلا يتبع هوى النفس في ذلك، كما حذّر منه أحكم الحاكمين ربّنا جلا وعلا، فقال: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴾[4]. فلذا يجب عليه أن لا يضل الناس عن سبيل الله باتباع شهوات النفس.

وتستفاد هذه القاعدة من آثار الدراسة بأثر أَبِي قِلَابَةَ -رحمه الله-، فروى الإمام الدارمي عنه أنه قال: «إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارَ،

---

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (١/٢١٢-٢١٣).
وقال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩/١، برقم: ١٦٧): ضعيف الإسناد.

(٢) النجم: ٢ — ٤.

(٣) لقمان: ١٨.

(٤) سورة ص، جزء من الآية رقم : ٢٦.

فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا -أَوْ قَالَ: حَدِيثًا- فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[2]، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[3]، فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ» قَالَ حَمَّادٌ: ثُمَّ قَالَ أَيُّوبُ عِنْدَ ذَا الْحَدِيثِ أَوْ عِنْدَ الْأَوَّلِ: وَكَانَ -وَاللَّهِ- مِنَ الْفُقَهَاءِ ذَوِي الْأَلْبَابِ يَعْنِي: أَبَا قِلَابَةَ[4].

فهذا الأثر كما يبيّن مذمّة أهل الأهواء كذلك يبيّن فضل أهل الحق، فيظهر فيه فقه أبي قلابة الجرمي، وعلمه، وفطنته، ومقامه ومرتبته عند حفاظ الحديث كحماد بن زيد وأيوب السختياني، لأن أبا قلابة -رحمه الله- قارن بين أهل الأهواء وبين أهل النفاق دفاعاً عن الحق والهدى و كشفا عن الهوى والغوى والضلالة، وبيّن مصيرهم وصفاتهم المشتركة السيئة؛ لكي يحذر الداعية المسلم عن صفاتهم وعن هوى النفس، ويتبع منهج السلف الصالح في سير دعوته، ويجعل هواه تبعاً لما جاء به النبي محمد ﷺ.

القاعدة الثالثة عشر: إنزال الناس منازلهم.

المقصود من هذه القاعدة أن على الداعية أن ينزّل الناس ما يستحقونه من المنزلة والمرتبة، وأن يخاطبهم بألقاب تناسبهم حسب علمهم ومرتبتهم وبقدر الحاجة؛ لأن ذلك يؤثر كثيراً في عملية الدعوة ونجاحها، ويترك آثاراً إيجابياً على المدعوين، ويدلّ على ذلك الأثر السابق المروي عن أبي قلابة الجرمي حيث أعطاه أيوب السختياني منزلته العلمية واعترف له بفقهه وفطنته، وأنزله منزلته الملائمة.

---

(١) التوبة: ٧٥.

(٢) التوبة: ٥٨.

(٣) التوبة: ٦١.

(٤) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٨).

والنصوص في هذا كثيرة، ولكن الأصل في هذا -فيما أعلم- حديث عائشة ﵂ عند مسلم أنها قالت: **أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**(١)، وفي رواية عند أبي داود عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ، أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ مَرَّ بِهَا سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ؛ فَأَقْعَدَتْهُ، فَأَكَلَ، فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»**(٢).

هذا الحديث وإن كان ضعيفاً ولكن يؤيد معناه أحاديث صحيحة أخرى عن النبي ﷺ، فروى مسلم عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: **«أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ»**(٣)،

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ وَالْجَافِى عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»**(٤).

وقد استدل هؤلاء الأئمة الكرام بهذه الأحاديث على القاعدة "إنزال الناس منازلهم"؛ إذ بوّب الإمام أبو داود لهذه الأحاديث بقوله: "باب تنزيل الناس منازلهم"، وكذلك عقَد الإمام النووي لحديث مسلم باباً باسم "باب مناولة الأكبر"، وبوّب الإمام القرطبي في كتابه "المفهم لما أَشكَل من تلخيص كتاب مسلم" بقوله: "باب الأمر بتنزيل

---

(١) في مقدمة صحيحه (٦/١) معلقاً. قال النووي: "وبالنظر إلى أنه احتج به وأورده إيراد الأصول الأصول لا إيراد الشواهد يقتضى حكمه بصحته". (شرحه على صحيح مسلم ١٩/١).

(٢) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٤١١/٤، برقم: ٤٨٤٤) قال أبو داود: ميمون لم يدرك عائشة. وضعفه الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٣٦٨/٤، برقم: ١٨٩٤) ولكن معناه صحيح كما صرّح بذلك غير واحد من أهل العلم كالشيخ عبد المحسن العبّاد في شرح سنن أبي داود رقم الدرس (٥٤٩).

(٣) في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (١٧٧٩/٤، برقم: ٢٢٧١، ٣٠٠٣).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٤١١/٤، برقم: ٤٨٤٥). حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٨/١، برقم: ٢١٩٩).

الناس منازلهم ..."، ثم قال في معنى الحديث: "الحَضُّ على مراعاةِ مقادير الناس، ومراتبهم، ومناصبهم، فيعامل كلُّ واحد منهم بما يليقُ بحاله، وبما يلائمُ منصبه في الدينِ والعلمِ والشَّرَفِ والمرتبة؛ فإنَّ الله تعالى قد رتَّبَ عبيده وخَلْقَه، وأعطى كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه، وقد قال ﷺ : «**خيارُهُم في الجاهليَّةِ خيارُهُمْ في الإسلام إذا فقُهُوا**»[(1)]"[(2)].

فهذا يدلّ على أهمية هذه القاعدة وضرورتها في حياة المسلم عامة، وفي حياة الداعية إلى الله خاصة، وإذا نظرنا في سيرة النبي ﷺ نجد أنه ﷺ كثيرا ما يعطي الناس مكانتهم، وينزلهم منازلهم؛ ونجد مظاهرها في رسائله ﷺ أيضاً إلى الملوك والأمراء، حينما كتب إليهم فأنزلهم منازلهم، فكتب إلى ملك الروم: «... **مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ** ... الحديث»[(3)]؛ فخاطبه ﷺ بـ"عظيم الروم"، وأنزله منزلته اللائقة؛ فإن في مثل هذا تأثيرا عظيما على نفوس الناس، فهذا ملك الروم إذا قرأ كتاب النبي ﷺ تأثّر به ولكن حُبّ المُلك كان معوّقة كبيرة لقبوله الدعوة الإسلامية.

وبسبب أهمية هذه القاعدة وضرورتها أقيمت في عصرنا الحاضر دورات تدريبية مستقلة في المؤسسات التعليمية الحديثة، يتعلّم فيها الموظفون هذه القاعدة ويتدرّبون عليها للحصول على الوظائف المميّزة؛ فالداعية إلى الله وظيفته أعظم وظيفة وأحسنها، فلذا يجب عليه أن يراعي تلك القاعدة في عملية الدعوة إلى الله، ويعطي كل ذي حقّ حقّه من مكانته ومنزلته ووجاهته.

القاعدة الرابعة عشرة: الوسطية في الدعوة إلى الله.

معنى الوسطية في اللغة: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام (١٩٦/٤، برقم: ٣٣٥٣، ٣٥٨٨)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس (٢٥٢٦).

(٢) المفهم (١٢٥/١-١٢٧)، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، (٨/١، برقم: ٧، ٢٩٤١، ٦٢٦٠)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه ...، (١٣٩٣/٣، ١٧٧٣).

والنصف..."[1]. ويجيء كلمة الوسط بمعنى الخيار والعدل والأفضل، وتستعمل لما كان بين شرّين وهو خير، وترد لما كان بين شيئين فاضلين، ولما كان بين الجيد والرديء، وتطلق أيضاً على ما كان بين الشيئين حسًّا، كوسط الطريق[2].

مفهوم الوسطية في الاصطلاح:

قال الشيخ ناصر بن سليمان العمر: "أن هذا المصطلح لا يصحّ إطلاقه إلا إذا توافرت فيه صفتان:

١- الخيريَّة، أو ما يدلّ عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.

٢- البينيَّة، سواء أكانت حسِّيَّة أو معنويَّة.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلا في مصطلح الوسطيَّة. فلابدَّ مع الخيريَّة من البينيَّة حتى تكون وسطًا ... ومن هنا نخلص إلى أنَّ أيَّ أمر اتَّصف بالخيريَّة والبينيَّة جميعًا فهو الذي يصحّ أن نُطلق عليه وصف: الوسطيَّة، وما عدا ذلك فلا".[3] اهـ.

المقصود من هذه القاعدة أنه يجب على الداعية المسلم أن يسلك منهج الوسطية في سير دعوته، بعيدا عن الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، ويمشي بينهما وسط الطريق الصراط المستقيم، كما مشى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، اتباعا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[4]، وقد جاء في تفسير هذه

(١) معجم مقاييس اللغة، باب الواو والسين (١٠٨/٦).

(٢) ينظر تفاصيل هذه المعاني مع ذكر الأمثلة في: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، للدكتور ناصر بن سليمان العمر (ص١٣-٤٠،١٨) ط دار الوطن الرياض، ١٤١٣هـ. وبحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، مجموعة من العلماء، (١/٧-٨) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.

(٣) الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر بن سليمان العمر (ص٤١-٤٢).

(٤) الأنعام: ١٥٣.

الآية حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ تَلَا هذه الآية(١).

تستفاد هذه القاعدة من بعض آثار الدراسة، منها أثر الْحَسَنِ البصري، أنه قَالَ: "سُنَّتُكُمْ -وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- بَيْنَهُمَا: بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى، وَهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ فِيمَا بَقِيَ: الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الْإِتْرَافِ فِي إِتْرَافِهِمْ، وَلَا مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي بِدَعِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ فكذاكم -إِنْ شَاءَ اللهُ- فَكُونُوا"(٢).

فالأثر صريح في منهج الوسطية، وأن أهل السنة والجماعة قد سلكوا هذا المنهج الوسط بين الغالي والجافي أي بين الإفراط والتفريط، ولم يغتروا في ذلك بكثرة أتباع المبتدعة وأهل الأهواء.

ودلّ عليها أثر عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أيضاً، أنه قَالَ: «مَا زَالَ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ أَبْنَاءُ النِّسَاءِ الَّتِي سَبَتْ بَنُو

---

(١) تقدم تخريج الحديث (ص ١٦٥).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (١/ ٢٩٦، برقم: ٢٢٢)، قال الداراني: إسناده ضعيف.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٦٧): فيه المبارك بن فضالة: صدوق يدلس، قال الذهبي: وقال مبارك: جالست الحسن ثلاث عشرة سنة، وقال ابن معين: قد رآي (الميزان: ٣٥١/٤) أخرجه أبو شامة المقدسي (الباعث: ٢٦).

شرح غريب الأثر:

«**الإتراف**» : وهو من الترف، التاء والراء والفاء كلمة واحدة، وهي التُّرْفَة. يقال رجلٌ مُترفٌ مُنَعَّمٌ، والمترَفُ الذي قد أَبْطَرَتْه النعمةُ وسَعة العيْشِ وأَتْرَفَتْه النَّعْمةُ أَي أَطْغَتْه. (ينظر: معجم مقاييس اللغة، باب التاء والراء ٣٤٥/١، ولسان العرب لابن منظور ١٧/٩).

إِسْرَائِيلَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَقَالُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ فَأَضَلُّوهُمْ»[1].

الشاهد في هذا الأثر هو قوله "معتدلاً"؛ لأن بني إسرائيل لما عمِلوا بكتاب الله، ولم يتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله، ولم يقدّموا آراء علمائهم على كتاب الله، كان أمرهم معتدلا ووسطا وخيرا، ولكنهم حينما قدّموا آراء علمائهم ضلوا عن سواء السبيل.

وقد جاء في هذا الأثر لفظ "معتدلا" وهو من الاعتدال، الذي يرادف الوسطية كما فسّر النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾[2]، بقوله: «**والوسط: العدل**»[3].

ودل عليها أثر عَبْدِ اللَّهِ (بن مسعود) رضي الله عنه أيضاً، أنه قَالَ: «الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ»[4].

وجه الاستدلال بهذا الأثر: سئل الشيخ عبد المحسن العباد: ما توجيه هذه المقولة: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة؟ فأجاب: "أي: أن على الإنسان أن يقتصد ويأتي بالشيء الذي لا يشق عليه، وليس هناك تناسب بين الاجتهاد في البدعة وعدم الاجتهاد فيها؛ لأن البدعة مذمومة سواءً كانت قليلة أو كثيرة.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٣٤).

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾، (٦/٢١، برقم: ٤٤٨٧، ٣٣٣٩).

(٤) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (١/ ٢٩٦، برقم: ٢٢٣)، قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٦٧): سنده حسن، موسى بن خالد أبو الوليد الحربي، قال ابن حجر: مقبول. قلت (أي الزهراني): وهو أفضل من ذلك، روى له مسلم، أخرجه أبو شامة (الباعث:٢٤). إهـ.

وقال الألباني: صحيح موقوف، (صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٠، برقم: ٤١).

وأما الاقتصاد في السنة فهو أن على الإنسان ألا يتعب نفسه في أمور مشروعة ومستحبة بحيث أنه يفوت على نفسه خيراً كثير، أو يترتب على ذلك أن يترك تلك السنن التي اجتهد فيها، فعلى المرء بالاعتدال والتوسّط وعدم الإفراط الذي يؤدي إلى الترك وإلى الضرر، أو التفريط الذي يؤدي إلى الإهمال" إهـ[1].

القاعدة الخامسة عشرة: التثبت في الأمور الدعوية.

المقصود من هذه القاعدة أنه يجب على الداعية المسلم أن يتثبّت في تبليغ الدين ونشره، ولا ينبغي له أن يبيّن الأحكام والمسائل إلا بعد التثبّت والتحقق والتفحص فيها، كما قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: "الواجب على أهل العلم والدعاة إلى الله عز وجل تحري الحق بالأدلة الشرعية وأن يتثبتوا في كل ما يقولون أو يقدرون أو يفتون به حتى تتضح الأدلة لمن يرشدونه أو يوجهونه؛ لأن الله سبحانه وتعالى حرم عليهم القول بغير علم، فالواجب على أهل العلم التثبت في الأمور وفيما يقولونه من أحكام وما يدعون إليه وما ينهون عنه حتى تكون جميع الأحكام التي يصدرونها عن بينة وعن بصيرة"[2].

تستفاد هذه القاعدة من أثر حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ[3]، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ[4]، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ سَتُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُحْدَثَةً،

---

(١) شرح سنن أبي داود، للعباد، رقم الدرس ٤٣٤.

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (١٢٤/٧).

(٣) هو أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي، وولى القضاء ببغداد وكوفة، ثقة فقيه روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي ١٩٤هـ أو ١٩٥هـ. يراجع ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب (٦٨/٩)، وتهذيب الكمال للمزي (٥٦/٧).

(٤) هو أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي الأسدي الكوفي، المعروف بـ"الأعمش"، من صغار التابعين، ثقة حافظ يدلس، روى له أصحاب الكتب الستة، ولد ٦١هـ وتوفي ١٤٧ أو ١٤٨هـ. يراجع ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب (٥/١٠)، وتهذيب الكمال للمزي (٧٦/١٢).

فَعَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ» قَالَ حَفْصٌ: كُنْتُ أُسْنِدُ عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ دَخَلَنِي مِنْهُ شَكٌّ[(١)].

ففي هذا الحديث دلالة على "التثبّت في الأمور الدعوية"؛ لأن حفص بن غياث لما حصل له شك في بعض رواة الحديث ذكره بسند آخر الذي ليس فيه شك؛ فهذا من تثبّته -رحمه الله- في نشر الحديث النبوي، وتبليغ الدين، وهكذا على الداعية المخلص أن يتثبّت في كل ما يبلّغ للناس ويبيّن لهم من الدين.

والأصل في هذا الباب قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[(٢)]، قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: "قرأ الجمهور: «فَتَبَيَّنُوا» من التَّبَيُّنِ، وقرأ حمزة والكسائي: «فَتَثَبَّتُوا» من التثبت، والمراد من التبيّن: التعرف والتفحُّص، ومن التثبّت: الأناة، وعدم العَجَلة، والتبصُّر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتّضحَ ويظهر"[(٣)].

وإذا نظرنا في سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان نجد أنهم كانوا حريصين أشد الحرص على التثبت في الأحاديث ونقل أحكام الدين، فروى البخاري عن أنس ﷺ قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبي ﷺ قال: **«من تعمد علي كذبا، فليتبوأ مقعده من النار»**[(٤)]، فهؤلاء الصحابة ﷺ كانوا يتثبتون في بيان الأحاديث وروايتها، مخافة أن يقعوا في الخطأ بكثرة روايتها؛ لأن كثرة الرواية مظنة الخطأ، ولذلك أكثر الصحابة ﷺ كانوا قليل الرواية، وهكذا على الداعية الحصيف أن يتحرى، ويتثبّت في الأمور الدعوية، ولا يبيّن المسائل إلا بعد التحقّق والتفحّص والتمحيص، لكي يجتني بدعوته ثمارا جَنِيًّا.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٦٧).

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) تفسير فتح القدير (٥/٧١).

(٤) في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، (١/٣٣، برقم: ١٠٧).

القاعدة السادسة عشرة: الحق حق ولو قلّ أتباعه، والباطل باطل ولو كثر أتباعه. (كون الأكثرية ليست دليلا على الحق).

المقصود من هذه القاعدة أن العبرة في إحقاق الحق وإبطال الباطل ليست بكثرة أتباعه، بل العبرة بما جاء موافقاً للكتاب والسنة، وأما ما جاء مخالفاً لهما فهو باطل ولو كثرت أتباعه، ولذلك لا يغتر الداعية بكثرة الضالين الباطلين وغلبة الهالكين، لأن الباطل يتبعه أكثرية الناس كما هو مشاهد في تاريخ البشرية، وقد جاء ذم الأكثرية في القرآن الكريم أكثر من عشرين موضع[1]، ومنها: قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[2]. وعلى العكس جاء مدح الأقلية، كما قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3].

كما يجب على الداعية أن لا يغتر بكثرة أتباع الضالين المنحرفين، كذلك لا ييأس بقلة أتباعه لأنه جاء مدح الأقلية، ولأنه كم من نبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد أو معه رجل أو رجلان، كما قال النبي ﷺ : «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**.. الحديث»[4].

وتستفاد هذه القاعدة من أثر الْحَسَنِ -رحمه الله-، أنه قَالَ: "سُنَّتُكُمْ -وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- بَيْنَهُمَا: بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى، وَهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ فِيمَا بَقِيَ: الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الْإِتْرَافِ فِي إِتْرَافِهِمْ، وَلَا مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي بِدَعِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ

---

(١) ينظر على سبيل المثال: سورة البقرة آية ٢٤٣، وسورة الأعراف آية ١٨٧، وسورة هود آية ١٧، وسورة يوسف آيات ٢١، ٣٨، ٤٠، ٦٨، ١٠٣، وسورة النحل آية ٣٨، وسورة الإسراء آية ٨٩، وسورة غافر آيات ٥٧، ٥٩، ٦١، وسورة الجاثية آية ٢٦. وما إلى ذلك.

(٢) الأنعام: ١١٦.

(٣) سبأ: ١٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (١/١٩٩، برقم: ٢٢٠).

فكذاكُمْ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- فَكُونُوا"[١].

وجه الشاهد في هذا الأثر: وهو أنه جاء في هذا الأثر وصفُ أهلِ السنة والجماعة على لسان الحسن البصري ﷺ؛ إذ وصفهم بأنهم أقلّ الناس فيما ما مضى أي فيما سلف، وكذلك هم أقل الناس فيما بقي، ومع قلة عددهم لم يذهبوا أهل السنة مع أهل الإتراف وأهل البدع، بل صبروا على سنة نبيه ﷺ وسلكوا على منهج الوسطية بين الغالي والجافي، وبين الإفراط والتفريط حتى لقوا ربهم، ولم يغرهم كثرة الضالين.

فالحاصل أن الأكثرية ليست ميزان الحق، ومن الواجب على الداعية والمدعوين أن لا يغتروا بكثرة الناس، ولا ييأسوا بقلة أتباعه وجماعته، بل يستمروا في عملية الدعوة إلى الله ولو لم يقبله أحد، ويصبر على ما يجد الأذى من الأعداء متأسياً بهدي النبي ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان[٢].

القاعدة السابعة عشرة: وضوح المنهج في الدعوة إلى الله.

المنهج من النَّهْج وهو: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْبَيِّنُ[٣]، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤]، المنهاج كالمنهج، وفي حديث الْعَبَّاسِ: "لَمْ يَمُتْ رسولُ الله ﷺ، حَتَّى تَرَكَكُم عَلَى طريقٍ ناهِجةٍ" أي واضحةٍ بيّنةٍ[٥].

المقصود من هذه القاعدة أن يكون منهج الداعية واضحا بيّنا في دعوته، وذلك بوضوح أهدافها ومقاصدها، ووسائلها وأساليبها، ومسائلها وأحكامها، ومجالاتها المختلفة،

---

(١) تقدم تخريجه مع شرح غريبه (ص ١٧٤).

(٢) ينظر هذه القاعدة بالتفصيل في كتاب: "تذكير أسود الصحوة بجمل من قواعد الدعوة" لوليد السعيدان (ص١١٩-١٢٣).

(٣) غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٥٠٢/٢).

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣٨٣/٢)، ذكر ابن منظور حديث ابن عباس لتوضيح معنى "المنهج" فهو نفسه ورد عند الإمام الدارمي الذي استدللت به في هذه القاعدة وتقدم تخريجه (ص ١٥٣).

وأن لا يكون في منهجه أيّ غموض وخفاء؛ لأن وضوح المنهج له دور كبير في نجاح الداعية في دعوته، وعلى هذا المنهج الواضح البيّن، تركَنا النبيُّ ﷺ؛ إذ قال ﷺ في موعظته البليغة : **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**(١).

تستفاد هذه القاعدة من حديث عباس رضي الله عنه عند الدارمي حينما توفي رسول الله ﷺ واختلف الناس فيما اختلفوا فقام عباس رضي الله عنه وقال: ".... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -وَاللَّهِ- مَا مَاتَ حَتَّى تَرَكَ السَّبِيلَ نَهْجًا وَاضِحًا، فَأَحَلَّ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ، مَا كَانَ رَاعِي غَنَمٍ يَتَّبِعُ بِهَا صَاحِبُهَا رُءُوسَ الْجِبَالِ يَخْبِطُ عَلَيْهَا الْعِضَاةَ بِمِخْبَطِهِ وَيَمْدُرُ حَوْضَهَا بِيَدِهِ بِأَنْصَبَ وَلَا أَدْأَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(٢).

فهذا الصحابي الجليل عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يبيّن لنا بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة بأن النبي ﷺ ترك السبيل نهجا واضحاً، ثم يبيّن معنى هذا الوضوح بقوله: "فأحلَّ الحلالَ، وحرّم الحرامَ" كما جاء في حديث صحيح مرفوع عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»**(٣).

ثم يبيّن هذا الصحابي الجليل معنى الوضوح بقوله "وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ...الخ" أي بيّن مسائل النكاح والطلاق، والمحاربة والمسالمة، حتى بيّن ﷺ آداب الأكل والشرب، وآداب دخول الخلاء وخروجه.

ومن فقه هذا الصحابي الجليل، وفهمه، وذكاءه، وفطنته، وعلوّ همته، أنه بيّن وضوح المنهج بالتفصيل في وقت الهموم والغموم بسبب حادثة وفاة النبي ﷺ؛ ويؤيّده ما

(١) سنن ابن ماجه، كتاب أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (١/٢٩، برقم: ٤٩). وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٦١٠، برقم: ٩٣٧).

(٢) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه (ص ١٥٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه، (١/٢٠، برقم: ٥٢، ٢٠٥١). وصحيح مسلم، كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/١٢١٩برقم: ١٥٩٩).

رواه ابن ماجه من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**». قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ -وَاللهِ- رَسُولُ اللهِ ﷺ، تَرَكَنَا -وَاللهِ- عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ(١).

قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾(٢) "أي ضَحْوةً من النهار ليكون أظهرَ وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كلُّ أمرِهم بيّن واضح ليس فيه خَفاء ولا ترويج"(٣).

ودلّ أيضاً على وضوح المنهج أثرُ ابن شبرمة(٤) عند الإمام الدارمي فروى عن إِبْرَاهِيم بْن أَدْهَمَ(٥)، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ شُبْرُمَةَ عَنْ شَيْءٍ وَكَانَتْ عِنْدِي مَسْأَلَةٌ شَدِيدَةٌ، فَقُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ، انْظُرْ فِيهَا، قَالَ: "إِذَا وَضَحَ لِيَ الطَّرِيقُ وَوَجَدْتُ الْأَثَرَ لَمْ أَحْبِسْ"(٦).

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب أبواب السنة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١/٥، برقم: ٥). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٢/٢، برقم: ٦٦٨).

(٢) طه: ٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٠٠/٥).

(٤) هو أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة بن الطفيل الضبي، قاضي الكوفة، ثقة فقيه من صغار التابعين، روى له البخاري تعليقاً والباقون سوى الترمذي، وتوفي سنة ١٤٤هـ بخراسان. يراجع ترجمته: (التاريخ الكبير للبخاري ١١٧/٧، برقم: ٣٤٩) و(تهذيب الكمال ٧٦/١٥).

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور الزاهد العجلي التميمي البلخي الخراساني، ثقة مأمون، من أتباع التابعين، روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي، وتوفي سنة ١٦٢هـ وقيل ١٦١هـ. يراجع ترجمته: (تاريخ بغداد: ٣١/٢١، برقم: ٣١)، و(السير ٣٨٧/٧).

(٦) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب الإقتداء بالعلماء، (٢٩٨/١، برقم: ٢٢٦)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص: ٦٨): سنده حسن، ولم أقف عليه عند غير المصنف.

شرح غريب الأثر:

=

ففي هذا الأثر دلالة واضحة على وضوح المنهج في الدعوة إلى الله عند التابعين أيضاً، وإذا وضّح لهم الطريق بورود الآثار والأحاديث في أيّة مسألة، لم يقفوا عن العمل، ولم ينظروا يمينا ولا شمالا، بل كانوا يكتفون على السنن والآثار.

****

=

«**لَمْ أَحْبِسْ**» : من الحبس وهو ما وُقف، يقال: أَحْبَسْتُ فرساً في سبيل الله، معناه: لم أقف عن العمل أو المشي على الطريق الواضح. ينظر: (معجم مقاييس اللغة ٢/١٢٨).

الفصل الثاني: فقه الداعية

فيه أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول : تعريف الداعية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: صفات الداعية من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث : أنواع الدعاة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الرابع : الأحكام التي تختص بالداعية من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الأول:

تعريف الداعية لغة واصطلاحاً.

فيه مطلبان:

المطلب الأول: الداعية في اللغة:-

الداعية اسم فاعل من الفعل "دَعَوَ" والتاء فيه للمبالغة كما يقال للعالم الكبير: العلّامة، مبالغةً في علمه، فالداعي إذاً هو الذي يقوم بعمل الدعوة، سواء كانت الدعوة إلى الطعام، أو إلى مذهب أو دين أو فكر.

قال صاحب تاج العروس: "... النبيُّ ﷺ داعِي اللهِ؛ وهي من قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1]، أَي إِلَى تَوْحيدِهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ.

ويُطْلَقُ الدَّاعِي على المؤَذِّنِ أَيْضاً، لأنَّه يَدْعُو إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِن اللهِ. وَقد دَعا فَهُوَ داعٍ، والجَمْعُ: دُعاةٌ ودَاعُونَ كقُضاةٍ وقَاضُونَ"[2].

وقد تأتي الداعية بمعنى المصدر كما قال ابن الأثير: "وَفِي كِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ «**أَدْعُوك بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ**»[3] أَيْ بِدَعْوَتِهِ، وَهِيَ كلمةُ الشَّهادَةِ الَّتِي يُدْعَى إِلَيْهَا أَهْلُ المِلَل الكافِرَة، وَفِي رِوَايَةٍ: «**بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ**»[4]، وَهِيَ مَصْدر بِمَعْنَى الدَّعْوة، كالعافية والعَاقبة"[5].

فالحاصل أن "الداعية" اسم فاعل، مشتقة من أصل كلمة (دعا أو دعو)، وتقدم معانيها بالتفصيل في المبحث من الفصل الأول.

---

(١) الأحزاب: ٤٦.

(٢) (٤٧/٣٨) مادة (دعو).

(٣) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، (٨/١، برقم: ٧)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، (١٣٩٣/٣، برقم: ١٧٧٣).

(٤) صحيح مسلم، المرجع السابق (١٣٩٧/٣، برقم: ١٧٧٣).

(٥) النهاية في غريب الحديث، (١٢٢/٢)، مادة (دعو).

المطلب الثاني: الداعية في الاصطلاح:-

عرّفه العلماء بتعريفات عديدة، وسأذكر بعضا من أهمّها كالآتي:

١- قال الإمام ابن القيم: "الَّذين يدعونَ الى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته"(١).

٢- وقيل: "هو المبلِّغ للإسلام، والمُعلِّم له، والساعي إلى تطبيقه"(٢).

٣- وقيل: "الدعاة هم الداعون إلى الله على سبيل رسول الله ﷺ، وعلى بصيرة وفقه في الدين"(٣).

٤- وقيل: "هو القائم بالدعوة، المبلغ لدين الله، ومرشد الناس إلى الطريق الصحيح"(٤).

٥- وقيل: "إن الداعية الكفء هو ذلك الإنسان الذي أحس بالمسؤولية، وشعر بالمخاطر التي تهدد دينه وأمته وعالمه وعمل على التحلي بالصفات الأساسية التي تعتبر أساسا للدعوة بمفهومها التبليغي الإيجابي"(٥).

٦- وقيل: هو كل من تتوفّر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة سواء أكان شخصاً حقيقياً أم اعتبارياً، وفق منهج الدعوة القويم"(٦).

٧- وقيل: "الداعي هو المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله"(٧).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٥٣).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبي الفتح البيانوني، (ص ٤٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

(٣) العلماء هم الدعاة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، (ص ٩).

(٤) منهجية علم الدعوة، د. محمد قاسم الشوم، (ص ٥٩) دار الكتب العملية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

(٥) من صفات الداعية، محمد الصباغ (ص ٩)، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٠٥م.

(٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم المغذوي (٢/٤٨٥).

(٧) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، (ص ٣٠٥) مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٨- وقيل هو: "العالم العامل وارث النبي ﷺ في مهمته الإرشادية، والقائم مقامه في إبلاغ دين الله"[١].

٩- قيل: "الداعي هو: من يقوم بالدعوة ويحثّ الناس على الطاعة"[٢].

الناظر والمتأمل في أحاديث الدراسة يجد ما دل على مفهوم الداعية، فقد روى الإمام الدارمي عن ربيعة الجرشي، يقول: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: لِتَنَمْ عَيْنُكَ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ، قَالَ: «**فَنَامَتْ عَيْنَايَ، وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَعَقَلَ قَلْبِي، قَالَ: فَقِيلَ لِي: سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، قَالَ: فَاللَّهُ: السَّيِّدُ، وَمُحَمَّدٌ: الدَّاعِي، وَالدَّارُ: الْإِسْلَامُ، وَالْمَأْدُبَةُ: الْجَنَّةُ**»[٣].

فقد جاء في هذا الحديث ذكر الداعي، وهو نبينا محمد ﷺ، ولا شك أن النبي ﷺ أكبر داعية، وقدوة للدعاة إلى الله في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية.

من خلال ما تقدم، ومن وجهة نظري أن الداعية هو: "**الشخص المسلم الذي يدعو إلى الله، بأوامر الله**".

ميزة هذا التعريف: تتميّز هذا التعريف عن التعريفات الأخرى بعدة اعتبارات؛ حيث أنه مختصر جداً، وأنه سهل للحفظ والقراءة، وأنه جامع وشامل، وأنه موافق للآية ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾[٤]، أي بأمره[٥]، وكذلك قال الإمام الشوكاني: "وداعيا إلى الله

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، (ص ٤٣٢)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٢) الدعوة الإسلامية ودعاتها، د. محمد طلعت أبو صير (ص ٣٨)، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٤).

(٤) الأحزاب: ٤٦.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء البلخي، =

يدعو عبادَ الله إلى التوحيد، والإيمان بما جاء به، والعمل بما شرعه لهم، ومعنى بإذنِه: بأمْرِهِ لَهُ بذلك[1].

شرح هذا التعريف:

قوله (**الشخص المسلم**): يدخل فيه كل من الإنس والجن، والذكر والأنثى. ويخرج منه الكافر، والمشرك، وأهل الكتاب، الذين يدعون إلى الله حسب زعمهم.

قوله (**الذي يدعو إلى الله**): يخرج منه كل مسلم الذي يدعو إلى هوى النفس، أو إلى بدعة، أو إلى قول إمام. ويدخل فيه الدعوة إلى عبادة الله ومعرفته، والدعوة إلى دين الله وهو دينه الإسلام.

قوله (**بأوامر الله**):

- يدخل فيه كل الوسائل المستحبة، كما يخرج منه كل الوسائل المحرّمة.
- ويدخل فيه كلّ ما أمر الله به ورسوله، وكلّ ما نهى الله عنه ورسوله؛ لأنه النهي أيضاً هو أمر من الله تعالى.
- ويدخل فيه أن يكون الداعية عالما؛ لأنه مأمور به كما قال تعالى: ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[2].
- ويدخل فيه أن تكون دعوته على علم وبصيرة؛ لأنه مأمور بها.
- ويدخل فيه كل الصفات اللازمة للداعية لأنه مأمور بها.
- ويدخل فيه أن تكون الدعوة مبنية على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة؛ لأنه مأمور بها.

=

(٥٠/٣) تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(١) فتح القدير (٣٣١/٤).

(٢) محمد: ١٩.

المبحث الثاني :

صفات الداعية من خلال أحاديث الدراسة.

توطئة:

إن الصفات هي التي تمثل صورة الإنسان الباطنة، فالإنسان إذا يأتي بأوصاف حسنة تظهر صورته حسنة، وإذا يأتي بأوصاف سيئة تظهر صورته سيئة، ولذلك يجب على الداعية الحصيف أن يتحلى بأوصاف حسنة وصفات جميلة، ويتجنّب الصفات السيئة، لكي يستثمر بدعوته ثماراً طيباً[(١)].

ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين كالآتي:-

المطلب الأول: الصفات الحسنة التي ينبغي للداعية أن يتحلى بها.

إن الصفات الحسنة لها أهمية بالغة في حياة المسلم عامة وفي حياة الداعية خاصة؛ لأن الداعية هو قدوة للآخرين، والناس يتأثرون بعمله أكثر من قوله، ولذلك يجب عليه أن يتصف بهذه الصفات الحسنة، وستُورد بعض منها الواردة في أحاديث الدراسة فيما يلي باختصار:-

الصفة الأولى: العلم.

العلم في اللغة: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً فهو عالم، والمفعول معلوم، نقيض جَهِلَ. ورجل علاّمة، وعلاّم، وعليم، وما عَلِمْتُ بخبرك، أي: ما شعرت به. وأعلمته بكذا، أي: أَشْعَرْتُه وعلّمته تعليماً. علِمَ الشَّخصُ بالخبر: حصلتْ له حقيقة العِلْم، عرفه وأدركه[(٢)].

---

(١) هناك ارتباط قوي بين صفات الداعية، وبين مجالات الأخلاق كما سيأتي بيانه في المبحث الرابع من الفصل الخامس، ولذلك ذكرها بعض العلماء والباحثين باسم "أخلاق الدعاة".

(٢) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (١٥٢/٢) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون سنة طبع. ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، بمساعدة فريق (١٥٤١/٢)، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ. مادة: (علم).

وأما في الاصطلاح: فهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع(١).

وقيل: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني(٢).

وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به(٣).

يجب على الداعية أن يكون متصفاً بزاد العلم، وأن يكون عنده علم بما يدعو إليه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(٤)، ويدل على هذه الصفة ما رواه الإمام الدارمي عن أبي مُوسَى ﷺ، أنه قال، فِي خُطْبَتِهِ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا، فَلْيُعَلِّمْهُ النَّاسَ، وَإِيَّاهُ أَنْ يَقُولَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَيَمْرُقُ مِنَ الدِّينِ وَيَكُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»(٥).

ففي هذا الأثر العظيم حضّ أبو موسى الأشعري ﷺ على طلب العلم، وحذّر عن الكلام بغير علم، وبيّن خطورته؛ إذ من تكلم بغير علم فإنه يمرق من الدين، فالدعوة بغير علم جرم عظيم، ونقصانه أكثر من نفعه كما تقدم بيان ذلك في القاعدة الدعوية : "الدعوة مبنية على العلم والبصيرة".

فالعلم له أهمية بالغة وفضل عظيم، وبذلك رفع الله درجات العلماء والدعاة، فإذاً

---

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ص ١٥٥)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة، والفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) (ص ٨١)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر، بدون سنة طبع.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٥) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١/٢٧٤، برقم: ١٨٠)، قال الداراني: رجاله ثقات، غير أنه منقطع.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٧): سنده حسن.

ما هو العلم؟ العلم هو علم الكتاب والسنة، وهو علم أحكام الدين، فروى الإمام الدارمي عن الزُّهْرِيِّ قال: "كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ"(١).

ويدلّ على أهمية العلم وضرورته أثر عطاءٍ فيما رواه الإمام الدارمي في تفسير هذه الآية: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ الآية(٢) قَالَ: "أُولُو الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَطَاعَةُ الرَّسُولِ: اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ"(٣). أولو العلم والفقه هم الدعاة إلى الله، والعلم الضروري عندهم هو علم الكتاب والسنة، كما هو ظاهر من الآية والأثر.

الصفة الثانية: التفقه في الدين.

"التفقّه" من الفقه ومعناه الفهم والعلم(٤).

ينبغي للداعية أن يفهم ما يقول، ويفقه ما يدعو إليه، وهناك فرقٌ بين العلم والفقه، قد يكون عند أحد علم ولكن ليس عنده فقه، فالفقه أدق من العلم، كما في معناه اللغوي: "الفهم الدقيق"، والعلم معرفة المعلوم، أي إدراك ما من شأنه أن يعلم على ما هو به في الواقع، فالحاصل أن كل فقه علم وليس كل علم فقه(٥).

---

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٥).

(٢) النساء: ٥٩

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء، (١/٢٩٧، برقم: ٢٢٥)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٨): سنده حسن، أخرجه اللالكائي (شرح أصول الاعتقاد: ١/٧٢،رقم:٧٥) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١/٢٨).

(٤) وتقدم معناه بالتفصيل لغة واصطلاحاً في المبحث الأول في التمهيد بعنوان: التعريف بمفردات عنوان الدراسة، ينظر صفحه رقم: (٢٣، وما بعدها).

(٥) ينظر: شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي، (ص٧٩) =

فبناء على هذا الفرق تُذكر هاهنا صفة التفقّه للداعية، فعليه أن يتفقه في كل شيء يدعو إليه، فروى الإمام الدارمي عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁، قَالَ: تَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ فِي زَمَنِ عُمَرَ ﵁ فَقَالَ عُمَرُ: «يَا مَعْشَرَ الْعُرَيْبِ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ، إِنَّهُ لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ، وَلَا إِمَارَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ، فَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى الْفِقْهِ، كَانَ حَيَاةً لَهُ وَلَهُمْ، وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى غَيْرِ فِقْهٍ، كَانَ هَلَاكًا لَهُ وَلَهُمْ»(١).

ففي هذا الأثر جعل عمر بن الخطاب ﵁ الفقه حياة للفقيه -وهو الداعية- وحياة للقوم -وهم المدعوين-، وجعل عدم التفقّه هلاكاً للفقيه وهلاكاً للقوم، نسأل الله السلامة والتوفيق.

وقلّة الفقه كما هو سبب للهلاك كذلك هو سبب للفتنة، فروى الإمام الدارمي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ». قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ

=

تحقيق: د. حسام الدين بن موسى، ط: جامعة القدس، فلسطين، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم، (١/٣١٥، برقم: ٢٥٧)، قال الداراني: في إسناده علتان: الأولى جهالة صفوان بن رستم، والثانية: الانقطاع. وعبد الرحمن بن ميسرة لم يدرك تميما الداري والله أعلم.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧٢): فيه صفوان، سكت عنه البخاري (التاريخ: ٤/٣٠٩) وفيه انقطاع بين بقية، وتميم، وعبد الرحمن مقبول، أخرجه ابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١/٧٤).

شرح غريب الأثر:

«**العريب**»: تصغير من العرب، وهم جيل من الناس معروف، خلاف العجم، وصغّرهم تعظيما لهم. ينظر: لسان العرب لابن منظور (١/٥٨٦)، (مادة: عرب).

أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»[1].

ولذا يجب على الدعاة وطلاب العلم أن يتفقهوا، ويطلبوا العلم من العلماء والفقهاء قبل قبضهم وذهابهم. نسأل الله العلم والفقه في الدين.

الصفة الثالثة: الإخلاص.

الإخلاص في اللغة: أخلصَ يُخلص، إخلاصًا وخلوصاً، فهو مُخلِص، والمفعول مُخلَص، أخلص الشَّيءَ: أصفاه ونقّاه من الشوائب. أخلص له النَّصيحةَ: أصفاها، نقَّاها من الغِشّ، وخلصته أَنا تخليصا إِذا صفيته من كدر أَو درن[2].

وأما في الاصطلاح: فقال الإمام ابن القيم: "الإخلاص هو: تجريد القصد طاعةً للمعبود"[3].

وقيل: "الإخلاص هو: تجريد قصْد التّقرّب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب"[4].

فالإخلاص هو أساس لكل عمل ونية وإرادة، فلذا يجب على الداعية إلى الله أن يخلص نيته في عمله الدعوية، وبهذا أمر الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[5].

---

(١) **تخريج الأثر:**
سنن الدارمي، المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه، (١/٢٧٨، برقم: ١٩١)، قال الداراني: إسناده صحيح.
وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٩): رجاله ثقات، أخرجه الحاكم (المستدرك: ٤/٥١٤) والبيهقي (المدخل: ٤٥٣، رقم: ٨٥٨).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة للأزدي (١/٦٠٤)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار وفريق عمل معه (١/٦٧٨)، مادة: (خ ل ص).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (٢/١٢٥).

(٤) أصول الدعوة وطرقها، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، المرحلة: بكالوريوس، (ص٢٩٣)، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(٥) سورة البينة، الآية: ٥.

ويدل على هذه الصفة حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، فيما رواه الإمام الدارمي عنه، أنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «...**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ**»(١).

الحديث صريح في وجوب إخلاص العمل لله تعالى، سواء كان هذا العمل دعوة أم عبادة، فيجب على الداعية أن يقصد بعمله الدعوي وجه الله، وأن يبتعد عن الرياء والسمعة وغير ذلك من الأعمال الفاسدة.

فالإخلاص هو أساس لقبول العمل، وسبب رئيسي لنجاح الدعوة، وإذا فقدت الإخلاص، وتُطلب الدنيا بعمل الآخرة فلبِسَتْهم الفتنة، كما روى الإمام الدارمي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، إِذَا تُرِكَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ: تُرِكَتِ السُّنَّةُ"، قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: "إِذَا ذَهَبَتْ عُلَمَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ جُهَلَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ»(٢).

الشاهد في هذا الأثر هو قوله "وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ" وهو ظاهر في استدلاله، فالناس إذا طلبوا الدنيا بالأعمال التي تطلب بها نعم الآخرة، وتفقهوا لغير الدين، تلبّسوا بالفتن والفساد والخلاف، ولذا يجب على الداعية أن لا يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب على دعوته أجرا، ولا ينتظر من أحد جزاء ولا شكوراً، وهكذا كانت سنة الأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَمَآ

(١) تقدم كامل الحديث مع تخريجه، وشرح غريبه (ص ٥٨).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه، (١/٢٧٩، برقم: ١٩٢)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، ولكن الحديث صحيح بما سبق.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٠): فيه يزيد بن أبي زياد: ضعيف، وينظر: السابق.

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)].

الصفة الرابعة: التقوى.

التقوى في اللغة: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، (اتَّقَى) يَتَّقِي، وَ(تَقَى) يَتْقِي كَقَضَى يَقْضِي. وَ(التَّقْوَى) وَ(التُّقَى) وَاحِدٌ. وَ(التَّقِيُّ الْمُتَّقِي) وَ(وَقَاهُ) اللَّهُ (وِقَايَةً) بِالْكَسْرِ حَفِظَهُ[(٢)].

وأما في الاصطلاح: فقد عرفه العلماء بتعريفات عديدة، منها: التقوى: هي اتخاذ وقاية من عذاب الله؛ وذلك بفعل أوامر الله، واجتناب نواهيه[(٣)].

وسئل علي رضي الله عنه، عن التقوى فقال: "هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل"[(٤)].

وقال ابن المعتز رحمه الله تعالى في معنى التقوى[(٥)]:

خلّ الذّنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التّقى
واصنع كماش فوق أر ... ض الشّوك يحذر ما يرى
لا تحقرنّ صغيرةً ... إنّ الجبال من الحصا

ففي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على ضرورة التقوى وأهميتها في حياة

---

(١) الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٥٤، ١٦٤، ١٨٠.

(٢) ينظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (ص ٣٤٤). ولسان العرب لابن منظور (٤٠١/١٥، وما بعدها) مادة (لقي).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (١٩١/٨)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، الطبعة ١٤١٣ هـ.

(٤) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، (٤٢١/١)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

(٥) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

المسلم عامة وفي حياة الداعية خاصة، منها: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، وقد قال رسول الله ﷺ : **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»**[3].

وروى الإمام الدارمي عن أبي عاصم[4] عَنِ ابْنِ عَوْنٍ[5]، -قَالَ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ- قَالَ: "كَانَ الشَّعْبِيُّ[6]، إِذَا جَاءَهُ شَيْءٌ اتَّقَى. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ (بن يزيد النخعي) يَقُولُ، وَيَقُولُ، وَيَقُولُ". قَالَ أَبُو عَاصِمٍ: كَانَ الشَّعْبِيُّ فِي هَذَا أَحْسَنَ حَالًا عِنْدَ ابْنِ عَوْنٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ[7].

---

(١) الطلاق: ٢ – ٣.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (٤٧٤/٣٨، برقم: ٢٣٤٨٩)، وصححه الألباني في "غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام"، (ص ١٩٠)، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٤) هو أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني النبيل البصرى، ثقة ثبت حافظ من صغار أتباع التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي بالبصرة سنة ٢١٢هـ أو بعدها. يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى (٢٩٥/٧). والتاريخ الكبير للبخاري (٣٣٦/٤).

(٥) هو أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، البصرى، من أحد الأعلام، ثقة ثبت فاضل، عاصر صغار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ١٥٠هـ. يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٣/٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٤/٦).

(٦) تقدمت ترجمته (ص ١٢٣)

(٧) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (٢٤٨/١، برقم: ١٣٥)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٤): رجاله ثقات، أخرجه الحافظ أبو زرعة الدمشقي =

وهذا الأثر يدل على أن عامر بن شراحيل الشعبي -رحمه الله- كان يتّقي ويخاف من كثرة الفتاوى، ومن الكلام بالرأي، وهكذا يجب أن يكون الداعية لا يتكلم كثيرا، ولا يتكلم برأيه، بل يتحدث بنصوص الكتاب والسنة، وعلى الداعية أن يكون متقياً في منهج دعوته ببعد مناهج المبتدعة والخوارج، وأن يكون متقياً في حياته عامة، وفي وظيفته الدعوية خاصة.

وقد جاء في أثر طويل عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- في صفة النبي ﷺ: "... وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا..."[(١)]، وهكذا قال في شأن أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ففي الأثر جاءت صفة التقوى للنبي ﷺ، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهم القدوة للدعاة إلى الله في جميع أمور الحياة.

الصفة الخامسة: الصدق.

الصدق في اللغة: ضد الكذِب، صدَق في الحديث يصدُق صِدقاً[(٢)].

والصدْق يُطلق على ثَلَاثَة معَان: الأول: الْحمل؛ فَيُقَال: هَذَا صَادِق عَلَيْهِ؛ أَي مَحْمُول عَلَيْهِ. وَالثَّانِي: التحقق، كَمَا يُقَال: هَذَا صَادِق فِيهِ؛ أَي مُتَحَقق. وَالثَّالِث: مَا يُقَابل الْكَذِب[(٣)].

=

في تاريخه (٦٦٥/١، رقم:٢٠٠٤) وابن عساكر: ٣٦٦/٢٥).

شرح غريب الأثر:

«وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ، وَيَقُولُ، وَيَقُولُ» : أراد أنه يستجيب للسؤال، يعني أنه كان يفتي أكثر من الشعبي وهذا رأي ابن عون، وكان يرى الشعبيَ أكثر تورعاً في الجواب من إبراهيم. ينظر: فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي لأبي عاصم الغمري (١٠٣/٢).

(١) وسيأتي كامل الأثر مع التخريج وشرح غريبه. (ص ٤٩٠).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة للأزدي (٦٥٦/٢)، ومختار الصحاح للرازي (ص ١٧٤).

(٣) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (١٦٩/٢)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

وأما في الاصطلاح: فهو "قول الحق في مواطن الهلاك"[(١)].

وقيل: "الصدق هو: الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب"[(٢)].

وقيل: "الصدق هو: مطابقة القول الضمير والـمُخبَر عنه، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًا"[(٣)].

تستفاد هذه الصفة من أثر ابْنِ غَنْمٍ[(٤)] كما رواه الإمام الدارمي عنه، أنه قَالَ: "نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَقَّ بَطْنَهُ. ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ فِيهِ أُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ وَعَيْنَانِ بَصِيرَتَانِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الْمُقَفِّي، الْحَاشِرُ، خُلُقُكَ قَيِّمٌ، وَلِسَانُكَ صَادِقٌ، وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ"[(٥)]. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: " وَكِيعٌ يَعْنِي: شَدِيدًا ".

الشاهد في هذا الأثر هو قوله: "ولسانك صادق"، فهذه صفة الصدق الواردة في شأن النبي ﷺ تدل على أهميتها وضرورتها في حياة الداعية، وقد جاءت ذكر هذه الصفة

---

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (ص٩٥).

(٢) الواضح في أصول الفقه، لابن عقيل، (١/١٢٩).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، (ص ١٩٣)، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨ هـ. و المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٤٧٨)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.

(٤) هو عبد الرحمن بن غنم الأشعري الشامي، اختلف في صحبته، قال البخاري: له صحبة، وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين، وروى له البخاري تعليقا، وأصحاب سنن الأربعة، وتوفي سنة ٧٨هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٥/٢٤٧). والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٢/٨٥٠). وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٧/٣٣٩).

(٥) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، (١/١٩٩، برقم: ٥٤)، قال الداراني: في إسناده ثلاث علل: عبد الله بن صالح ومعاوية بن يحي ضعيفان، وهو مرسل أيضا عبد الرحمن بن غنم تابعي وليس صحابيا.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢١): فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، وأميل إلى أن حديثه حسن.

بعد قوله "خُلُقُكَ قَيِّمٌ"، فهذا من باب عطف الخاص على العام، فالصدق داخل في الأخلاق القيمة، ولكن ذكره بالخصوص لأهميتها وضرورتها للإنسان عامة، وللمسلم خاصة، وللداعية بالأخص، وقد جاءت ذكر هذه الصفة في القرآن الكريم للأنبياء عليهم السلام، ينظر على سبيل المثال قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾(١)، وقوله تعالى في شأن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾(٢)، وقوله أيضاً في شأن إدريس عليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾(٣).

وقد قال رسول الله ﷺ في فضل الصدق وذم الكذب: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(٤).

ولذا يجب على الداعية أن يكون صادقا في القول والعمل، وأن يوافق قوله العمل، وعمله القول، وأن يكون صادقا في بيان النصوص من الكتاب والسنة، بعيدا عن الكذب والتعصب المذهبي، لأن الصدق له تأثير عظيم في بناء شخصية الداعية، كما له تأثير أيضاً على المدعوين، فالناس إذا رأوا الداعية أنه صادق في كلامه يقبلون كلامه، وإذا رأوه أنه كاذب في كلامه لم يقبلوا كلامه، ولذلك يجب عليه أن يتحلى ويتجمّل بهذه الصفة العالية العظيمة، وأن يجعل هذه الصفة صفة ملازمة له.

---

(١) مريم: ٤١

(٢) مريم: ٥٤.

(٣) مريم: ٥٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] وما ينهى عن الكذب (٢٥/٨، رقم٦٠٩٤). وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق (٢٠١٣/٤، رقم ٢٦٠٧).

الصفة السادسة: الصبر.

الصبر في اللغة: الصاد والباء والراء أصول ثلاثة: الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة(١). وقال ابن الأثير: أصل الصبر: الحبس، فسُمِي الصومُ صبرا لما فيه من حبْس النفس عن الطعام والشراب والنكاح(٢).

وأما في الاصطلاح، فقد عرّفه العلماء بتعريفات عديدة، بعض منها فيما يلي:

عرّفه الراغب الأصفهاني بأنّ: "الصبر: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه"(٣).

وعرفه الجرجاني بأنه: "ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"(٤).

وعرّفه الإمام ابن القيم بأنّ "الصبر: حبْس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"(٥).

ومن خلال هذه التعريفات يمكن أن يقال في مفهوم الصبر بأنه إذا أصاب الإنسان أي مصيبة فليصبر عليه، ويحبس النفس عن الجزع والفزع، ويحبس اللسان عن الشكاوى، ويحبس الجوارح عن التشويش، وكذلك إذا وجد مشقة على فعل المأمور به، فيصبر على هذا، وإذا وجد مشقة على ترك الفعل المنهي عنه، فعليه أن يصبر على تركه.

تستفاد هذه الصفة الحسنة من أحاديث الدراسة بحديث عَامِر بن شراحيل، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، فَمَشَى مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ قَالَ: فَإِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ وَالْأُخْرَى خَارِجَهُ كَأَنَّهُ يُنَاجِي، فَالْتَفَتَ فَقَالَ: «**أَتَدْرِي مَنْ كُنْتُ أُكَلِّمُ؟**

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٢٩)، مادة (صبر).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/٧)، مادة (صبر).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٧٤).

(٤) التعريفات، (ص ١٣١)، باب الصاد.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٢/١٥٥) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

إنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ أَرَهُ قَطُّ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، قَالَ: إِنَّا آتَيْنَاكَ -أَوْ أَنْزَلْنَا- الْقُرْآنَ فَصْلًا، وَالسَّكِينَةَ صَبْرًا، وَالْفُرْقَانَ وَصْلًا»(١).

الشاهد في هذا الحديث هو قوله «**وَالسَّكِينَةَ صَبْرًا**» فالسكينة التي هي الطمأنينة والسكون فقد عبّره بالصبر، فهذا يدل على فضله وأهميته، ولكن قد يقول قائل: إنّ هذا الحديث ضعيف لا يُستدل به، فيقال له: نعم، ولكن الكتاب والسنة مليئتان بنصوص صريحة تدل على فضله ووجوبه، كما قال تعالى: ﴿ **فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾(٢)، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٣).

فعُلم من هذا الحديث أن الصبر نعمة عظيمة، وخلق عظيم، والنصوص في هذا الباب كثيرة جدا(٤).

وقد قسّمه العلماء إلى عدة أقسام بعدة اعتبارات، ومن أهمها ثلاثة أقسام على

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (١/ ١٦٠رقم: ١٠)، قال الداراني: مرسل، رجاله ثقات، غير عمرو بن أبي قيس لم يُذكر فيمن سمعوا عطاء قبل اختلاطه.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٦): فيه عمرو بن أبي قيس، لم يذكر ممن سمع من عطاء قبل الاختلاط.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (١٢٢/٢، رقم ٤٩٦٩). ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، (٧٢٩/٢، رقم: ١٠٥٣).

(٤) ومن أراد التفصيل في فضائل الصبر ومسائله وأحكامه ودلائله فليراجع كتاب ابن القيم "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" وهو كتاب قيّم ونفيس في هذا الباب.

النحو الآتي: صبر على طاعة الله. وصبر عن معصية الله. وصبر على امتحان الله"[١].

روى الإمام الدارمي عن الحسن قال: "سُنَّتُكُمْ -وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- بَيْنَهُمَا: بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ..." إلخ[٢]. فهذا الأثر ظاهر وواضح في الصبر على طاعة الله؛ وهو قسم أول من أقسامه.

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ[٣]، قَالَ: "لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ فَإِنَّهُمْ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ"[٤]. فهذا الأثر فيه مثال على "الصبر عن معصية الله"؛ لأن فيه منع عن مجالسة أصحاب الخصومات، ومجالستهم معصية، فيحبسون أنفسهم عن مجالستهم، وهكذا يصبرون عن معصية الله.

وعَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»[٥]. فهذا مثال على النوع الثالث من أنواع

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (١٥٥/٢).

(٢) تقدم كامل الأثر مع التخريج وشرح غريبه (ص ١٧٤).

(٣) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي المدني الباقر، ثقة، روى له أصحاب الكتب الستة، ولد سنة ٥٦هـ، وتوفي سنة مائة وبضعة عشرة. يراجع ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦٨/٥٤). وسير أعلام النبلاء (٤٠١/٤).

(٤) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (٢٩٥/١ رقم:٢٢١)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٧): فيه ليث بن أبي سليم: صدوق اختلط جداً. قلت (أي الزهراني): هنا يتقوى بغيره الأثر رقم (٤٠٩) أخرجه ابن بطة (الإبانة: ٤٤٨/٢، ٤٩٥، رقم:٤٠٥، ٥٤٤)

(٥) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ (٢٢٢/١، رقم: ٨٦)، قال الداراني: إسناده صحيح وهو مرسل.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٧): سنده إلى عطاء حسن، وهو مرسل تقدم، =

الصبر وهو الصبر على امتحان الله؛ الحديث مرسل ولكن من المعلوم أن النبي ﷺ صبر على المصائب كلها، ولا يحتاج ذلك إلى أيّ دليل، وحثّ النبي ﷺ على الصبر على المحن والمصائب كما روى مسلم عن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(١).

فالحاصل أن الصبر كله خير، إن صبَر مسلم على الطاعة فهو خير، وإن صبَر عن معصية الله فهو خير، وإن صبر على المحن والمصائب فهو خير، ولذا يجب على الداعية أن يتحلى بهذه الصفة؛ ولأنه هو مأمور به أيضاً كما قال تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام إذ وصّى لابنه فقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾(٢)، فالداعية بأمس الحاجة إلى خلق الصبر، إذ أن حكمة الباري جل شأنه اقتضت أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم، ويتربصون بهم الدوائر، فقد كان لآدم عليه السلام إبليس، وكان لإبراهيم عليه السلام نمرود، وكان لموسى عليه السلام فرعون وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم أبو جهل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ ﴾(٣)،(٤).

الصفة السابعة: اللين والرفق.

اللِّينُ والرِفق لفظان متقاربان في المعنى والمفهوم، وإليك بعض المعنى فيما يلي:

اللِّين والرفق في اللغة: اللين ضدّ الخُشُونة، ويقال: فلانٌ مَلْيَنَةٌ، أَيْ لَيِّنٌ

=

وأخرجه مرسلا أيضاً ابن عبد البر (التمهيد: ١٩/٣٢٥).

(١) في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥، برقم: ٢٩٩٩).

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٤) ينظر: صفات الداعية، د. حمد العمار (ص ٨٣)، دار إشبيليا، الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

الْجَانِبِ[(١)]. وهذا المعنى نفسه ذكره إبراهيم الحربي للرفق، فقال: هو لِين الجانب[(٢)]. وقال ابن فارس في معنى الرفق: الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةٍ وَمُقَارَبَةٍ بِلَا عُنْفٍ. فَالرِّفْقُ: خِلَافُ الْعُنْفِ[(٣)].

وأما في الاصطلاح: فالرفق هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأيسر والأسهل، وحسن الخلق وكثرة الاحتمال، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف والشدة[(٤)].

تستفاد هذه الصفة الحسنة للداعية من حديث عبد الله بن سلام ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ** ... إلخ»[(٥)]. وقد جاء مثله في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ، وتقدم سابقا في شرح هذا الحديث.

الشاهد في هذا الحديث هو قوله «**لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ**» فنُفِيَ عن النبي ﷺ صفة الغلظة في التوراة، وفي القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ** ﴾[(٦)]، فأُثبت للنبي ﷺ صفة اللين، ونُفي عنه صفة الفظّ والغلظة، وهكذا يكون الداعية ليّناً رفيقاً، ليس بفظّ ولا غليظ القلب تأسياً بالنبي ﷺ، وقد أمر الله تبارك وتعالى الدعاة أن يتحلوا بهذه الصفة في عملية الدعوية، فلما أرسل اللهُ موسى وهارون -عليهما السلام- إلى فرعون فقال لهما: ﴿ **ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾** ﴾[(٧)]، ففي هذه الآية دلالة بأنّ

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٢٢٥)، باب اللام والياء وما يثلثهما.

(٢) غريب الحديث (٢/٣٥٤)، باب الرفق.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤١٨)، باب الراء والفاء وما يثلثهما.

(٤) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة؛ لسعيد بن علي القحطاني (ص ٣٤٦).

(٥) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه، (ص ٩١).

(٦) آل عمران: ١٥٩.

(٧) طه: ٤٣ – ٤٤.

من طغى وتكبّر، فإن معالجته يمكن أن تكون باللين والرفق؛ لأن الرفق يأتي بنتائج ما لا يأتي به غيره كما قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»**(١)، فهذا يدل على فضل الرفق وأهميته وضرورته في الدعوة إلى الله، وكذلك يدلّ على فضل الداعية حيث إن الله تبارك وتعالى يحب صاحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره، وفضائل الرفق ليس فقط هذا بل الرفق يزيّن الأشياء كما أخبر به النبي ﷺ: **«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**(٢).

فالحاصل أن على الداعية أن يكون متحليا بهذه الصفة، ويدعو إلى الله بأسلوب اللين والرفق بعيدا عن الخشونة، والعنف، والغلظة.

الصفة الثامنة: التواضع.

تعريف التواضع: هو في اللغة : تذلّل وتخاشع(٣).

وأما في الاصطلاح: فقال الجنيد بن محمد: هو خفض الجناح، ولين الجانب.

وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان. والعز في التواضع. فمن طلبه في الكبر فهو كتطلُّب الماء من النار.

وقيل: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة. فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب(٤).

تستفاد هذه الصفة العظيمة من حديث عَبَّاس رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ أنه قال: لَأَعْلَمَنَّ مَا بَقَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَاهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَآذَاكَ غُبَارُهُمْ، فَلَوِ اتَّخَذْتَ عَرِيشًا تُكَلِّمُهُمْ مِنْهُ؟ فَقَالَ: **«لَا أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَطَؤُونَ عقِبِي،**

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٤/٢٠٠٣، رقم ٢٥٩٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٤/٢٠٠٣، رقم ٢٥٩٤).

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص ٧٧٢).

(٤) ينظر هذه الأقوال في "مدارج السالكين" لابن قيم، (٢/٣١٤).

وَيُنَازِعُونِي رِدَائِي حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِيحُنِي مِنْهُمْ» قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ بَقَاءَهُ فِينَا قَلِيلٌ[(1)].

فهذا من تواضعه ﷺ، حيث إنه عاش مع الناس كواحد منهم، ولم يرض أن يتميز على الناس بشيء، وهذا الحديث إن كان ضعيف الإسناد، ولكن هناك نصوصاً كثيرة في الكتاب والسنة تدل على أهمية هذه الصفة الحميدة وضرورتها في حياة المسلم عامة وفي حياة الداعية إلى الله خاصة.

قال الله جلّ شأنه في مدح المتواضعين: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[(2)] أي سكينة ووقارا متواضعين، غيرَ أشِرِين، ولا مرِحِين ولا متكبرين، وهم علماء حلماء ودعاة إلى الله، والهَون بالفتح في اللغة: الرفق واللين. والهُون بالضم: الهوان. فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان. والمضموم: صفة أهل الكفران[(3)].

وقد حثّ النبيُّ ﷺ المسلمَ بأن يتحلّى بهذه الصفة العظيمة، كما ذمّ ما يضادّها

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ، (٢١٣/١ رقم: ٧٦)، قال الداراني: إسناده ضعيف لانقطاعه، عكرمة لم يدرك العباس، والله أعلم.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٥): رجاله ثقات. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (٤٣٣/٥، ٤٣٤)، وابن أبي شيبه رقم: (١٦٢٧٣) وابن سعد في الطبقات (١٩٣/٢) وفي كشف الأستار رقم: ٢٤٦٦).

شرح غريب الحديث:

«**يَطَؤُونَ عقِبِي**» : وفي رواية أخرى عند المصنف (٢١٤/١، رقم: ٧٧): «يَطَؤُونَ عَقِبِي وَأَطَأُ أَعْقَابَهُمْ» أي أتبعهم تارة، ويتبعوني أخرى، ينظر: فتح المنان للغمري (٤٩٨/١).

«**عَرِيشًا**» : هو الخِيام من خشبٍ، وقيل: هو كل ما يُسْتظل به. ينظر: (معجم مقاييس اللغة ٢٦٦/٤، والنهاية في غريب الحديث ٢٠٧/٣).

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، (٣١٠/٢).

من الصفات المذمومة كالكبر والفخر، فروى مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»(١).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في شرح هذا الحديث: يعني أن يتواضع كل واحد للآخر ولا يترفع عليه؛ بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف- رحمهم الله- إن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد، وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتصف بها، أي بالتواضع لله عزّ وجلّ ولإخوانه من المسلمين(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» **قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٣). فعُلم من هذا أنّ بطَر الحق وغمْط الناس خلاف التواضع.

فالحاصل أنه يجب على الدعاة إلى الله أن يتصفوا بهذه الصفة العظيمة، والحذر كل الحذر عن الكبر والفخر؛ لأن الإنسان لا ينجح بالكبر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وعلى العكس التواضع سبب للرفعة والنجاح في الدنيا والآخرة كما أخبر به صادق المصدوق ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٤).(١).

---

(١) في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٤/٢١٩٨، برقم: ٢٨٦٥).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/٥٢٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (١/٩٣، رقم: ٩١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، (٤/٢٠٠١، رقم: ٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصفة التاسعة: الجود والسخاء.

الجود في اللغة: المطر الغزير، وكثرة العطاء[2]، ويفسّر بالسخاء أيضاً[3]، وأما السخاء في اللغة فهي: الجود والكرم[4].

وأما في الاصطلاح: فقال الجرجاني: صفة، هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا بعوض[5].

وقال الكرماني: الجود: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي[6].

وأما السخاء في الاصطلاح فقال الراغب: السخاء: هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات، حصل معه البذل أو لم يحصل، وذلك خلق، ويقابله الشح، والجود: بَذْلُك المقتنى ويقابله البخل. هذا هو الأصل وإن كان قد يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر[7].

فالحاصل من خلال هذه التعريفات أن الجود والسخاء خلق حسن، ومن الصفات الحميدة التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها، خاصة الداعية إلى الله عز وجل. ويدل على هذه الصفة الحسنة أحاديث كثيرة، ومن جملتها بعض الأحاديث والآثار فيما يلي:

روى الإمام الدارمي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيِيًّا لَا**

=

(١) ينظر تفاصيل هذا الموضوع من صور التواضع ودرجاته وطرق حصوله في كتاب: موسوعة الأخلاق، إعداد: القسم العلمي بمؤسسة الدُرر السَّنِيّة، إشراف: علوي بن عبد القادر السَّقّاف، (١/٢٩١-٣٣١)، ط. مؤسسة الدرر السنية، الظهران، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١/٤٩٣).

(٣) تارج العروس للزبيدي (٧/٥٣١).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٤/٣٧٣).

(٥) كتاب التعريفات (ص ٧٩).

(٦) تاج العروس للزبيدي (٧/٥٢٧).

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٢٨٦).

يُسْـأَلُ شَـيْئًا إِلَّا أَعْطَـاهُ»[(١)]. فهـذا يـدل علـى جـوده وكرمـه وسـخائه وبذلـه، كمـا روى الـدارمي عـن الزُّهْـريِّ قـال إِنَّ جِبْرِيـلَ قَـالَ: «**مَـا فِـي الْأَرْضِ أَهْـلُ عَشَـرَةِ أَبْيَـاتٍ إِلَّا قَلَّبْتُهُمْ، فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا أَشَدَّ إِنْفَاقًا لِهَذَا الْمَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**»[(٢)]. فالحديث ظاهر في أنه ﷺ كان جوّادًا بل كان أجود الناس كما قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما عند الدارمي: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْجَدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[(٣)].

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في سخاء النبي ﷺ (١/٢١١، رقم:٧٢)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف زمعة، ويشهد لمعناه الحديث السابق.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٢٤): فيه زمعة بن صالح الجندي ، ضعيف، أخرجه ابن حبان (الإحسان:١١/١٦٩،١٦٦) وابن أبي شيبة (المصنف: ٦/٣٢٩، ٧/٤١٩) والبيهقي (السنن الكبير: ٦/٤٨، ٣٠٦، وشعب الإيمان: ٢/٤١٤) وأبو نعيم (حلية الأولياء: ١/٢٣١) وعبد بن حميد (المسند: ١/٢١٧) وابن الضحاك (الآحاد والمثاني: ٤/٢٤٢) والحديث صحيح، شاهده ما تقدم، وما أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه حديث (٤٢١) وعن ابن عباس رضي الله عنه حديث (١٩٠٢).

(٢) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في سخاء النبي ﷺ (١/٢١٢، رقم:٧٤)، قال الداراني: رجاله ثقات غير أنه مرسل.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٢٥): هذا من مراسيل الزهري، ولقوله هذا شاهد، انظر المسند رقم (٧٢،٧١).

(٣) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في حسن النبي ﷺ (١/٢٠٤، رقم:٦٠)، قال الداراني: رجاله ثقات. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٢٣): سنده منقطع عبد الملك بن عمير لم يدرك ابن عمر رضي الله عنه وأخرجه أبو نعيم (حلية الأولياء: ٧/٢٤٤).

شرح غريب الحديث:

«**أَنْجَدَ**»: النَّجدةُ: الشَّجاعةُ، وهي البلوغ في الأمر الذي يُعجزُ عنه. ورجل نجدٌ أي ماضٍ في أمره، وشجاعته، والجمع أنجادٌ. ينظر: كتاب العين للخليل (٦/٨٥)، والنهاية (٥/١٨).

=

ويؤيده ما جاء في الصحيحين عن أنسٍ ﷺ، قال: «كان رسولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ»[(١)].

نموذج تطبيقي على جود النبي ﷺ وسخائه: فروى الإمام الدارمي عن عَبْد الله بْن أَبِي بَكْرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ: زَحَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَفِي رِجْلَيَّ نَعْلٌ كَثِيفَةٌ، فَوَطِئْتُ بِهَا عَلَى رِجْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَفَحَنِي نَفْحَةً بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي**»، قَالَ: فَبِتُّ لِنَفْسِي لَائِمًا أَقُولُ: أَوْجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي كَانَ مِنِّي بِالْأَمْسِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مُتَخَوِّفٌ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي، فَنَفَحْتُكَ نَفْحَةً بِالسَّوْطِ، فَهَذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً، فَخُذْهَا بِهَا**»[(٢)].

=

«**أَضْوَأ**»: وهو من الوضاءة، وهي الحسن. ينظر: النهاية في غريب الحديث: (٥/١٩٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب ، باب إذا فزعوا بالليل، وباب الشجاعة في الحرب والجبن، (٤/٢٢، ٣٩، ٦٦، رقم: ٢٨٢٠، ٢٩٠٨، ٣٠٤٠). وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب (٤/١٨٠٢، رقم: ٢٣٠٧).

(٢) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في سخاء النبي ﷺ، (١/٢١١، رقم: ٧٣)، قال الداراني: في إسناده مدلسان: عبد الرحمن المحاربي ومحمد بن إسحاق ولكن محمد بن إسحاق قد صرح بالتحديث فانتفت شبهة التدليس وأما المحاربي فقد عنعن وإبهام الصحابي لا يضر الحديث فكلهم عدول. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٢٥): فيه محمد بن إسحاق تكلم فيه، وهو صدوق إن شاء الله، وقد صرّح بالتحديث.

شرح غريب الحديث:

«**فَنَفَحَنِي**»: المراد هنا دفعه بقوة، والنفح الضرب والرمي. وله معان أخرى ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٨٩)، والصحاح للجوهري (٢/٥٩٢).

«**كَثِيفَةٌ**»: الكاف والثاء والفاء أصل صحيح يدل على تراكب شيء على شيء وتجمع. يقال: هذا شيء كثيف، وسحاب كثيف وشجر كثيف، أي غليظ. ينظر: معجم مقاييس

=

ففي هذه الأحاديث والآثار بعضها مرسل أو ضعيف الإسناد ولكن هناك أحاديث صحيحة أخرى تدل على فضل هذا الخُلق العظيم، منها حديث ابن عبَّاس ﵄ في الصحيحين، أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[1].

فالحاصل أن الجود والسخاء صفة حميدة وخلق عظيم ينبغي للدعاة إلى الله أن يتصفوا بها؛ لأنها تترك تأثيراً كبيراً في قلوب المدعوين، وقد تكون هذه الصفة سببا لقبول دعوة الحق.

الصفة العاشرة: الصفح والعفو.

العفو هو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس. يقال: عفا يعفو عفْوا، فهو عافٍ وعَفُوٌّ[2]. وأما الصفح فهو: مصدر صفَحَ عنه يَصْفَح صَفْحاً: وأصله من الإعراض بصفحة الوجه، كأنه أعرض بوجهه عن ذنبه[3].

العفو والصفح صفة حميدة ينبغي للمسلم عامة وللداعية خاصة أن يتصف بها، وقد جاء فضلها في الكتاب والسنة، ووُصف بها النبي ﷺ في التوراة والقرآن الكريم،

=

اللغة لابن فارس (٥/١٦١).، ولسان العرب لابن منظور (٩/٢٩٦) (مادة: كشف).

«**أَوْجَعْتَنِي**»: الوَجَعُ: اسم جامع لكل مرض مؤلم، ويقال: أوجعت فلاناً ضرباً، وضربته ضرباً وجيعاً، ويُوجِعُني رأسي. ينظر: كتاب العين للخليل الفراهيدي (٢/١٨٦) (مادة: وجع).

«**نَعْجَةً**»: النَّعْجَةُ من الإناث، من الضأن والبقر الوحشيّ والشاء الجبليّ، وجمعه: نِعاج. ينظر: كتاب العين للخليل الفراهيدي (١/٢٣٢)، وغريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/٥٣٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (١/٨، رقم: ٦). وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، (٤/١٨٠٣، رقم: ٢٣٠٨).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٢٦٥). ولسان العرب (١٥/٧٢).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٣٤). ولسان العرب (٢/٥١٥).

والنبي ﷺ هو قدوة لنا في جميع الأمور، فيجب علينا أن نتّصف بهذه الصفة العظيمة اقتداء بالنبي ﷺ.

وتستفاد هذه الصفة من الحديث الذي رواه الإمام الدارمي عن كعب الأحبار في صفة النبي ﷺ كما وجدها في التوراة: «... **وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ**...»[(١)]، وفي رواية عبد الله بن سلام: «... **وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ**...»[(٢)].

وقد أمر الله العفوُّ الكريم للنبي ﷺ بأخذ هذه الصفة بقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[(٣)]، قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، أو كما قال»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "عفوه ﷺ عن كثير من المشركين واليهود، بالمنّ والفداء، وصفحه عن المنافقين مشهور في الأحاديث والسير"[(٥)].

وقال سعيد بن وهف القحطاني: "لا ريب أن العفو والصفح من الأخلاق الكريمة التي ينبغي لكل مسلم أن يتخلق بها، ولكن لا بد أن يكون العفو في محله، ولا يحصل به مفسدة، ولا يفوت به مصلحة أعظم؛ ولهذا عفا ﷺ عن حاطب رضي الله عنه وصفح، وبين أن أهل بدر قد أوجب الله لهم الجنة. فينبغي أن يكون عفو الداعية عن حكمة، ومؤاخذته عن حكمة كحال النبي ﷺ"[(٦)].

فالحاصل أنه يجب على الداعية أن يتصف بهذه الصفة الجميلة، وهي من أفضل

---

(١) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه (ص **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**).

(٢) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه وترجمة راويه (ص ٩١).

(٣) الأعراف: ١٩٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب خذ العفو وأمر بالعرف.. (٦/٦٠، رقم ٤٦٤٤).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٢٣٣).

(٦) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي القحطاني، (٢/٦٨٤-٦٨٥) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

أخلاق المؤمن كما قال الحسن: أفضل أخلاق المؤمن العفو[١].

الصفة الحادية عشر : المودة.

مفهوم المودة: الوُدُّ والوَدُّ والوِدُّ: المَوَدَّة؛ ووَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوَدُّه وَدًّا إِذا أَحببته. الوُدّ: الحُب يكون في جميع مداخل الخير، ووَدِدْتُ الشيءَ أَوَدُّ، وَهُوَ مِنَ الأُمْنِيَّة؛ والمودة: المحبة[٢]. قال الحافظ ابن حجر: "وهو تقرب شخص من آخر بما يحب"[٣].

المودة بمعنى المحبة فهي صفة محبوبة يحبها كل شخص في قلبه شيء من الحب، وبسبب الحُبّ والوُدّ يحبّ الخير ويودّه للآخرين، ولذلك ينبغي للداعية أن يتحلى بصفة المودة والمحبة؛ لكي يودّ الخير والهداية للناس، والله سبحانه وتعالى هو الودود، ومدح هذه الصفة في مواضع عديدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٤].

وتستفاد هذه الصفة من الأثر الذي رواه الإمام الدارمي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[٥]، يقول: «لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا»[٦].

---

(١) الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، (١٠١/١) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٥٣/٣-٤٥٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٣٩/١٠).

(٤) الروم: ٢١.

(٥) هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، الفقيه من كبار التابعين، أدرك عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار، وروى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ٨٢هـ بوقعة الجماجم. يراجع ترجمته: (سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤).

(٦) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (٢٤٨/١، رقم:١٣٧)، قال =

وقد جاء في هذا الأثر ذكر هذه الصفة الحسنة بأن الصحابة ﵃ كانوا يتوادون ويتمنون بأن أخاه كفاه في الحديث والفتيا، وكانوا يتمنون هذا مخافة أن يقعوا في الخطأ، ويفعلونه من باب التواضع، ولكن ذكر هذه الصفة بمعنى الأمنية يشير إلى المعنى الأول وهو المحبة فيما بينهم. وقد حثّ النبي ﷺ على هذه الصفة المحبوبة بقوله: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[1].

الصفة الثانية عشر : الألفة.

مفهوم الألفة: قال ابن منظور: "وأْتَلَفَ الشيءُ: أَلِفَ بعضُه بَعْضًا، وأَلَّفَه: جَمَعَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، وتَأَلَّفَ: تَنَظَّمَ، ومنه: والمؤلفة قلوبهم"[2].

وقال الجرجاني: الألفة: إتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش"[3].

يتبين بهذا أن الألفة قريبة من المحبة، وهي الاجتماع والاتفاق والالتئام، وقدم مدَحَها الله جل شأنه في القرآن الكريم فقال: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا** ﴾[4].

قال الراغب في تفسير هذه الآية: "قوله: ﴿ **وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** ﴾ حثّ على الألفة

=

الداربي: إسناده صحيح. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٥): رجاله ثقات، وسماع عطاء من سفيان كان قبل الاختلاط، أخرجه أبو خيثمة (العلم: ١/١٠) وابن المبارك (الزهد:١/١٩) ويعقوب بن سفيان (المعرفة: ٢/٨١٧) وابن سعد (الطبقات:٦/١١٠) وأبو زرعة الدمشقي (التاريخ: ١/٦٧٠، رقم: ٢٠٣١) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٢/١٢) وابن عساكر (التاريخ:٣٦/٨٧،٨٦، والمختصر: ١/٢٠٣٩).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٨/١٠، رقم ٦٠١١). وصحيح مسلم، كتاب والبر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (٤/١٩٩٩، ٢٥٨٦).

(٢) لسان العرب (٩/١١) مادة (ألف).

(٣) كتاب التعريفات (ص٣٤).

(٤) آل عمران: ١٠٣.

والاجتماع، الذي هو نظام الإيمان واستقامة أمور العالم، وقد فضّل المحبة والأُلفة على الإنصاف والعدالة، لأنّه يُحتاج إلى الإنصاف حيث تفقد المحبّة"[(١)].

تستفاد هذه الصفة العظيمة من الأثر الذي رواه الإمام الدارمي عن حَيَّةَ بِنْتِ أَبِي حَيَّةَ[(٢)]، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بِالظَّهِيرَةِ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: «أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي فِي بُغَاءٍ لَنَا فَانْطَلَقَ صَاحِبِي يَبْغِي وَدَخَلْتُ أَنَا أَسْتَظِلُّ بِالظِّلِّ وَأَشْرَبُ مِنَ الشَّرَابِ». فَقُمْتُ إِلَى لُبَيْنَةٍ حَامِضَةٍ –ورُبَّمَا قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَى ضَيْحَةٍ حَامِضَةٍ– فَسَقَيْتُهُ مِنْهَا، فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ. قَالَتْ: وَتَوَسَّمْتُهُ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: «أَنَا أَبُو بَكْرٍ». قُلْتُ: أَنْتَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَتْ: فَذَكَرْتُ غَزْوَنَا خَثْعَمًا، وَغَزْوَةَ بَعْضِنَا بَعْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأُلْفَةِ وَأَطْنَابِ الْفَسَاطِيطِ –وَشَبَّكَ ابْنُ عَوْنٍ[(٣)] أَصَابِعَهُ، وَوَصَفَهُ لَنَا مُعَاذٌ[(٤)]، وَشَبَّكَ أَحْمَدُ[(٥)]– فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ حَتَّى مَتَى تَرَى أَمْرَ النَّاسِ هَذَا؟ قَالَ: «مَا اسْتَقَامَتِ الْأَئِمَّةُ»، قُلْتُ: مَا الْأَئِمَّةُ؟ قَالَ: «أَمَا رَأَيْتَ السَّيِّدَ يَكُونُ فِي الْحِوَاءِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ؟

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٧٦٨/٢)، تحقيق: عادل الشدّي، دار الوطن الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٢) ذكرها أبو نعيم وابن الأثير في الصحابة، وذكرا حديثها هذا. ينظر: معرفة الصحابة (٣٢٠٢/٦)، وأسد الغابة (٤٣٣/٥)، وفي صحيح البخاري (٤١/٥، رقم ٣٨٣٤): "امرأة من أحمس يقال لها: زينب بنت المهاجر".

(٣) هو أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان المزني البصري، من رواة هذا الأثر، ثقة ثبت فاضل أحد الأعلام، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي ١٥٠هـ. يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٦١/٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٤/٦).

(٤) هو أبو المثنى معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمي البصري القاضي، هو أيضاً من رواة هذا الأثر، ولد ١١٩هـ، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي ١٩٦هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٣٦٥/٧)، وتهذيب الكمال للمزي (١٣٢/٢٨).

(٥) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله الحنفي الهروي، ثقة، روى له البخاري، وتوفي ٢٣٢هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٥/٢)، وإكمال تهذيب الكمال للمغلطاي (٦٤/١).

فَمَا اسْتَقَامَ أُولَئِكَ»(1).

الشاهد في هذا الأثر هو قوله «وَمَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأُلْفَةِ» وكانوا يقاتلون في الجاهلية ولكن الله تبارك وتعالى أنعم عليهم بنعمة الإسلام وألّف بين قلوبهم، وأشار إليه سبحانه وتعالى في الآية السابقة: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

---

(1) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (1/292-293، رقم: 216)، قال الداراني: إسناده حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص66): رجاله ثقات، ولم أقف عليه عند غير المصنف.

شرح غريب الأثر:

«**بُغَاءٍ**» : مصدر بغى يبغي بغاء، أي: الطلب، قال ابن الأثير: ومنه حديث أبي بكر، أنه خرج في بغاء إبل (النهاية: 1/143). أي خرجنا نبحث عن ضال لنا ونجد في طلبه.

«**ضَيْحَةٍ حَامِضَةٍ**» : أي شُربة من الضيح. الضَيْحُ والضَّيَاحُ الَّلبَنُ الخَاثِرُ يُصَبُّ عليه الماء حتى يرِقَّ.. ويُقالُ: ضَيَّحْتُ الَّلبَنَ إذا مَذَقْتَه بالماء. ينظر: غريب الحديث للخطابي (2/12) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، 1402هـ - 1982م.

«**لُبَيْنَةٍ حَامِضَةٍ**» : لُبَينة تصغير من اللبن، ومعناه متقارب بمعنى "ضيحة" وهو شربة من الضيح أي اللبن المختلط بالماء. واللبن سواء كان الحليب أو رائباً. (لسان العرب 2/527).

«**غَزْوَنَا خَثْعَمًا**» : ولعله هي غزوة التي وجّه فيها رسول الله ﷺ قطبة بن عامر إلى خثعم سنة تسع. ينظر: (لسان العرب: 10/298).

«**أَطْنَابِ الْفَسَاطِيطِ**» : الطنب: أحد أطناب الخيمة، فاستعاره للطرف والناحية. (النهاية 3/140). وأما الفساطيط فهو جمع فسطاط وهو بيت من الشعر، وأصل الْفسْطَاط بِنَاء مَعْرُوف من الخيم ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (2/193).

«**شَبَّكَ**» : قال ابن الأثير: تشبيك اليد: إدخال الأصابع بعضها ببعض. (النهاية: 2/441).

«**الْحِوَاءِ**» : البيت، قال ابن الأثير: بيوت مجتمعة من الناس على ماء الجمع: أحوية (النهاية: 1/465).

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾، فالحاصل أن الألفة صفة حسنة، ينبغي للداعية أن يتحلى بها في دعوته إلى الله تبارك وتعالى.

الصفة الثالثة عشر: الثبات والاستقامة على الدين.

تعريف الاستقامة: قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "الاستقامة كلمة جامعة، آخِذةٌ بمجامع الدين. وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد"(١).

وقال ابن رجب -رحمه الله-: "الاستقامة هي: سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيِّم من غير تعريج عنه يُمنةً ولا يُسرة، ويشمل ذلك فِعلَ الطاعات كلِّها، الظاهرة والباطنة، وتركَ المنهيات كلِّها كذلك"(٢).

وتستفاد هذه الصفة بما تقدم ذكر هذه الصفة في الأثر السابق في بيان صفة الألفة بقوله: «مَا اسْتَقَامَتِ الْأَئِمَّةُ»، وقوله: «فَمَا اسْتَقَامَ أُولَئِكَ»، وقال الخطابي في معنى هذا الأثر: ويحملون قولَه «ما استقاموا لكم» على العدل في السِّيرة، وإنما الاستقامة هاهنا الإقامة على الإسلام(٣).

ويدلّ أيضاً على هذه الصفة أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»(٤). ويؤيد معناه حديث مرفوع عن النبي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»(٥).

ويدلّ عليها أيضاً أثر معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ

(١) مدارج السالكين (١٠٦/٢).
(٢) جامع العلوم والحكم (٥١٠/١).
(٣) غريب الحديث (٣٦٢/١)، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٢٦/٤).
(٤) تقدم تخريج الأثر (ص ١٦٦).
(٥) في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٦٥/١، برقم: ٣٨).

بِهِ فِيهِمْ، فَلَمْ أُتَّبَعْ، لَأَحتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِدًا فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتظرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا، فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ: بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي أُتَّبَعُ قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ»[1].

وجه الاستدلال في هذا الأثر هو قوله: «فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ»، ذكر فيه معاذ بن جبل رضي الله عنه أولاً حالة الرجل الذي يريد اتباع هوى النفس، ولم يستقم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم حذّر عن حالته، وعما جاء به من عدم الاستقامة باتباع الهوى والضلالة.

وقد روى الإمام أبو داود نحوه عن معاذ بن جبل أنه قال: «إن مِنْ ورائكم فِتَناً يكثُرُ فيها المال ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخُذهُ المؤمنُ والمنافقُ والرجلُ والمرأة، والصغيرُ والكبيرُ والعبدُ والحرُّ، فيوشِكُ قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ ما هم بمتبعيَّ حتَّى أبتدعَ لهم غيرَه، فإيَّاكم وما ابتُدعَ؟ فإن ما ابتُدِعَ ضلالةٌ، وأحذرُكم زَيغَةَ الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق، قال: قلت لمعاذ: ما يُدريني -يرحمك الله- أن الحكيمَ قد يقول كلمةَ الضلالةِ، وأن المنافقَ قد يقول كلمةَ الحق؟ قال: بلى، اجتَنِبْ من كلام الحكيم المشتهِرَاتِ التي يُقال ما هذه، ولا يَثْنِيَنَّكَ ذلك عنه، فإنه لعله أن يُراجِعَ، وتَلَقَّ الحقَّ إذا

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه، (١/٢٨٤، رقم: ٢٠٥)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٣): رجاله ثقات، وفيه انقطاع بين ربيعة ومعاذ رضي الله عنه، أخرجه أبو شامة المقدسي (الباعث:٢٢) والحافظ الذهبي (السير: ١/٤٥٧).

شرح غريب الأثر:

«لَأَحتَظِرَنَّ» : أي لأعمل حظيرة لنفسي، ينظر: المعجم الوسيط (١/١٨٣).

سمعتَه فإن على الحقِّ نوراً»(١).

فالحاصل من هذه الآثار والنصوص أنه يجب على الداعية أن يستقم، ويتحلى بصفة الاستقامة والثبات على الدين باعتصام الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)، كما يجب عليه أن لا يطغى ولا يتبع الهوى، ولا يبتدع في دعوته، كما أمر بذلك ربنا جل وعلا للدعاة إلى الله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾(٣).

الصفة الرابعة عشرة: الشجاعة.

تعريف الشجاعة: هي "الإقدام على المكاره، والمهالك، عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، والاستهانة بالموت"(٤).

وقال ابن القيم: "الشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطْش"(٥).

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْجَدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٦). ويؤيده ما جاء في الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: «كان رسولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ»(٧).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، (٢١/٧، رقم: ٤٦١١). وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوف. (صحيح وضعيف سنن أبي داود نفس الموضع السابق).

(٢) آل عمران: ١٠١.

(٣) الشورى: ١٥.

(٤) تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ (ص ٢٧)، نقلاً عن "موسوعة الأخلاق"، إشراف: علوي السقاف (٦٢٥/١).

(٥) الفروسية (ص ٥٠٠).

(٦) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه (ص ٢٠٩).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، وكتاب الأدب، باب إذا فزعوا بالليل، وباب الشجاعة في الحرب والجبن، (٢٢/٤، ٣٩، ٦٦، رقم: ٢٨٢٠، ٢٩٠٨، ٣٠٤٠). وصحيح مسلم، =

فهذا الحديث صريح في أنه ﷺ كان أشجع الناس، ولذا ينبغي للداعية أن يكون شُجاعاً تأسياً بهدي النبي ﷺ؛ ولأنها خلق فاضل، وسبب لانشراح الصدر، وسبب من أسباب نصر هذا الدين، ولأنه من يتصف بهذه الصفة العظيمة يتحلى أيضاً بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، وعدم الطيش، والشهامة، واحتمال الكد(1).

الصفة الخامسة عشرة: الحياء.

الحياء في اللغة: والحياءُ: التوبَة والحِشْمَة، وَقَدْ حَيِيَ مِنْهُ حَيَاءً واستَحْيَا واسْتَحَى، حَذَفُوا الْيَاءَ الأَخيرة كَرَاهِيَةَ الْتِقَاءِ الياءَين، والأَخيرتان تَتَعَدَّيانِ بِحَرْفٍ وَبِغَيْرِ حَرْفٍ، يَقُولُونَ: استَحْيَا مِنْكَ واستَحْياكَ، واسْتَحَى مِنْكَ واسْتَحَاك(2). وقيل: أن الحياء لغة هو: تغيّرٌ وانكسارٌ يعتري الإنسانَ من خوف ما يُعاب به، وقد يُطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه(3).

وفي الاصطلاح: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "خُلُقٌ يَبْعثُ على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق"(4).

الحياء خلق عظيم وهو شعبة من شعب الإيمان؛ لأنه حاجز بين العبد والمعاصي والذنوب، فالإنسان إذا لم يستحي يفعل ما يشاء كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: **«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»**، وفي رواية: **«فاصنع ما شئت»**(5).

=

كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب (٤/١٨٠٢، رقم: ٢٣٠٧).

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق، إشراف علوي السقاف، (١/٦٣٢).

(٢) لسان لعرب لابن منظور (١٤/٢١٧)، مادة (حيا).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١/٥٢). القاموس الفقهي لغة اصطلاحا للدكتور سعدي أبو حبيب (ص ١٠٩).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٥٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت (٨/٢٩، رقم: ٦١٢٠)، وباب حديث الغار (٤/١٧٧، رقم: ٣٤٨٣، ٣٤٨٤).

تستفاد هذه الصفة الحميدة الحسنة بما رواه الإمام الدارمي عن عطاء بن رباح أنه سُئِل عن شَيْءٍ فقالَ: «لَا أَدْرِي، قِيلَ لَهُ: أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي»(١).

الشاهد في هذا الأثر أن عطاء بن أبي رباح الذي هو إمام في الحديث والفقه كان يستحي من الله عز وجل بأن يقول برأيه في الدين مخافة أن يُتخذ رأيه ديناً، والحياء من الله جل وعلا ثابت عن النبي ﷺ أيضًا وذلك حينما طلب موسى عليه السلام من نبيّنا محمد ﷺ في المعراج أن يراجع ربّه في تخفيف الصلاة، فقال النبي ﷺ : «**اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي**»(٢).

فالحاصل أن الحياء صفة عظيمة، بل هي خير كله، كما قال ﷺ: «**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»(٣)، ولذلك يجب على المسلم عموما وعلى الداعية بالخصوص أن يتحلى بهذه الصفة الحميدة، بحيث يستحيي من الله، ويستحيي من الملائكة، ويستحيي من الناس، ولا يفعل خلاف ما يقول، ولا يفعل أي منكر حياء من الله.

الصفة السادسة عشرة: الخوف والخشية من الله.

إن الخوف والخشية لفظان متقاربان، إلّا أن الخشية أخص من الخوف؛ لأن الخشية للعلماء العارفين، والخوف لعامّة المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٤)، وقال تعالى في مدح أولى الألباب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾(٥).

وقال العسكري مبيناً الفرق بينهما: "أَن الْخَوْف يتَعَلّق بالمكروه وَيتْرك الْمَكْرُوه

---

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه وترجمة راويه (ص ١٤٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١/٧٨، ٣٤٩). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١/١٤٥، ١٤٨، رقم: ١٦٢، ١٦٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، (٨/٢٩، رقم: ٦١١٧).

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) الرعد: ٢١.

تَقول خفت زيدا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[1]، وَتقول: خفت الْمَرَض كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾، والخشية تتَعَلَّق بمنزل الْمَكْرُوه وَلَا يُسمى الْخَوْف من نفس الْمَكْرُوه خشيَة وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾[2]"[3].

صاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب، والإمساك، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، الخوف سراج في القلب، به يُبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفتَه هربتَ منه إلا الله عز وجل، فإنك إذ خفتَه هربت إليه. فالخائف هارب من ربه إلى ربه[4].

تستفاد هذه الصفة من أثر مَسْروق فيما رواه الإمام الدارمي عنه، أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي أَخَافُ –أَوْ أَخْشَى– أَنْ أَقِيسَ، فَتَزِلَّ قَدَمِي»[5].

فكان مسروق بن الأجدع عالما كبيرا من التابعين ولكن يخاف ويخشى من القول بالرأي والكلام بالقياس، بل كان يعدّ القياس سبب الزلّة، فهكذا على الداعية الحصيف أن يخاف ويخشى من الله في تبليغ دينه، ولا يتكلم في مسائل الدين بدون علم وبغير دليل من الكتاب والسنة، وإذا سئل عن مسألة ولم يكن عنده علم عنها فليقل : "لا أدري"؛ لأنه هذا أيضاً علم، كما قال الشَّعْبِيّ: «"لَا أَدْرِي" نِصْفُ الْعِلْمِ»[6]. أو يقل :

---

(١) سورة النحل: ٥٠.

(٢) سورة الرعد: ٢١.

(٣) الفروق اللغوية (ص ٢٤١).

(٤) ينظر: مدارج السالكين لابن قيم (١/٥٠٨-٥٠٩).

(٥) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه وترجمته راويه (ص ١٢٢-١٠٤).

(٦) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب بدون عنوان، والباب الذي قبله هو: باب الفتيا وما فيه من الشدة (١/٢٧٦، رقم: ١٨٦)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٨): رجاله ثقات، أخرجه البيهقي (المدخل: ٤٣٥، رقم: ٨١٠) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٧٣/٢)

"لا أعلم" ولا يستحيي في ذلك من لومة لائم، واذكروا قول عبد الله بن عمر ﵄ حينما سأله رجل عن شيء، فقال: "لَا عِلْمَ لِي، ثُمَّ الْتَفَتَ بَعْدَ أَنْ قَفَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ: نِعْمَ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ يُسأَلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي"، يَعْنِي ابْنُ عُمَرَ نَفْسَهُ[1].

وهذا إمام محمد بن سِيرِين ﵀ فقيه زمانه، أنه كان يقول: «مَا أُبَالِي سُئِلْتُ عَمَّا أَعْلَمُ أَوْ مَا لَا أَعْلَمُ، لِأَنِّي إِذَا سُئِلْتُ عَمَّا أَعْلَمُ، قُلْتُ مَا أَعْلَمُ، وَإِذَا سُئِلْتُ عَمَّا لَا أَعْلَمُ، قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ»[2].

فالحاصل أن "الخوف والخشية من الله" من الصفات الحسنة، وغني عن القول أن يقال أنه يجب على الداعية أن يخشى ويخاف من فعل المنكرات وترك المأمورات، بل يجب على كل مسلم -فضلا عن الداعية- أن يأتي بجميع المأمورات، ويترك جميع المنكرات، مخافة من عذاب الله وخشية من غضب الله، ورجاء من رحمة الله.

الصفة السابعة عشرة: الورع.

الورع في اللغة: قال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْكَفِّ وَالِانْقِبَاضِ. مِنْهُ الْوَرَعُ: الْعِفَّةُ، وَهِيَ الْكَفُّ عَمَّا لَا يَنْبَغِي ؛ وَرَجُلٌ وَرِعٌ. وَالْوَرَعُ:

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة (١/٢٧٦، رقم: ١٨٧) قال الداراني: إسناده حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٨): فيه العمري: ضعيف، ويقويه ما قبله، أخرجه يعقوب بن سفيان (المعرفة: ١/٤٩٣) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٢/١٧٢) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ٢/٦٥).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب بدون عنوان، تابع لباب الفتيا وما فيه من الشدة (١/٢٧٧، رقم: ١٨٩)، قال المحقق الداراني: إسناده صحيح.

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٩): سنده حسن.

الرَّجُلُ الْجَبَانُ"[1].

وأما في الاصطلاح فقد عرفه العلماء بتعريفات عديدة، منها تعريف الجرجاني بأنه قال: "الورع هو اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات"[2].

ومنها تعريف القرافي: الورع "هو ترك ما لا بأس به حذرًا مما به البأس"[3].

الورع من أعظم صفات الداعية، وهي سبب لنجاح الدعوة؛ لأن الداعية كلّما كان يتورع عن الشبهات والمحارم فالناس يتورعون أيضاً اقتداء به، وقال الإمام ابن القيم ﷺ: وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة. فقال: "«**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[4] فهذا يعُمُّ الترك لما لا يعني من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة. فهذه الكلمة كافية شافية في الورع"[5].

وقال بعض الصحابة: كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام[6].

تستفاد هذه الصفة بعدة آثار التي أوردها الإمام الدارمي في مقدمة سننه، وعقد لها باباً باسم: "باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة"، فهذا يدل أيضاً على فقه الإمام الدارمي ﷺ إذ استدل بهذه الآثار على خلق التورع، ومن هذه الآثار بعضها فيما يلي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/١٠٠)، مادة (ورع).

(٢) كتاب التعريفات، للجرجاني، (ص ٢٥٢).

(٣) الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، (٤/٢٣٥) دار عالم الكتب، الطبعة: بدون تاريخ.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الزهد (٤/٥٥٨، رقم: ٢٣١٧، ٢٣١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغيرة زيادته (٢/١٠٢٧، رقم: ٥٩١١).

(٥) مدارج السالكين (٢/٢٣-٢٤).

(٦) المرجع السابق (٢/٢٥).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ ﷺ، أَنَّهُمَا كَانَا جَالِسَيْنِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَسَأَلَهُمَا عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لِحُذَيْفَةَ: «لِأَيِّ شَيْءٍ تَرَى يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا؟ قَالَ: يَعْلَمُونَهُ ثُمَّ يَتْرُكُونَهُ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: مَا سَأَلْتُمُونَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى نَعْلَمُهُ، أَخْبَرْنَاكُمْ بِهِ، أَوْ سُنَّةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرْنَاكُمْ بِهِ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِمَا أَحْدَثْتُمْ»[(١)].

فهذا من تورُّعِهما ﷺ أنهما إذا سئلا عن شيء لم يكن في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ فلم يجيبا له، بل كانا يكتفيان على ذكر ما في الكتاب والسنة.

وعن النَّزَّال بن سَبْرَةَ[(٢)]، قَالَ: شَهِدْتُ عَبْدَ اللَّهِ (بْنَ مَسْعُوْدٍ ﷺ) وَأَتَاهُ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ فِي تَحْرِيمٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ، فَمَنْ أَتَى الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَقَدْ بُيِّنَ وَمَنْ خَالَفَ فَوَاللَّهِ مَا نُطِيقُ خِلَافَكُمْ»[(٣)].

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع من الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة (٢٣٢/١، رقم: ١٠٢)، قال الداراني: إسناده ضعيف، لأن خالد بن عبد الله متأخر السماع من عطاء وطريق ابن مسعود منقطعة لأن الشعبي لم يسمع منه.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٤): رجاله ثقات، لكن عامر الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، ينظر: (المراسيل لابن أبي حاتم ص: ١٦٠) وأخرجه أبو الفضل (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ٢٧٥/٤).

(٢) هو النزّال بن سَبرَة الهلالي العامري الكوفي، من قيس عيلان، من كبار التابعين، وقيل: أن له صحبة، ذكره البخاري ومسلم وابن سعد في التابعين، والمعروف أنه مخضرم. يراجع ترجمته: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣٨٩/٦)، وتهذيب الكمال للمزي (٣٣٤/٣٩).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٣٣/١-٢٣٤، برقم: ١٠٤)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٥): رجاله ثقات، أخرجه الحافظ الطبراني (الكبير: ٣٨٢/٩، رقم:٩٦٣٦)، وابن حزم (الإحكام : ٢٣٩/٨)، وابن بطة (الإبانة: ٣٣٢/١، رقم: ١٨٨).

وعَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ[1] قَالَ: "كَانُوا إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ قَضِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَثَرٌ، اجْتَمَعُوا لَهَا وَأَجْمَعُوا، فَالْحَقُّ فِيمَا رَأَوْا، فَالْحَقُّ فِيمَا رَأَوْا[2].

فهذه الآثار كلها تدل على صفة التورع بحيث أنهم كانوا لا يتكلمون بالرأي، ولا بالقياس، ويتورعون عن الكلام في المسائل التي لم ترد ذكرها في الكتاب والسنة، أو المسائل التي لم يعرفوها في الكتاب والسنة، فكل ذلك من قبيل التورع، وهكذا على الداعية أن يكون متورعاً في تبليغ دين الإسلام.

الصفة الثامنة عشرة: الأمانة.

الأمانة في اللغة: الوفاء، وهي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمانة مصدر أَمِن بالكسر أمانةً فهو أَمِين، والجمع أمانات، فالأمانة اسم لما يؤمّن عليه الإنسان، والمعنى الثاني التصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٍ لَّنَا ﴾[3]،[4].

---

(١) هو أبو العلاء المسيب بن رافع الأسدي الكوفي الكاهلي، الأعمى، تابعي ثقة، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١٠٥هـ يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٨/٦)، وتهذيب الكمال للمزي (٥٨٦/٢٧).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٣٨/١، رقم: ١١٦)، قال الداراني: إسناده ضعيف، هشيم مدلس وقد عنعن وباقي رجاله ثقات.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٨): رجاله ثقات. أخرجه الحافظ ابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٧٦/٢).

شرح غريب الأثر:

«قَضِيَّةٌ» : أي قضية المسألة.

(٣) يوسف: ١٧.

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٢١/١٣)، ومقاييس اللغة لابن فارس (١٣٣/١-١٣٥)،

وأما في الاصطلاح فهي: كل حق لزمك أداؤه وحفظه[1].

وقيل هي: "التَّعفُّف عمّا يتصرّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه"[2].

وقيل: "كل ما يؤمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة"[3].

الأمانة خلق عظيم وخصلة حسنة، يجب على كل مسلم أن يتخلّق بها، فضلاً عن الداعية إلى الله، وقد أمر الله تبارك وتعالى بأدائها: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[4].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[5].

وروى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ -أُرَاهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[6].

---

(١) فيض القدير للمناوي (١/٢٢٣).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص٢٤)، نقلاً عن موسوعة الأخلاق في إشراف العلوي السقاف (١/١١٩).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٥٠٩).

(٤) سورة النساء: ٥٨.

(٥) سورة الأنفال: ٢٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فَأَتَمَّ الحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ (١/٢١، رقم: ٥٩).

تستفاد هذه الصفة الحميدة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ». قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»(١).

وجه الاستدلال في هذا الأثر هو أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بيّن سبب الفتنة والفساد بأنه قلّة الأمانة، وقلّة الأُمناء، فمفهوم الأثر يدل على أن الأمانة يجب حفظها وأداؤها لأهلها، وكذلك يدلّ على أن الإنسان يجب أن يكون أميناً في الأمور كلّه، والداعية يستحق أكثر من الآخرين بأن يكون متحليا بهذا الخلق الكريم؛ لأن الدعوة تقتضي الأمانة في نشر الدين.

****

---

(١) تقدم تخريج الأثر (ص ١٩٣).

المطلب الثاني: الصفات السيّئة التي يجب الحذر منها للداعية.

هناك كثير من الأخلاق المذمومة والصفات السيئة التي يجب الحذر منها للمسلم عامة وللداعية خاصة، وذكرتُ بعضا منها في هذا المطلب حسب ما ورد في أحاديث وآثار الدراسة؛ لكي يسهل للداعية -بعد معرفتها- الابتعاد عنها في حياته عموماً وأثناء دعوته خصوصاً.

الصفة الأولى: الفخر.

الفَخْرُ والفَخَرُ: التمدُّح بِالْخِصَالِ والافتِخارُ وعَدُّ الْقَدِيمِ، وتَفاخَرَ القومُ: فَخَرَ بعضُهم على بعض. والتفاخُرُ: التَّعَاظُمُ. والتَّفَخُّر: التَّعَظُّمُ وَالتَّكَبُّرُ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ مُتَفَخِّرٌ مُتَفَجِّسٌ. وفاخَرَه مُفاخَرَةً وفِخاراً: عَارَضَهُ بالفَخْر فَفَخَره[١].

وقال الجرجاني: "الفخر: التطاول على الناس بتعديد المناقب"[٢].

يستفاد على ذمّ هذه الصفة بحديث عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... **وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلًا غَيْرَ فَخْرٍ: إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، وَمُوسَى صَفِيُّ اللَّهِ، وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ...**»[٣] الحديث.

وجه الاستدلال بهذا الحديث: من المعلوم أن النبي ﷺ أُعطي منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، ولكن النبي ﷺ حين بيّن هذه الحقيقة للناس نفى عن نفسه الفخر؛ لأن النبي ﷺ لم يبيّن هذا الفضل العظيم فخراً وكبراً وتعاظماً بل بيّنه شكراً لله عزّ وجل، كما قال ابن الأثير في معني قوله ﷺ : «**ولا فخر**» "أي ادّعاء العِظَم والكِبْر والشَّرَف: أي لا أقوله تبجُّحًا، ولكن شكرا لله وتحدّثا بنعمه"[٤].

وهكذا على الداعية المسلم أن يكون متواضعاً، وإذا أعطاه الله مكانة ومنزلة في

(١) ينظر: لسان العرب (٥/٤٨-٤٩)، (مادة: فخر).

(٢) كتاب التعريفات (ص ١٦٥).

(٣) تقدم كامل الحديث مع التخريج وشرح غريبه (ص ٧٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٤١٨).

المجتمع، فلا يتفاخر فيهم ولا يتكبّر عليهم، بل يتواضع لله ثم يتواضع للناس؛ لأن من تواضع لله رفعه الله في الدنيا والآخرة، كما تقدم بيان ذلك في صفة التواضع.

الصفة الثانية: الغِلْظة والفَظاظة.

تعريف الغلظة في اللغة: غلظ: الغِلَظُ: ضِدُّ الرِّقّةِ فِي الخَلْق والطبْعِ والفِعْل والـمَنْطِق والعيْش وَنَحْوِ ذَلِكَ. والغلظة: اسم من غَلُظَ يَغْلُظ غِلَظاً: صَارَ غليظاً، وَاسْتَغْلَظَ مِثْلُهُ وَهُوَ غَلِيظ وغُلاظ، والأُنثى غَلِيظة، وَجَمْعُهَا غِلاظٌ[(١)].

وأما في الاصطلاح: قال الشوكاني: "غلظ القلب: قساوته وقلة إشفاقه، وعدم إنفعاله للفعل[(٢)].

تعريف الفظاظة: يُقَالُ مِنْهُ فَظَّ يَفَظُّ مِنْ بَابِ تَعِبَ فَظَاظَةً إِذَا غَلُظَ حَتَّى يُهَابَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. رَجُلٌ فَظٌّ شَدِيدٌ غَلِيظُ الْقَلْبِ، أي فيه غِلَظٌ في مَنطقِه وتَجَهُّمٌ، والفَظَظُ: خُشُونةٌ في الكلام[(٣)].

وقال الفيرزآبادي في تعريفه: "الفَظُّ: الغليظُ الجانِبِ، السَّيِّئُ الخُلُقِ، القاسِي الخَشِنُ الكلامِ"[(٤)].

يستفاد على سوء هذه الصفة بحديث كَعْب أنه ذكر ما وجد صفة النبي ﷺ في التوراة؛ إذ يقول: "نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ،..."[(٥)].

ويؤيده ما جاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

(١) ينظر: لسان العرب (٧/٤٤٩).

(٢) فتح القدير (١/٤٥١).

(٣) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، (٨/١٥٣). والمصباح والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (٢/٤٧٨)، المكتبة العلمية، بيروت، بدون سنة طبع.

(٤) القاموس المحيط (ص ٦٩٧).

(٥) تقدم كامل الحديث مع تخريجه (ص ١٣١).

في صفة النبي ﷺ في التوراة: «**سَمَّيْتُكَ المتوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ**»[1]. وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾[2].

فالحاصل أن الغلظة والفظاظة صفة سيئة، ولابد للداعية الحذر منها؛ لكي لا ينفر المدعوون عن دعوته، ولكي لا ينفضوا من حوله.

الصفة الثالثة: الكذب.

الكذب في اللغة: خلق سيء وصفة مذمومة، وهو ضدّ الصدق، كَذَبَ يَكْذِبُ كِذْبًا وَكَذِبًا فهو كاذِبٌ وكذّاب وكذُوبٌ، فَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ سَوَاءٌ فِيهِ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ، وَالْإِثْمُ يَتْبَعُ الْعَمْدَ[3].

وأما في الاصطلاح: "عدم مطابقته للْوَاقِع أَي الْإِخْبَار لَا على مَا عَلَيْهِ الْمخبر عَنهُ فِي نفس الْأَمر"[4].

يستفاد على ذم الكذب وتحريمه بأثر أبي قلابة حينما ذكر صفات أهل الأهواء والمنافقين، ثم قارن بينهما واستدل بعدة آيات على أنواع المنافقين، ثم قال: «.. فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ ...»[5]، قد جاء في هذا الأثر أن الكذب هو صفة المنافقين، كما شهد سبحانه وتعالى على كذبهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[6].

وقد جاء في ذمّ الكذب نصوص الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، ومنها قوله ﷺ : «... **وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي**

---

(١) تقدم كامل الحديث مع تخريجه (ص ١٤٢).

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٧٠٤/١). ومصباح المنير للفيومي (٥٢٨/٢).

(٤) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي الأحمد نكري (٨٥/٣).

(٥) تقدم كامل الأثر مع تخريجه وشرح غريبه (ص ٨٨).

(٦) الحشر: ١١.

إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

فالحاصل أن الكذب خلق سيء وخصلة رذيلة، فلابد للداعية الحذر منها كل الحذر، والبعد منها كل البعد في حياته كلها.

الصفة الرابعة: اليأس.

اليأس: القنوط، وقيل: هو نقيض الرجاء، وهو مصدر من يَئِسَ يَيْأَسُ وَيَيْئِسُ، وهو قطع الرجاء، أو قطع الأمل[2].

قال ابن الجوزي: "اليأس: القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته"[3].

يستفاد على ذم هذه الصفة المذمومة بحديث معاذ رضي الله عنه حينما ذكر قصة الرجل الذي يئس في دعوته عن قبولها، والقصة هكذا كما قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ بِهِ فِيهِمْ، فَلَمْ أُتَّبَعْ، لَأَحتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِدًا فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتَظَرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا، فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ: بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي أُتَّبَعُ قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ»[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] وما ينهى عن الكذب (٢٥/٨، رقم٦٠٩٤). وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق (٢٠١٣/٤، رقم ٢٦٠٧).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٢٥٩/٦)، مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٣/٦).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، (ص ٦٣٣) المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٤) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه (ص ٢١٨).

ويؤيده ما تقدم نحو هذا الأثر عن معاذ بن جبل عند أبي داود في بيان صفة الاستقامة من صفات الحسنة.

وجه الاستدلال في هذا الأثر هو أن الرجل الذي أراد أن يُتبع بالقرآن، ولكنّه لم يُتّبع ...، فيَئِس عن قبول دعوته، وبعد اليأس والقنوط أراد الرجل أن يأتي بشيء لم يكن في الكتاب ولا في السنة لكي يُتبع، ومن عمله هذا حذّر معاذ رضي الله عنه بقوله: «فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ». سياق الأثر يدلّ على أن هذا الرجل كان يسعى حصول مكاسب الدنيوية بالقرآن الكريم، فهكذا كان منهجه غير صحيح أصلاً ولذا لم ينجح في عمله.

ويؤيد معناه نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1]، أي لا تيأسوا منها، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام بأن اليأس هي من صفة الكافرين، فقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾[3].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله"[4].

وأما الدليل من السنة هو قوله ﷺ: «... **فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ** ...»[5].

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) هود: ٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٧٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرِّقاق، باب الرجاء مع الخوف (٨/٩٩، رقم: ٦٤٦٩).

فالحاصل من هذه النصوص أن اليأس والقنوط من الصفات المذمومة، وهي من صفات الكافرين الضالين، وليست من صفات المؤمنين، وكما أن فيه سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، وهو سبب الوقوع في الكفر والهلاك والضلال(١)، ولذلك يجب على كل مسلم عموما، وعلى الداعية خصوصاً أن يحذر من هذه الصفة السيئة كل الحذر، ولا يقنت من رحمة الله سبحانه وتعالى، بل تكون رجاءه منه سبحانه وتعالى في كل وقت وفي كل أمر.

الصفة الخامسة: الكسَل.

الكَسَل: التَّثاقُل عَمَّا لَا يَنْبَغِي أَن يُتَثاقَل عَنْهُ، والفعل: كَسِلَ يكْسَل كَسَلًا، فَهُوَ كَسِلٌ وكَسْلان وَالْجَمْعُ كَسَالَى وكُسَالَى وكَسْلى. والأُنثى كَسِلَة وكَسْلَى وكَسْلانة وكَسُول ومِكْسَال(٢).

قال المناوي: "الكسل: التَّثاقُل والتراخي مما ينبغي مع القدرة، أو هو عدم انبعاث النفس لفعل الخير"(٣).

الكسل من الصفات السيئة ولذلك يجب الحذر منها، ويستدل على سوءها بحديث جبير بن نُفير الحضرمي أنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ إِلَيْكُمْ لَيْسَ بِوَهِنٍ، وَلَا كَسِلٍ، لِيُحْيِيَ قُلُوبًا غُلْفًا**... الحديث»(٤).

وجه الاستدلال في هذا الحديث أن النبي ﷺ نُفي عنه هذه الصفة الكسل، وقد كان النبي ﷺ يحذّر عنها، ويستعيذ بالله سبحانه وتعالى كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ** ... الحديث»(٥).

---

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق، إشراف: علوي السقاف (٥٢٦/٤).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥٨٧/١١). وكتاب العين للخليل (٣١٠/٥).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٢٢/٢).

(٤) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه وترجمة راويه (ص ٦٩- ٨٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم (٧٩/٨، رقم: ٦٣٦٨). =

فالحاصل أن الكسل من الصفات المذمومة، وهي من صفات المنافقين كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾(١)، قال البغوي: أي متثاقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثوابا، ولا يخافون على تركها عقابا، فإن قيل: كيف ذم الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلا؟ قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مُكسِل، والإيمان منشِّط(٢).

يتضح من خلال هذه النصوص أن الكسل صفة سيئة فعلى الداعية أن يحذر منها، ويستعيذ بالله سبحانه وتعالى منها؛ لكي يكون نشطاً في وظيفته الدعوية.

الصفة السادسة: الفحش.

الفُحْش والفَحْشاءُ والفاحِشةُ: القبيح من القول والفعل، وجمعُها: الفَواحِشُ. وأَفْحَشَ عَلَيْهِ فِي المَنْطِق أَي قَالَ الفُحْش، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الفُحْش وَالْفَاحِشَةِ وَالْفَاحِشِ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ كُلُّ مَا يَشتد قُبْحُه مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي(٣).

قال الحافظ ابن حجر: "الفحش: كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، يقال: طويلٌ فاحش الطول إذا أفرط في طوله، لكن استعماله في القول أكثر، والمتفحِّش بالتشديد الذي يتعمد ذلك، ويُكثِر منه، ويتكلَّفُه(٤).

يستفاد على ذمّ هذه الصفة من الحديث الذي رواه الإمام الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ:

=

وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل (٢٠٧٩/٤، رقم: ٢٧٠٦).

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (٥٨/٤)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣٢٥/٦).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٣/١٠).

«نَجِدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهَ يُولَدُ بِمَكَّةَ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ...»(١).

ويؤيّد معناه ما جاء في الصحيحين في صفة النبي ﷺ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**»(٢).

فهذا الحديث صريح في أن الفُحش خلق مذموم، وهو ضد الأخلاق الحسنة، ولذلك يجب على كل مسلم عامة، وعلى الداعية خاصة بأن يبتعد عن كل كلام فاحش، وعمل فاحش اتباعًا لهدي النبي ﷺ، وامتثالا لأمر الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**﴾(٣).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه: (قل) ، يا محمد، لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبًا على الله: ما أمر ربي بما تقولون، بل (أمر ربي بالقسط)، يعني: بالعدل(٤).

****

---

(١) تقدم كامل الحديث مع التخريج وشرح غريبه (ص ١٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (١٨٩/٤، رقم: ٣٥٥٩). وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ (١٨١٠/٤، رقم: ٢٣٢١).

(٣) الأعراف: ٢٨ – ٢٩.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٧٩/١٢).

المبحث الثالث :

أنواع الدعاة وأقسامها من خلال أحاديث الدراسة.

توطئة:

العاملون والمشتغلون في حقل الدعوة يمكن تقسيمهم إلى أنواع متعددة باعتبارات متعددة، قد يكون باعتبار الجنس، أو اللسان، أو العلم، أو الاجتهاد، أو الرأي، أو الحكم، أو باعتبار آخر حسب ما تقتضي أغراض الدعاة ومقاصدهم. وبيان ذلك باختصار في عدة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: أنواع الدعاة باعتبار الجنس: ذكر وأنثى.

من المعلوم أن دين الإسلام دين شامل لكافة الناس سواء كان ذكرا أم أنثى، فيجب نشر دين الإسلام إلى كافة الناس من الرجال والنساء، و لا يمكن أداء هذا الواجب حق الأداء إلا بقيامه من قِبل النساء أيضاً؛ لأن كثيرا من المسائل تختص بالنساء، فليس بسهل للرجل أن يبيّن هذه المسائل لعامة النساء؛ لكثرة حيائهن، ولكن طريقته الملائمة هي أن يُعلّم الرجل زوجته ثم تُعلّم زوجتُه عامة النساء، وأما المسائل المشتركة بين الرجل والمرأة فلا بأس بأخذها بعضهم عن بعض.

من خلال هذا البيان يتضح لنا أن الدعاة ينقسمون باعتبار الجنس إلى قسمين: الأول: الرجل، والثاني: المرأة.

استفدت هذا التقسيم من بعض أحاديث الدراسة فيما رواه الإمام الدارمي، ومن بعضها باختصار فيما يلي:

الحديث الأول: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[1] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ رضي الله عنها فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ، فَقَالَ: «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي**»، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ

(١) سورة النصر: ١

النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَاحِقٌ بِي**» فَضَحِكتُ [وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ فَقَالَ: «**هُمْ أَرَقُّ أَفْئدةً، وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»][(١)].

وجه الاستدلال في هذا الحديث: فقد جاء فيه ذكر الرجل والمرأة، وكذلك أزواج النبي ﷺ حينما رأين فاطمة رضي الله عنها تبكي ثم ضحكت، فسألنها عن ذلك لحرصهن على طلب العلم ونشره، فهكذا كانت النساء في زمن النبي ﷺ وبعده تنشرن دين الإسلام.

الحديث الثاني: هو حديث طويل في حادثة وفاة النبي ﷺ، وفيه: ... وَجَعَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا يَا أُمَّ أَيْمَنَ تبْكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ.. الحديث[(٢)].

ظهر من هذا الحديث حرص أم أيمن رضي الله عنها على تعلّم خبر السماء؛ وخبر السماء هو الكتاب السنة، وهو الدين الحقيقي، فكانت أم أيمن تبكي وتحزن على انقطاع خبر السماء، وعلى انقطاع الوحي، ولا تبكي على وفاة النبي ﷺ؛ لأنه ﷺ ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا، فكما يظهر فيه حرصها على تعلم العلم، كذلك يظهر فيه فقهها في الدين. فهكذا كانت النساء في زمن النبي ﷺ تبذل الجهد في تعلم الدين ونشره.

هناك نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدلّ على أنواع الدعاة باعتبار الجنس، ولكن المقام لا يسع لذكرها.

---

(١) **تخريج الحديث**:

سن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ (١/٢١٦، رقم: ٨٠)، قال الداراني: إسناده صحيح. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٦): فيه هلال بن خباب أبو العلاء البصري، صدوق تغير بآخره، والحديث صحيح أخرجه الطبراني (العجم الكبير ١١/٣٣٠، ١٢/٤١٥، والأوسط ١/٢٧١، وينظر: تفسير الطبري، سورة النصر، وجامع العلوم والحكم (١/٩٥).

(٢) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه (ص ١٥٣).

المطلب الثاني: أنواع الدعاة باعتبار العلم: عالم ومتعلم.

الدعاة إلى الله تعالى يمكن تقسيمهم باعتبار العلم إلى عالم ومتعلم؛ لأن منهم من أخذ العلم وتولى على القضاء والفتوى، فهؤلاء يستنبطون المسائل مباشرة من الكتاب والسنة، ويحلون المشاكل والقضايا المعاصرة، فهذا النوع يسمّى بـ"عالم" وهو النوع الأول باعتبار العلم، وأما النوع الثاني وهو متعلِّم، فالمقصود به طالب العلم الذي انشغل بالدعوة أثناء طلب العلم، وهو متعلِّم ولكن لرغبته في الدعوة والتبليغ، يقوم بعمل الدعوة ويحاول تطبيق كل ما يحصل من العلم.

يستفاد هذا التقسيم من بعض الآثار فيما رواه الإمام الدارمي:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قال: «النَّاسُ عَالِمٌ، وَمُتَعَلِّمٌ، وَلَا خَيْرَ، فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ»[1].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قال: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ، وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَلَيْسَ لِسَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ خَيْرٌ»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قال: «اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا، وَلَا تَكُنِ

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم (٣١٢/١ رقم: ٢٥٢)، قال الداراني: إسناده ضعيف لانقطاعه سليمان بن موسى لم يدرك أبا الدرداء.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧١): فيه أحمد بن أسد البجلي: سكت عنه أبو حاتم (الجرح والتعديل: ٤١/٢) وذكره ابن حبان (الثقات: ١٩/٨) وفيه انقطاع بين سليمان بن موسى الدمشقي، وأبي الدرداء ﷺ، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد: ١٩٩، رقم: ٧٢٧).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم (٣١٣/١ رقم: ٢٥٣).

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧١): رجاله ثقات، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد: (ص: ١٩٩، رقم: ٧٢٧)، وأبو خيثمة (العلم: ١٢١، رقم: ٥١) وابن أبي شيبة (المصنف: ٥٤٢/٨، رقم: ٦١٧٣، وابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٣٤/١).

الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ»[1].

وعن سلمان رضي الله عنه، قال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَ الْأَوَّلُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْآخِرُ، فَإِذَا هَلَكَ الْأَوَّلُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْآخِرُ، هَلَكَ النَّاسُ»[2].

قد جاء في هذه الآثار تقسيم الناس إلى عالم ومتعلم ومستمع، فالعالم هو الداعي، والمستمع هو المدعو، والمتعلم قد يكون داعيا وقد يكون مدعوا، وهكذا يعرف تقسيم الدعاة باعتبار العلم، بأنهم إما عالم أو متعلم.

المطلب الثالث: أنواع الدعاة باعتبار اللسان: داعية بلغة القوم، وداعية بلغة أخرى.

يمكن تقسيم الدعاة باعتبار اللسان إلى قسمين: الأول: داعية بلغة قوم المدعوين، والثاني: داعية بلغة أخرى.

يستفاد هذا التقسيم من أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حينما قال: إن الله فضّل محمد صلى الله عليه وسلم على الأنبياء، وعلى أهل السماء... ثم استدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم (٣١٣/١ رقم: ٢٥٤)، قال الداراني: إسناده ضعيف. الحسن هو البصري وقد عنعن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧١): فيه انقطاع بين الحسن، وابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البيهقي (المدخل: ٢٦٨، رقم: ٣٨٠) ووكيع (الزهد: ٨٢٦/٣، ٨٢٧، رقم:٥١٢) ويعقوب بن سفيان (المعرفة: ٣٩٩/٣) وابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٣٥/١).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم (٣١٤/١ رقم: ٢٥٥).

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧١): رجاله ثقات، أخرجه أحمد (الزهد: ١٥١/١) واللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨٤/١)، وينظر: الطبراني (المعجم الكبير: ١١٤/٩) و(مسند إبراهيم بن أدهم: ٣٤/١)، و(نصيحة أهل الحديث: ٢٨/١، ٣٠)، و(تاريخ بغداد: ٣٦٩/١).

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾(١) ... إلخ(٢).

وجه الاستدلال في هذا الأثر هو قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ إن الله أرسل جميع الرسل بلسان قومهم ليبين لهم؛ لأنهم بُعثوا إلى قومهم خاصة وليس لجميع الناس، ولكن نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين، بُعث للناس كافة، وليس للعرب خاصة، فلذا يجب علينا -كأمة محمد ﷺ- أن نبلّغ الإسلام إلى جميع الناس سواء كنّا نعرف لغتهم أم لا نعرف، وإذا لم نعرف فعلينا أن نتعلّم؛ لكي نبلغهم دعوة الإسلام، كما روى الإمام الترمذي عن زيد بن ثابت قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: «**إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ**» قَالَ: «فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ» قَالَ: «فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»(٣).

فالحاصل مما تقدم أن الداعية الحصيف إذا علم لغة قوم المدعوين فهو يدعوهم إلى دين الإسلام بلغتهم، والداعية إذا لم يعرف لغة المدعو فهو إمّا أن يتعلم لغة المدعو، وإما أن يطلب التعاون من المترجمين، وهكذا يمكن تقسيم الدعاة إلى قسمين: داعية بلغة قوم المدعو، وداعية بلغة قوم أخرى.

المطلب الرابع: أنواع الدعاة باعتبار الحُكم: الحاكم والمحكوم.

يمكن تقسيم الدعاة باعتبار الحُكم إلى قسمين:

الأول: الحاكم، وهو اسم فاعل من فعل "حكَم يحكم حكما"، فهو الذي يحكم الناس، ويقضي فيما بينهم بالعدل. وقد يكون الحاكم داعيا إلى الله تعالى.

---

(١) إبراهيم: ٤

(٢) تقدم كامل الأثر مع التخريج (ص ٦٨).

(٣) في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعليم السريانية، (٥/٦٧، رقم: ٢٧١٥) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وكذا قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/٢١٥).

والثـاني: المحكـوم، وهـو اسـم مفعـول مـن فعـل "حكـم يحكـم"، معنـاه: هـم الأشخاص الذين يعيشون تحت حكم الحاكم، وقد يكون المحكوم داعياً إلى الله تعالى.

يستفاد هذا التقسيم من عدة آثار فيما رواها الإمام الدارمي:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ(١): أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ ﷺ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَضَرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، «فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ،» فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي(٢).

فهذا الأثر يدل دلالة صريحة أن عمر بن الخطاب ﷺ -وهو الحاكم- عمِل بالدرجة الأولى من درجات "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ : «**من رأى منكم منكرا، فليغيّره بيده** ...»(٣) الحديث. وأن عمر بن الخطاب ﷺ لما رأى رجلا يسأل عن متشابه القرآن –

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن يسار المدني، مولى أم المؤمنين ميمونة، تابعي ثقة إمام، من فقهاء السبعة، روى له أصحاب الكتب الستة، ولد في خلافة عثمان ﷺ، وتوفي سنة ثلاث ومائة، وقيل قبل المائة. يراجع ترجمته: (سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٤٤٤-٤٤٩).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (١/٢٥٢، رقم ١٤٦)، قال الداراني: رجاله ثقات غير أنه منقطع سليمان بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب ﷺ. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٦): رجاله ثقات، أخرجه الحافظ الآجري (الشريعة: ٧٣) وابن بطة (الإبانة: ٢٦٠٩، ٦١٠، رقم: ٧٨٩) والحافظ أبو القاسم الأصبهاني (الحجة: ١٩٣) ومرعي المقدسي (أقاويل الثقات: ١/٥٨).

شرح غريب الأثر:

«**عَرَاجِينَ**» : جمع عرجون، وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العذق، من الانعراج: الانعطاف، والواو والنون زائدتان، ينظر: (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٢٠٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد =

والسؤال عنه منكر؛ لأنه منهي عنه- فغيّره بيده، وضربه بالعرجون حتى ذهب من رأسه ما يجده من الشبهات.

ويدل أيضاً -على تقسيم الدعاة باعتبار الحكم- أثرُ حُذَيْفَةَ ﵁، قَالَ: "إِنَّمَا يُفْتِي النَّاسَ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ إِمَامٌ أَوْ وَالٍ، وَرَجُلٌ يَعْلَمُ نَاسِخَ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَنْسُوخِ -قَالُوا: يَا حُذَيْفَةُ، مَنْ ذَاكَ؟ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ- أَوْ أَحْمَقُ مُتَكَلِّفٌ"(1).

وقد جاء في هذا الأثر ذكر مَن يفتي الناس، وهو إمام والي أيْ حاكم، وهكذا يكون الحاكم داعياً إلى الله، وهو القسم الأول من أقسام الدعاة باعتبار الحكم، وكذلك جاء أيضاً فيه أنه يفتي الناسَ عالمٌ ناسخ القرآن ومنسوخه، وهذا العالم قد يكون حاكما وقد يكون محكوما، وإذا كان محكوما فهو يدخل في القسم الثاني من أقسام الدعاة باعتبار الحكم.

وهذا الأثر إن كان ضعيف الإسناد لانقطاعه، لكن يؤيده أثر آخر كما رواه الدارمي بسنده عن محمَّد بن سيرين، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ(2) قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ ﵁: "إِنَّمَا يُفْتِي النَّاسَ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ عَلِمَ نَاسِخَ الْقُرْآنِ مِنْ مَنْسُوخِهِ"، -قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ؟ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ-، قَالَ: "وَأَمِيرٌ لَا يَجِدُ بُدًّا، أَوْ أَحْمَقُ مُتَكَلِّفٌ". ثُمَّ قَالَ

=

وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (١/٦٩، رقم ٤٩).

(1) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب بدون عنوان، تابع لباب الفتيا وما فيه من الشدة، (١/٢٧٢، رقم ١٧٧)، قال الداراني: إسناده ضعيف لانقطاعه، محمد بن سيرين لم يدرك حذيفة... ولكن الأثر صحيح. اهـ. لأن الأثر الذي بعده يعضده وهو متصل السند.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٦): رجاله ثقات، أخرجه ابن عبد البر (الجامع: ٢/٢٠٣).

(2) هو أبو عبيدة بن حذيفة بن اليمان العبسي الكوفي، من كبار التابعين، روى له النسائي وابن ماجه، وهو مقبول عند الحافظ ابن حجر، يراجع ترجمته: (تهذيب الكمال للمزي ٣٤/٥٤).

مُحَمَّدٌ: فَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ، وَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ الثَّالِثَ[1]. فهذا من تواضعه رحمه الله.

المطلب الخامس: أنواع الدعاة باعتبار الهداية والضلالة: دعاة الهداية ودعاة الضلالة.

يمكن تقسيم الدعاة باعتبار الهداية والضلالة إلى قسمين: الأول: دعاة إلى الهداية، والثاني: دعاة إلى الضلالة.

ويدل على هذا التقسيم قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ يدلّ على القسم الأول. وكل من يدعو إلى الله خالصا من قلبه وابتغاء مرضاة الله فهو يدخل ضمن دعاة الهداية، والنصوص في هذا كثيرة، وأما القسم الثاني فيدل عليه قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ أي دعاة إلى الضلالة، ومن هذا القبيل قوله أيضاً: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾[3].

وقد يُستدل على هذا التقسيم بعدة آثار، منها: أثر عُمَر بْن الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أنه قال: «إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ

(١) تخريج الأثر:

سنن الدارمي، المقدمة، بابٌ -بدون عنوان-، تابع لـ"باب الفتيا وما فيه من الشدة"، (٢٧٢/١، رقم ١٧٨)، قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٦): فيه عبيدة بن حذيفة، مقبول، وقال العجلي: تابعي ثقة (تاريخ الثقات ص:٥٠٤، رقم: ١٩٩٢) أخرجه الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام (الناسخ والمنسوخ: ٤، رقم: ١) وابن أبي شيبة (المصنف:٥٥٨/٨، رقم: ٦٢٤٣) وأبو جعفر النحاس (الناسخ والمنسوخ: ٤١٠/١، رقم: ٢) وابن حزم (الاعتبار: ٦) والبيهقي (السنن الكبير: ١١٧/١٠) وابن الجوزي (الناسخ والمنسوخ: ٢٩،٣٠)

(٢) البقرة: ٢٢١.

(٣) القصص: ٤١.

السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(1).

ففي هذا الأثر أشار عمر بن الخطاب إلى دعاة الضلالة، بأنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فهؤلاء هم دعاة الضلالة في الحقيقة، فاحذروا منهم واتبعوا السنن.

ويدل عليه أيضاً أثر عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه إذ يقول: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ

(1) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة (١/٢٤٠، رقم: ١٢١)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح وباقي رجاله ثقات.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٩): فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال ابن حجر: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة.

قلت (الزهراني): وهذا مما لم يغلط فيه إن شاء الله، فإنه لا يختلف في صحته، فأهل السنة أعلم بكتاب الله، وهم النقلة العدول، وأخرجه اللالكائي (شرح الاعتقاد: ١/١٢٣) وأبو الفضل الهروي (أحاديث في ذم الكلام: ٢/٣١) وأبو المظفر السمعاني (الانتصار لأهل الحديث: ١/٦) والآجري (الشريعة: ١/٥٨) وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل: ٦/١١٨) ويشهد له حديث المقدام بن معدي كرب الزبيدي رضي الله عنه (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) الحديث أخرجه أبو داود حديث (٤٦٠٤) والترمذي في حديث (٢٦٦٣، ٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقول الحسن: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا، إذ قال له رجل: يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن، فقال له عمران: أرأيت أنت وأصحابك تقرؤون القرآن أكنت تحدثني عن الزكاة في الإبل، والذهب، والبقر، وأصناف المال، لكن شهدت وغبت، ثم قال له: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة كذا وكذا، فقال أحييتني أحياك الله يا أبا نجيد، قال الحسن: فما مات الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ٢/٨٠) وانظر حديث ابن مسعود في لعن الواشمات، وفيه اعتراض أم يعقوب امرأة من بني أسد، أخرجه مسلم حديث (١٢٠-٢١٢٥). اهـ.

اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»(1).

ففي هذا الأثر حثّ عبد الله بن مسعود ﷺ على طلب العلم قبل أن يُقبض، وحذّر عن البدع، وعن دعاة الضلالة الذين يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وفي الحقيقة أنهم نبذوه وراء ظهورهم، ولا يدعون إلى كتاب الله بل يدعون إلى أهوائهم باسم الكتاب والسنة، ويستدلون بالكتاب والسنة في غير محله، ويحرفون الكلم عن مواضعه كما فعل اليهود في التوراة، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾(2). فهؤلاء دعاة الضلالة وليسوا دعاة هداية، وإلى هؤلاء دعاة الضلالة أشار الأوزاعي -كما روى الإمام الدارمي عنه-، أنه قال: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: «وَيْلٌ لِلْمُتَفَقِّهِينَ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ وَالْمُسْتَحِلِّينَ الحرماتِ بِالشُّبُهَاتِ»(3).

وكذلك تقدم أثر معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: "يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعُ، وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ بِهِ فِيهِمْ، فَلَمْ أُتَّبَعْ، لَأَحتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِدًا فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتَظَرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا، فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ: بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ

(1) تقدم تخريج الأثر وشرح غريبه (ص ١٤٨).

(2) النساء: ٤٦.

(3) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه، (١/٢٧٩، رقم ١٩٣). قال الداراني: إسناده ضعيف.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٠): رجاله ثقات، أخرجه أبو بكر الآجري (أخلاق العلماء: ١٤١) والبيهقي (المدخل: ٣٢٣، رقم: ٥٠٦) وفي (الشعب: ٤٧٩/٤) والخطيب (اقتضاء العلم العمل: ٢٠٣، رقم: ١١٩) وفي (الفقيه والمتفقه:٨٩/٢).

بِهِ ضَلَالَةٌ"(١).

فهذا الأثر صريح في التحذير عن دعاة الضلالة الذين يدعون باسم الكتاب والسنة إلى أهوائهم، وبدعِهم، وحذّر معاذ ﷺ عما جاءوا به من الضلالة، بقوله: "فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ".

فالحاصل من هذه الآثار أنه يمكن تقسيم الدعاة باعتبار الهداية والضلالة إلى قسمين: دعاة الهداية ودعاة الضلالة. والله تعالى أعلم.

المطلب السادس: أنواع الدعاة باعتبار تقديم الاتباع على الرأي والعكس: دعاة إلى الكتاب والسنة، ودعاة إلى الرأي(٢).

يمكن تقسيم الدعاة -باعتبار تقديم الكتاب والسنة على الرأي، وتقديم الرأي على الكتاب والسنة- إلى قسمين:

الأول: الدعاة الذين يُقدِّمون الكتاب والسنة على الآراء.

والثاني: الدعاة الذين يقدمون آراء إمامهم على الكتاب والسنة، ثم يؤوّلون الكتاب والسنة تأييداً لقول إمامهم، أو يجعلونهما منسوخاً تعصباً لمذهبهم، والأقوال في هذا الشأن كثيرة من أمثال هؤلاء الدعاة، منها قول أبي الحسن الكرخي: "كل آية تخالف ما عليه أَصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ"(٣).

وإلى هذا التقسيم أشار بكر أبو زيد -رحمه الله- بعد ذكر أقوال المتعصبين؛ إذ

---

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه (ص ٢١٨).

(٢) هناك فرق بين هذا التقسيم والتقسيم السابق، فأقسام الدعاة باعتبار الهداية والضلالة أعم وأشمل؛ لأنه يشمل الدعاة الذين يدعون إلى ديانات أخرى، وأما هذا التقسيم فهو أخص، يدخل فيه دعاة الإسلام فقط ولكن منهجهم ومقاصدهم تختلف عن البعض.

(٣) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، (ص١٧) تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الناشر: الدار السلفية الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

يقول: "مِنْ هُنَا وَقَعَ التجاذب في المسلم بين داعيين: داعي الدليل الأَحق، وداعي التقليد الأَعمى الأَصم، وصار من الأَبحاث المتولِّدة بعد انقراض القرون الثلاثة المفضلة"[1].

يستفاد هذا التقسيم من بعض الآثار التي رواها الإمام الدارمي رحمه الله:

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ[2] قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو سَلَمَةَ[3] الْبَصْرَةَ، أَتَيْتُهُ أَنَا وَالْحَسَنُ[4] فَقَالَ لِلْحَسَنِ: أَنْتَ الْحَسَنُ؟ «مَا كَانَ أَحَدٌ بِالْبَصْرَةِ أَحَبَّ إِلَيَّ لِقَاءً مِنْكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُفْتِي بِرَأْيِكَ، فَلَا تُفْتِ بِرَأْيِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ كِتَابٌ مُنْزَلٌ»[5].

---

(١) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، بكر بن عبد الله أبو زيد، (٥٧/١) دار العاصمة، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

(٢) هو أبو نضرة المنذر بن مالك بن قُطَعة العبدي العَوَقِي البصري، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا أن البخاري أخرج له تعليقا، وتوفي سنة ١٠٨هـ أو ١٠٩هـ. يراجع ترجمته: (تاريخ الإسلام للذهبي ١٩٨/٣، وتهذيب الكمال للمزي ٥٠٨/٢٨).

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ولد سنة بضع وعشرين، وهو تابعي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ٩٤هـ، وقيل: بعدها سنة ١٠٤هـ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، يراجع ترجمته: (الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٨/٥). و(سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤).

(٤) هو الحسن البصري تقدمت ترجمته (ص ١٢٢).

(٥) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، (٢٦٣/١، رقم ١٦٥). قال الداراني: رجاله ثقات غير أن أبا عقيل لم يذكر فيمن سمعوا سعيد بن إياس الجريري قبل الاختلاط.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٤): رجاله ثقات، أخرجه الخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٦٣/٢)، وابن حزم في الأحكام (٢٢٨/٦)، وأبو الفضل الهروي (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ١٧٧/٢)، وابن عساكر (المختصر: ١٧٥٤/١).

ففي هذا الأثر حذّر أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، الحسنَ عن الدعوة إلى الرأي، وذلك بمنعه عن الفتوى بالرأي، وحثّه على الدعوة إلى الكتاب والسنة.

ويُستدل أيضاً على هذا التقسيم بأثر جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ(١)، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما لَقِيَهُ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا الشَّعْثَاءِ إِنَّكَ مِنْ فُقَهَاءِ الْبَصْرَةِ فَلَا تُفْتِ إِلَّا بِقُرْآنٍ نَاطِقٍ، أَوْ سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ غَيْرَ ذَلِكَ، هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ»(٢).

ففي هذا الأثر العظيم حذّر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أبا الشعثاء جابر بن زيد عن الدعوة إلى غير الكتاب والسنة، وأمره أن لا يدعو، ولا يفتي إلا بالقرآن والسنة، ثم عبّر الفتوى الصادرة من غير الكتاب والسنة بالهلاك، وقال له: "إن فعلتَ غير ذلك، هلكتَ وأهلكتَ"، أي إن دعوْتَ أو أفتيْتَ بغيرهما أو إلى غيرهما فتهلك نفسك وتهلك الآخرين.

فمفهوم هذين الأثرين يدل على أن هناك دعاة يدعون إلى الكتاب والسنة، ويكتفون بهما، ولا يلتفتون مع وجودهما إلى غيرهما، واشتهر هؤلاء بـ"أهل الحديث". وكذلك يدلّ مفهوم هذين الأثرين على أن هناك دعاة آخرون يدعون

---

(١) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليَحمدي الخوفي البصري، وهو تابعي ثقة، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ٩٣هـ وقيل: ١٠٣هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٢/٢٠٤)، وروى في ترجمته هذا الأثر أيضاً، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٨١).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، (١/٢٦٣، رقم ١٦٦). قال الداراني: إسناده حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٤): فيه يزيد بن عقبة المروزي، سكت عنه البخاري وأبو حاتم (التاريخ: ٨/٤٤، والجرح والتعديل: ٩/٢٨٣) وذكره ابن حبان (الثقات:٧/٦٢٦) وأخرجه ابن حزم (الأحكام: ٨/٥٤٠) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٢/١٦٣) وأبو نعيم (الحلية: ٣/٨٦) وأبو الفضل الهروي (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ٢/١٢٤).

إلى رأيهم أو إلى رأي إمامهم، واشتهر هؤلاء بـ "أهل الرأي"، وكثر ظهورهم بعد زمن الصحابة[1].

****

(١) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي؛ مناع بن خليل القطان (ص ٢٨٩)، مكتبة وهبة، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

المبحث الرابع:

الأحكام والمسائل التي تختص بالداعية من خلال أحاديث الدراسة.

فيه عدة مطالب:

المطلب الأول: معرفة أحوال المدعوين.

إن الداعية إلى الله يجب عليه معرفة أحوال المدعوين، لكي يتعامل معهم حسب أحوالهم وظروفهم، ويستخدم لهم أسلوبا ملائما، ووسيلة مناسبة حسب ما تقتضي بيئتهم، ولذلك لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن فقال له: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ** ...»[1] الحديث. أي أنك لا تذهب نحو قوم أميين، بل تذهب إلى قوم أهل الكتاب، وهم أهل العلم، قد يعترضون عليك، ويعرضون عليك الشكوك والشبهات فلذلك عليك الاستعداد التام لهم، فأخبره ﷺ أحوال المدعوين لكي يستعد قلباً وقالباً للدعوة فيهم بما تقتضي أحوالهم.

تستفاد هذه المسألة من بعض أحاديث وآثار الدراسة، ويُكتفى هنا على ذكر واحد منها لغرض الاختصار والإيجاز، فروى الإمام الدارمي رحمه الله:

عَنِ الْوَضِينِ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، وَكَانَتْ عِنْدِي بِنْتٌ لِي فَلَمَّا أَجَابَتْ، وَكَانَتْ مَسْرُورَةً بِدُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهَا، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَاتَّبَعَتْنِي فَمَرَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بِئْرًا مِنْ أَهْلِي غَيْرَ بَعِيدٍ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَرَدَّيْتُ بِهَا فِي الْبِئْرِ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَتَاهُ يَا أَبَتَاهُ فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى وَكَفَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩/١١٤، رقم: ٧٣٧٢ و١٤٥٨). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/٥١، رقم ١٩).

ﷺ، أَحْزَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ**» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ**» فَأَعَادَهُ، فَبَكَى حَتَّى وَكَفَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ عَلَى لِحْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ**»[1].

وجه الاستدلال في هذا الحديث: أنه قد جاء في هذا الحديث ذكر حالة المدعو، وهو حالته قبل قبول هذه الدعوة الإسلامية، والنبي ﷺ لما سمع حالته وَكَف دمع عينيه، ثم قال مراعاة لنفسيته: «**كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ**» ثم قال تسلية له: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ**».

ويمكن أن يستفيد الداعية الحصيف من هذا الحديث "أسلوب التعامل مع المدعو" حسب ما تقتضي نفسياته وظروفه وأحواله.

المطلب الثاني: تعلم العلم قبل بدء الدعوة.

إن الداعية إلى الله يجب عليه تعلّم العلم قبل بدء الدعوة، ولا يمكن قيام الدعوة بدون علم، ولو دعا الناس بدون علم يَضل ويُضل الناس عن الصراط المستقيم، ولذلك يجب العلم قبل بدء الدعوة.

ويدل على هذه المسألة أحاديث وآثار كثيرة، منها أثر عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنه قال: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَالْبِدَعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»[2].

وتقدم بيان ذلك بالتفصيل في القواعد الدعوية، وكذلك في صفات الداعية: الصفات الحسنة، منها صفة العلم[3].

المطلب الثالث: تعلم لغة المدعو.

إن الداعية إلى الله يجب عليه أن يتعلم لغة المدعو، أو يطلب المترجِم المعتمد لكي

---

(١) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه وترجمة راويه (ص ٦٣ وما بعدها).

(٢) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه (ص ١٤٨).

(٣) ينظر: (ص ١٤٥ و ١٨٩).

يبلغ إلى الناس دعوته؛ لأنه إذا لم يعرف لغة المدعو كيف يدعو الناس إلى دين الإسلام؟ مع أن دين الإسلام هو دين رباني وعالمي، فيجب تبليغه إلى كافة الناس.

تستفاد هذه المسألة من الآية التي استدل بها ابنُ عباس فضيلَة النبي ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[1]، ففي هذه الآية دلالة على أن معرفة لسان القوم (المدعو) يجب للتبيين والتبليغ، ثم استدل ابن عباس رضي الله عنهما على فضل النبي ﷺ بقوله: وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[2] فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ[3].

وجه الاستدلال في هذا الأثر: أن الآية تدلّ على أن الدعوة الإسلامية هي لكافة الناس أجمعين، ولذلك يجب تبليغها إلى كافة الناس، سواء كان المدعو يفهم لغة الداعية أم لا؟ فإذا يفهم المدعو لغته فيجب عليه دعوته إلى دين الإسلام، وإذا لم يفهم لغته يجب تعلم لغة المدعو، أو أخذ المترجم المعتمد لكي يدعوه إلى دين الحق؛ لأنه ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب أيضاً كما هو معلوم في القواعد الفقهية[4]، ولكن الوجوب هذا وجوب كفائي[5].

المطلب الرابع: الهداية بيد الله وما على الداعية إلا البلاغ المبين.

إن الداعية إلى الله تعالى يجب عليه تبليغ الدين وإيصاله إلى الناس، وليس عليه هداية الناس إلى الصراط المستقيم؛ لأن الهداية بيد الله تبارك وتعالى يهدي به من يشاء من عباده، كما قال جل شأنه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) تقدم كامل الأثر مع تخريجه (ص ٦٨).

(٤) ينظر هذه القاعدة في: "العدة في أصول الفقه"، للقاضي أبي يعلى، محمد بن الحسين ابن الفراء، (٤١٩/٢) تحقيق: د أحمد بن علي المباركي، بدون ناشر، الطبعة : الثانية ١٤١٠ هـ.

(٥) تقدم قدر يسير من هذه المسألة في أقسام الدعاة باعتبار اللسان (ص ٢٤٠).

وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]. وهذا ليس بمانع من الحرص على هداية الناس، فعليه أن يكون حريصا على هداية الناس-كما سيأتي-، ولكن إذا لم يقبل أحد دعوته فلا ييأس ولا يقنط من رحمة الله، بل يستمر في دعوته فهو مأجور بإذن الله عنده سبحانه وتعالى.

تستفاد هذه المسألة من الأثر السابق عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ إذ يستدل فيه بعدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾، ففي هذه الآية وضّح لنا اللهُ سبحانه وتعالى وظيفة الأنبياء والرسل، ألا وهي التبيين والتبليغ، وجاءت تصريحه في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

وقد تقدم تفصيل مختصر عن هذه المسألة في القواعد الدعوية، وسيأتي شيء منها في المطلب الآتي.

المطلب الخامس: يجب على الداعية أن يكون حريصا على هداية الناس.

تقدم في المطلب السابق أن الهداية بيد الله تعالى، يهدي به من يشاء من عباده، وليس على الداعية إلا البلاغ المبين، وهذا لا يعني ألا يحرص الداعية على هداية الناس، بل الواجب عليه أن يكون حريصا على هدايتهم، ولو كانت الهداية -أي هداية التوفيق- بيد الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]، الآية الأولى صريحة في أن الهداية بيد الله، وليست على الداعية هداية الناس، ولكن الآية الثانية تدل على أنه يجب عليه أن يكون حريصا على هدايتهم.

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) العنكبوت: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٧٢.

(٤) النحل: ٣٧.

وأما ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١)، فهو ليس بمخالف لما تقدم؛ لأن المراد في هذه الآية هداية الارشاد والتوجيه والدلالة، وفي الآية الأولى المراد بها "هداية التوفيق" وهكذا يجمع بينهما(٢).

تستفاد هذه المسألة من حديث طويل، فروى الإمام الدارمي ﷺ : عن عَمْرو بْنُ يَحْيَى(٣)، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي(٤)، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ(٥) قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ للهِ- إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله، (ص ٢٤٩).

(٣) هو عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة بن خرب (وهو تصحف في المطبوع إلى الحارث)، الهمداني الكوفي، الكندي، وثقه ابن معين، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣٨٢/٦)، والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة لابن قطلوبغا (٣٧٣/٧).

(٤) يحيى بن عمرو بن سلمة بن خرب، الهمداني الكوفي، الكندي، وثقه العجلي، ينظر: تاريخ الثقات للعجلي (ص٤٧٤)، دار الباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ. والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٧٦/٩)، دائرة المعارف الإسلامية حيدر آباد الهند ١٣٧١هـ.

(٥) هو عمرو بن سلمة بن الخرب، الهمداني ويقال الكندي، الكوفي، وهو تابعي ثقة، توفي ٨٥هـ. ينظر: تاريخ الكبير للبخاري (٣٣٧/٦)، وتاريخ بغداد للخطيب (٥٩/١٤).

الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ»، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ(١).

---

(١) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (١/٢٨٦-٢٨٧ رقم: ٢١٠)، قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٥): فيه عمرو بن يحي بن عمرو بن سلمة الهمداني: ذكره ابن حبان (الثقات: ٨/٤٨٠) أخرجه الحافظ أبو شامة المقدسي (الباعث: ٢٣، ٢٤) وابن أبي شيبة (المصنف: ١٥/٣٠٤، رقم:١٩٧٣٦) وابن وضاح (البدع والنهي عنها: ٨٧) مختصراً، والطبراني (المعجم الكبير: ٩/١٣٦، رقم:٨٦٣٦). اهـ.

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/١١).

شرح غريب الحديث:

«**تَرَاقِيَهُمْ**» : التراقي: جمع ترقُوَة، وهي العَظم الذي بين ثُغرة النحر والعاتق. وهما ترقُوَتان من الجانبين. ووزنها فَعْلُوَة بالفتح. والمعنى أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، فكأنها لم تتجاوز حلوقهم. وقيل المعنى أنهم لا يعملون بالقرآن ولا يثابون على قراءته، فلا يحصل لهم غير القراءة. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١/١٨٧).

«**يُطَاعِنُونَا**» : الطَّعْن: القتلُ بالرِّماح. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٣/١٢٧).

«**يَوْمَ النَّهْرَوَانِ**» : وهو اليوم الذي وقعت فيه معركة النهروان، وهي معركة وقعت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وبين الخوارج، عام ٣٨هـ، في الموقع يقال له: "النهروان" وهو بين واسط وبغداد. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص ٥٨٢)، ويراه أيضاً =

يدل هذا الأثر على حرص أبي موسى الأشعري ﷺ على هداية الناس، حيث أنه لما رأى الناس على فعل منكر، لم يره من قبل، فتعجّب وتوجّه مباشرة إلى عبد الله بن مسعود ﷺ ليتثبّت ويتشاور معه في هذه المسألة ويحققها، حتى يرشد الناس إلى الحق.

وفي هذا الحديث فوائد أخرى غير ما تقدم، قال الشيخ الألباني ﷺ: ومن الفوائد التي تؤخذ من الحديث والقصة، أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة، بعيدة عن البدعة، وقد أشار إلى هذا ابن مسعود ﷺ بقوله أيضا: "اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة".

ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب؟(1).

المطلب السادس: جواز تزكية الداعية لنفسه عند الحاجة.

تزكية النفس يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: تزكية النفس الواجبة أو المحمودة: وهي إصلاح النفوس وتطهيرها، عن طريق العلم النافع. والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات(2). وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾(3).

والقسم الثاني: تزكية النفس المكروهة أو المذمومة: وهي إخبار العباد عن أنفسهم بكونها زاكية واعتقاد ذلك؛ لا نفسُ جعلها زاكية(4)، وهو المراد في قوله تعالى:

=

على الموقع الإلكتروني على الرابط التالي: "المعرفة" /معركة النهروان، تم زيارته في تاريخ ١٧ شعبان ١٤٣٥هـ. http://www.marefa.org/index.php

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/١٢-١٣).

(٢) ينظر: معالم في السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، (ص ٥٧)، الناشر: دار الوطن، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.

(٣) الشمس: ٩. وكذلك رقم الآية ١٤ في سورة الأعلى، والآية ١٨ في سورة النازعات.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/٣٨٩).

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾(١)، قال الإمام ابن القيم: "أي لا تخبروا بزكاتها وتقولوا: نحن زاكون صالحون متقون، ولهذا قال عقيب ذلك: ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾"(٢).

وقال الشوكاني: "أي لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تثنوا عليها، فإن ترك تزكية النفس أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع"(٣).

وقد نهى النبي ﷺ أيضاً عن هذا النوع من التزكية؛ إذ يقول ﷺ: **«لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ»**(٤).

فالحاصل من هذه النصوص أن تزكية الإنسان لنفسه بلا حاجة محرم أو مكروه على الأقل، ولكن إذا دعت الحاجة إلى ذكرها وبيانها فلا حرج في تزكية النفس ومدحها ببيان الصفات الحسنة الموجودة فيها، وإذا لم توجد فيها تلك الصفات فلا يجوز تزكيتها ومدحها بها، كما قال الإمام ابن تيمية: "فإخبار الرجل بصفته التي هو عليها جائز وإن كانت مدحا"(٥).

تستفاد هذه المسألة من بعض أحاديث الدارسة الآتية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ، سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، فَتَسَمَّعَ حَدِيثَهُمْ، فَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا فَإِبْرَاهِيمُ خَلِيلُهُ، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾(٦) [وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ،

(١) النجم: ٣٢.
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٤٩/١).
(٣) تفسير فتح القدير (١٣٦/٥).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما (١٦٨٧/٣، رقم: ٢١٤٢).
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٨٨/٧).
(٦) النساء: ١٦٤.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: «**قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ بِحَلَقِ الْجَنَّةِ وَلَا فَخْرَ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا فَخْرَ**»(١)](٢).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﭬ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ**»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: "فيه إخبار المرء عن نفسه بما فضله الله به على سبيل التحدث بالنعمة لا على الفخر"(٤).

فالحاصل من خلال هذه النصوص أنه يجوز للداعية أن يذكر فضائله وخصائله الحسنة وقت الحاجة؛ ليكون له مقام ومرتبة ومنزلة في نفوس المدعوين، وقد يكون هذا سببا لقبول الدعوة، وترك الأثر الجيد في قلوبهم.

المطلب السابع: الدقة في الكلام وحسن الاحتياط فيه.

إن الداعية إلى الله تعالى ينبغي له أن يكون محتاطا في كلامه وكتاباته، كما ينبغي

---

(١) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، (١/١٩٤، رقم: ٤٨)، وقال الداراني: إسناده ضعيف لضعف زمعة.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢١): والحديث فيه زمعة بن صالح: ضعيف وحديثه عند مسلم مقرون.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يذكرها صاحب القطوف، وهو الكتاب المعتمد في هذه الرسالة، وأثبته من أصل الكتاب بتحقيق الداراني.

(٣) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٦٩).

(٤) فتح الباري (٦/٣٠١).

أن يكون قوله دقيقاً وواضحاً؛ لأن الناس قد يؤاخذونه على أقواله وكتاباته فلابد أن يكون محتاطا فيها.

ولأن للاحتياط أهمية بالغة في دين الإسلام، ولذلك عُدّ الاحتياط مسلكاً شرعياً في استنباط الأحكام والترجيح عند تعارض الأدلة، وذكره بعض العلماء ضمن الأدلة الشرعية التبعية(١)، كما قال الجصاص: "واعتبار الاحتياط والأخذ بالثقة أصل كبير من أصول الفقه، فقد استعمله الفقهاء كلهم"(٢). وقال الشاطبي: "الشريعة مبنية على الاحتياط والأخذ بالحزم، والتحرر مما عسى أن يكون طريقاً إلى المفسدة"(٣).

تستفاد هذه المسألة من بعض الآثار المروية عن السلف الصالح، كما روى الإمام الدارمي رحمه الله:

عَنْ هِشَامِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيِّ(٤)، قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ(٥)، بِـ"مَرْجِ الدِّيبَاجِ"(٦) فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَلْوَةً، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لِي: مَا تَصْنَعُ بِالْمَسَائِلِ؟ قُلْتُ: لَوْلَا الْمَسَائِلُ، لَذَهَبَ الْعِلْمُ. قَالَ: «لَا تَقُلْ ذَهَبَ الْعِلْمُ، إِنَّهُ لَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ مَا قُرِئَ الْقُرْآنُ،

---

(١) ينظر: الاحتياط الشرعي حقيقته وضوابطه، د. قطب الريسوني، بحث منشور في مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي، (عدد ٢٣٤)، صفر ١٤٢٨هـ.

(٢) الفصول في الأصول، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، (١٠١/٢) وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) الموافقات (٨٥/٣).

(٤) لم أقف على ترجمته، ينظر: تعليق الزهراني في تخريج هذا الأثر بعد عدة سطور.

(٥) هو أبو محيريز عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب القرشي الجُمحي المكي، وهو تابعي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ٩٩ رضي الله عنه وقيل قبلها. يراجع ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/٣٣). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٤/٤).

(٦) قال ياقوت: واد عجيب المنظر، نزه بين الجبال، بينه وبين المصيصة عشرة أميال، والمصيصة: مدينة على شاطئ جيحان، ومن ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، والمصيصة أيضاً: قرية من قرى دمشق، قرب بيت لهيا. ينظر: (معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (١٠١/٥، ١٤٥) دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م).

وَلَكِنْ لَوْ قُلْتَ يَذْهَبُ الْفِقْهُ»[1].

فهذا من حسن الاحتياط في كلامه؛ إذ ينصح لتلميذه بكلام محتاط وبأسلوب رفق: «لَا تَقُلْ ذَهَبَ الْعِلْمُ، ... وَلَكِنْ لَوْ قُلْتَ يَذْهَبُ الْفِقْهُ»

وروى الإمام الدارمي عنِ الْأَعْمَشِ[2]، قال: مَا سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ (بن يزيد النخعي) يَقُولُ قَطُّ: حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ: «كَانُوا يَتَكَرَّهُوْنَ، وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ»[3].

فهذا أيضاً من باب الورع والاحتياط، وكان إبراهيم النخعي إماما في الحديث والفقه ومع ذلك لا يقول: "هذا حلال وهذا حرام"، وذلك لعِظم شأنها وخطورتها، بل كان يقول: هذا مستحب، وهذا مكروه، أو يقول: كان السلف الصالح يستحبونه، أو يكرهونه، كل ذلك بسبب الاحتياط في الدين. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) **تخريج الأثر**:
سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا، (١/٢٤٦، رقم ١٣٠) قال الداراني: إسناده ضعيف.
وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٣): فيه خالد بن حازم، وهشام بن مسلم القرشي، لم أقف عليهما، وكذا قال الداراني في (تحقيقه: ١/٢٤٦) وقال أبو عاصم صاحب فتح المنان: من أصحاب ابن محيريز، يروي عنه أقواله وحكاياته، وليس له كبير رواية فيعرف بها حاله. (فتح المنان: ٢/٩٢) ولم يوثق قوله هذا، وأخرجه ابن عساكر (التاريخ: ٣٣/٢٠، والمختصر: ١/١٨٨٩) من طريق المصنف في ترجمة عبد الله بن محيريز. اهـ.
ولكن أخرج ابن العساكر (التاريخ ٣٣/٢٠) هذا الأثر عن طريق آخر أيضاً ولم يذكر فيه خالد بن حازم، وقال أبو عاصم الغمري: "وكأنه وقع في نفسه من الإسناد شيء فأتبعه بإسناد آخر ... ثم ذكر الإسناد، وقال: وهو الصواب إن شاء الله (فتح المنان ٢/٩١-٩٢).
(٢) هو سليمان بن مهران الأعمش، تقدمت ترجمته (ص ١٧٦).
(٣) **تخريج الأثر**:
سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (١/٢٧٧، رقم: ١٩٠)، قال الداراني: إسناده صحيح.
وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٩): سنده حسن، أخرجه أبو خيثمة (العلم: ١١٨، رقم: ٣٨)، وأبو زرعة (التاريخ: ١/٦٦٨، رقم: ٢٠١٥).

المطلب الثامن: إن على الداعية أن يبين للناس خطر الضالين المضلين.

ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يبين للناس خطر الضالين المضلين، ويحذّر الناس عن أفكارهم المنحرفة، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم.

تستفاد هذه المسألة من أثر محمد بن علي فيما رواه الإمام الدارمي أنه قال: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ فَإِنَّهُمْ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ»(١).

ففي هذا الأثر نهى محمد بن علي أصحابه عن مجالسة أصحاب الخصومات؛ لأنهم يخوضون في آيات الله، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن الخوض في آياته، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(٢).

فهذه الآية تؤيد تماما الأثر السابق؛ لأنها تذم الذين يخوضون في آيات الله، كما أنها تمنع عن مجالسة أصحاب الخصومات وهم القوم الظالمين.

قال الإمام الشوكاني ﷺ في تفسير هذه الآية: "وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسَمَّحُ بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويرُدّون ذلك إلى أهوائهم المضلَّة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير"(٣).

المطلب التاسع: اختيار السكوت فيما ليس له به علم، خير له من الكلام.

إن الداعية إلى الله تعالى يجب عليه أن يتحلى بالعلم، ولكن إذا لم يكن عنده علم في مسألة ما، فلا يتكلم ولا يفتي فيها بدون علم، بل عليه أن يسكت، أو يقول: "والله أعلم"، أو يقول: "لا أدري" كما سيأتي بيانه في المسألة التالية.

---

(١) تقدم تخريج هذا الأثر وترجمة راويه (ص ٢٠٢).

(٢) الأنعام: ٦٨.

(٣) تفسير فتح القدير (١٤٦/٢).

تستفاد هذه المسألة من عدة آثار الدراسة، منها: أثر الْقَاسِمِ[1] أنه قَالَ: «لَأَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ»[2].

ومنها أثر حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[3]، فيما روى الإمام الدارمي عنه أنه قَالَ: «لَأَنْ أَرُدَّهُ بِعِيِّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّفَ لَهُ مَا لَا أَعْلَمُ»[4].

الحاصل من هذه الآثار أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى ألا يتكلم في المسائل التي

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي، المدني، وهو ثقة ومن خيار التابعين وفقهائهم، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ١٠٦هـ على الصحيح بالقديد. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (٤٢٧/٢٣). وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٧/٤٩).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٣٦/١-٢٣٧، رقم: ١١٢)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٧): رجاله ثقات. أخرج الحافظ يعقوب بن سفيان (المعرفة: ٥٤٨/١) والحافظ البيهقي (المدخل: ٤٣٤، رقم:٨٠٦) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٧٣/٢) وأبو نعيم (الحلية: ١٨٤/٢) وابن أبي خيثمة (العلم:٢٣/١، رقم:٩٠) وابن سعد (الطبقات: ١٨٨/٥) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ٦٦/٢) والمزي (تهذيب الكمال: ٤٣٣/٢٣) وابن عساكر (التاريخ: ١٧٥/٤٩-١٧٦، والمختصر: ٢٨٢٠/١).

(٣) هو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري، وهو تابعي ثقة، من فقهاء أهل البصرة، روى له أصحاب الكتب الستة. يراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٣/٤).

(٤) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (٢٥٣/١-٢٥٤، رقم: ١٤٩)، قال الداراني: إسناده جيد.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٧): فيه محمد بن عيينة الفزاري، مقبول، أخرجه الحافظ يعقوب بن سفيان (المعرفة: ٦٨/٢).

شرح غريب الأثر:

«بِعِيِّهِ» : العي: الجهل، ومنه الحديث (إنما شفاء العي السؤال) ينظر: (النهاية: ٣٣٤/٣).

ليس عنده علم ومعرفة بها، بل الواجب عليه أن يراجع فيها أهل العلم والبصيرة، أو يرجع إلى المصادر والمراجع المعتمدة من كتب التفسير والحديث والفقه.

ويؤيده حديث صحيح مرفوع عن النبي ﷺ فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**... »[1] الحديث. ولا يمكن الخيرية في الكلام إلا بالعلم واليقين، ومن تكلم بجهل أو بدون علم فلا يكن الكلام خيراً، فعليه أن يصمت ويسكت. وسيأتي تفصيله في المسألة الآتية.

المطلب العاشر: كيف يجيب الداعية إذا سئل عن شيء وهو لا يعرفه؟

إن الداعية إلى الله تعالى إذا سُئل عن مسألة وهو لا يعرفها، وليس عنده علم عنها، فكيف يجيب عنها؟ أو ماذا يقول للسائل؟

وقد نص على ذلك علماء السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان؛ بأنه يجب عليه أن يقول في مثل هذه الأحوال: "الله أعلم" أو "لا أدري" أو نحوها. ويدل عليه عدة آثار فيما رواها الإمام الدارمي ﷺ في سننه:

فروى عن عليّ ﷺ أنه قال: «وَا بَرْدَهَا عَلَى الْكَبِدِ إِذَا سُئِلْتُ عَمَّا لَا أَعْلَمُ، أَنْ أَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٨/١٠٠، رقم: ٦٤٧٥). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١/٦٨، رقم: ٤٧).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (١/٢٧٤، رقم: ١٨١)، قال الداراني: إسناده ضعيف، خالد بن عبد الله متأخر السماع من عطاء.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٧): رجاله ثقات، وفيه انقطاع بين أبي البختري سعيد بن فيروز، وعلي رضي الله عنه، فحديثه عنه مرسل، ينظر: (تهذيب الكمال: ١١/٣٣) أخرجه الآجري (أخلاق العلماء: ٥٣) وابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ٢/٦٥).

=

وعن عليّ ﷺ قال: «يَا بَرْدَهَا عَلَى الْكَبِدِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ»(١).

وعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أيضاً أنه قَالَ: «إِذَا سُئِلْتُمْ عَمَّا لَا تَعْلَمُونَ، فَاهْرُبُوا» قَالَ: وَكَيْفَ الْهَرَبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «تَقُولُونَ: اللَّهُ أَعْلَمُ»(٢).

عن عليّ ﷺ أيضاً أنه قال: «وَا بَرْدَهَا عَلَى الْكَبِدِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالُوا: وَمَا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «أَنْ يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَيَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ »(٣).

=

شرح غريب الأثر:

«وَا بَرْدَهَا عَلَى الْكَبِدِ»: وفي رواية التي يليها: "يا بردها"، "وا"، و"يا" أداتا النداء، ويستخدم هذا الاصطلاح في كلام العرب تعجبا وتلذذا، ونحوه قولهم: "يا بردها على الفؤاد". ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥١/٦)، باب اليا وما بعدها في المضاعف والمطابق.

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (٢٧٤/١، رقم: ١٨٢)، قال الداراني: إسناده ضعيف شريك متأخر السماع من عطاء.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٧): فيه انقطاع، ينظر: سابقه، وأخرجه الخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٧١/٢).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (٢٧٥/١، رقم: ١٨٣)، لم يحكم عليه المحقق الداراني.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٧): فيه من لم أعرف، أخرجه الخطيب (الفقيه والمتفقه: ١٧١/٢).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (٢٧٥/١، رقم: ١٨٤)، لم يحكم عليه المحقق الداراني.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٨): فيه عزرة التميمي قال الإمام مسلم: عزرة التميمي، عن علي لم يرو عنه إلا مسلم البطين. المنفردات والوحدان (انظر فتح المنان: ٢٠١/٢، ٢٠٢ ت:١٨٩). أخرجه البيهقي (المدخل: ٤٣٠، ٤٣١، رقم: ٧٩٤).

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: «لَا عِلْمَ لِي بِهَا»، فَلَمَّا أَدْبَرَ الرَّجُلُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «نِعْمَ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ، سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهِ»(١).

وعن الشَّعْبِيِّ قال: «"لَا أَدْرِي" نِصْفُ الْعِلْمِ»(٢).

وعن نَافِعٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى ابْنَ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: «لَا عِلْمَ لِي»، ثُمَّ الْتَفَتَ بَعْدَ أَنْ قَفَّى الرَّجُلُ فَقَالَ: «نِعْمَ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ يُسأَلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي»، يَعْنِي ابْنُ عُمَرَ نَفْسَهُ(٣).

وعن مُغِيرَةَ(٤)، قَالَ: «كَانَ عَامِرٌ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَإِنْ رُدُّوا عَلَيْهِ، قَالَ: إِنِّي حَلَفْتُ لَكَ بِاللَّهِ إِنْ كَانَ لِي بِهِ عِلْمٌ»(٥).

وعنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «مَا أُبَالِي سُئِلْتُ عَمَّا أَعْلَمُ أَوْ مَا لَا أَعْلَمُ، لِأَنِّي إِذَا سُئِلْتُ

---

(١) **تخريج الأثر**:
سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (٢٧٦/١، رقم: ١٨٥)، قال الداراني: إسناده صحيح.
وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٨): سنده حسن، أخرجه البيهقي (المدخل: ٤٣١، ٤٣٢، رقم: ٧٩٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٢٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٢٣).

(٤) هو أبو هشام مغيرة بن مقسم الضبي مولاهم، الكوفي، الفقيه، الأعمى، ثقة متقن إلا أنه كان يدلس، يلحق بصغار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي ١٣٦هـ. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (٣٩٧/٢٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٦).

(٥) **تخريج الأثر**:
سنن الدارمي، المقدمة، باب -بدون عنوان- تابع لـ باب الفتيا وما فيه من الشدة، (٢٧٧/١، رقم: ١٨٨)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد.
وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٨): فيه محمد بن حميد الرازي، قال ابن حجر: حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، ولم أقف عليه عند غير المصنف.

عَمَّا أَعْلَمُ، قُلْتُ مَا أَعْلَمُ، وَإِذَا سُئِلْتُ عَمَّا لَا أَعْلَمُ، قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ»[1].

فهذه الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين بعضها ضعيفة الإسناد وبعضها صحيحة الإسناد، ولكن كلها تدلّ على فضل كلمات «لا أدري»، و«والله أعلم»، و«لَا عِلْمَ لِي»، وكان السلف الصالح إذا لم يكن عندهم علم عن مسألة لا يستحيون عن الاعتراف بعدم علم، بل كانوا يفرحون إذا لم يكن عندهم علم عن مسألة ويقولون: «لَا عِلْمَ لِي»، أو «لا أدري»، وهكذا يكون الداعية الحصيف يتبع منهج السلف في دعوته كلها.

المطلب الحادي عشر: أن لا يكتم شيئاً من العلم إلا للمصلحة.

بما تقدم من المسائل «التورع والاحتياط في الدعوة»، و«عدم التسرع في الفتيا»، وفضل قول «لا أدري» وما إلى ذلك .. فهذا لا يعني أن يكتم الداعية شيئا من العلم؛ لأن كتمان العلم إثم عظيم، وقد جاء في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على خطورته، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾[2].

وقد قال النبي ﷺ: «**من سُئِلَ عنْ عِلْمٍ ثُمَّ كتمَه أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»[3].

فعُلم من هذا أن كتمان العلم ذنب عظيم، فلابد على الداعية الحذر منها كل الحذر، ولا يكتم شيئا من علم الكتاب والسنة، لا تعصبا لمذهبه ولا اتباعا لهوائه.

تستفاد هذه المسألة من أثر القاسم بن محمد بن أبي بكر، فروى الإمام الدارمي: عَنْ أَيُّوب، قال: سمعتُ الْقَاسِمَ، سُئِلَ قَالَ: «إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ كُلَّ مَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ، وَلَوْ

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٢٣).

(٢) البقرة: ١٥٩، وكذلك الآية ١٧٤ في نفس السورة تدل على خطورة كتمان العلم.

(٣) سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كتمان العلم، (٢٩/٥، رقم: ٢٦٤٩). قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن، وقال الشيخ الألباني : صحيح.

عَلِمْنَا مَا كَتَمْنَاكُمْ، وَلَا حَلَّ لَنَا أَنْ نَكْتُمَكُمْ»(١).

فهذا الأثر يدل على أن العلم لا يجوز كتمانه، ولذلك كان السلف الصالح لا يكتمون العلم، ولكن إذا سُئلوا ولم يكن عندهم علم؛ فيقولون «لا ندري»، كما تقدم في المسألة السابقة، ويؤيد هذا الأثر حديث أبي هريرة ﷺ فيما رواه الشيخان عنه، أنه قال: «إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢) إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ»(٣).

فالحاصل أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين كانوا لا يكتمون العلم، بل كانوا يخافون من لعنة الله وعذابه ووعيده كما ورد في الآية السابقة.

وأما الاستثناء للمصلحة -أي كتمان العلم للمصلحة- فقد جاء ذكره في حديث الصحيحين عَنْ مُعَاذٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: **«يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»**، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (١/٢٣٧، رقم: ١١٣)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٧): رجاله ثقات. أخرجه يعقوب بن سفيان (المعرفة: ١/٥٤٨) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٢/١٧٣) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ٢/٦٥) وأبي نعيم (الحلية: ٢/١٨٤) وابن أبي خيثمة (العلم:١٤٢، رقم:١٣٩).

(٢) البقرة: ١٥٩-١٦٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، (١/٣٥، رقم: ١١٨). وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي هريرة ﷺ (٤/١٩٤٠، رقم: ٢٣٩٣).

أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: **«لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»**[1].

الشاهد في هذا الحديث هو قوله ﷺ: **«لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»**، وقد استدل به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؒ على "جواز كتمان العلم للمصلحة" في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد[2].

****

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، (٢٩/٤، رقم: ٢٨٥٦). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٥٨/١، رقم: ٣٠).

(٢) ينظر: كتاب التوحيد مع شرحه القول السديد للشيخ السعدي، المسألة السادسة عشرة (ص١٣)، ط: مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ.

الفصل الثالث: فقه المدعو

فيه أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف المدعو لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أصناف المدعوين من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث: أحـوال الـمـدعـوين من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الرابع: الأحكام التي تختص بالمدعو من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الأول:

تعريف المدعو لغة واصطلاحاً.

فيه مطلبان:

المطلب الأول: المدعو في اللغة:-

"المدعو": اسم مفعول مشتق من فعل دعا يَدعُو دعوةً ودُعاءً فهو داعٍ ومدعو[1]، وقد تقدم معاني الدعوة والدعاء بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الأول، ومن تلك المعاني: الحث، والنداء، والطلب، والميلان، وما إلى ذلك.

فالحاصل أن المدعو في اللغة هو: الذي يُدعى إلى شيء، أو يُحثّ على شيء، أو يُطلب منه شيء، وهكذا إلى آخره.

المطلب الثاني: المدعو في الاصطلاح:

عرفه العلماء بتعريفات عديدة، وهي متقاربة إلّا أنها تختلف حسب اختلاف أفهامهم وترجيحاتهم، بعض منها فيما يلي:

المدعو هو: "الإنسان أي إنسان كان"[2].

وقيل: "إن المدعوين هم جميع الناس"[3].

وقيل: هو "الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام"[4].

وقيل: هو "الإنسان العاقل المخاطب بدعوة الإسلام، ذكراً أو أنثى، مهما كان

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٦١)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل ().

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان (ص ٣٥٨).

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان (ص ٣٨١).

(٤) المرجع السابق (ص ٣٨٢).

جنسه ونوعه وبلده ومهنته إلى غير ذلك من الفروق بين البشر"(١).

ففي هذه التعاريف قُيِّد المدعو بـ "الإنسان"؛ لأن بعض العلماء أخرجوا الجن من المدعو، وقالوا: "فنحن غير مكلفين بدعوتهم؛ لأن ذلك فوق طاقتنا، كما أنه أمر خاص بالرسول ﷺ، ولا اقتداء لنا به في ذلك"(٢).

ولكن بعض العلماء خالفوهم، فعرفوه بلفظ عام؛ لكي يشمل الإنس والجن، فقالوا في تعريفه: هو: "من توجه إليه الدعوة"(٣).

وقيل: هو "كل مدرك مخاطب بدعوة الإسلام"(٤).

وقيل: هو "كل مخاطب بالدعوة من الخلق"(٥).

فهذا التعريف الأخير جامع باعتبار أنه يشمل الإنسَ والجن مع الأصناف الأخرى المذكورة في التعريفات السابقة.

فالحاصل من خلال هذه التعريفات: أن المدعو هو الذي يُدعى إلى دين الإسلام، سواء كان هذا المدعوّ كافرا ينكر دين الإسلام، أم مسلماً يحتاج إلى مزيد من الإصلاح والتوجيه. وسواء كان هذا المدعو من أي جنس ذكراً أم أنثى، وسواء كان هذا المدعو من أي إقليم أو بلد، أو من أي لون وجلدة، فكلهم مخاطبون بدعوة الإسلام؛ لأن دعوة الإسلام هي دعوة للناس كافة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(٦).

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي: (ص٤٩)، الطبعة الثالثة، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م. والمصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢) فقه الدعوة، بسام العموش، (ص٥٧)، دار النفائس، عمان الأردن، الطبعة: ١، ١٤٢٥هـ.
(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص ٤١).
(٤) مذكرة أصول الدعوة للدكتور حامد حجيلي، مقررة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
(٥) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي (ص ٥٥٦).
(٦) سبأ: ٢٨.

المبحث الثاني:

أصناف المدعوين من خلال أحاديث الدراسة.

من خلال تعريف المدعو في المبحث السابق اتضح لنا أن المدعوين هم أقسام وأنواع كثيرة باعتبارات عديدة، ويمكن تصنيفهم في أصناف معيّنة لكي يسهل للداعية اختيار الوسائل والأساليب المناسبة والملائمة لهم حسب ما تقتضي أحوالهم وبيئتهم.

وقد قسم العلماء المدعوين إلى أنواع متعددة باعتبارات متعددة، فقسمهم بعضهم باعتبار الأمة، أي أمة الدعوة، وأمة الاستجابة، وقسمهم بعضهم باعتبار المذاهب والديانات، وقسمهم بعضهم باعتبار مراتب الناس في المجتمع، وبعضهم جمعوا كلهم في التقسيم الأول. وستُذكر أصنافهم حسب ما وردت في أحاديث الدراسة وآثارها في سبعة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: المسلمون.

الصنف الأول من أصناف المدعوين: المسلمون، وهم الذين استجابوا لدعوة الإسلام، ولكن الناس في هذه الاستجابة على ثلاث مراتب(1)، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾(2).

١- ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. وهو من عصاة المسلمين.

٢- ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك

---

(١) بعض العلماء قسّمهم إلى قسمين: الأول: المسلمون الذين ينقادون للحق ولا يعاندون، والثاني: هم أصحاب الشهوات والأهواء العصاة. ينظر: قواعد الدعوة للشريف حمدان (٣٨٦-٣٨٧). وأصناف المدعوين وكيفية دعوتهم للأستاذ الدكتور حمود بن أحمد الرحيلي (ص٦٤-٧٣).

(٢) فاطر: ٣٢.

بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

٣- ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات(١).

فعُلِم من هذا أن المسلمين على ثلاث مراتب ودرجات، فينبغي للداعية إلى الله أن يختار لهم أسلوبا مناسبا، حسب ما تقتضي حالتهم، وبيئتهم، وطبيعتهم. فالمسلم إذا كان سابقاً بالخيرات؛ فيناسب له أسلوب التعليم والتذكير، وإذا كان مقتصدا؛ قد يحتاج أسلوبا آخر كأسلوب الموعظة الحسنة، وإذا كان ظالما لنفسه؛ فينبغي للداعية أن ينظر له أسلوبا آخر مناسبا لحاله، كأسلوب الحكمة، والجدال بالتي هي أحسن، بالإضافة أسلوب الموعظة الحسنة وغيرها من الأساليب.

ما المقصود بالدعوة في المسلمين؟ يقول الدكتور الشريف حمدان: "إن دعوة المسلمين أو اعتبارهم صنفاً من أصناف المدعوين تعني تعليمهم وإيقاظ الهمم لديهم وتحريك عواطفهم واستثارة وجدانهم ليحافظوا على العقيدة الصحيحة ويحاربوا البدع والخرافات التي تدخل في حياة المسلم، ومع مرور الزمن تصبح وكأنها من الدين"(٢).

يستفاد هذا الصنف من أصناف المدعوين من عدة أحاديث وآثار، منها: قصة ماعز بن مالك ﷺ؛ إذ رُجم بسبب وقوعه فيما وقع، فروى الإمام الدارمي ﷺ عن حبيبِ بْنِ خُدْرَةَ، قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي حُرَيْشٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ أَبِي حِينَ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ الْحِجَارَةُ، أُرْعِبْتُ، فَضَمَّنِي إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ(٣).

ففي هذه القصة جاء ذكر صنفين من أصناف المدعوين المسلمين، وهما: "ظالم لنفسه"، و"سابق بالخيرات"، ووجه ذلك أن ماعز بن مالك ﷺ لما وقع فيما وقع كان من الصنف الأول، ولكنه لما تاب واستغفر الله فصار من الصنف الثاني أي "سابقاً

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٤٦/٦).

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية للدكتور شريف حمدان (ص ٣٨٥).

(٣) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه، وترجمة رواته (ص ٩٨).

بالخيرات"؛ لأنه استبق إلى الخير وهو التوبة والاستغفار، قال الله تعالى -وهو التواب والغفّار- : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾[(١)]. وقد كان النبي ﷺ -وهو معصوم عن الخطأ- يستغفر الله في اليوم مائة مرة، وفي رواية: أكثر من سبعين مرة[(٢)]، وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على فضل التوبة والاستغفار.

وفي هذه القصة جاء ذكر الأسلوب والوسيلة المناسبة لبيئته، ألا وهي نفاذ الحد الشرعي برجم الزاني الثيب، والفائدة في اتخاذ هذه الوسيلة هي الحفاظ على أعراض المسلمين، وكذلك هي أعظم سبب -بعد تقوى الله تعالى- للوقاية من مثل هذه المعاصي والذنوب.

المطلب الثاني: أهل الكتاب.

المقصود بأهل الكتاب: اليهود والنصارى، فاليهود هم الذين آمنوا بموسى عليه السلام، وأما النصارى هم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾[(٣)]. قال ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية: "أراد بهما اليهود والنصارى"، وعلّق عليه الجصاص: "وفي ذلك دليل على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى"[(٤)].

لا ريب أنهم آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، ولكن شريعتهما نُسخت بشريعة محمد ﷺ، وكتاباهما: التوراة والإنجيل حصل فيهما التحريف والتبديل من قِبل

---

(١) هود: ٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، (٨/٦٧، رقم: ٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، (٤/٢٠٧٥، رقم ٢٧٠٢) من حديث الأغر رضي الله عنه.

(٣) الأنعام: ١٥٦.

(٤) أحكام القرآن، (٣/٣٤) تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

متبعيها بعد وفاة نبيهما، فلذلك نُسِخا بالقرآن الكريم، ولأجل ذلك يعد أهل الكتاب من أهم أصناف المدعوين.

يستفاد هذا الصنف من أصناف المدعوين من أثر عروة بن الزبير، أنه قال: «ما زال أمر بني إسرائيل معتدلا ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم فقالوا فيهم بالرأي فأضلوهم»(١).

وجه الاستدلال في هذا الأثر هو: أنه جاء فيه ذكر بني إسرائيل بأنهم كانوا معتدلين، ولكنهم إذا قالوا في الدين بالرأي والقياس؛ ضلّوا وأضلّوا عن الصراط المستقيم، وهكذا صاروا محتاجين إلى دعوة حقة، ولم يبق على الأرض دعوة حقة إلا دعوة الإسلام، فإذاً هم من أصناف المدعوين.

المراد بـ"بني إسرائيل": اتفق العلماء على أن المراد بـ"بني إسرائيل" هم: اليهود، ولكنهم اختلفوا هل النصارى يدخل فيهم أم لا؟

فيُقال: -والله تعالى أعلم- إن في الأمر الأول كان يُطلق "بنو إسرائيل" على اليهود، ثم لما دخل الفساد في دينهم أُرسل إليهم عيسى -عليه السلام-، أي إلى بني إسرائيل، فالذين آمنوا به منهم سُمّوا بالنصارى، والذين لم يؤمنوا بقوا على اسمهم السابق أي اليهود، فهكذا يدخل اليهود والنصارى في إطلاق بني إسرائيل، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(٢). ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾(٣).

فهاتان الآيتان صريحتان في أن عيسى بن مريم -عليهما السلام- بُعث إلى بني إسرائيل، فآمنت طائفة منهم، وكفرت طائفة أخرى.

---

(١) تقدم تخريج الأثر وشرح غريبه (ص ١٣٤).

(٢) الصف: ٦.

(٣) الصف: ١٤.

فالحاصل أن أهل الكتاب هم من أصناف المدعوين، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بدعوتهم، وأن يختار لهم أسلوبا مناسبة وملائمة كأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الجدال بالتي هي أحسن، وأسلوب إقامة الأدلة، وأسلوب الإنذار، وما إلى ذلك من الأساليب المتنوعة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية[1].

المطلب الثالث: المشركون.

يعدّ صنف المشركين أوسع صنف من أصناف المدعوين، والمشركون هم الذين يُشركون مع الله غيرَه، سواء كانت هذه المشاركة في ربوبيته، أو ألوهيته، أو في أسمائه وصفاته، فالمشركون هم أنواع وأصناف متعددة حسب نوعية الشرك، ولذا تعتبر دائرة المشركين من أوسع دوائر أصناف المدعوين، لسعة مفهوم الشرك، وتنوع أوصاف المشرك، وتداخل السمات الشركيّة بين أمة الدعوة وبعضٍ من أمة الإجابة[2].

يستفاد هذا الصنف من أصناف المدعوين من بعض أحاديث الدراسة وآثارها، فيما رواه الإمام الدارمي رحمه الله:

عَنِ الْوَضِينِ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَة أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، ... الحديث[3].

يدلّ هذا الحديث على أن المشركين هم من أصناف المدعوين، لأن الرجل الذي ذكر قصته للنبي ﷺ كان مشركاً وكان يعبد الأوثان في الجاهلية، ولكن النبي ﷺ لما بُعث ودعا الناس إلى الإسلام، قبِل هذا الرجل دعوته ودخل في الإسلام.

---

(١) هذا باختصار، ولكن من أراد التوسّع في أساليب دعوة أهل الكتاب، فليراجع كتاب الشيخ حمود بن أحمد الرحيلي رحمه الله: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم (ص ٨٠-٩٩). وكتاب الشيخ الشريف حمدان: قواعد الدعوة الإسلامية (ص ٣٩٤-٤٠١). وكتاب الشيخ عبد الرحيم المغذوي: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٦٢١/٢-٦٢٨).

(٢) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٦٢٩/٢) بتصرّف.

(٣) تقدم كامل الحديث مع تخريجه، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٣ وما بعدها).

وروى الإمام الدارمي عن مُجَاهِدٍ، أنه قال: حَدَّثَنِي موْلَايَ(١): أَنَّ أَهْلَهُ بَعَثُوا مَعَهُ بِقَدَحٍ فِيهِ زُبْدٌ وَلَبَنٌ إِلَى آلِهَتِهِمْ، قَالَ: فَمَنَعَنِي أَنْ آكُلَ الزُّبْدَ لِمَخَافَتِهَا، قَالَ: "فَجَاءَ كَلْبٌ فَأَكَلَ الزُّبْدَ وَشَرِبَ اللَّبَنَ، ثُمَّ بَالَ عَلَى الصَّنَمِ وَهُوَ: إِسَافٌ، وَنَائِلَةُ" قَالَ هَارُونُ(٢): كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ، حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ ثَلَاثَةٌ لِقِدْرِهِ وَالرَّابِعُ يَعْبُدُهُ، وَيُرَبِّي كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ(٣).

ففي هذا الأثر جاء ذكر أهل الشرك الذين يعبدون الأصنام والأحجار؛ فهذا يدل على أنهم من أصناف المدعوين، وقد جاء في هذا الأثر أسلوب دعوة المشركين إلى الله، ألا وهو أسلوب بيان عجز آلهتهم، حيث إن الكلب أكل الزُّبْد وشَرِبَ اللبن التي أرسلوها لآلهتهم، ثم بال على الصنم، فهذا من ضعفهم وعجزهم، ومن يعجز ولا يستطيع الدفاع عن نفسه فكيف يدفع عن الآخرين فضلا أن يكون إلها؟

---

(١) قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٢): لعله السائب بن أبي السائب رضي الله عنه، أو ابنه عبد الله رضي الله عنه، أو قيس بن السائب المخزومي رضي الله عنه، ينظر: (تهذيب الكمال والإصابة: ١٨٧/٨).

(٢) هو هارون بن معاوية أبي عبيد الله بن عبيد الله بن يسار الأشعري المصيصي، وهو من مشايخ الإمام الدارمي، ومن رواة هذا الأثر، وقال أبو حاتم وغيره: صدوق. يراجع ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٣٢/٧٣). والتَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل، لابن كثير، تحقيق: د. شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية اليمن، ١٤٣٢ هـ.

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما كان عليه الناس قبل مبعثه ﷺ من الجهل والضلالة، (١٥٤/١، رقم: ٣) قال الداراني: إسناده حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص١٢): سنده حسن، وعند أحمد نحوه حديث (١٥٤٨٤).

شرح غريب الأثر:

«**حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ ثَلَاثَةٌ لِقِدْرِهِ**»: أي أثافي يضع عليها قدره لطبخ طعامه. قاله الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٢).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الأسلوب في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[(١)].

ويدل أيضاً على هذا الصنف أثرٌ آخر كما روى الإمام الدارمي عن أَبِي الرَّجَاءِ[(٢)]، أنه قال: «كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَصَبْنَا حَجَرًا حَسَنًا عَبَدْنَاهُ، وَإِنْ لَمْ نُصِبْ حَجَرًا، جَمَعْنَا كُثْبَةً مِنْ رَمْلٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالنَّاقَةِ الصَّفِيِّ فَتَفَاجُّ عَلَيْهَا، فَنَحْلُبُهَا عَلَى الْكُثْبَةِ حَتَّى نَرْوِيَهَا ثُمَّ نَعْبُدُ تِلْكَ الْكُثْبَةَ مَا أَقَمْنَا بِذَلِكَ الْمَكَانِ»[(٣)].

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ (الدارمي): "الصَّفِيُّ: الْكَثِيرَةُ الْأَلْبَانِ، فَتَفَاجُّ يَعْنِي: النَّاقَةَ إِذَا فَرَّجَتْ بَيْنَ رِجْلَيْهَا لِلْحَلْبِ، وَالْفَجُّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَجَمْعُهُ: فِجَاجٌ"[(٤)].

---

(١) الفرقان: ٣.

(٢) هو أبو الرجاء عمران بن ملحان العُطارِدي البصري مشهور بكنيته، ثقة، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من كبار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ١٠٥هـ. يراجع ترجمته: تاريخ الكبير للإمام البخاري (٦/٤١٠)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢١١٣/٤).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما كان عليه الناس قبل مبعثه ﷺ من الجهل والضلالة، (١/١٥٤، رقم: ٤) قال الداراني: إسناده ضعيف عباد بن منصور كان يدلس وقد تغير بأخرة وهو موقوف على أبي رجاء عمران بن ملحان.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٢): فيه ضعف عباد بن منصور، وعنعنته، تغيّر بأخرة، لكنه خبر يحتمل منه مثل هذا، وأخرجه أبو نعيم بسند حسن (الحلية: ٢/٣٠٦).

شرح غريب الأثر:

«**الْكُثْبَةِ**»: يُقال: كثبت الشيء كثباً: إذا جمعته والجمع: الكثبان وهي تلال الرمل. ينظر: النهاية في غريب الحديث: (٤/١٥١)، والصحاح (٢/٣٧٧).

(٤) شرَحَ الإمام الدارمي رحمه الله بعضَ الألفاظ الغريبة الواردة في هذ الأثر، فيُعرف من هذا منهج تأليفه في سننه، بحيث أنه رحمه الله اعتنى بعض الأحيان بشرح غريب الحديث، كما يعرف منه =

وقد جاء في هذا الأثر ذكر أهل الشرك، الذين يعبدون الرمل والأحجار، ويصنعون آلهتهم بأيديهم، فهؤلاء صنف من أصناف المدعوين، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بدعوتهم بالأساليب القرآنية الملائمة لطبيعتهم وأحوالهم، بإيراد الأدلة العقلية والنقلية، وببيان فضل التوحيد وخطورة الشرك، وما إلى ذلك من الأساليب المتعددة[(1)].

المطلب الرابع: المنافقون.

المقصود بالمنافقين هم الذين ينافقون ويُظهروا الإيمان في ظاهرهم، ويكفروا الله في باطنهم، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وقد عرفهم العلماء بتعريفات متعددة، وهي متقاربة، ومنها تعريف الجرجاني، إذ يقول:

"المنافق: هو الذي يضمر الكفر اعتقادًا ويظهر الإيمان قولًا"[(2)].

ولكن النفاق دون النفاق، قد يكون النفاق مخرج عن الملة، وقد يكون غير ذلك، ولذلك ينقسم النفاق إلى قسمين[(3)]:

الأول: النفاق الأكبر؛ وهو النفاق الاعتقادي، وهو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، كما تقدم تعريف الجرجاني في النفاق، وهو يخرج صاحبه من الملة والدين. ومأواه في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر؛ وهو النفاق العملي، وهو عمل شيء من أعمال

=

فقهه في اللغة والحديث.

(1) يراجع "أساليب دعوة المشركين وكيفية الدعوة فيهم" في كتاب أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم للشيخ حمود بن أحمد الرحيلي: (ص ١٠٩-١٢٩).

(2) كتاب التعريفات (ص ٢٣٥).

(3) ينظر: كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (ص ٢٥-٣٠) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكونُ فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صارَ بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله ﷺ : «**أَرْبَعُ خِلاَلٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا**»(١).

وقد قال النبي ﷺ في علامات المنافقين وصفاتهم: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢). وزاد الإمام المسلم في روايته: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

يستفاد هذا الصنف من أصناف المدعوين من بعض الأحاديث والآثار، ومن جملتها كالآتي: عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ(٣)، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَحْجُبُكَ؟ فَقَالَ: «**لَا، دَعُوهُمْ، يَطَؤُونَ عَقِبِي، وَأَطَأُ أَعْقَابَهُمْ، حَتَّى يُرِيحَنِي اللَّهُ مِنْهُمْ**»(٤).

وجه الاستدلال في هذا الحديث: هو أن الصحابة ﷺ أرادوا أن يجعلوا للنبي ﷺ عريشا أو خيمة لكي يحجبه عن أذى المنافقين، ولكن النبي ﷺ لم يحب أن يتميز عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر (٤/١٠٢، رقم: ٣١٧٨)، وكتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/١٦، رقم ٣٤). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (١/٧٨، رقم: ٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/١٦، رقم ٣٣). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (١/٧٨، رقم: ٥٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) هو أبو سليمان داود بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الشامي، ولد سنة ٨١ هـ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ، وتوفي سنة ١٣٣هـ وهو وال على المدينة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (٨/٤٢١).

(٤) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ، (١/٢١٤ رقم: ٧٧)، قال الداراني: إسناده معضل.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٥): فيه داود بن علي أبو سليمان، مقبول.

صحابته، بل كان يحب أن يعيش فيهم كأنه واحد منهم، فهذا من تواضعه ﷺ، فالحاصل أنه جاء في هذا الحديث ذكر المنافقين الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ، وقد تقدم نحو هذا الحديث عن العباس رضي الله عنه فيما روى الإمام الدارمي عنه أنه قال: لَأَعْلَمَنَّ مَا بَقَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَاهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَآذَاكَ غُبَارُهُمْ، فَلَوِ اتَّخَذْتَ عَرِيشًا تُكَلِّمُهُمْ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**لَا أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَطَؤُونَ عقِبِي، وَيُنَازِعُونِي رِدَائِي حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِيحُنِي مِنْهُمْ**» قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ بَقَاءَهُ فِينَا قَلِيلٌ[1].

وعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ[2]، قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ: «هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ»[3].

فقد جاء في هذا الأثر ذكر المنافق، وأنه يجادل بالكتاب، وكما أن النفاق سبب من أسباب هدم الدين؛ فهذا يدل على أنه صنف من أصناف المدعوين.

وعن أَبِي قِلابة، أنه قال: «... وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ

---

(١) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه (ص ٢٠٦).

(٢) هو أبو المغيرة، ويقال أبو عبد الرحمن زياد بن حدير الأسدي الكوفي، وهو ثقة من كبار التابعين، روى له أبو داود، ذكره ابن حبان في الثقات. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (٤٤٩/٤).

(٣) <u>**تخريج الأثر**</u>:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (٢٩٥/١، رقم: ٢٢٠)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٧): فيه محمد ابن عيينة: قال ابن حجر: مقبول، وهو في روايته هنا لم يخالف الثقات، أخرجه أبو شامة (الباعث: ٢٥) وأبو نعيم (الحلية: ١٩٦/٤) وابن بطة (الإبانة: ٥٢٨/٢، رقم:٦٤٣) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٣٥/٢) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٢٣٤/١) وابن المبارك (الزهد:٥٢٠/٢، رقم: ١٤٧٥) والفريابي (صفة المنافق: ٥٤، رقم:٣١). اهـ. وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٨٩/١، برقم: ٢٨٩).

عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(١)، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾(٢)، ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾(٣) فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، ...»(٤).

ففي هذا الأثر ذَكَر أبو قلابة أنواع النفاق، ثم تلا بعض الآيات التي نزلت في بيان حقيقة المنافقين؛ فهذا يدل على أن المنافقين صنف من أصناف المدعوين؛ فلابد على الداعية أن يعتني بدعوتهم إلى الله تعالى بأساليب مناسبة، كأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الجدال، وأسلوب التخويف من عذاب الله، بأن مأواهم في الدرك الأسفل من النار، وما إلى ذلك من الأساليب الملائمة.

المطلب الخامس: الخوارج.

الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. أصلهم من الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ﷺ، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا، وتفرقوا هؤلاء إلى فِرَق كثيرة حوالي عشرين فرقة(٥).

يستفاد هذا الصنف من أصناف المدعوين من عدة أحاديث وآثار، ومن جملتها

---

(١) التوبة: ٧٥.

(٢) التوبة: ٥٨.

(٣) التوبة: ٦١.

(٤) تقدم كامل الأثر مع التخريج وشرح غريبه (ص ٨٨).

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي الأسفراييني، (ص ٥٤)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧. والملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (١/١١٤-١١٥)، مؤسسة الحلبي، بدون سنة الطبع.

حديث طويل لأصحاب الحِلَق الذين يعدّون التسبيح والتهليل والتحميد بالحصى؛ فقال لهم عبد الله بن مسعود ﷺ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا **«أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»**، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ»، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ(١).

فقد جاء في هذا الحديث ذكر الخوارج وأنهم ضلوا عن الصراط المستقيم، فهذا يدل على أنهم صنف من أصناف المدعوين، فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يعتني بدعوتهم إلى الحق المبين، وإلى العمل بالمحكمات بعيدا عن المتشابهات، باستخدام الأساليب المناسبة كالجدال بالتي هي أحسن، وبإيراد الأدلة العقلية والنقلية، كما يمكن استخدام الوسائل المناسبة كالجهاد والغزوة كما فعل علي بن أبي طالب ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ في صفاتهم كما جاء في الصحيحين: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٢).

وفي رواية أخرى عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) تقدم كامل الحديث مع التخريج وشرح غريبه (ص ٢٥٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، (٤/٢٠٠، رقم: ٣٦١٠)، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه (٩/٧، رقم: ٦٩٣٣). وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/٧٤٤، رقم: ١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٩/١٦، رقم: ٦٩٣٠). وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض =

فالحاصل أن هؤلاء متديّنون في الظاهر، يعملون الأعمال الصالحة في أحسن صورة، ولكن في الحقيقة يخرجون من الدين كخروج السهم من الرمية، فهذه أوّل فرقة خرجت في الإسلام من الفرق المبتدعة، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بدعوتهم، خاصة إلى فهم النصوص فهماً صحيحا كما فهمها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان؛ لأنهم ضلوا عن الطريق الصحيح بسبب خطئهم في فهم النصوص.

المطلب السادس: المبتدعة وأهل الأهواء(١).

المبتدعة جمع مبتدعٍ، والمبتدع اسم فاعل دال على الحدث وفاعله، ويراد به الذي وقعت منه البدعة، والبدعة اسم ما ابتدع من الدين وغيره، أو اسم هيئة من الابتداع كالرفعة من الارتفاع(٢).

قال الإمام ابن كثير ﷺ: "سمي المبتدع في الدين مبتدعا؛ لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره، وكذلك كل محدث فعلا، أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم، فإن العرب تسميه مبتدعا"(٣).

وقد جاء في الشرع النهي عن كل بدعة، ولذلك صرّح عمر بن عبد العزيز ﷺ عن نفسه بأنه ليس بمبتدع، كما روى الإمام الدارمي عنه أنه قال في خطبته: «... أَلَا

=

على قتال الخوارج (٢/٧٤٦، رقم: ١٠٦٦).

(١) تقدم بيان الخوارج في مطلب مستقل مع أنهم يدخلون في صنف المبتدعة وأهل الأهواء، كما يدخل أهل الكتاب في صنف المشركين، ولكن ذُكر بيانه بالخصوص، فسبب ذلك أنه جاء في بعض الآثار ذكر الخوارج خاصة، ولأنه أيضاً أن الخوارج أول فرقة ظهرت في الإسلام، فبين المبتدعة والخوارج عموم وخصوص، وجاء ذكر العام بعد الخاص في هذا المطلب.

(٢) ينظر: كتاب العين للخليل (٢/٥٤). والاعتصام، للشاطبي، (١/٤٩) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ. وحقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي (١/٢٤٩)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة:٢، ١٤١٩هـ.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٣٩٨).

وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ ..»[(١)].

ففي هذا الأثر ذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله المبتدع مقابل المتَّبِع، ومن حسن كلامه رحمه الله أنه لم يكتف على ذكر الاتباع فقط بأنه متّبع الكتاب والسنة، بل نفى عن ضده بأنه ليس بمبتدع؛ لكي يتضح للناس حقيقة البدعة، فهكذا كان السلف الصالح لا يبتدعون في الدين، بل كانوا يسلكون الصراط المستقيم كما وصّى به سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[(٢)]. وروى الإمام الدارمي عن مجاهد في تفسير هذه الآية: «﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: الْبِدَعَ وَالشُّبُهَاتِ»[(٣)].

ففي هذه الآية الكريمة وصى سبحانه وتعالى بأن نتبع الصراط المستقيم، ولا نتبع سُبُل المبتدعة؛ لأن سُبُلها سبب التفرّق والضلالة، كما تفرق الخوارج والشيعة والقدرية والجهمية والمعتزلة، وضلوا عن الصراط المستقيم.

فعُرِف من خلال النصوص السابقة، أن المبتدعة وأهل الأهواء صنف من أصناف المدعوين، وقد سُمِّي أهلُ البدع بأهل الأهواء[(٤)] كما روى الإمام الدارمي عن أَبِي قِلابة، أنه قال: «إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا -أَوْ قَالَ: حَدِيثًا- فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ ...»[(٥)].

ففي هذا الأثر بيّن أبو قلابة رحمه الله بـ "أن أهل الأهواء هم أهل الضلالة"، فهذا موافق لما جاء في حديث صحيح عن النبي ﷺ «**كل بدعة ضلالة**»، ثم قال أبو قلابة:

---

(١) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما يُتّقى من تفسير حديث النبي ﷺ، وقول غيره عند قوله ﷺ (٤٠٢/١، رقم: ٤٤٧)، قال المحقق الداراني: إسناده جيد. اهـ.

تنبيه: وهذا الأثر ليس من الآثار المخصصة للدراسة.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) تقدم تخريج هذا الأثر (ص ١٦٥).

(٤) ينظر: حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي (١٧٣/١-١٧٥).

(٥) تقدم تخريج الأثر وشرح غريبه (ص ٨٨).

"ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار" فهذا موافق لما جاء في الحديث «**وكل ضلالة في النار**»(١)، فيتضح من هذا أنه إذا كانت البدعة ضلالة، فصاحبها أيضا صاحب الضلالة، ومأواهم النار؛ لأنهم يستحلون دماء المسلمين كما أشار إليه أبو قلابة ﷺ بقوله: "فليس أحد منهم ينتحل قولا أو حديثا فيتناهى به الأمر دون السيف"، وعلى هذا الفعل يستدلون هؤلاء المبتدعة ببعض النصوص ويتركون ببعض، كما فعلت اليهود ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(٢). فهكذا المبتدعة يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

قال الدكتور سعود الخلف: "من سمات المبتدعة عموما أنهم إذا استدلوا بشيء من النصوص على بدعتهم فتراهم يستدلون ببعض النصوص ويعرضون عن البعض الآخر الذي لا يتفق مع بدعتهم التي ابتدعوها من دون نظر للشرع وإنما لأهواء وآراء"(٣).

كما أشار إلى هذا معاذ بن جبل ﷺ فيما رواه عنه الإمام الدارمي ﷺ أنه قال: «يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعُ، وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ بِهِ فِيهِمْ، فَلَمْ أُتَّبَعْ، لَأَحْتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِدًا فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتَظَرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا، فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ: بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ»(٤).

---

(١) سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، (٣/٢٠٩، رقم ١٥٧٧)، دار المعرفة بيروت ١٤٢٠هـ. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٤/٢٢٢).

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، (٢/٨٠) بدون اسم الناشر، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

(٤) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه (ص ٢١٨).

ففي هذا الأثر ذكر معاذ ﷺ قصة الرجل المبتدع، كيف يحدث في الدين؟ ولا يؤمن بالكتاب والسنة إلا ما يوافق هوى نفسه، وبعد ذكر قصته يقول: «فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ» أي فاحذروا وابتعدوا عما جاء به من هوى النفس والبدع والشبهات، ثم صرّح عما جاء به الرجل بقوله: «فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ».

فالحاصل من خلال هذه النصوص أن المبتدعة وأهل الأهواء صنف من أصناف المدعوين، فلابد على الداعية إلى الله أن يعتني بدعوتهم بأساليب مناسبة لأحوالهم.

المطلب السابع: الأعراب.

الأعراب هم سكان البادية بخاصة، والأعراب اسم جنس وليس جمعا، والنسبة إليه أعرابي، أما العرب فهم أَهل الأَمْصَار، وهو جنس أيضًا، والنسبة إليه عربي(١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**» قَالَ: إِلى أَهْلِي قَالَ: «**هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟**» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**هَذِهِ السَّلَمَةُ**» فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ(٢).

فقد جاء في هذا الأثر ذكر الأعرابي، وأن النبي ﷺ دعاه إلى الإيمان والإسلام فقَبل دعوته ﷺ، فهذا يدل على أن الأعراب هم أيضاً صنف من أصناف المدعوين، فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن يعتني بدعوتهم بأساليب مناسبة لهم، كأسلوب بيان الأدلة القاطعة على صدق رسالة النبي ﷺ كالمعجزات مثل معجزة الشجرة التي دعاها النبي ﷺ فأتى إليه، ثم شهدت على رسالة النبي ﷺ، والمعجزات كثيرة التي أعطيت للنبي ﷺ،

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (١٠٥٢/٩) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث وشرح غريبه (ص ٦٧).

وكذلك إخباره ﷺ عن المستقبل، فكل هذا يساعد في نشر الدعوة إلى الله.

ومن أساليب دعوة الأعراب: الترغيب، كما بيّنه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(١)].

ففي هذه الآية جاءت صفة الترغيب وذلك ببيان صفاتهم الحسنة وهي صفة الإيمان بالله واليوم الآخر، وصفة الإنفاق في سبيل الله، وهذه الصفات هي قُرْبةٌ؛ يتقرب بها إلى الله تعالى، كما هي سبب لحصول رحمته سبحانه وتعالى.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية: أَيْ: يُصَدِّقُ بِهِمَا وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ أَيْ: يَجْعَلُ مَا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُرُباتٍ وَهِيَ جَمْعُ قُرْبَةٍ، وَهِيَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ... وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَجْعَلُ مَا يُنْفِقُهُ سَبَبًا لِحُصُولِ الْقُرُبَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَسببا لِصَلَوات الرَّسُولِ أَيْ لِدَعَوَاتِ الرَّسُولِ لَهُمْ، لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدْعُو لِلْمُتَصَدِّقِينَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ، ... ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَ بِأَنَّ مَا يُنْفِقُهُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَعْرَابِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ مَقْبُولٌ وَاقِعٌ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادُوهُ فَقَالَ: أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِقَبُولِهَا خَبَرًا مُؤَكَّدًا بِإِسْمِيَّةِ الْجُمْلَةِ، وَحَرْفَيِ التَّنْبِيهِ وَالتَّحْقِيقِ، وَفِي هَذَا مِنَ التَّطْيِيبِ لِخَوَاطِرِهِمْ، وَالتَّطْمِينِ لِقُلُوبِهِمْ"[(٢)].

****

---

(١) التوبة: ٩٩.

(٢) تفسير فتح القدير (٢/٤٥١).

المبحث الثالث:

أحوال المدعوين من خلال أحاديث الدراسة.

المقصود بأحوال المدعوين: تقدم في المبحث السابق أن المدعوين هم أصناف متعددة، ومتنوعة، فهذا يقتضي أن أحوالهم أيضاً تختلف بعضها عن بعض، سواء كان هذا الاختلاف بسبب البيئة التي يعيش فيها المدعو، أو بسبب العلم والجهل الذي يُربى ويُتعلم المدعو، أو بسبب آخر؛ فهكذا تختلف أحوالهم، وكذلك تختلف كيفية الدعوة فيهم، ولكل حالة أساليب معينة، فالراغب في الدعوة له أسلوب الحكمة، والغافل له أسلوب الموعظة، والمعاند له أسلوب الجدال بالتي هي أحسن؛ فعلى كل حال يمكن تصنيف المدعوين بحسب أحوالهم إلى ثلاث حالات أو أربع[1]، وبيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: في الحالة الأولى:

الحالة الأولى: أن يكون المدعو راغباً في الخير مقبلاً عليه لكنه قد يجهله ويخفى عليه، فهذا يكفي في حقه مجرد الدعوة مثل أن يقال له: هذا مما أمر الله به ورسوله فافعله، أو هذا مما نهى الله عنه ورسوله فاجتنبه، وهو من أجل رغبته في الخير وإقباله عليه سيقبل ويطيع.

يستدل على هذه الحالة بأثر أَبِي سُهَيْلٍ[2] -كما رواه الإمام الدارمي عنه-، أنه قال: «كَانَ عَلَى امْرَأَتِي اعْتِكَافُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَسَأَلْتُ عُمَرَ بْنَ

(١) ينظر: رسالة في الدعوة إلى الله، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، (ص١٤-١٧) مدار الوطن الرياض ١٤٢٨هـ. وأصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود بن أحمد الرحيلي (ص٥٠).

(٢) هو أبو سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي التيمي، المدني، حليف بني تيم، وهو ثقة، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي بعد عام ١٤٠هـ كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص٥٥٨) دار الرشيد سوريا، ١٤٠٦هـ. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال (٢٩٠/٢٩).

عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعِنْدَهُ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: قُلْتُ: عَلَيْهَا صِيَامٌ؟ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: لَا يَكُونُ اعْتِكَافٌ إِلَّا بِصِيَامٍ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: لَا؟ قَالَ: فَعَنْ عُمَرَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَعَنْ عُثْمَانَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَى عَلَيْهَا صِيَامًا. فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ طَاوُسًا وَعَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، فَسَأَلْتُهُمَا، فَقَالَ طَاوُسٌ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، «لَا يَرَى عَلَيْهَا صِيَامًا إِلَّا أَنْ تَجْعَلَهُ عَلَى نَفْسِهَا». قَالَ: وَقَالَ عَطَاءٌ: ذَلِكَ رَأْيِي»[1].

فهذا الأثر ظاهر في أن أبا سهيل كان يرغب في الخير، ويبحث الحق؛ فأخبره الزهري وعمر بن عبد العزيز حكم صيام المعتكف، ولكن لما وجد الخلاف بينهما سأل؛ لمزيد من التحقيق عن العلماء الآخرين حتى اطمئن قلبه.

المطلب الثاني: في الحالة الثانية.

الحالة الثانية: أن يكون عند المدعو فتور وكسل عن الخير أو إقبال ورغبة في الشر فهذا لا يكفي معه مجرد الدعوة، بل لابد أن يضاف إليها موعظة حسنة بالترغيب في الخير والطاعة وبيان فضل ذلك وحسن عاقبته وضرب الأمثال في العواقب الحميدة، وموعظة حسنة بالترهيب من الشر والفسوق وبيان إثم ذلك، وسوء عاقبته، وضرب الأمثال في العواقب السيئة للفاسقين.

---

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، (١/٢٦٢-٢٦٣، رقم: ١٦٤)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٣): رجاله ثقات، أخرجه الحافظ البيهقي (السنن الكبرى: ٣١٩/٤) والزيلعي (نصب الراية: ٣٤٦/٢).

شرح غريب الأثر:

«لَا يَكُونُ اعْتِكَافٌ إِلَّا بِصِيَامٍ»: قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٣): هذا رأي الزهري، والراجح ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز، وإن جمع بينهما فمن باب الاستحباب لا الوجوب.

يستدل على هذه الحالة من عدة آثار الدراسة، ومنها أثر طويل لأَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ وفيه: أنه قال لعبد الله بن مسعود ﷺ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ للهِ- إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟». قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ»، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ(١).

ففي هذا الأثر بيّن لهم عبد الله بن مسعود ﷺ ما هو الحق، ثم أضاف الموعظة الحسنة مع الترغيب والترهيب؛ لأن المدعوين فيهم كسل وفتور عن الخير، كما فيهم رغبة في البدعة والإحداث وهي من شر الأمور كما هو معلوم من حديث النبي ﷺ. فهكذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتخذ للمدعوين أساليباً مناسبة حسب أحوالهم.

المطلب الثالث: في الحالة الثالثة.

الحالة الثالثة: أن يكون عند المدعو إعراض عن الخير واندفاع إلى الشر ومحاجة

(١) تقدم كامل الأثر مع التخريج وشرح غريبه (ص ٢٥٦).

في ذلك؛ فهذا لا يكفي في حقه مجرد الدعوة والموعظة، بل لابد أن يضاف إليها مجادلته بالتي هي أحسن.

يستدل على هذه الحالة بأثر أبي قلابة ﷺ -فيما رواه الإمام الدارمي ﷺ عنه- أنه قال: «إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا -أَوْ قَالَ: حَدِيثًا- فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[2]، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[3] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ، وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ ... الخ[4].

وجه الاستدلال في هذا الأثر: إن أبا قلابة ذكر أهل الأهواء، ولا شك أن عندهم إعراض عن الحق؛ فهم يحتاجون إلى المجادلة بالتي هي أحسن، ومن ثَمّ أنه ذكَر المنافقين، وأنهم آذوا النبيَّ ﷺ، ولكن النبي ﷺ لم يدفع السيئة بالسيئة، بل دفعها بالحسنة، كما جاء في الآية التي تلاها أبو قلابة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾، فإنها نزلت في الرجل الذي آذى النبي ﷺ باعتراضه على عدله ﷺ، ولكن النبي ﷺ جادله بالتي هي أحسن، كما روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: **«وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ»** قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: **«دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ،**

---

(١) التوبة: ٧٥.

(٢) التوبة: ٥٨.

(٣) التوبة: ٦١.

(٤) تقدم كامل الأثر مع التخريج وشرح غريبه (ص ٨٨).

ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، -أَوْقَالَ: ثَدْيَيْهِ،- مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْقَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾.

فهذه ثلاث أحوال للمدعوين، فقد جاء ذكرها في آية واحدة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1].

وإلى هذه الأحوال أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه فهذا صاحب حكمة، وإما أن يعترف به ولا يعمل به فهذا يوعظ حتى يعمل، وإما أن لا يعترف به فهذا يجادل بالتي هي أحسن"[2]. انتهى.

وكذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "جعل الله مراتب الدعوة بحسب مراتب الخُلُق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن"[3]. انتهى.

المطلب الرابع: في الحالة الرابعة.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله بعد بيان الأحوال الثلاثة المتقدمة للمدعو: "فإن سلك المدعو بعد الجدال بالتي هي أحسن سبيل العدل، واعترف بالحق وأذعن له وإلا انتقلنا معه إلى:

الحالة الرابعة: التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٤٥).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/١٥٣).

هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي حادُوا عن وجه الحق، وعَمُوا عن واضِح المحجَّة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ يُنتقل من الجدال إلى الجِلَاد، ويُقاتَلون بما يَرْدَعُهم ويمنعهم"[2]. اهـ.

وهذه الحالة الرابعة قد لا تكون من وظائف الأفراد غير ذوي السلطة يحدث من الفوضى ما يكون فيه ضرر كثير وفساد كبير"[3]. انتهى كلام الشيخ ابن العثيمين رحمه الله.

يستدل على هذه الحالة من أحاديث الدراسة وآثارها بأثر نافع مولى عبدِ اللهِ، أنه قال: أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ عُمَرُ: «أَبْصِرْ أَنْ يكونَ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «تَسْأَلُ مُحْدَثَةً»، فأرسلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ، فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فقالَ صَبِيغٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِي، فَقَدْ وَاللهِ بَرَأْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ: أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ: أَنِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ[4].

---

(١) العنكبوت: ٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٢٨٣).

(٣) رسالة في الدعوة إلى الله (ص ١٦-١٧).

(٤) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكَرِه التنطُّع والتبدُّع، (١/٢٥٥، رقم: ١٥٠)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٩): فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، والمرجح في مثل هذا صدقه لموافقته لمنهج أهل السنة، أخرجه ابن بطة =

فقد جاء في هذا الأثر ذكر الحالة الرابعة من أحوال المدعوين، وهي تغيير المنكر باليد والقوة، فهذا من خواص الحاكم أو ذوي السلطة، وقد جاء في هذا الأثر أن عمر بن الخطاب ﷺ لما جاءه خبر الرجل الذي يخوض في متشابهات القرآن طلبه وضربه حتى خرج من دماغه جميع الشكوك والشبهات.

فالحاصل مما سبق: أن للمدعوين حالات متفاوتة، تختلف بعضها عن بعض؛ فلذا يجب على الداعية الحصيف أن يراعي في كيفية الدعوة إلى الله أحوال المدعوين؛ لأن لها أثراً في قبول الدعوة ونشرها.

****

=

(الإبانة: ١/٤١٤، رقم: ٣٢٩).

شرح غريب الأثر:

«**رَطَائِبَ**» : جمع رطيبة وهي: السعفة الخضراء. ذكره الزهراني في القطوف الدانية.

«**دَبِرَةً**» : أي جرح، والدبر: الجرح الذي يكون في ظهر البعير. (النهاية: ٢/٩٧).

المبحث الرابع:

الأحكام التي تختص بالمدعو من خلال أحاديث الدراسة.

فهذا المبحث مشتمل على الأحكام التي تختص بالمدعوين، وقد تكون هذه الأحكام من واجبات المدعو، أو متعلق بآدابه مع الداعية، أو متعلق بحقوقه على نفسه، أو على الآخرين، أو نحو ذلك من الأحكام المختصة بهم، وبيان ذلك في عدة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: استجابة للدعوة، وعدم الإعراض عنها.

من واجبات المدعوين أن يستجيبوا للدعوة، ولا يعرضوا عنها؛ لأنها دعوة إلى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[1].

فاتضح من هاتين الآيتين بأن استجابة الدعوة واجب، والإعراض عنها حرام، فلذا ينبغي للمدعوين أن يستجيبوا لربهم، قبل أن يأتي عليهم الموت، ولا يعرضوا عن الدعوة والدعاة؛ لأنه ما عليهم إلا البلاغ المبين، فهذا حكم عام يشمل جميع المدعوين، سواء كان من أمة الدعوة، أم من أمة الاستجابة، وهناك حكم خاص لأمة الاستجابة لفضيلتها على باقي الأمم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

يُستدل على هذه المسألة من حديث رَبِيعَةَ الْجُرَشِيّ، يَقُولُ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: لِتَنَمْ عَيْنُكَ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ، قَالَ: **«فَنَامَتْ عَيْنَايَ، وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَعَقَلَ قَلْبِي»** قَالَ: **«فَقِيلَ لِي: سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ**

---

(١) الشورى: ٤٧ – ٤٨.

(٢) الأنفال: ٢٤.

أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، قَالَ: فَاللَّهُ: السَّيِّدُ، وَمُحَمَّدٌ: الدَّاعِي، وَالدَّارُ: الْإِسْلَامُ، وَالْمَأْدُبَةُ: الْجَنَّةُ»(1).

فهذا الحديث صريح في أنه يجب على المدعو استجابة الداعي إلى الله، فمن يجيب على دعوة الداعي يدخل الدار أي الجنة، ومن لم يجبه لم يدخل الدار، بل يدخل نار جهنم.

فالحاصل أن المدعو مطالب بأن يدخل في دين الإسلام كافة، إن كان من غير المسلمين بمجرد أن يستبين له الحق، ومطالب بأن يكف عن المعصية، ويخرج من ذلها وإثمها إن كان من المسلمين العصاة؛ ليستمتع بعز الطاعة، وعظيم أجرها عند الله سبحانه وتعالى(2).

المطلب الثاني: تعلم العلم الشرعي.

يجب على المدعو أن يتعلم العلم الشرعي؛ لأنه يعرف بذلك حقوق الله عليه، بحيث يجعل العبادة خالصا لوجهه، ولا يشرك به شيئاً، ويمكن ذلك بتعلم علم التوحيد والعقيدة، وكذلك عليه أن يعرف أحكام الدين من الحلال والحرام، حتى لا يقع في الحرام، ويكون عمله موافقاً لِما شُرع له.

فالحاصل أنه يجب عليه أن يقوم بطلب العلم قبل ذهاب العلم، والعلم يذهب بذهاب العلماء، كما روى الإمام الدارمي عن ابن عَبَّاسٍ ﭬ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا ذَهَابُ الْعِلْمِ؟» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ»(3).

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٤).

(٢) ينظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود بن أحمد الرحيلي (ص ٥٨) بتصرف يسير.

(٣) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم، (١/٣١٠، رقم: ٢٤٩). قال الداراني: إسناده صحيح. وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧٠): فيه قابوس بن أبي ظبيان الجنبي: فيه لين، ويقويه ما تقدم، أخرجه أبو خيثمة (العلم: ١٢١، رقم: ٥٣) والحافظ الفسوي (المعرفة والتاريخ: =

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قال: «مَا لِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ وَجُهَّالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ؟ تعلَّموا قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، فَإِنَّ رَفْعَ الْعِلْمِ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ»(١).

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَة ﷺ: «أَتَدْرِي كَيْفَ يُنْقَصُ الْعِلْمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: كَمَا يُنْفَضُ الثَّوْبُ، وَكَمَا يَقْسُو الدِّرْهَمُ. قَالَ: «لَا، وَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنْهُ، قَبْضُ الْعِلْمِ: قَبْضُ الْعُلَمَاءِ»(٢).

فهذه النصوص كلها تدل على أنه ينبغي للمدعو أن يطلب العلم قبل رفعه بوفاة العلماء؛ لأنه إذا يُرفع العلم يُهلك الناس، ومن جملة الناس "المدعوين"، كما روى الإمام الدارمي عن هِلَال بْن خَبَّابٍ، قال: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ»(٣).

=

٤٨٥/١) وابن سعد (الطبقات: ٣٦١/٢) والحاكم (المستدرك: ٤٢٨/٣) والطبراني (المعجم الكبير: ١١٤/٥، رقم: ٤٧٤٩) وابن عبد البر (جامع: ١٨٥/١).

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم، (٣١٢/١ رقم: ٢٥١). قال الداراني: إسناده ضعيف لانقطاعه.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧٠): رجاله ثقات، وفيه انقطاع بين سالم بن أبي الجعد، وأبي الدرداء ﷺ، أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف: ٣١٣/١٣، رقم: ١٦٤٥٣) وأبو نعيم (الحلية: ٢٢١/١) والبيهقي (الشعب: ٣٩٤/٣، رقم:١١٥١).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم، (٣١١/١ رقم: ٢٥٠). قال الداراني: في إسناده محمد بن أسعد، وقال أبو حاتم والعقيلي: أنه منكر الحديث. اهـ.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧٠): فيه محمد بن أسعد المصيصي: لين، أخرجه الطبراني العجم الكبير: ٢٣٠/٩، رقم: ٨٩٩١) والهيثمي (مجمع الزوائد: ٢٠٢/١).

شرح غريب الأثر:

«**يَقْسُو**» : أي يقل، ويندر تداوله. قاله الزهراني.

(٣) **تخريج الأثر:**

=

المطلب الثالث: استفسار عما يُشكل عليه.

فعلى المدعو أن يستفسر العلماء عما يشكل عليه من أحكام الدين، فعليه أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه أو يُشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه حتى يعبد الله تعالى وقد خلص قلبه وعقله من كل الشبهات(١)، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

يُستدل على هذه المسألة بأثر إِبْرَاهِيم بْن أَدْهَمَ، فيما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: سَأَلْتُ ابْنَ شُبْرُمَةَ عَنْ شَيْءٍ وَكَانَتْ عِنْدِي مَسْأَلَةٌ شَدِيدَةٌ، فَقُلْتُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، انْظُرْ فِيهَا، قَالَ: «إِذَا وَضَحَ لِيَ الطَّرِيقُ وَوَجَدْتُ الْأَثَرَ لَمْ أَحْبَسْ»

الشاهد في هذا الأثر أنه أَشكل على إبراهيم بن أدهم مسألة من المسائل، سألها عن ابن شبرمة، فهكذا على المدعو أن لا يستحْيِ في الاستيضاح عما يشكل عليه.

هناك بعض آداب متعلقة بالسؤال والاستفسار، فعلى المدعو أن يراعي ذلك، ويُستنبط هذه الآداب من بعض آثار السلف الصالح فيما رواها الإمام الدارمي عنهم:

١- ألّا يسأل عما لم يكن.

فعلى المدعو ألّا يستفسر عن قضية لم تقع بعد، ولا يستفتي عما لم يكن، أو لا يمكن وقوعه، فكل ذلك خلافا للمروءة، وكان السلف الصالح يكره مثل هذه الأسئلة،

=

سنن الدارمي، المقدمة، باب في ذهاب العلم، (٣٠٩/١ رقم: ٢٤٧). قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٧٠): سنده حسن، أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف: ١٥/ ٤٠، رقم: ١٩٠٥٣)، وابن عبد البر (جامع بيان فضل العلم: ١٨٥/١)، والبيهقي (الشعب: ٢٨٩/٤، رقم: ١٥٤٢)، وأبو نعيم (الحلية: ٢٧٦/٤).

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود بن أحمد الرحيلي (ص ٦١).

(٢) النحل: ٤٣.

فروى الإمام الدارمي عنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كَانَ يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَمْرِ: أَكَانَ هَذَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، قَدْ كَانَ، حَدَّثَ فِيهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ وَالَّذِي يَرَى، وَإِنْ قَالُوا: لَمْ يَكُنْ، قَالَ: فَذَرُوهُ حَتَّى يَكُونَ»(١).

وعن عَامِرٍ قَالَ سُئِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ﷺ، عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: «هَلْ كَانَ هَذَا بَعْدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: دَعُونَا حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَ، تَجَشَّمْنَاهَا لَكُمْ»(٢).

وعن طَاوُسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رِضْوانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَلَى الْمِنْبَرِ: «أُحَرِّجُ بِاللَّهِ عَلَى رَجُلٍ سَأَلَ عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ مَا هُوَ كَائِنٌ»(٣).

وعنِ ميمون بن مهران قال: سألت ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَنْ رَجُلٍ أَدْرَكَهُ رَمَضَانَانِ فَقَالَ: «أَكَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ؟» قَالَ: لَمْ يَكُنْ بَعْدُ، قَالَ: «اتْرُكْ بَلِيَّتَهُ حَتَّى تَنْزِلَ»، قَالَ:

---

(١) تقدم تخريج هذا الأثر وشرح غريبه (ص ١٦٠).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا، (١/٢٤٤، رقم: ١٢٥)، قال الداراني: رجاله ثقات، غير أنه منقطع، عامر الشعبي لم يسمع من عمار.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤١): رجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد (الطبقات: ٢٥٦/٣) والخطيب (الفقيه والمتفقه:٨/٢) وابن عساكر (٤٤٤/٤٣، والمختصر:٢٤٩٣/١) وذكره الحافظ (المطالب العالية: ١٠٦/٣) من غير عزو.

شرح غريب الأثر:

«**تَجَشَّمْنَاهَا**» : جشمت الأمر: إذا تكلفته على مشقة (الصحاح:١٩٣/١).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا، (١/٢٤٤، رقم: ١٢٦)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤١): رجاله ثقات، أخرجه ابن سعد (الطبقات: ٢٨٦/٣، ٣٢٤/٥)، وابن بطة (الإبانة رقم:٣١٧)، وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٧٣/٢)، وأبو خيثمة (العلم: ١٣٩، رقم :١٢٥)، والبيهقي (المدخل: ٢٢٥، رقم: ٢٩٢)، والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٧/٢)، والمزي (تهذيب الكمال: ٤٣٩/٢١).

فَدَلَّسْنَا لَهُ رَجُلًا، فَقَالَ: قَدْ كَانَ، فَقَالَ: «يُطْعِمُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا ثَلَاثِينَ مِسْكِينًا، لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينٌ»(١).

فكل هذه الآثار تدل على كراهية السؤال عما لم يكن، فعلى المدعو أن لا يسأل عن القضية التي لم تقع بعد، ففيه خير إن شاء الله تعالى؛ لأن الأمور ما دام على طريق السلف الصالح فلا يخرج عن الصلاح والخير.

٢- أن يسأل عما ينفعه.

روى الإمام الدارمي ﷺ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قال: «مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ، فِي الْقُرْآنِ، مِنْهُنَّ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾(٢)، و﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾(٣)، قَالَ: مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ»(٤).

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (٢٥٧/١، رقم: ١٥٦)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥١): سنده حسن، رواه الحافظ عبد الرزاق (المصنف: ٢٣٦/٤) والبيهقي السنن الكبرى:٣٥٣/٤، والمعرفة: ٣٠٦/٦).

(٢) البقرة: ٢١٧

(٣) البقرة: ٢٢٢

(٤) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا (٢٤٤/١-٢٤٥، رقم: ١٢٧)، قال الداراني: إسناده ضعيف.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٢): رجاله ثقات، وقد سمع محمد بن فضيل من عطاء بعد الاختلاط، أخرجه الطبراني (المعجم الكبير: ٤٥٤/١١، رقم:٤٥٤) وابن بطة (الإبانة:٣٩٨/١، رقم:٢٩٦) وابن عبد البر (جامع بيان العلم:١٧٣/٢).

شرح غريب الأثر:

«ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً» : قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٢): هذا في القرآن، أما السنة =

ففي هذا الأثر أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستفسرون عما ينفعهم، وكانوا يسألون عما وقع، ولا يسألون عما لم يقع.

قال الغمري في شرح هذا الأثر: "مراد ابن عباس المسائل التي حكاها الله سبحانه وتعالى عنهم في القرآن، بدليل قوله: كلهن في القرآن، وإلا فإنهم سألوه عن مسائل كثيرة لا تحصى لم يذكرها القرآن؛ لأن الله بينها على لسان رسوله ﷺ، وهذا مما لا يخفى على ابن عباس لكنه أراد أنهم كانوا لا يسألون إلا عما ينفعهم -كما بينه في آخر حديثه- فلم تكن أسئلتهم إلا لضرورة ملحة، أو قضايا مهمة، لم يكن يسألونه عن المقدرات، ولا عن المسائل المعضلات، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل وتوليدها، بل كانت هممهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به، رضي الله عنهم وأرضاهم أحسن الرضا"[(١)].

٣- ألّا يكثر في السؤال.

وقد جاء النهي عن قيل وقال وكثرة السؤال في حديث صحيح عن النبي ﷺ، وتقدم بيانه بالتفصيل في المبحث الثاني.

ويستدل على هذا بعدة آثار فيما رواها الإمام الدارمي، منها أثر الشَّعْبِيِّ، أنه قال: «لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ لَنَزَلَتْ عَامَّةُ الْقُرْآنِ يَسْأَلُونَكَ يَسْأَلُونَكَ»[(٢)].

ومنها أثر عَبْدَةَ بْن أَبِي لُبَابَةَ[(٣)]، يَقُولُ: «قَدْ رَضِيتُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِي هَؤُلَاءِ أَنْ لَا

=

فما أكثر ما سألوه ﷺ وهو غير خاف. اهـ . وقد عقد الإمام ابن القيم في آخر إعلام الموقعين بابا خاصا للمسائل والفتاوى التي سُئل النبي ﷺ عنها، وهي حواليه سبع مائة مسائل.

(١) فتح المنان شرح سنن الدارمي (٢/٨٨-٨٩).

(٢) تقدم تخريج هذا الأثر (ص ١٢٥).

(٣) هو أبو القاسم عبدة بن أبي لبابة الأسدي الغاضري مولاهم، البزاز الكوفي، وهو ثقة عالم فاضل، روى له أصحاب الكتب الستة، إلا أن أبا داود روى له في المراسيل، سكن دمشق. يراجع ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/٣٨١)، وسير إعلام النبلاء للذهبي (٥/٢٢٩).

يَسْأَلُونِي وَلَا أَسْأَلُهُمْ، إِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَرَأَيْتَ، أَرَأَيْتَ؟»[1].

ففي هذين الأثرين دلالة على كراهية كثرة السؤال، واستحباب قلتها، لأن في الأثر الأول يبين الشعبي ﷺ حال أهل زمانه بأنهم كانوا يسألون كثيراً، ولو كانوا هؤلاء في زمن النبي ﷺ لنزلت عامة القرآن جوابا في أسئلتهم، بأسلوب "يسألونك عن كذا"، و"يسألونك عن كذا"، فهكذا كان يظهر كراهية كثرة السؤال.

وفي الأثر الثاني: يبيّن ابن أبي لبابة ﷺ حالَ أهل زمانه، وكان يظهر رضاءه بسبب قلة أسئلتهم، وكان ﷺ لا يحب كثرة السؤال.

فهذه هي بعض الآداب المتعلقة بالسؤال والاستفتاء، فعلى المدعو أن يراعي تلك الآداب أثناء تعامله مع الدعاة إلى الله تعالى.

المطلب الرابع: الصبر على المصائب والأذى التي يصيبها المدعو بسبب استجابته للدعوة.

لا شك أن الإيمان هو أعظم النِعم، فالله سبحانه وتعالى إذا أنعم على عبده من النِعم يفتنه ويمتحنه، كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ ﴾[3].

---

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي (١/٢٨٥، رقم: ٢٠٧)، قال الداراني: إسناده حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٦٣): فيه العباس بن سفيان الدبوسي: ذكره ابن حبان في (الثقات: ٨/٥١٦).

(٢) العنكبوت: ٢ – ٣.

(٣) يونس: ٨٣.

امتحن الله سبحانه وتعالى صحابة النبي ﷺ كما امتحن أصحاب الأنبياء من قبل، وقد حثّ النبي ﷺ أصحابه على الصبر على الأذى، كما قال لآل ياسر حينما رأي عليهم أذى المشركين: «**صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»(١).

يستدل على هذه المسألة بحديث الدارمي، فروى عن عَطَاءٍ، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»(٢).

فقد جاء في هذا الحديث التسلية للداعية والمدعو، حيث إن النبي ﷺ أصابه مصائب كثيرة فصَبر عليها، فهكذا على الداعية أن يصبر على ما يصيبه من المصائب أثناء دعوته، ثم يسلي النبي ﷺ الناس أي المدعوين بقوله: «فليذكر مصابه بي» فيه تسلية للداعي والمدعو معا.

المطلب الخامس: الدعوة إلى ما دُعِيَ إليه هو نفسه.

فعلى المدعو أن يدعو الناس إلى ما دُعي إليه هو نفسه، أي إلى دعوة الإسلام، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

يستفاد هذه المسألة من حديث ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ، أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**» قَالَ: إِلَى أَهْلِي قَالَ: «**هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟**» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**هَذِهِ السَّلَمَةُ**» فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/٤٧٠، رقم: ٥٧١٣)، المحقق: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة – مصر، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م. وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٥٤)، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن، بدون ذكر سنة الطبع، الطبعة: الأولى. بلفظ « أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة».

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٠٢).

وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ(١).

الشاهد في هذا الحديث هو قول الأعرابي «إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ» فهذا صريح في أن الأعرابي وعد بأنه إذا رجع إلى قومه بعد قبول الإسلام، يدعو قومَه إلى ما دُعيَ إليه هو نفسه، أي إلى الشهادتين، وإلى دين الإسلام.

ويؤيده ما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٢)، فهكذا فعَل الأعرابي بعد تفقهه شيئا من الدين؛ إذ رجع إلى قومه لكي يدعو الناس إلى دين الإسلام، وفيه دليل أيضا على أنه إذا لم يقبل أحد دعوته، فلا يرتد عن دين الإسلام بل عليه أن يستقم، يؤخذ ذلك من قوله «وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ» أي إذا لم يقبل أحد دعوتي أرجع إليكم وأنا أكون معكم.

فعلى المدعو أن يقوم بعمل الدعوة، ويبلّغ دين الإسلام قدر المستطاع ولو بآية، ثم يستقم عليه، ولا يتبع أهواءه كما قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾(٣).

المطلب السادس: الحذر كل الحذر من الدعاة المنحرفين.

إن على المدعو أن يحذر كل الحذر من الدعاة المنحرفين، ومن الدعاة الذين يدعون إلى الغواية والضلالة باسم الكتاب والسنة.

تستفاد هذه المسألة من عدة آثار، ومنها أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فروى الإمام الدارمي عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: قال ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى

---

(١) تقدم تخريج الحديث وشرح غريبه (ص ٦٧).

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) الشورى: ١٥.

كِتَاب اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»(١).

الشاهد في هذا الأثر هو قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَاب اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» فهذا يدل على أن هناك دعاة يدعون في الظاهر إلى كتاب الله مع أنهم نبذوه وراء ظهروهم، فلابد الحذر منهم.

ثم حثّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على طلب العلم، أي على حصول العلم الحقيقي وهو: علم الكتاب السنة على فهم سلف الأمة، كما حذّر عن التبدع والتنطّع، والتعمق، ثم أمر بعد ذلك مرة أخرى بأن تلازموا طريقة السلف الصالح، وهو طريقة الأولين بقوله: «عليكم بالعتيق» العتيق هو الأمر الأول كما تقدم بيان ذلك.

ومن الآثار الدالة على هذه المسألة أثر مُعَاذ بْن جَبَلٍ رضي الله عنه، أنه قال: «يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعُ، وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ بِهِ فِيهِمْ، فَلَمْ أُتَّبَعْ، لَأَحتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِدًا فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتظرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِدًا، فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ: بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ»(٢).

ففي هذا الأثر حذّر معاذ بن جبل رضي الله عنه من دعاة الضلالة، الذين يدعون باسم الكتاب والسنة إلى أهوائهم، فهؤلاء منحرفو الفكر يخدعون الناس، ويلبسون الحق بالباطل؛ فلابد على المدعو الحذر منها كل الحذر حتى لا يخدع منهم. نسأل الله السلامة والتوفيق. آمين.

---

(١) تقدم تخريجه وشرح غريبه (ص ١٤٨).

(٢) تقدم تخريجه وشرح غريبه (ص ٢١٨).

المطلب السابع: ألا يجمع زلّات العلماء ولا يتتبع رخصهم.

إن المدعو يجب عليه ألّا يتتبّع رخص العلماء ولا يجمع زلاتهم للعمل عليها، ولا يبحث ما يوافق هواه، بل عليه أن يتبع ما دلّ عليه الدليل من الكتاب السنة، سواء يوافق قول إمامه أم لم يوافق، وسواء يوافق هواه أم لم يوافق، فعليه أن يبحث ما هو أوثق وأقرب إلى الدليل، ولا يبحث عن شذوذ العلماء، وأخطائهم، وزلاتهم، ونوادرهم؛ لأن هذا خطر عظيم على دينه وإيمانه.

تستفاد هذه المسألة من أثر زياد بنِ حُدَيْرٍ، قال: قَالَ لِي عُمَرُ: «هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ»[1].

الشاهد في هذا الأثر قول عمر رضي الله عنه «يهدمه زلة العالم» أي أن زَلة العالم يهدم الدين، فلا بد الحذر منها كل الحذر، كما قال الإمام ابن القيم في سياق رد التقليد: "...وأن العالم قد يزِلّ ولا بد؛ إذ ليس بمعصوم، فلا يجوز قبول كل ما يقول، وينزل قوله منزلة قول المعصوم؛ فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض، وحرموه، وذموا أهله"[2].

ويؤيد هذا الأثر ما جاء عن السلف الصالح من أقوال كثيرة في هذا المعنى، منها قول أبي الدرداء رضي الله عنه : «إن مما أخشى عليكم زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حق، وعلى القرآن منار كأعلام الطريق»[3].

وقال تميم الداري: «اتقوا زلة العالم، فسأله عمر: ما زلة العالم؟ قال: يزل بالناس فيؤخذ به، فعسى أن يتوب العالم والناس يأخذون بقوله»[4].

وقال سليمان بن طَرْخَان التَّيْمِيُّ: «لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ أَوْ زَلَّةِ كُلِّ عَالِمٍ

(١) تقدم تخريج هذا الأثر وشرح غريبه (ص ٢٨٤).
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/١٣٢-١٣٣).
(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/٩٨٠).
(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/١٣٢-١٣٣).

اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ» فعلَّق عليه الإمام ابن عبد البر: «هذا إجماع لا أعلم فيه خِلافاً، والحمد لله»(١).

وقال إبراهيمُ بنُ أبي عَبْلَة: «مَنْ حَمَلَ شَاذَّ الْعُلَمَاءِ حَمَلَ شَرّاً كَثِيراً»(٢).

وقال الإمامُ الأَوْزَاعِيُّ: «مَنْ أَخَذَ بِنَوَادِرِ العُلَمَاءِ، خَرَجَ مِنَ الإِسْلاَمِ»(٣).

وقال الإمام أبُو إسْحاق إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي: «دَخَلْتُ عَلَى الْمُعْتَضِدِ، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً نَظَرْتُ فِيهِ، وَكَانَ قَدْ جُمِعَ لَهُ الرُّخَصُ مِنْ زَلَلِ الْعُلَمَاءِ وَمَا احْتَجَّ بِهِ كُلٌّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ زِنْدِيقٌ. فَقَالَ: لَمْ تَصِحَّ هَذِهِ الأَحَادِيثُ؟ قُلْتُ: الأَحَادِيثُ عَلَى مَا رُوِيَتْ، وَلَكِنْ مَنْ أَبَاحَ الْمُسْكِرَ لَمْ يُبِحِ الْمُتْعَةَ، وَمَنْ أَبَاحَ الْمُتْعَةَ لَمْ يُبِحِ الْغِنَاءَ وَالْمُسْكِرَ، وَمَا مِنْ عَالِمٍ إِلاَّ وَلَهُ زَلَّةٌ، وَمَنْ جَمَعَ زَلَلَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ أَخَذَ بِهَا ذَهَبَ دِينُهُ»(٤).

وقال الإمام الذَّهبِيُّ: «وَمَنْ تَتَبَّعَ رُخَصَ المَذَاهِبِ، وَزَلاَّتِ المُجْتَهِدِيْنَ، فَقَدْ رَقَّ دِيْنُهُ»(٥).

فهذه الأقوال من أئمة الإسلام كلها تدل على ذم تتبع زلات العلماء ورخصهم؛ فلذا يجب على المدعو وعلى الداعية كذلك أن يحذر منها كل الحذر.

المطلب الثامن: أن يختار صحبة العلماء ومجالسة الأخيار.

إن المدعو ينبغي له أن يختار صحبة الصلحاء والعلماء والأخيار؛ لأن للصحبة أثر كبير في تكوين الشخصية البناءة، كما لها أثر عظيم في بناء حياة طيبة متحلية بالقيم والأخلاق

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٢٧).

(٢) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، للخطيب البغدادي (ص١٤٠). بتحقيق أبو عبد الله السورقي، المكتبة العلمية المدينة المنورة، بدون سنة طبع.

(٣) السنن الكبرى، للبيهقي (١٠/ ٢١١).

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٠).

العالية، وقد حثَّ النبي ﷺ على اختيار صحبة الصلحاء بأسلوب المثال، كما حذّر عن صحبة الطلحاء؛ إذ يقول ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(١).

تستفاد هذه المسألة من عدة آثار؛ منها أثر عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ(٢)، قَالَ: «كُنْتُ أَجْلِسُ بِمَكَّةَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمًا، وَإِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَوْمًا، فَمَا يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ فِيمَا يُسْأَلُ: لَا عِلْمَ لِي، أَكْثَرُ مِمَّا يُفْتِي بِهِ»(٣).

ومنها أثر الزِّبْرِقَانِ، قَالَ: «نَهَانِي أَبُو وَائِلٍ أَنْ أُجَالِسَ أَصْحَابَ أَرَأَيْتَ»(٤).

ومنها أثر مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ فَإِنَّهُمْ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ»(٥).

فهذه الآثار وإن كانت بعض منها ضعيف الإسناد ولكن يقوي بعضه بعضا، وكلها تدل على استحباب مجالسة الصالحين من العلماء والعباد، وكذلك تدل على

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب في بيع العطار والمسك (٦٣/٣، برقم: ٢١٠٢ و٥٥٣٤)، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، (٢٠٢٦/٤، برقم: ٢٦٢٨).

(٢) هو عبيد بن جريج التيمي مولاهم، المدني، تابعي ثقة، روى له أصحاب الكتب الستة إلا أن الترمذي روى له في الشمائل. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٤٤٤/٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٩٣/١٩).

(٣) <u>**تخريج الأثر**</u>:

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (٢٥٨/١ رقم: ١٥٧)، قال الداراني: إسناده حسن.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥١): فيه عبد الله العمري، ضعيف، ولم يسمع من عبيد، بل بينهما سعيد المقبري، أخرجه ابن عساكر (التاريخ: ١٦٧/٣١).

(٤) تقدم تخريجه مع شرح غريبه وترجمة راويه (ص ١٢٤).

(٥) تقدم تخريج هذا الأثر، وترجمة راويه (ص ٢٠٢).

مجانبة الطالحين من أصحاب الخصومات وأصحاب "أريت" كعلماء السوء، وأصحاب الأخلاق السيئة والرذيلة؛ فلابد الحذر منهم كل الحذر.

المطلب التاسع: الاستفادة من الفرص.

ينبغي للمدعو أن يستفيد من الفرص المتاحة له عند العلماء وطلبة العلم، كما حثّ النبي ﷺ أمته على اغتنام الفرص المتاحة لها من الحياة، والصحة، والفراغ، والغناء، والشباب؛ إذ يقول ﷺ : «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(١).

ففي هذا الحديث حثّ النبي ﷺ على الاغتنام بالفُرص، ومن هذه الفُرَص «الفراغ قبل الشغل»، فهكذا على المدعو أن يستفيد من فراغ العالم والداعي قبل أن يشتغل في عمله، فإذا يجد الخلوة والفراغ عنده فليبادر للاستفادة منه.

تستفاد هذه المسألة من أثر هِشَامِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ بِمَرْجِ الدِّيبَاجِ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَلْوَةً، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لِي: مَا تَصْنَعُ بِالْمَسَائِلِ؟ قُلْتُ: لَوْلَا الْمَسَائِلُ، لَذَهَبَ الْعِلْمُ. قَالَ: «لَا تَقُلْ ذَهَبَ الْعِلْمُ، إِنَّهُ لَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ مَا قُرِئَ الْقُرْآنُ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتَ يَذْهَبُ الْفِقْهُ»(٢).

الشاهد في هذا الأثر هو قول هشام بن مسلم القرشي: «فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَلْوَةً، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ» فهذا يدل على حرص السلف الصالح على الاستفادة من فُرص الفراغ والخلوة، فهكذا على المدعو أن يعتني في هذا الجانب، ويستفيد من الفُرص المتاحة له، سواء كانت هذه الفُرص من الفراغ، أو الخلوة، أو نحوها من نوع آخر.

****

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/٤٤٧، رقم: ٧٩٢٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢٤٣-٢٤٤، برقم: ١٠٧١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٦١).

الفصل الرابع:

فقه وسائل الدعوة وأساليبها

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: تعريف الوسائل والأساليب والفرق بينهما، وحكمهما.

المبحث الأول: وسائل الدعوة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثاني: أساليب الدعوة من خلال أحاديث الدراسة.

التمهيد:

تعريف الوسائل والأساليب والفرق بينهما، وحكمهما.

فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الوسائل لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف الوسائل لغة:

الوسائل: جمع وسيلة؛ وهي تأتي لعدة معان؛ منها: الرغبة، والطلب، والسَّرِقة، والمنزلة، والدرجة، والقربة، والوُصلة[1]. ويمكن توضيح أكثر لهذه المعاني في ضوء أقوال أهل اللغة كالآتي:

قال ابن فارس: الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جدا: الأولى: الرغبة والطلب. يُقال: وَسَل، إذا رَغِب. والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، والأخرى السَّرِقة: يقال: أخذ إبلَه توسُّلا[2].

وقال الجوهري: الوسيلة: ما يُتقرَّبُ به إلى الغير، والجمع: الوَسِيل والوَسَائِلُ[3].

وقال ابن الأثير: وفي حديث الأذان: «**اللهمَّ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ**»[4]، هي في الأصل: ما يتوصَّل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها: وسائل[5].

وقال الفيروزآبادي: والواسلة: المنزلَة عند الملِك، والدَّرجة، والقُربة[6].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/٧٢٤)، (مادة: وسل).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١١٠) (مادة: وسل).

(٣) الصحاح (٥/١٨٤١). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، (١/١٢٦، رقم: ٦١٤).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/١٨٥).

(٦) القاموس المحيط (ص١٠٦٨).

ثانيا: تعريف الوسائل اصطلاحا:

التعريف العام: عرفها العلماء بتعريفات كثيرة، منها: تعريف الجرجاني: هي ما يتقرب به إلى الغير[1].

ومنها تعريف ابن الأثير -كما تقدم-: ما يُتوصَّل به إلى الشيء ويُتقرب به[2].

التعريف الخاص للوسائل في الاصطلاح الدعوي:

هناك تعريفات كثيرة لوسائل الدعوة، ومن أهمها فيما يلي:

١- عرفها الشيخ ابن عثيمين: هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته[3].

٢- وقيل هي: ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر[4].

٣- وقيل هي: ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية[5].

٤- وقيل هي: كل وسيلة مشروعة يتخذها الداعية رغبة منه في تبليغ دين الله إلى خلقه، وحثّهم على التزامه، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه[6].

٥- وقيل هي: ما يتوصل به إلى الاصلاح والدعوة حسًّا ومعنًى[7].

٦- وقيل هي: ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور[8].

---

(١) كتاب التعريفات (ص٢٥٢)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/١٨٥).

(٣) رسالة في الدعوة إلى الله (ص١٣).

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ص٤٢٩).

(٥) وسائل الدعوة، أ. د. محمد إبراهيم الجيوشي، بدون اسم الناشر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ

(٦) وسائل الدعوة في المسجد النبوي في العصر الحاضر، بركة بن مضيف الطلحي (ص ١٢٦)، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

(٧) الوسائل الأساسية لنشر الدعوة الإسلامية، الدكتور أحمد بن محمد الدسم العدناني، (ص ٩) دار لينة للنشر والتوزيع، بدون ذكر البلد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

(٨) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص١٢٦) وزارة الشؤون =

٧- وقيل هي: "الأداة أو الآلة التي عن طريقها يستطيع أن يبلغ الداعي دعوته ويوصلها إلى الناس"(١).

٨- وقيل: وسيلة الدعوة: "هي الأداة المنضبطة شرعاً، الموصلة إلى غاية منضبطة، وهي التي تستخدم لنقل الأفكار من الداعي إلى المدعو"(٢).

٩- ومن أرجح التعريفات هي ما ذكره الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي، وهي تعريف مختصر وجامع وشامل، فعرفها بقوله: "بأنها ما يتوصل به إلى دعوة الناس وفق منهج الدعوة القويم"(٣).

المطلب الثاني: تعريف الأساليب لغة واصطلاحا:

أولا: الأساليب لغة:

الأساليب: جمع أسلوب، وهو يأتي لعدة معان، منها: المذهب، والطريق، والوجهة، والفن، وغيرها، ويمكن إيضاح هذه المعاني من خلال الأقوال الآتية:

قال صاحب اللسان: وكل طريق ممتد، فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوب: الطريق تأخذ فيه. والأسلوب، بالضم: الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه(٤).

=

الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ. أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير في جامعة الإمام.

(١) مقومات نجاح الدعاة في العصر الحديث، أحمد محمد حسانين (ص٢٢٥)، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٢) منهج النبي ﷺ في دعوة الآخر، د. محمد حسان، (ص٣٩٧) مؤسسة الرحمة للنشر والتوزيع، بدون ذكر البلد، وسنة الطبع.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٢/٦٥٧).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١/٤٧٣)، (مادة سلب).

وقال الجوهري: الأفانين: الأساليب؛ وهي أجناس الكلام وطرقه[1].

وقال الزمخشري: وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة[2].

ثانياً: الأساليب اصطلاحاً:

إن للأساليب تعريف عام لجميع المجالات والفنون، وكما له تعريف خاص لمجال خاص، وفن معين، كتعريف الأساليب للدعوة، وهي كالآتي:

❖ **التعريف العام للأسلوب:**

قيل في تعريفه: إن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته[3].

وقيل: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه[4].

❖ **التعريف الخاص للأساليب الدعوية:**

١. قيل: هو مجموعة الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه، ومن ثَمَّ تحقيق الهدف الذي يصبوا إلى تحقيقه[5].

---

(١) الصحاح (٢١٧٧/٦).

(٢) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (٤٦٨/١)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٣) خصائص القرآن الكريم، د. فهد عبد الرحمن الرومي (ص١٨)، بدون ذكر الناشر، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (٢٣٩/٢) تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٥) وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، دراسة تأصيلية، حسين محمد عبد المطلب، (ص٢٥) دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ. والأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد الخياط (ص١٠٤). دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، =

٢. وقيل: يراد بأسلوب الدعوة: عرض ما يراد عرضه من عقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه في عبارات واضحة المعاني، بينة المراد[١].
٣. وقيل: هو عبارة عن طريقة الداعي في دعوته أو كيفية تنفيذه لمناهج دعوته[٢].
٤. وقيل: الأساليب هي: الطرق التي يسلكها الداعي لتبليغ دعوته، وتنفيذ خطوات منهجه[٣].
٥. وقيل: الأساليب هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى مباشرة عملية التبليغ، وإزالة العوائق[٤].
٦. وقيل: هو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله[٥].
٧. وقيل: إن الأسلوب هو كيفية استخدام الوسيلة[٦].

هذه التعريفات كلها متقاربة، ولكن بعضها متشابه بتعريف الوسائل، أو بعضها مطول، ويمكن أن يقال في تعريفه تعريفا جامعا: بأن الأسلوب الدعوي هو: "**كيفية استخدام الوسائل الدعوية لتبليغ الدين وفق منهج الدعوة القويم**"[٧].

=

١٤١٢هـ.

(١) فقه الدعوة والداعية، إبراهيم النعمة، (ص ٣٥) دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، بدون سنة الطبع.

(٢) مقومات نجاح الدعاة في عصر الحديث، أحمد محمد حسانين (ص٢٢٥).

(٣) نفس المصدر.

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص٤١١).

(٥) دعوة النبي ﷺ للأعراب، لحمود بن جابر الحارثي (ص٢١٦)، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: ١، ١٤١٩هـ. ومنهج النبي ﷺ في دعوة الآخر، د. محمد حسان، (ص٣٩٦).

(٦) الدعوة في الواقع المعاصر، غازي بن غزاي المطيري، (ص ١١٨)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

(٧) محاولة الباحث في بيان تعريفه.

المطلب الثالث: الفرق بين الوسائل والأساليب:

بعد بيان تعريف الوسائل والأساليب يمكن أن يقال في الفرق بينهما: إن الوسائل والأساليب إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، كما يقال في الفرق بين الإيمان والإسلام، وهناك جماعة من أهل العلم لم يفرقوا بينهما وهم يستخدمون بعضها في موضع بعض، أو يستخدمون كل منهما في معنى واحد، فهؤلاء يُدخِلون الأساليبَ في الوسائل ثم يُقسِّمون الوسائل إلى تقسيمات عديدة[1]، فبعضهم قسّمها إلى قسمين: الوسائل المعنوية، والوسائل الحسِّيَّة أو المادية[2]، فالوسائل المعنوية هي الأساليب عند من يفرّق بينهما، وأما الذين لم يفرقوا بينهما سمّوا "الأساليبَ" بـ"الوسائل المعنوية".

وأما الذين يفرّقون بينهما فهم يذكرون عدة وجوها للفرق بينهما، وهي كالآتي:

١- إن الوسائل هي الآلات أو الأدوات التي تُنقل من خلالها الأساليب، فلا يمكن استخدام الأساليب إلا بالوسائل[3].

٢- بينهما عموم وخصوص، فالوسائل أعم من الأساليب، وتدخل الأساليب في الوسائل[4].

٣- إن الوسائل في الغالب هي الحسية أو المادية كالمسجد، والمنبر، والكتاب وميكروفون ونحوها، وأما الأساليب فهي معنوية في الغالب، كالحكمة

---

(١) وقد فصل الأستاذ الدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي في تقسيمات وسائل الدعوة، وقد ذكر إحدى عشر تقسيماً للوسائل الدعوة باعتبارات عديدة، ومن أراد التفصيل فليراجع كتابيه: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٢/٦٥٧-٦٦٤)، ووسائل الدعوة (ص١٧).

(٢) ينظر: الوسائل الأساسية لنشر الدعوة الإسلامية، للدكتور أحمد العدناني (ص٩). والمدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبي الفتح البيانوني (ص ٢٨٣، ٣٠١، ٣٠٩).

(٣) ينظر: دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود الحارثي، (ص ٢١٧). والتدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم بن عبد الله المطلق، (ص ٢٤) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤) ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم بن عبد الله المطلق، (ص ٢٤).

والموعظة الحسنة، ونحوها[1].

تنبيه: هناك علاقة وثيقة وصلة قوية بينهما، ولا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر؛ لأنه إذا وُجدت الوسيلة في الدعوة فلابد وجود الأسلوب لها، وإذا وُجد الأسلوب فلابد وجود الوسيلة التي من خلالها ينقل الأسلوب، فمثلا المسجد؛ إذا استخدم في الدعوة كوسيلة؛ فلابد أن يكون له أسلوب لاستخدامه، كأسلوب الموعظة الحسنة، أو الترغيب والترهيب، أو نحوها[2].

فالحاصل أن الداعية يسلك طريقا أو منهجا من خلال أداة معينة هي الوسيلة، يقودها بطريقة خاصة هي الأسلوب؛ لتحقيق غاية محددة وهي الهدف[3].

المطلب الرابع: حكم الوسائل والأساليب، هل هما توقيفية أم اجتهادية؟

الوسائل والأساليب للدعوة إلى الله حكمها جائزة ومشروعة بدليل الكتاب والسنة والإجماع، والمعقول[4].

قال الشيخ ابن عثيمين ﵀: ليس للوسائل حد شرعي فكل ما أدّى إلى المقصود، فهو مقصود ما لم يكن منهيًا عنه بعينه فإن كان منهيًا عنه بعينه فلا نقربه؛ فلو قال: أنا أريد أن أدعو شخصا بالغناء والموسيقي؛ لأنه يطرب لها ويستأنس بها وربما يكون هذا جذبا له فأدعوه بالموسيقي والغناء هل نبيح له ذلك؟ لا، لا يجوز أبداً، لكن إذا كانت وسيلة لم ينه عنه، ولها أثر فهذه لا بأس بها فالوسائل غير المقاصد وليس من اللازم أن ينص الشرع على كل وسيلة بعينها يقول هذه جائزة وهذه غير جائزة لأن الوسائل لا حصر لها، ولا حد لها، فكل ما كان وسيلة لخير فهو خير[5].

---

(١) ينظر: الدعوة في واقع المعاصر، أ.د. غازي المطيري (ص ١١٨).

(٢) ينظر: وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، حسين محمود (ص٢٧ و٣٠).

(٣) ينظر: وسائل الدعوة وأساليبها (ص٢٥). جامعة المدينة العالمية.

(٤) ينظر للتفصيل: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للمغذوي (٢/٦٦٤-٦٦٦).

(٥) لقاء الباب المفتوح مع الشيخ محمد بن عثيمين (رقم ١٥ ص ٤٩). نقلا من كتاب: الدعوة =

وقد اختلف العلماء والدعاة إلى الله في وسائل الدعوة وأساليبها هل هما توقيفية أم اجتهادية؟ فقال بعضهم: أنها توقيفية، وقال بعض: أنها اجتهادية(١).

والصحيح أن الوسائل الدعوة وأساليبها منها ما هو توقيفية، ومنها ما هو اجتهادية، فالتي جاء فيها النص القطعي الصريح، فهي توقيفية، والتي لم يرد فيها نص قطعي صريح فهي اجتهادية(٢).

فالحاصل أن الوسائل والأساليب المستخدمة في الدعوة إلى الله فحكمهما لا تخرج عن **ثلاث حالات**:

الحالة الأولى: النص على مشروعيتهما في الكتاب والسنة، فالحكم فيها توقيفي، أي توقيف من الله تعالى، لا يجوز لأحد منعها، أو تحريم استخدامها.

والحالة الثانية: النص على منعهما في الكتاب والسنة، فالحكم فيها توقيفي بمنع استخدامها، ولا يجوز لأحد مخالفة ذلك.

والحالة الثالثة: عدم النص عليهما بمشروعية أو منع في الكتاب والسنة، فالحكم فيها أنها اجتهادية بحسب ما تمليه المصالح المرسلة والقياس الصحيح، مع الأخذ بالاعتبار ببعض الضوابط الشرعية لذلك(٣).

****

=

إلى الله؛ لسعيد بن مسفر القحطاني (ص٢٤٠) دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(١) ينظر: الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية، عبد السلام بن برجيس آل عبد الكريم، (ص ٤٣ وما بعدها، ص:٥٤ وما بعدها)، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. وينظر أيضاً: وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، دراسة تأصيلية، حسين محمد عبد المطلب، (ص ٣١ وما بعدها).

(٢) ينظر: وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، حسين محمود (ص ٥٣). والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للمغذوي (٢/٦٧١).

(٣) المصدرين السابقين (ص٣١-٣٢)، (٢/٦٦٧-٦٦٨).

المبحث الأول:

وسائل الدعوة من خلال أحاديث الدراسة.

إن الدعوة إلى الله تعالى لها وسائل كثيرة ومتنوعة، وسوف تُذكر في هذا المبحث الوسائل التي جاء ذكرها في الأحاديث والآثار المخصصة للدراسة.

ويشتمل هذا المبحث على اثنتي عشرة وسيلة في اثني عشر مطلباً كالآتي:

المطلب الأول: المسجد.

المسجد هو بيت من بيوت الله، ولا يجوز فيه عبادة غير الله تعالى، كما قال جل شأنه: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾(١)، وله دور كبير في نشر الدين وتبليغه؛ لأن المسجد هو مسجد ومدرسة في وقت واحد، فالمسلمون فيه يتدارسون، ويتذاكرون، ويتعلمون، وكذلك يستفيدون فيه من حلقات القرآن الكريم، والدروس العليمة، وخطب الجمع، والمحاضرات والمواعظ الحسنة، وما إلى ذلك.

وقد جاء في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على أهمية المسجد، وفضل بنائه وإنشائه، والاهتمام به للعبادة والدعوة، ويظهر ذلك جليا بعمل النبي ﷺ حيث أنه لما هاجر إلى المدينة؛ فأوّل ما عمِل هناك هو تأسيس المسجد؛ وذلك لأهميته وضرورته في المجتمع المسلم من النواحي المختلفة.

فالمسجد كان قديما جامع المسلمين، وكانوا فيه يتشاورون، ويجتمعون لحل مشاكلهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالمسجد كان قديما مَسكن الفقراء والمساكين والمسافرين والمجاهدين، وكان يخرج منه قوافل الدعاة وجنود المجاهدين لتبليغ الدين ونشره إلى شتى أنحاء العالم، وهكذا كانت المسجد وسيلة عظيمة للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

فالمسجد في العصر الحاضر وإن لم يُستخدم لجميع الأمور السابقة، ولكن

---

(١) الجن: ١٨.

يستخدم لأغلبها في كثير من البلاد، بل يزداد دوره في الدعوة إلى الله بحيث تستعمل فيه الآن وسائل الاتصال الحديثة، كمكبر الصوت، والإذاعة وما إلى ذلك.

فاستخدام الوسائل الحديثة في المسجد لها دور بارز في نشر الدين وتبليغه خاصة في مجتمعات الأقليات، والمجتمعات المختلطة بالمسلمين وغيرهم، فالخطب والدروس تُلقى بمكبّرات الصوت حتى تصل الرسالة خارج المسجد إلى آذان غير المسلمين، فيتأثرون بها ويتعلمون كثيرا من الأشياء التي لا يعرفونها عن الإسلام، وهكذا للمسجد دور عظيم في دعوة المسلمين وغيرهم عبر استخدام الوسائل الاتصال الحديثة في المسجد. ولله الحمد والمنة.

تستفاد هذه الوسيلة من أثر عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي لَيْلَى، يَقُولُ: «لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا»(١).

فقد جاء في هذا الأثر ذكر المسجد، ثم جاء فيه ذكرُ بعض الأساليب التي تُستخدم خلال هذه الوسيلة، ألا وهي أسلوب التعليم والتعلّم، وأسلوب السؤال، وسيأتي بيانها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

ويستفاد أيضاً من أثر عمرو بن يحي، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- إِلَّا خَيْرًا... إلى آخر الأثر(٢).

فقد جاء في هذا الأثر أيضاً ذكر وسيلة الدعوة ألا هو المسجد، كما جاء فيه ذكر أسلوب إنكار المنكر باللسان، وأسلوب الموعظة الحسنة، وأسلوب الحوار.

---

(١) تقدم تخريج الأثر، وترجمة راويه (ص ٢١٣).

(٢) تقدم كامل الأثر مع تخريجه، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٢٥٦).

فهكذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، كانوا يستخدمون المسجد كوسيلة للدعوة إلى الله تعالى، كما يستخدمونه مكانا للعبادة.

المطلب الثاني: الخطبة والخطابة.

تعريف الخُطبة: "بضم الخاء كلام منثور مسجوع ومرسل، أو مزدوج بينهما، غايته التأثير والإقناع"(١).

وقيل في تعريفه: "إنها فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع، والاستمالة"(٢).

وقيل في تعريف الخطابة: "بأنها فنّ من فنون الكلام، يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معا"(٣).

لا شك أن الخطبة من الوسائل الحية في الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للداعية أن يعتني بالخطبة، ويحضر لها تحضيرا جيدا دقيقا مدللا بنصوص من الكتاب والسنة الصحيحة؛ لما لها من التأثير في قلوب المدعوين؛ ولأن الخطبة في الغالب يجتمع لها الجمع الغفير في معظم الأحيان(٤).

تستفاد هذه الوسيلة من عدة أحاديث وآثار الدراسة فيما رواها الإمام الدارمي ﵀، ومن بعضها فيما يلي:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ**

---

(١) منهج في إعداد خطبة الجمعة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، (ص ٧) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ.

(٢) مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، (عدد: ١٢، ص٢٠٣).

(٣) الخطابة في الإسلام وإعداد الخطيب الداعية، د. مصلح سيد بيومي، (ص١١)، مكتبة المجلد العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

(٤) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، د. سعيد القحطاني (١/٨٤).

قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «تَسَانَدَا، وَتَطَاوَعَا، ويسِّرا وَلَا تُنَفِّرَا» فَقَدِمَا الْيَمَنَ، فَخَطَبَ النَّاسَ مُعَاذٌ فَحَضَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي القرْآنِ ... الحديث[(٢)].

وعَنْ أَبِي الْمُهَلَّبِ[(٣)]: أَنَّ أَبَا مُوسَى رضي الله عنه قال فِي خُطْبَتِهِ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا، فَلْيُعَلِّمْهُ النَّاسَ، وَإِيَّاهُ أَنْ يَقُولَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَيَمْرُقُ مِنَ الدِّينِ وَيَكُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»[(٤)].

الشاهد في هذه الأحاديث أنه جاء ذكر الخطبة فيها، وقد كان النبي ﷺ يخاطب الناس، ويحثهم على التوحيد والأخلاق وعلى الخير كله، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستخدمون الخطبة كوسيلة دعوية، كما هو ظاهر من عمل معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

فالحاصل أن الخطبة والخطابة وسيلة عظيمة ونافعة جدا في الدعوة إلى الله؛ لأن لها تأثيراً عظيماً في نفوس الناس وقلوبهم، كما وضّحه النبي ﷺ في معرض حديثه عن الخطبة: **«إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»**[(٥)].

---

(١) تقدم كامل الحديث مع التخريج، وشرح غريبه وترجمة راويه (ص ٥٨).

(٢) تقدم كامل الحديث مع تخريجه، وشرح غريبه (ص ١٦٢).

(٣) هو أبو المهلب الجرمي البصري، عم أبي قلابة، اختلف في اسمه، قيل: عمرو، أو عبد الرحمن بن معاوية، وقيل غير ذلك، ثقة من كبار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، إلا البخاري فروى له في الأدب المفرد. يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٠/٧)، تهذيب الكمال للمزي (٣٢٩/٣٤).

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٩٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح والطب، باب الخطبة، وباب إن من البيان لسحرا (١٩/٧، ١٣٨، رقم: ٥١٤٦، ٥٧٦٧) عن ابن عمر. وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٤/٢، رقم: ٨٦٩) عن عمار بن ياسر.

المطلب الثالث: اتخاذ المكان المرتفع.

المقصود من هذه الوسيلة: أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتخذ مكانا مرتفعا لإلقاء الكلمة أو الخطبة، كالمنبر، أو المنصة، أو العريش، أو نحوها، لكي يصل صوته إلى مكان بعيد، ويراه الناس أثناء إلقاء الخطبة حتى يفهمون لغة جسده؛ لأن لغة الجسد له تأثير يختلف عن تأثير الصوت؛ فهكذا صار المنبر وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

وكان قديما من مقاصده: إيصال الصوت والرسالة إلى بعيد، ولكن في هذا الزمن جاءت بدائله من آلات حديثة لإيصال الصوت إلى مكان بعيد جداً حتى إلى أقصى العالم، كالمكروفون، والإذاعة والتلفاز، والشبكة العنكبوتية (الإنترنيت) وما إلى ذلك، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذه الوسائل الحديثة، ويستخدمها في مجال الدعوة إلى الله؛ لإيصالها إلى كافة الناس.

تستفاد هذه الوسيلة من حديث الحسَن بن أبي الحسن ﷺ، فيما رواه الإمام أبو محمد الدارمي ﷺ عنه، أنه قال: لَمَّا أَنْ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، جَعَلَ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى خَشَبَةٍ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ، فَكَثُرُوا حَوْلَهُ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُسْمِعَهُمْ، فَقَالَ: «**ابْنُوا لِي شَيْئًا أَرْتَفِعُ عَلَيْهِ**»، قَالُوا: كَيْفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «**عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى**» فَلَمَّا أَنْ بَنَوْا لَهُ، قَالَ الْحَسَنُ: حَنَّتْ -وَاللَّهِ- الْخَشَبَةُ، قَالَ الْحَسَنُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، هَلْ تُبْتَغَى قُلُوبُ قَوْمٍ سَمِعُوا؟[1]. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَعْنِي هَذَا.

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم النبي ﷺ من حنين المنبر (١/١٨١، رقم: ٣٨)، قال الداراني: مرسل إسناده صحيح.

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٩): هذا مرسل، يعضده ما تقدم من أحاديث الباب، أنظر رقم (٣١) وما بعده، وأخرجه أبو يعلى (١٤٢/٥، رقم ٢٧٥٦) وابن حبان (الإحسان ٤٣٦/١٤، رقم:٦٥٠٧).

شرح غريب الحديث:

=

ففي هذا الحديث جاء ذكر هذه الوسيلة، أن النبي ﷺ لما قدِم المدينة، وكان يخاطب الناس، ويحدّثهم عن مسائل الدين وأحكامه، ولكن لما كثر عددهم حوله ﷺ فلم يسمعوا صوته، فأراد النبي ﷺ أن يُسمعهم صوته، فأمر ﷺ أن يُبنى له شيء مرتفع، كعريش أو منبر أو نحوها، فبنوا له ما أمر به النبي ﷺ.

وجاء في رواية أخرى عند الدارمي أيضاً: ... "فقال له رجل من أصحابه: أَلَا نَجْعل لك عريشا تقوم عليه يراك الناس يومَ الجمعة، وتُسْمِع من خطبتك؟ قال: «**نعم**»" الخ[1]. فهذا يدل على أن المنبر كان يُستخدم لمقصدين عظيمين: الأول: لكي يرى الناسُ الخطيبَ فهذا يساعد على فهم لغة الجسد، والثاني: لكي يُسمع صوته بشكل جيد فهذا يساعد على فهم لغة المقال.

وقد جاء ذكر هذه الوسيلة في حديث الْعَبَّاس رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فيما رواه الإمام الدارمي ﷺ عنه، أنه قال: لَأَعْلَمَنَّ مَا بَقَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَاهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَآذَاكَ غُبَارُهُمْ، فَلَوِ اتَّخَذْتَ عَرِيشًا تُكَلِّمُهُمْ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**لَا أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَطَؤُونَ عقِبِي، وَيُنَازِعُونِي رِدَائِي حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِيحُنِي مِنْهُمْ**» قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ بَقَاءَهُ فِينَا قَلِيلٌ[2].

وقد جاء ذكر هذه الوسيلة في أثر طاوس فيما رواه الإمام الدارمي ﷺ عنه أنه قال: قَالَ عُمَرُ رِضْوانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَلَى الْمِنْبَرِ: «أُحَرِّجُ بِاللَّهِ عَلَى رَجُلٍ سَأَلَ عَمَّا لَمْ

=

«**تُبتغَى**»: الاستفهام إنكاري، أي لا يبتغي الشيطان قلوبهم، يئس لقوة إيمانهم. قاله الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٩).

«**حَنَّتْ**»: أَيْ نَزَع واشْتاق. وَأَصْلُ الحَنِين: تَرْجيع النَّاقَةِ صَوْتَها إثْرَ ولَدِها. (النهاية ١/٤٥٢).

(١) سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم النبي ﷺ من حنين المنبر (١/١٨٠، رقم: ٣٦)، قال الداراني: إسناده حسن من أجل عبد الله بن محمد بن عقيل.

تنبيه: هذا الحديث ليس من أحاديث الدراسة.

(٢) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه (ص ٢٠٦).

يَكُنْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ مَا هُوَ كَائِنٌ»(١).

فالحاصل من هذين الحديثين والأثر: أن النبي ﷺ كان يتخذ مكانا مرتفعا لإيصال الصوت إلى مكان بعيد، وكذلك الصحابة ﭫ، والتابعون ومن تبعه بإحسان، فلذلك ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذه الوسائل وبدائله لنشر الدين وتبليغه.

المطلب الرابع: التعليم والتعلّم.

التعليم والتعلّم من أنفع الوسائل وأعظمها للدعوة إلى الله تعالى، ويكفي لبيان أهميته أنّ أوّل ما نزل على النبي ﷺ من الوحي هو ليس بيان التوحيد والصلاة والزكاة وما إلى ذلك، بل هو أمر القراءة والتعليم، قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾(٢).

ففيه هذه الآيات الكريمة أمر سبحانه وتعالى نبيَّه ﷺ بالتعليم والقراءة، كما أخبر فيه عن وسيلة تعليمية ألا هو القلم، فالعلم والتعلم ووسائله كالقلم كلها من وسائل الدعوة، ينبغي للداعية الحصيف أن يستفيد من هذه الوسائل النافعة.

تُستفاد هذه الوسيلة من كثير أحاديث الدراسة وآثارها، منها أثر أَبِي مُوسَى ﭬ، أَنَّه قَالَ، فِي خُطْبَتِهِ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا، فَلْيُعَلِّمْهُ النَّاسَ، وَإِيَّاهُ أَنْ يَقُولَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، فَيَمْرُقُ مِنَ الدِّينِ وَيَكُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»(٣).

ومنها أثر عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﭬ أنَّه قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَالْبِدَعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»(٤).

ومنها: أثر الزُّهْرِيِّ ﭬ أنَّه قال: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٠٣).

(٢) العلق: ١ — ٥.

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩٠).

(٤) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه (ص ١٤٨).

الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ»[1].

فهذه الآثار كلها تدل على أن التعليم والتعلّم من أهم وسائل دعوة الدين ونشره وتبليغه، ففي أثر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: مَن عَلِم عِلماً، فعليه أن يُعلّمه للناس، فكأنه من تعلَّم مسائل التوحيد أو أحكام الصلاة وغيرها من أحكام الدين فعليه أن يعلمه للناس، فهذا هو دعوة الدين ونشره وتبليغه، ثم حذر أبو موسى رضي الله عنه عن الكلام بغير علم بقوله: وَإِيَّاهُ أن يقول ما لا علم له به.

وفي أثر ابن مسعود رضي الله عنه: "تعلّموا العلم قبل أن يقبض"، فكأنه حثّ على طلب العلم قبل أن يذهب أهله، ثم حذّر عمّا يضاده من البدع والتعمق والتنطّع.

وفي أثر الزهري رضي الله عنه: "الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يُقبض قبضا سريعا" فكأنه أيضا حثّ على طلب العلم قبل قبضه، ثم أكّده بقوله: "وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله" أي ذهاب الدين والدنيا، ولذا يجب تعلّم العلم قبل أن يُقبض؛ لأنه من أهم وسائل الدعوة وأعظمها وأنفعها، نسأل الله علما نافعا.

المطلب الخامس: اللغات.

إن معرفة اللغة وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى؛ فالداعية إذا لم يعرف لغة المدعوين فكيف يخبرهم عن الدين والدعوة؟؛ إذا فلا يستطيع إيصال الدين إليهم إلا بمعرفة لغتهم، أو باتخاذ الترجمان بينه وبينهم، فمعرفة لغة المدعوين من أهم الوسائل الدعية.

تستفاد هذه الوسيلة من أثر ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ -عليهم السلام- وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، ... قالوا: فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ -عليهم السلام-؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[2] الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٥).

(٢) إبراهيم: ٤

إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[١] فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ[٢].

الشاهد في هذا الأثر هو قوله: ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾؛ فقد جاء فيه ذكر اللسان، والمراد به اللغة التي ينطق بها القوم أي المدعوين. فلا بد معرفة لسان قوم المدعوين.

قال السمعاني في تفسير هذه الآية: والحكمة في هذا: هو أنه إذا أرسله بلسان قومه عقلوا قوله، وفهموا عنه، فإن قال قائل: إن الله تعالى بعث النبي إلى كل الخلق على ما قال: «بعثتُ إلى الأحمر والأسود»[٣] ولم يبعث بلسان كل الخلق؟ والجواب عنه: أن سائر الخلق تبع العرب في الدعوة، وقد بعث بلسانهم ثم إنه بعث بالرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله، وترجم لهم قوله[٤]. انتهى.

وقال الشوكاني: "ووحّد اللسان؛ لأن المراد بها اللغة. وقد قيل: في هذه الآية إشكال؛ لأن النبي ﷺ أُرسل إلى الناس جميعا، بل إلى الجن والإنس، ولغاتهم متباينة وألسنتهم مختلفة. وأجيب بأنه وإن كان ﷺ مرسلا إلى الثقلين لكن لما كان قومه العرب وكانوا أخص به وأقرب إليه كان إرساله بلسانهم أولى من إرساله بلسان غيرهم، وهم يُبَيِّنونه لمن كان على غير لسانهم، ولو نزل القرآن بجميع لغات من أرسل إليهم، وبيَّنه رسول الله لكل قوم بلسانهم؛ لكان ذلك مظنّة للاختلاف، وفتحا لباب التنازع؛ لأن كل أمة قد تدَّعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وربما كان ذلك أيضا مفضيا

---

(١) سبأ: ٢٨

(٢) تقدم تخريج الحديث (ص ٦٨).

(٣) سنن الدارمي، كتاب السير، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا (١٦٠٣/٣، رقم: ٢٥١٠)، قال المحقق: إسناده صحيح، وصححه الألباني أيضاً في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣١٧/١)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ.
تنبيه: هذا الحديث ليس من الأحاديث المخصصة للدراسة.

(٤) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد المروزي السمعاني التميمي، (١٠٣/٣) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوي الباطلة التي يقع فيها المتعصبون"(١).

فالحاصل أن معرفة لغة قوم المدعوين من أهم المهمات، ومن أهم الوسائل الدعوية؛ فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بها، ويتعلم لغة المجتمعات التي حالتهم تقتضي إلى ضرورة الدعوة إليهم. فنسأل الله أن يوفقنا خدمة دين الإسلام بشتى الوسائل الملائمة والمناسبة للمجتمعات البشرية، آمين.

المطلب السادس: إرسال الدعاة.

إن إرسال الدعاة إلى المدن والمناطق والبلدان والأقطار من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فالمناطق التي توجد فيه المنكرات من البدع والشرك والخرافات؛ فينبغي للعلماء والدعاة أن يتوجهوا إليها، أو ينبغي للسلطان أن يرسل الدعاة إليها، لكي يبلغوا إليهم دين الحق، ويوضّحوا لهم الفرق بين الحق والباطل، ويقيموا علهم الحجة.

تستفاد هذه الوسيلة الدعوية من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، فيما رواه الإمام الدارمي ﷺ عنه أنه قال: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «تَسَانَدَا، وَتَطَاوَعَا، ويسِّرا وَلَا تُنَفِّرَا» فَقَدِمَا الْيَمَنَ، فَخَطَبَ النَّاسَ مُعَاذٌ فَحَضَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، ... الحديث(٢).

فالحديث صريح في أن النبي ﷺ أرسل دعاةً إلى شتى البلاد؛ لنشر الدين وتبليغه، ومنهم: معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري ﷺ فأرسلهما إلى اليمن كما هو واضح في هذا الحديث، كما أرسل إلى مناطق أخرى من الصحابة الآخرين، فأرسل إلى بعض قبائل العرب سبعين من القرّاء؛ فحصل معهم حادثة كبرى، وهو من أعظم الحوادث في تاريخ الدعوة الإسلامية.

فروى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ

---

(١) تفسير فتح القدير (١١٢/٣).

(٢) تقدم كامل الحديث مع تخريجه، وشرح غريبه (ص ١٦٢).

لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا**»[1].

فالحديث صريح في هذه المسألة حيث أن النبي ﷺ أرسل الدعاة إلى المناطق المتعددة حسب ما دعت الحاجة إليه، فأرسل إلى رعل وذكوان وغيرهما سبعين من القراء؛ إذ جاء بعض رجال منهم إلى النبي ﷺ فطلبوا منه «أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ» ولكن غدروا هؤلاء، ونقضوا ميثاقهم، وغشوا النبي ﷺ والمسلمين، فقتلوهم جميعاً رضي الله عنهم، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، وقنت شهرا في صلاة الغداة، ولم يدع على غيرهم مثله؛ لأنهم قتلوا أناسا الذين هم أحسن الناس قولا وعملا، ألا وهم دعاة إلى الله تباك وتعالى.

المطلب السابع: إرسال الرسائل.

إن من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى إرسال الرسائل والكتابات إلى الناس، خاصة إلى الملوك والأمراء؛ لأن الناس يقتدونهم ويمشون خلفهم، كما قيل: "الناس على دين ملوكهم"، ويؤيد هذه المقولة أثر حَيَّةَ بِنْتِ أَبِي حَيَّةَ فيما رواه الإمام الدارمي عنها، أنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بِالظَّهِيرَةِ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: «أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي فِي بُغَاءٍ لَنَا فَانْطَلَقَ صَاحِبِي يَبْغِي وَدَخَلْتُ أَنَا أَسْتَظِلُّ بِالظِّلِّ وَأَشْرَبُ مِنَ الشَّرَابِ». فَقُمْتُ إِلَى لُبَيْنَةٍ حَامِضَةٍ –ورُبَّما قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَى ضَيْحَةٍ حَامِضَةٍ–

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان إلخ (٥/١٠٥، برقم: ٤٠٩٠). وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسِّير، باب ثبوت الجنة للشهيد (٣/١٥١١، برقم ٦٧٧) واللفظ له.

فَسَقَيْتُهُ مِنْهَا، فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ. قَالَتْ: وَتَوَسَّمْتُهُ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: «أَنَا أَبُو بَكْرٍ». قُلْتُ: أَنْتَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَتْ: فَذَكَرْتُ غَزْوَنَا خَثْعَمًا، وَغَزْوَةَ بَعْضِنَا بَعْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْأُلْفَةِ وَأَطْنَابِ الْفَسَاطِيطِ -وَشَبَّكَ ابْنُ عَوْنٍ أَصَابِعَهُ، وَوَصَفَهُ لَنَا مُعَاذٌ، وَشَبَّكَ أَحْمَدُ- فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ حَتَّى مَتَى تَرَى أَمْرَ النَّاسِ هَذَا؟ قَالَ: «مَا اسْتَقَامَتِ الْأَئِمَّةُ»، قُلْتُ: مَا الْأَئِمَّةُ؟ قَالَ: «أَمَا رَأَيْتَ السَّيِّدَ يَكُونُ فِي الْحِوَاءِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ؟ فَمَا اسْتَقَامَ أُولَئِكَ»(١).

الشاهد في هذا الأثر هو قوله الأخير «أَمَا رَأَيْتَ السَّيِّدَ يَكُونُ فِي الْحِوَاءِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ؟»، فهذا يدل على أن الناس يتبعون الأمراء والملوك؛ فلذا يجب دعوة الملوك إلى دين الإسلام سواء كانت بإرسال الرسائل، أو بوسيلة أخرى؛ لكي يأتي خلفهم رعاياهم ويتبعونه في قبول الحق، كما أرسل سليمان عليه السلام كتاباً إلى ملكة بلقيس، فقبلت دعوته إلى الحق، ثم تبعها رعاياها، وكذلك أرسل النبي ﷺ الرسائل إلى الملوك، كالمقوقس، كسرى، وقيصر، وغيرهم.

تستفاد هذه الوسيلة من أثر شُرَيْحٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنْ جَاءَكَ شَيْءٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَاقْضِ بِهِ وَلَا تَلْفِتْكَ عَنْهُ الرِّجَالُ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَانْظُرْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاقْضِ بِهَا ...» إلخ(٢).

الشاهد في هذا الأثر هو قوله: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه» فهذا يدلّ على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستخدمون الرسالة والكتاب كوسيلة للدعوة والإرشاد والتوجيه، فاتباعا للسلف الصالح ينبغي لمعاشر الدعاة أن يستخدموا هذه الوسيلة لنشر الدين وتبليغه، وقد سهل استخدام هذه الوسيلة في هذا الزمن سهلا ميسرا؛ حيث تتنوع أشكال الرسالة باستخدام الوسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة، كالفيس بوك، أو تويتر، أو واتساب، أو الرسائل النصية باستخدام الجوال، أو البريد الإلكتروني، وما إلى ذلك

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه (ص ٢١٦).
(٢) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١١٣).

من وسائل كثيرة، ومن ميزة هذه الوسائل أنها رخيصة، ومسرعة، وفي عدة ثوان ممكن ترسل إلى آلاف الناس، بل إلى الملايين.

المطلب الثامن: الوصيّة.

الوصية في اللغة: الْوَصِيَّةُ مشتقة من وَصَيْتُ الشَّيْءَ -بالتخفيف- أُوصِيهِ إِذَا وَصَّلْتَهُ، وَسُمِّيَتْ وَصِيَّةً؛ لِأَنَّ الميِّتَ يَصِلُ بها ما كان في حياته بعد مماته، ويُقال: وَصِيَّةٌ -بِالتَّشْدِيدِ-، وَوَصَاةٌ -بِالتَّخْفِيفِ- بِغَيْرِ هَمْزٍ(١).

قال ابن فارس: "وصي" الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل شيء بشيءٍ، وَوَصَيتُ الشيء وصلتُهُ(٢).

الوصية في الشرع: تمليك مضاف إلى ما بعد الموت(٣). أو عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت، وتطلق شرعا أيضا على ما يقع به الزجر عن المنهيات، والحث على المأمورات(٤).

فالحاصل مما سبق أن لفظ الوصية مشترك بين التذكير، والاستعطاف، وبين الأمر؛ فيتعيّن حمله على الأمر، ويقوم مقامه كلُّ لفظ فيه معنى الأمر، كما قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾(٥)، أي يأمركم(٦).

فالوصية تعتبر وسيلة نافعة في الدعوة إلى الله، سواء كانت هذه الوصية من والد إلى أولاده، أو من العالم إلى عامة الناس، أو كانت هذه الوصية بشكل مكتوب، كتبه

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/١٨٧). ولسان العرب لابن منظور (مادة: وصى) (١٥/ ٣٩٤). وفتح الباري لابن حجر (٥/٣٥٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/١١٦). (مادة: وصي)

(٣) ينظر: كتاب التعريفات للجرجاني (ص: ٢٥٢). و عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، (١٤/٢٦) دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٥/٣٥٥).

(٥) النساء: ١١.

(٦) ينظر: المصباح المنير للفيومي (٢/٦٦٢).

أحد قبل موته، وهي مشتملة على النصائح القيمة والمواعظ النافعة؛ ففي جميع الأحوال هي وسيلة مفيدة في الدعوة إلى الله.

ويزداد أهمية هذه الوسيلة باعتبار أن الإنسان إذا مات وترك الوصية المشتملة على المواعظ والنصائح، فأهله لن يهملوها ولن يغفلوا عنها، بل يريدون تطبيقها وتنفيذها حسب استطاعتهم.

تستفاد هذه الوسيلة من عدة آثار الدراسة، فيما رواها الإمام الدارمي ﷺ، فروى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، فَقُلْتُ أَوْصِنِي. فَقَالَ: نَعَمْ، «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»[1].

وعَنْ وَاصِلٍ، عَنِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: عَائِذَةُ، قَالَتْ: رَأَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ يُوصِي الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيَقُولُ: «مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ مِنَ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ، فَالسَّمْتَ الْأَوَّلَ السَّمْتَ الْأَوَّلَ، فَإِنَّكُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ»[2].

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ[3]: "السَّمْتُ: الطَّرِيقُ".

ففي هذين الأثرين جاء ذكر الوصية عن الصحابة ﷺ، فهذا عبد الله بن عمر ﷺ كان يوصي بتقوى الله، والاستقامة، ويمنع من الابتداع في الدين بل يحث على الاتباع، وكذلك عبد الله بن مسعود ﷺ يوصي الرجال والنساء، ويحثّ الناس على اتباع طريقة السلف.

وهكذا نجد كثيرا من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من العلماء والدعاة كانوا يوصون بالتقوى، والاستقامة، واتباع الكتاب والسنة.

وهناك وصايا كثيرة تثبت عن النبي ﷺ للأمة، ومن جملتها ما رواه الإمام الدارمي

---

(١) تقدم تخريج الأثر (ص ١٦٦).

(٢) تقدم تخريج الأثر، وترجمة راويه (ص ١٠٤).

(٣) هو شيخ المصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبه. كما صرّح بذلك الغمري في فتح المنان (٢٨١/٢). ويحتمل أن يكون هو المصنف نفسه؛ لأن اسمه أيضا عبد الله، ومن منهجه أيضا في تصنيف الكتاب أنه يذكر أحيانا معاني غريب الألفاظ. والله تعالى أعلم.

وغيره عن عرباض بن سارية ﷺ قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؟ فَأَوْصِنَا. فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**»(١).

وروى الشيخان في وصية النبي ﷺ عن طَلْحَة بْن مُصَرِّفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى ﷺ هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟ فَقَالَ: «لاَ»، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِالوَصِيَّةِ؟ قَالَ: «أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ»(٢).

فالحاصل أن الوصية وسيلة نافعة ومفيدة في الدعوة إلى الله، ولذا نجد عن كثير من علماء السلف أنهم أوصوا للمسلمين بوصايا قيمة ونافعة، كوصية الإمام أحمد بن حنبل لأهله ولعامة المسلمين(٣)، ووصية شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ لأتباع عدي بن مسافر ولعامة المسلمين(٤)، ووصية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ(٥)، ووصية

---

(١) تقدم تخريج الحديث (ص ١١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا وفضائل القرآن، باب الوصايا وقول النبي ﷺ «وصية الرجل مكتوبة عنده» وباب الوصية بكتاب الله، (٢/٤، ٦/١٩١، برقم:٢٧٣٨، ٥٠٢٢). وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، (٣/١٥٥٦، رقم: ١٦٣٤).

(٣) ينظر وصيته في: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٤/٤٢١) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م. وحلية الأولياء (٩/٢١٢)، وتاريخ دمشق (٥/٣٢٦)، والمناقب لابن الجوزي (ص٥٠٠).

(٤) ينظر: وصية شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي، المسمى بالوصية الكبرى، بتحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان ضميرية، ط: مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

(٥) يمكن يسمع وصيته في موقع:
http://www.youtube.com/watch?v=u3BZiwde9oU

الشيخ ابن عثيمين ﵀(١)، ووصية الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ﵀(٢)، وغيرها من الوصايا لعلماء الأمة الإسلامية.

المطلب التاسع: الهجر.

الهَجْرُ في اللغة: ضدُّ الوَصْلِ. هَجَره يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْراناً: صَرَمَه، وهَجَرَ الشيءَ وأَهْجَرَه. تَرَكَهُ. وهَجَر الرجلُ هَجْراً إِذا تَبَاعَدَ ونَأَى.

اللَّيْثُ: الهَجْرُ مِنَ الهِجْرانِ، وَهُوَ تَرْكُ مَا يَلْزَمُكَ تَعَاهُدُهُ(٣).

قال ابن فارس: الهاء والجيم والراء أصلانِ يدلُّ أحدهما على قطيعةٍ وقَطْعٍ، والآخر على شَدِّ شيءٍ ورَبْطِه. فالأوَّل الهَجْر: ضِدُّ الوصل. وكذلك الهِجْران. وهاجَرَ القومُ مِن دارٍ إلى دارٍ: تَرَكُوا الأولى للثانية، كما فَعَل المهاجِرُون حين هاجروا من مكة إلى المدينة(٤).

والهَجْر في الشرع:

قيل: الهجر: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب(٥).

---

(١) يمكن يسمع وصيته في موقع:
http://www.youtube.com/watch?v=RYDm8n4vNXw

(٢) ينظر وصيته في: تفريغ سلسلة الهدى والنور للشيخ الألباني، (٢٨/٧٣٧). وعلى موقع تراث الشيخ الألباني: http://www.alalbany.net/3544 تاريخ: ٢٠١٤/٨/٨م. وأما الوصية الخاصة لأهله ومحبيه المتعلقة بشخصيته ومكتبته فهي، ينظر على موقع مجلس الألوكة: http://majles.alukah.net/t27589/ تاريخ ٢٠١٤/٨/٨م.

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/٢٥٠-٢٥٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٦/٣٤).

(٥) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ص٨٣٣)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ. و التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، (ص ٣٤٢)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

وقيل: مقاطعة الإنسان غيره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷀ: الهجر الشرعي نوعان: أحدهما بمعنى الترك للمنكرات. والثاني بمعنى العقوبة عليها.

فالأول: هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(١)، فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة، وهذا الهَجر من جنس هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات. كما قال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»(٢)، ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان.

النوع الثاني: الهجر على وجه التأديب وهو هجر من يظهر المنكرات يهجر حتى يتوب منها كما هجر النبي ﷺ والمسلمون: الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعيَّن عليهم بغير عذر(٣).

حكم الهجر: ذهب العلماء إلى مشروعية هجر المجاهرين بالمعاصي والمنكرات، أو البدع والأهواء؛ لحق الله تعالى، على سبيل الزجر والتأديب(٤).

قال البغوي: "فأما هجران أهل الْعِصْيَان، وأهل الريب في الدّين، فشرع إلى أَن تَزُول الرِّيبة عن حالهم، وتظهر تَوْبَتهمْ"(٥).

قال المناوي: "يحرم هجر المسلم فوق ثلاث، ويجوز ما دونها؛ لأن الآدمي جبل على الغضب، فعفي عن الثلاث؛ ليذهب ذلك العارض، وأن السلام يقطع الهَجر

(١) الأنعام: ٦٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (١٠٢/٨، رقم ٦٤٨٤).

(٣) فتاوى ابن تيمية (٢٠٣/٢٨-٢٠٤).

(٤) ينظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٤٤/١) دار عالم الكتب، بدون ذكر سنة الطبع والبلد. والأحكام في خلاصة هجر المسلم، لعلي بن نايف الشحود (ص ٤١) دار المعمور، بهانج ماليزيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٥) شرح السنة (١٠١/١٣).

ويرفع الإثم، ولو بنحو مكاتبة، أو مراسلة كما أن تركه يزيد الوحشة"(١).

ويجوز هَجر العاصي فوق الثلاث أيضا عند الحاجة والمصلحة؛ للتعزير والتأديب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وكما رخص في هجر الثلاث. فينبغي أن يفرَّق بين الهجر لحق الله وبين الهجر لحق نفسه. فالأول مأمور به والثاني منهي عنه؛ لأن المؤمنين إخوة"(٢) ثم ذكر ﷺ بعض الأحاديث في هذا الشأن.

قال العلامة بكر أبو زيد ﷺ: " وأن مشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة"(٣).

والهجر وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، وذلك باعتبار أنه سبب لمنع الإنسان عن المنكرات والمحرمات، أو أنه من جنس "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

تستفاد هذه الوسيلة من عدة آثار، فروى الإمام الدارمي عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ عُمَرُ: «أَبْصِرْ أَنْ يكونَ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «تَسْأَلُ مُحْدَثَةً»، فأرْسلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ، فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فقالَ صَبِيغٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِي، فَقَدْ وَاللَّهِ بَرَأْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ،

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي، (٤٣٩/٦) المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٧/٢٨-٢٠٨).

(٣) هجر المبتدع، بكر أبو زيد، (ص٤٩)، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ: أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ: أَنِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ[1].

ففي هذا الأثر جاء ذكر كِلا النوعين السابقين للهجر:

فالأول: الترك للمنكرات، فقد حذّر عمر بن الخطاب ﷺ عن مجالسة هذا الرجل الخائض في آيات الله؛ لكي لا يتأثر الناس عن أفكاره الفاسدة.

والثاني: الهجر للتأديب والتعزير؛ فحذّر عمر بن الخطاب ﷺ عن مجالسته لكي يؤدّب هذا الرجل ويعزّره، فاشتد الهجر عليه حتى حسنت توبته، ثم أذن بمجالسته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات[2].

فهذا الرجل قد ظهر منه فعل المحرَّم، كان يسأل عن متشابه القرآن -كما تقدم في أثر سليمان بن يسار[3]-، والله سبحانه وتعالى ذمَّ الذين يتبعون المتشابهات من الآيات، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾[4]، وكان الرجل يخوض في آيات الله، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن الخوض في آياته، قال

---

(١) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه (ص ٢٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٥).

(٣) والأثر هو: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ ﷺ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَضَرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، «فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ،» فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.

تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٢٤٢).

(٤) آل عمران: ٧.

تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾[1].

ولهذا كان السلف الصالح يكرهون الخوض في آيات الله، وكانوا يمنعون من مجالسة أصحاب الخصومات فروى الإمام الدارمي عن محمد بن علي، قال: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ فَإِنَّهُمْ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ»[2].

فالحاصل أن الهجر وسيلة نافعة من وسائل الدعوة إلى الله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: وفي هجرة التعزير والجهاد: هجرة الثلاثة الذين خلفوا وأمر المسلمين بهجرهم حتى تيب عليهم. فالهجرة تارة تكون من نوع التقوى إذا كانت هجرا للسيئات، ... وتارة تكون من نوع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود[3].

فهذا يدل على أن الهجر أو الهجران هي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، ولكن تستخدم هذه الوسيلة حينما تكون المصلحة راجحة على المفسدة، ويكون الهجر أنفع من التأليف، أو يكون الهجر سببا لمنعه من المنكرات[4].

المطلب العاشر: تأليف القلب بالمال.

المقصود عن التألُّف: المُداراةُ والإِيناسُ ليَثْبُتوا على الإِسلام رغبة فيما يصِل إليهم من المال[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "والمؤلفة قلوبهم نوعان: كافر ومسلم.

---

(١) الأنعام: ٦٨.

(٢) تقدم تخريج الأثر مع ترجمة راويه (ص ٢٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١١/٢٨).

(٤) من أراد التفصيل في هذا الموضوع فليراجع: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠٣/٢٨-٢٢٢). وهجر المبتدع، للعلامة بكر أبو زيد، وهو كتاب مختصر جامع ونافع في هذا الباب. والخلاصة في أحكام هجر المسلم، جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٠/١) (مادة ألِف). ولسان العرب لابن منظور (١١/٩) مادة (ألف).

فالكافر: إما أن يرجى بعطيته منفعة: كإسلامه؛ أو دفع مضرته إذا لم يندفع إلا بذلك.

والمسلم المطاع: يرجى بعطيته المنفعة أيضا كحسن إسلامه، أو إسلام نظيره أو جِباية المال ممن لا يعطيه إلا لخوف أو النكاية في العدو. أو كفُّ ضرره عن المسلمين إذا لم ينكفَّ إلا بذلك. وهذا النوع من العطاء وإن كان ظاهره إعطاء الرُؤَساء وترك الضعفاء كما يفعل الملوك؛ فالأعمال بالنيات؛ فإذا كان القصد بذلك مصلحة الدين وأهله كان من جنس عطاء النبي ﷺ وخلفائه، وإن كان المقصود العلو في الأرض والفساد كان من جنس عطاء فرعون"[1].

قد يقول قائل: تأليف القلوب، هل هي وسيلة أم أسلوب؟

فيقال: تأليف القلوب في ذاته أسلوب، ولكنه إذا أضيف معه شيء مادي أو شيء محسوس كالمال، ينتقل من الأسلوب إلى الوسيلة، فيقال: إن التأليف بالمال وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، وأما التأليف بالشيء المعنوي، كالتأليف بالثناء على المدعو، فيقال له أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى. هذا والله تعالى أعلم.

قال الله سبحانه وتعالى في بيان هذه الوسيلة والأسلوب: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

ففي هذه الآية جاء ذكر التأليف المعنوي -وهو الأسلوب-، والتأليف المادي -وهو الوسيلة-، فقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ فإنه تأليف معنوي، وهو يُسمى بالأسلوب، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ فهذا فيه ذكر التأليف المادي، وهو يُسمّى بالوسيلة. والله أعلم بالصواب.

تستفاد هذ الوسيلة من عدة أحاديث، منها حديث عبد الله بن أبي بكر، فروى

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٩٠).

(٢) الأنفال: ٦٣.

الإمام الدارمي عنه، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ: زَحَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَفِي رِجْلَيَّ نَعْلٌ كَثِيفَةٌ، فَوَطِئْتُ بِهَا عَلَى رِجْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَفَحَنِي نَفْحَةً بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي**»، قَالَ: فَبِتُّ لِنَفْسِي لَائِمًا أَقُولُ: أَوْجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي كَانَ مِنِّي بِالْأَمْسِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مُتَخَوِّفٌ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي، فَنَفَحْتُكَ نَفْحَةً بِالسَّوْطِ، فَهَذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً، فَخُذْهَا بِهَا**»[(١)].

فالحديث صريح في أن النبي ﷺ أعطى له مالا وهو "ثمانون نعجة" تأليفا لقلبه، وقد جاء ذكر هذه الوسيلة في الكتاب والسنة، وأما في الكتاب فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[(٢)].

وأما في السنة فروى الشيخان عن أَنَسٍ ﷺ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي أُعْطِي قُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ، لِأَنَّهُمْ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ**»[(٣)].

فالحاصل من هذه النصوص أن التأليف وسيلة نافعة في الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذه الوسيلة حسب ما تقتضي أحوال المدعوين.

المطلب الحادي عشر: تطبيق الشريعة بتنفيذ الحدود أو القصاص.

إن نفاذ الحدود الشرعية وسيلة نافعة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وقد يقول قائل: كيف تكون الحدود وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله؟ فأجيب عنه: إن الدعوة إلى الله تعالى إما تكون "أمرا بالمعروف"، أو "نهيا عن المنكر"، فنفاذ الحدود أيضاً من قبيل "النهي عن المنكر"، فالنهي عن المنكر إما أن يكون باليد، أو

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه (ص ٢١٠).

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٩٣/٤، رقم: ٣١٤٦). وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٧٣٣/٢، رقم: ١٠٥٩).

باللسان، أو بكرهه في القلب، ولا شك أن نفاذ الحدود من قبيل "إنكار المنكر باليد"، وهو أعظم مرتبة من مراتب إنكار المنكر، وإذا كان هو من أعظم مراتب إنكار المنكر فيكف لا يكون هو وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى؟ بل هو وسيلة عظيمة ونافعة ومؤثرة.

تستفاد هذه الوسيلة الدعوية من حديث حَبِيبِ بْنِ خُدْرَةَ فيما رواه الإمام الدارمي عنه، أنه قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي حُرَيْشٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ أَبِي حِينَ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ الْحِجَارَةُ، أُرْعِبْتُ، فَضَمَّنِي إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ[1].

الشاهد في هذا الحديث هو أنه جاء فيه ذكر الرجم، وهو حدّ من حدود الله؛ للثيب الزاني، كما قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[2].

فقد جاء في هذا الحديث ذكر الحدود والقصاص، وهي وسيلة عظيمة لحفظ حقوق الإنسان من الأعراض، والنفوس، والدِّين، كما هو وسيلة نافعة للدعوة إلى الله، باعتبار أنه سبب عظيم لقيام الأمن في المجتمع؛ لأنه يمنع الناس عن الاعتداء والظلم والجور بعضهم على بعض.

فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع المسلم وذلك من خلال تنفيذ حدود الله تبارك وتعالى، وشرائعه، وقوانينه، وأوامره، ونواهيه حسب ما جاء في الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

---

(١) تقدم تخريج الحديث مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٩٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: «أن النفس بالنفس ...» (٥/٩، رقم: ٦٨٧٨). وصحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، (١٣٠٢/٣، رقم: ١٦٧٦)، واللفظ له، من حديث عبد الله ﷺ.

المطلب الثاني عشر: الجهاد في سبيل الله.

تعريف الجهاد في اللغة:

الجهاد: مصدر من فعل جَهَدَ يجهد جهدا وجهادا، ومعناه: بذل الجهد، والوُسع والطاقة، والمشقّة. ويقال: جهد الرجلُ في الشيء أي جَدّ فيه وبالغ(1).

وقال الحموي: وجاهد في سبيل الله جهادا واجتهد في الأمر: بذَل وُسعه وطاقته في طلبه ليبلغ مجهودَه ويصل إلى نهايته(2).

تعريف الجهاد في الاصطلاح؛ "الجهاد محاربة الكفار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل"(3).

وقيل: "هو بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله -عز وجل- بالنفس والمال واللسان، أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك"(4).

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " هو بذلُ الوُسْع -وهو القدرة- في حصول محبوبِ الحقِّ، ودفعُ ما يكرهُه الحقُّ(5).

"الجهاد في سبيل الله" وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وله أهمية بالغة، ومكانة رفيعة، وفضائل كثيرة في دين الإسلام.

---

(1) ينظر: مادة (جهد) في لسان العرب لابن منظور (133/3). والصحاح للجوهري (457/1). ومصباح المنير للحموي (112/1). والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (339/1).

(2) مصباح المنير للحموي (112/1).

(3) والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (339/1).

(4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (97/7)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

(5) الفتاوى الكبرى، (188/5) دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ. والعبودية (ص96) تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة 1426هـ.

وقد حثّ الله سبحانه وتعالى المؤمنين على الجهاد ببيان فضله ومكانته؛ إذ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾[(١)].

وقد أمر به سبحانه وتعالى للمؤمنين بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) ﴾[(٢)].

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ في تفسير الآية: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[(٣)] قال: «خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ»[(٤)].

هذا الحديث وإن كان موقوفا على أبي هريرة ﷺ، ولكنه في حكم المرفوع [(٥)]، وقد جاءت نحو هذه الرواية عند أبي داود مرفوعا عن النبي ﷺ بلفظ: «**عجِبَ ربُّنا من قوم يُقادُونَ إلى الجنَّة في السَّلاسِلِ**»[(٦)].

اتضح من خلال هذه النصوص أن الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله؛ بينهما علاقة قوية ورابطة وطيدة؛ كما اتضح أن "الجهاد في سبيل الله" هو وسيلة مفيدة للدعوة إلى الله تعالى.

تستفاد هذه الوسيلة من أثر عبد الله بن الأهتم، حينما ألقى خطبة بليغة عند الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ، وفيه: «... فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ، بَعَثَ

---

(١) المائدة: ٥٤

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (١٦/٦، ٤٥٥٧).

(٥) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٨٨٠/٦).

(٦) في سننه، كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، (٣١١/٤، رقم: ٢٦٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٧/٢، رقم: ٣٩٨٢).

إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَحُوهُ فِي جِسْمِهِ وَلَقَّبُوهُ فِي اسْمِهِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ نَاطِقٌ، لَا يُقَوَّمُ إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَلَا يُرْحَلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَلَمَّا أُمِرَ بِالْعَزْمَةِ، وَحُمِلَ عَلَى الْجِهَادِ، انْبَسَطَ لِأَمْرِ اللهِ لَوْثُهُ، فَأَفْلَجَ اللهُ حُجَّتَهُ، وَأَجَازَ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا، ... إلخ»[1].

وقد جاء في هذا الأثر ذكر الجهاد، وهو وسيلة نافعة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، كما هو ظاهر من قوله: «فَلَمَّا أُمِرَ بِالْعَزْمَةِ، وَحُمِلَ عَلَى الْجِهَادِ، انْبَسَطَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَوْثُهُ -أي ما كان ملتفا مطويا-، فَأَفْلَجَ اللَّهُ حُجَّتَهُ -أي قوّمها وأظهرها-، وَأَجَازَ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ».

وظهر من قوله: «... وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ» أن هناك علاقة قوية بين الدعوة والجهاد؛ لأن الجهاد من أعظم الوسائل لنشرها، وتبليغها، وإظهارها على الدعوات الأخرى، والأديان الباطلة، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

فالحاصل أن "الجهاد في سبيل الله" وسيلة عظيمة لنشر الدين وتبليغه ودعوته، ولإعلاء كلمته كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾[3]. وقد قال النبي ﷺ : **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**[4].

****

(١) وسيأتي كامل الأثر مع التخريج في الفصل الأخير: نماذج تاريخ الدعوة (ص ٤٩٠).

(٢) الفتح: ٢٨.

(٣) الأنفال: ٣٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لتكون كلمة الله هي العليا، (٤/٢٠، رقم: ٢٨١٠، ١٢٣، ٣١٢٦، ٧٤٥٨). وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لتكون كلمة الله هي العليا، (٣/١٥١٣، رقم ١٩٠٤).

المبحث الثاني:

أساليب الدعوة من خلال أحاديث الدراسة.

إن الدعوة إلى الله تعالى لها أساليب كثيرة ومتنوعة، وسوف تُذكر في هذا المبحث الأساليب التي جاء ذكرها في الأحاديث والآثار المخصصة للدراسة.

ويشتمل هذا المبحث على عدة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة.

إن من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى: الحكمة؛ وهي تطلق في اللغة على عدة معان، منها: العدل، والنبوة، والهدى، والرشاد، ، والعلم، والحلم والتّفقّه(١).

وأما في الاصطلاح: فقد عرّفها العلماء بتعريفات كثيرة(٢)، منها:

تعريف الجرجاني: الحكمة: "علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية"، وقيل: "كل كلام وافق الحق فهو حكمة"(٣).

وقيل: "الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع الأشياء في مواضعها اللائقة"(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/١٤٠-١٤٢). والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٤/٩٨).

(٢) من أراد التفصيل عن هذه التعريفات فليراجع كتاب: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٤٨)، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص ٢٣-٢٩). ومفهوم الحكمة في الدعوة إلى اللّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، (ص ١١-١٦) مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، بدون سنة الطبع.

(٣) التعريفات: (ص ٩١).

(٤) ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى لسعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص ٢٧). و مفهوم الحكمة في الدعوة، د صالح بن عبد الله بن حميد، (ص ٥) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم ﷺ للحكمة ثلاثة أركان: "العلم، والحلم، والتأنِّي. كما ذكر آفاتها وأضدادها أيضاً، هي: الجهل، والطيش، والعَجَلة"(١).

والحكمة ينقسم إلى قسمين(٢):

الأول: الحكمة العلمية النظرية: وهي الاطلاع على بواطن الأشياء. ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقا وأمرا. قدَرا وشرْعاً.

والثاني: الحكمة العملية: وهي وضع الشيء في موضعه.

فالحكمة العملية على ثلاثة درجات(٣):

الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقَّه، ولا تُعدّيَه حدَّه، ولا تُعجِّله عن وقته، ولا تؤخِّره عنه.

الدرجة الثانية: أن تشهد إحسان الله سبحانه وتعالى في وعده، وعدله في وعيده، وكل قائم بحكمته.

الدرجة الثالثة: البصيرة، وهي قوة الإدراك، والفطنة، والعلم، والخبرة.

والبصيرة في الدعوة إلى الله في ثلاثة أمور(٤):

الأمر الأول: أن يكون الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه، بأن يكون عالما بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه.

والأمر الثاني: أن يكون الداعية على بصيرة في حال المدعو.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٤٤٩).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٤٤٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢/٤٤٨-٤٥١)، ومفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله؛ لسعيد بن وهف القحطاني (ص١٩-٢٠).

(٤) ينظر: زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، (ص ١٢)، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م. ومفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله؛ لسعيد بن وهف القحطاني (ص ٢١-٢٢).

والأمر الثالث: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة.

على كل حال يستفاد هذا الأسلوب الدعوي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه الإمام الدارمي عنه، أنه قال: ... قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ»** فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ فَقَالَ: **«هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»**(١).

وقد جاء في هذا الحديث ذكر الحكمة، وهو أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾(٢).

فالحكمة إما أن تكون "فطرية أو موهبة من الله تعالى" يؤتيها من يشاء من عباده، كما قال تعالى: **﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾**(٣)، وكما كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنهما: «إِنَّ الْحِكْمَةَ لَيْسَتْ عَنْ كِبَرِ السِّنِّ، وَلَكِنَّهُ عَطَاءُ اللَّهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ فَإِيَّاكَ وَدَنَاءَةَ الْأُمُورِ وَمِرَاقَ الْأَخْلَاقِ»(٤)، وهكذا كان أهل اليمن فقد أعطاهم الله تعالى الحكمة، فذلك فضل الله يؤتيها من يشاء.

وإما أن تكون "مكتسبة" يكتسبها العبد بفعل أسبابها، وترك موانعها(٥)، وهذه الأسباب والموانع يُسمّى بـ "طرق الاكتساب" ومن أهم هذه الطرق التي إذا سلكها

---

(١) تقدم كامل الحديث مع تخريجه (ص ٢٣٨).

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

(٤) الإشراف في منازل الأشراف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) (ص ٢١٢)، تحقيق: د نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(٥) ينظر: موقع الدرر السنية، موسوعة الأخلاق، الأخلاق المحمودة، الحكمة، وسائل اكتساب الحكمة، على هذا الرابط: http://www.dorar.net/enc/akhlaq/469 ، تم زيارته في تاريخ ١٤٣٦/٧/١٦هـ، الموافق ٢٠١٥/٥/٤م.

الداعية صار حكيماً بإذن اللّه تعالى ما يأتي:

العلم النافع، والحلم، والأناة، والرفق واللين، والإخلاص والتقوى، والصبر والمصابرة، والسلوك الحكيم، والعمل بالعلم، والاستقامة، والخبرات والتجارب، وجهاد النفس والشيطان، وعلو الهمة، والعدل، والدعاء، والاستخارة والاستشارة(١).

فالحاصل أن الحكمة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يعتنوا بهذا الأسلوب، فحالة المدعو إذا كانت تقتضي الليونة، فيلين له، كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾(٢). وإذا كانت حالته تقتضي الغلظة، فيغلظ عليه، كما قال سبحانه وتعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(٣). فهذه هي عين الحكمة التي ينبغي للداعية الحصيف أن يتخذها في دعوته إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة.

الموعظة الحسنة: الأصل في الموعظة أنها: القول الذي يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والاستجابة له(٤).

وقال الجرجاني: "الموعظة: هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة"(٥).

وقال ابن عطية: الموعظة الحسنة: "التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأن تجله

---

(١) ينظر تفاصيل عن هذه الطرق في كتاب: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن وهف القحطاني، على الصفحات الآتية: ٥٣، ٦٩، ١٢٨، ١٣٣ - ١٣٨، ١٨٠ - ١٨٤ و٨٤٦ - ٨٥٢.

(٢) طه: ٤٣ — ٤٤.

(٣) التوبة: ٧٣.

(٤) مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد (ص ١٠).

(٥) كتاب التعريفات (ص ٢٣٦).

وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل"[١].

وقيل: الموعظة: "مَفعِلة من الوعظ، والوعظ: الاذكار بالخير بما يرق له القلب"[٢].

وقيدت الموعظة بـ"الحسنة"؛ إذ ليس كل موعظة حسنة، وأطلق الحكمة ولم تقيدها بوصف الإحسان؛ إذ كلها حسنة، ووصف الحسن لها ذاتي؛ ولأن الحكمة هي تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه فلا تكون إلا في حالة حسنة فلا حاجة إلى التنبيه على أن تكون حسنة. وأما الموعظة الحسنة فلما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، فقيدت الموعظة بالحسنة[٣].

أنواع الموعظة: وقد قسّم الإمام ابن القيم رحمه الله الموعظةَ إلى قسمين[٤]:

الأول: الموعظة بالمسموع: هي الانتفاع بما يسمعه العبد من الهدى والرُشد، والنصائح التي جاءت على لسان الرُّسل وما أوحي إليهم، والانتفاع من كل ناصح ومُرشد في مصالح الدين والدنيا.

والثاني: الموعظة بالمشهود: هي الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر وأحكام القدَر، ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رُسله.

يستفاد هذا الأسلوب من أثر عباس رضي الله عنه كما روى الإمام الدارمي عنه أنه وعظ حين توفي رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وفي هذه الموعظة أنه قال: ... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -وَاللَّهِ- مَا مَاتَ حَتَّى تَرَكَ السَّبِيلَ نَهْجًا وَاضِحًا، فَأَحَلَّ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ، مَا كَانَ رَاعِي غَنَمٍ يَتَّبِعُ بِهَا صَاحِبُهَا رُءُوسَ الْجِبَالِ يَخْبِطُ عَلَيْهَا

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (٦١٣/٦) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (٣٣٨/١).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٤٤/١). ومفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد (ص ١١-١٢).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٤٤/١).

الْعِضَاةَ بِمِخْبَطِهِ وَيَمْدُرُ حَوْضَهَا بِيَدِهِ بِأَنْصَبَ وَلَا أَدْأَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كَانَ فِيكُمْ. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ[(١)].

فهذا الأثر يشتمل على موعظة عظيمة من الصحابي الجليل عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقد بين في كلماته المختصرة مبادئ الإسلام ومهماته، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب الرائع في دعوته إلى الإسلام.

المطلب الثالث في الأسلوب: المجادلة بالتي هي أحسن.

الجدل في أصله: الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه. فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها. وهو حال أوسع من الخصام والمخاصمة على أن المخاصمة نوع جدل من حيث هي تراد في الكلام والحجج[(٢)].

وقد عرّفه الجرجاني بقوله: "الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"[(٣)].

وقد علّق الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد على تعريف الجرجاني في معرض كلامه عن الجدال بالتي هي أحسن، بقوله: "غير أن الذي نعنيه هنا هو الجدال والمحاجة والحوار بما لا يرقى إلى الخصومة، إلا إذا اعتبرنا الجدال مع الظالمين خصومة؛ لأنه قد تجرد منه نعت الحسن، وإذا احتاج رجل الدعوة إلى الجدال فليكن بالتي هي أحسن"[(٤)].

وقال العلّامة ابن القيم رحمه الله: "الجدَل قد يكون بالتي هي أحسن، وقد يكون بغير ذلك، وهذا يحتمل أن يرجع إلى حال المجادِل وغِلظته، ولينه وحِدَّته ورفقه، فيكون مأمورا بمجادَلتهم بالحال التي هي أحسن، ويحتمل أن يكون صفةً لما يُجادَل به من

---

(١) تقدم كامل الأثر مع تخريجه، وشرح غريبه (ص ١٥٣).

(٢) مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد (ص ١٢-١٣).

(٣) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ٧٤).

(٤) مفهوم الحكمة في الدعوة (ص ١٣).

الحجج والبراهين، والكلمات التي هي أحسنُ شيءٍ وأبينُهُ، وأدلُّه على المقصود، وأوصله إلى المطلوب، والتحقيق: أن الآية تتناول النوعين"(١).

يستفاد هذا الأسلوب من أثر عمر بن الخطاب ﷺ كما روى الإمام الدارمي عنه، أنه قال: «إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

فقد أخبر عمر بن الخطاب ﷺ عن أناس سيأتون ويجادلون بشبهات القرآن، ثم أخبر عن طريقة المجادلة معهم، وهي الجدال بالتي هي أحسن، وذلك عن طريق أخذهم بالسنن؛ لأن السنة تفسّر القرآن، وأصحاب السنن وأهل الحديث هم أعلم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، ولم يقل عمر بن الخطاب ﷺ: جادلوهم بعقولكم وآرائكم، بل قال: «خذوهم بالسنن»؛ أي خذوهم بالأدلة والحجج الواردة في السنة النبوية، ولا شك أن هذا من حسن الجدال.

فينبغي للداعية إلى الله أن يعتني بهذا الأسلوب في دعوته، وقد تقدمت الإشارة حول هذا الموضوع في القواعد الدعوية بأن لا يجزئ السيئة بالسيئة(٣).

المطلب الرابع في الأسلوب: الترغيب والترهيب.

الترغيب في اللغة: على وزن تفعيل من فعل رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً؛ إِذَا حَرَص عَلَى الشَّيْءِ وطَمِع فِيهِ. والرَّغْبَةُ: السُّؤال والطَّلَبُ، والرغبة في الشيء: الإرادة له(٤).

وفي الاصطلاح: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه(٥).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٤٤٤).

(٢) تقدم تخريج الأثر (ص ٢٤٥).

(٣) ينظر: (ص ١٤٠ وما بعدها).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٢٣٧)، ولسان العرب، لابن منظور (١/٤٢٢) مادة (رغب)، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤١٥)، مادة (رغَب).

(٥) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان (ص ٤٣٧).

والترهيب في اللغة: على وزن تفعيل مِن رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضَّمِّ والفَتْحِ ورَهَباً بالتَّحْرِيكِ، ورُهْبَاناً بالضَّمِّ: أَي خَافَ أَوْ مَعَ تَحَرُّزٍ [(١)] .

وفي الاصطلاح: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه قبوله[(٢)].

وقد جاء ذكرهما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[(٣)].

قال القرطبي ضمن تفسير هذه الآية: "والرغبة والرهبة ثمرة الخوف والرجاء، يخاف من العقاب ويرجو الثواب"[(٤)].

يستفاد هذا الأسلوب من عدة أحاديث وآثار فيما رواها الإمام الدارمي ﵀، فروى عن أَبِي قِلابَةَ، أنه قال: «إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا -أَوْ قَالَ: حَدِيثًا- فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ، وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ... إلخ»[(٥)].

فهذا أبو قلابة يرهّب من أهل الأهواء والمبتدعة والمنافقين، فكأنه يستخدم أسلوب الترهيب في خطابه بذكر جزائهم ومصيرهم إلى النار.

وهناك آثار كثيرة تدل على هذا الأسلوب، ومن جملتها أثر الْأَوْزَاعِيّ، أنه قال: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: «وَيْلٌ لِلْمُتَفَقِّهِينَ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ وَالْمُسْتَحِلِّينَ الحرماتِ بِالشُّبُهَاتِ»[(٦)]. فكأنه يرهّب عن استحلال الحرمات بذكر الويل لهم.

ومن الآثار الدالة على هذا الأسلوب أثر أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁ أنه قال: «مَا لِي أَرَى

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١/٤٣٦) مادة (رهب). ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/٤٤٧) مادة (رهب). وكتاب العين للفراهيدي (٤/٤٧).

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان (ص ٤٣٧).

(٣) الأنبياء: ٩٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢١٢).

(٥) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٨).

(٦) تقدم تخريج الأثر (ص ٢٤٦).

عُلَمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ وَجُهَّالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ؟ تعلَّموا قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، فَإِنَّ رَفْعَ الْعِلْمِ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ»[1].

فهذا الصحابي الجليل استخدم أسلوب الترغيب والترهيب، فأرهب من الجهالة، وأرغب في طلب العلم قبل رفعه بذهاب العلماء.

فالحاصل أنه ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يستخدموا هذا الأسلوب الرائع في دعوة الدين ونشره؛ لأن أكثر الناس يتأثرون بهذا الأسلوب.

المطلب الخامس في الأسلوب: الأمثال والتشبيه.

أسلوب الأمثال والتشبيه من الأساليب المهمة والمؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى، وله تأثير عظيم في تقريب مفاهيم الدين وأحكامه ومسائله عند عامة الناس وخواصهم.

والأمثال جمع مَثَل، وهو يأتي لمعان عديدة؛ منها: الشبيه والنظير، والمثال، والقول السائر، والوصف ونحوها[2].

فالمثل والتشبيه لفظان متقاربان ومترادفان إلا أن المثَل أعم من التشبيه[3]، فكل تشبيه مثال ولا العكس، فالفرق بينهما عموم وخصوص.

قال ابن فارس: "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدلّ على مناظَرة الشيء للشيء. وهذا مثلُ هذا، أي نظِيرُه، والمثَلُ والمِثال في معنى واحد. وربما قالوا: مَثِيل

(١) تقدم تخريج الأثر (ص ٣٠١).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١١/٦١٠-٦١٦). ومفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٧٥٩). والصحاح للجوهري (٥/١٨١٦). وينظر لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذه المعاني؛ كتاب: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع (١/٤١-١٣٦)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٧٥٩).

كشبِيهٍ. والمثَل: المِثْل أيضا، كشَبَهٍ وشِبْهٍ. والمثل المضروب مأخوذ من هذا"[١].

وقال الراغب الأصفهاني: "الـمَثَلُ عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيّن أحدهما الآخر ويصوّره"[٢].

وقد اختير لفظ الضرب مع المثل؛ لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا، ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه[٣].

يستفاد هذا الأسلوب من عدة أحاديث وآثار فيما رواها الإمام الدارمي رحمه الله؛

فروى عن رَبِيعَةَ الْجُرَشِيّ، يَقُولُ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: لِتَنَمْ عَيْنُكَ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ، قَالَ: **«فَنَامَتْ عَيْنَايَ، وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَعَقَلَ قَلْبِي»** قَالَ: **«فَقِيلَ لِي: سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، قَالَ: فَاللَّهُ: السَّيِّدُ، وَمُحَمَّدٌ: الدَّاعِي، وَالدَّارُ: الْإِسْلَامُ، وَالْمَأْدُبَةُ: الْجَنَّةُ»**[٤].

ففي هذا الحديث جاء ذكر أسلوب المثال ولو لم يذكر فيه أداة المثل.

وروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه يَقُولُ: لَمَّا أَنْ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، جَعَلَ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى خَشَبَةٍ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ، فَكَثُرُوا حَوْلَهُ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُسْمِعَهُمْ، فَقَالَ: **«ابْنُوا لِي شَيْئًا أَرْتَفِعُ عَلَيْهِ»**، قَالُوا: كَيْفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: **«عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى»** إلخ[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٩٦)، مادة (مثل).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٧٥٩). ويراجع أيضاً: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، (١/٢٨، ٣/٣٤) تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٣) ينظر: وسائل الدعوة وأساليبها، كتاب المادة في جامعة المدينة العالمية ماليزيا (ص٢٨٨).

(٤) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٤).

(٥) تقدم كامل الحديث مع تخريجه، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٣٢٩).

ففي هذا الحديث أمَر النبيُّ ﷺ أصحابَه ببناء المنبر وعبّره بـ"العريش"، ثم وضّحه بالمثال والتشبيه فقال: «عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى»، فالكاف فيه للتشبيه، فهكذا كان النبي ﷺ يوضح مسائل الدين وأحكامه للناس بأسلوب المثال والتشبيه.

وكان الصحابة رضي الله عنهم اتباعا لهدي النبي ﷺ يستخدمون أسلوب ضرب المثل في نشر الدين وتبليغه، فروى الدارمي عن أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه : «أَتَدْرِي كَيْفَ يُنْقَصُ الْعِلْمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: كَمَا يُنْفَضُ الثَّوْبُ، وَكَمَا يَقْسُو الدِّرْهَمُ. قَالَ: «لَا، وَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنْهُ، قَبْضُ الْعِلْمِ: قَبْضُ الْعُلَمَاءِ»(١).

ففي هذا الأثر استخدم أبو وائل أسلوب الأمثال والتشبيه ولو كان جوابه للمسألة غير صحيح.

وروى الدارمي عن أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ: «**صِفِي لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَوْ رَأَيْتَهُ، رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً**»(٢).

فهذه الصحابية ربيع بنت معوّذ رضي الله عنها توصف حُسن النبي ﷺ بطلوع الشمس، فكأنها استخدمت أسلوب التشبيه، ولو لم تذكر فيه أداة المثل والتشبيه.

وكذلك كان التابعون -رحمهم الله- يستخدمون هذا الأسلوب الرائع في الدعوة إلى الله، فروى الإمام الدارمي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ ذَهَابِ الدِّينِ تَرْكُ السُّنَّةِ، يَذْهَبُ الدِّينُ سُنَّةً سُنَّةً، كَمَا يَذْهَبُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً»(٣).

---

(١) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه (ص ٣٠١).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في حسن النبي ﷺ (١/٢٠٤، رقم ٦١)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن موسى الطلحي التيمي.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٣): فيه عبد الله بن موسى بن إبراهيم التيمي، وشيخه أسامة، الأول صدوق كثير الخطأ، والثاني يهم.

(٣) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٨٤).

ففي هذا الأثر جاء ذكر أسلوب التشبيه والتمثيل، فقد حُذّر فيه عن ترك السنة والدين وذلك ببيان ضرب المثل والتشبيه، فالدين لا يذهب كله في وقت واحد، بل يذهب سنّة، سنّة، أي بترك سنة واحدة، ثم بترك سنة واحدة، وهكذا، كما يذهب الحبل قوةً، قوةً، أي طاقة من طاقات الحبل.

وقد جاء ذكر هذا الأسلوب في القرآن الكريم في كثير من المواضع[1]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]، أي: من كلِّ مثَل ما يحتاجونه إليه، التي تدلّهم على توحيد الله، وصدق رُسُله، واحتججنا عليهم بكل حُجّة تدل على بطلان الشرك[3]. فالآية صريحة في أن ضرب المثل من أساليب الدعوة، والتذكير؛ لأن الناس يتذكّرون ويتدبّرون بذكر الأمثلة.

فالحاصل أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذا الأسلوب الرائع، ويستخدمه في الدعوة إلى الله اتباعا لهدي النبي ﷺ والصحابة ﵃ ومن تبعهم بإحسان.

المطلب السادس في الأسلوب: القصة.

القصة في اللغة مشتق من قَصَصْتُ الْخَبَرَ قَصًّا -مِنْ بَابِ قَتَلَ- أي: حَدَّثْتُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَصَّ عَلَيَّ خبرَه يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً أي: أَوْرَدَه، وبيّنه، وَقَصَصْتُ الْأَثَرَ أي: تَتَبَّعْتُهُ شيئا بعد شيءٍ، وقَصَصْتُهُ قَصًّا أي: قَطَعْتُهُ، وَقَصَّيْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ مُبَالَغَةٌ. ومن معاني القِصَّة: الشَّأْنُ وَالْأَمْرُ، يُقَالُ: مَا قِصَّتُكَ أَيْ: مَا شَأْنُكَ، والقَصَصُ بِالْفَتْحِ: الخبرُ المَقْصوص، وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. والقِصَص بالكسر: جَمْعُ

---

(١) فقد جاء ذكره في القرآن الكريم بأداة «مثل» مضافا بالكاف حواليه ١٣ مواضع، ينظر: سورة البقرة: آيات ١٧، و١٧١، و٢٦١، و٢٦٤، و٢٦٥، وسورة آل عمران: آيتين ٥٩، و١١٧، وسورة الأعراف: ١٧٦، وسورة العنكبوت: ٤١، وسورة الحديد: ٢٠، وسورة الحشر: ١٥، و١٦، وسورة الجمعة: ٥.

(٢) الزمر: ٢٧، ونحوه في سورة الروم: ٥٨.

(٣) ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني (٢٦٨/٤).

القِصّة الَّتِي تُكْتَبُ، والقاصُّ: الذي يأتي بالقِصّة على وَجْهِهَا كأَنه يَتَتَبّع معانيَها وأَلفاظَها[١].

والقصة في الاصطلاح؛ فقد ذكر العلماء لها تعريفات عديدة، فعرّفها بعضُهم بتعريف عام، كما عرفها البعض بتعريف خاص، ومن التعريفات العامة فيما يلي:

هي أحد أنواع النثر الفني، ونمط من أنماط الأساليب الجمالية، تقوم على عوامل كثيرة، من التشويق، والحوار، والحبكة، والوحدة الموضوعية، وحل المشكلات عن طريق تسلسل الأحداث وربط المشاهد بعضها ببعض[٢].

وأما من التعريفات الخاصة، أي في اصطلاح الدعاة فيمكن أن تعرف القصص بأنها: "القدرة على مخاطبة الناس وتذكيرهم بالاعتماد على الأحاديث والسير الماضية"[٣].

فالقصّة من الأساليب المهمّة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن لها تأثير عظيم في نفوس الناس، كما يتشوق الناس إليها لسماعها، وتزداد أهميتها في حقل الدعوة بأن الله ذكر في القرآن الكريم العديد من قصص النبيين والمرسلين والصالحين، كما قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[٤]. وأن الله سبحانه وتعالى أمر ببيان القصة للناس، بقوله: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[٥].

يستفاد هذا الأسلوب من بعض أحاديث الدراسة فيما رواها الإمام الدارمي رحمه الله،

---

(١) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور (٧/٧٣-٧٤) مادة (قصص)، والمصباح المنير؛ للحموي (٢/٥٠٥). والنهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٤/٧٠).

(٢) أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم، د. أبو المجد سيد نوفل، أستاذ بجامعة الأزهر، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ٥٢، (ص ١٠٨) ١٤٢٣هـ.

(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي (٢/٧٠٩).

(٤) يوسف: ٣.

(٥) الأعراف: ١٧٦.

فروى عَنِ الْوَضِينِ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، وَكَانَتْ عِنْدِي بِنْتٌ لِي فَلَمَّا أَجَابَتْ، وَكَانَتْ مَسْرُورَةً بِدُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهَا، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَاتَّبَعَتْنِي فَمَرَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بِئْرًا مِنْ أَهْلِي غَيْرَ بَعِيدٍ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَرَدَّيْتُ بِهَا فِي الْبِئْرِ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَتَاهُ يَا أَبَتَاهُ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى وَكَفَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْزَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ**» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ**» فَأَعَادَهُ، فَبَكَى حَتَّى وَكَفَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ عَلَى لِحْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ**»(1).

فهذه قصّة من قِصص وأد البنات في زمن الجاهلية، التي تهز القلوب والمشاعر، وتبكي العيون، فالنبي ﷺ حين سمع هذه القصة بكى حتى وكف دمع عينيه، ثم أمره بإعادتها وسمع مرة أخرى وبكى حتى وكف الدمعُ من عينيه على لحيته. فهكذا تكون القصص ذا تأثير في نفوس الناس.

وفي هذه القصة فوائد كثيرة، ومن جملتها: أسلوب التعامل مع المدعو، فانظر إلى الرجل الذي قال لصاحب القصة: أحزنتَ رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: «**كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ**» فهذا من حسن تعامله ﷺ مع هذا الرجل الذي يندم على فعله ويتأسف على عمله، حيث سمع ﷺ منه قصته كاملة، ثم طلب منه إعادته؛ لكي يعتبر بها نفسه والسامعون الآخرون، ثم سلّاه بقوله: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ**».

وروى الإمام الدارمي عن حَبِيبِ بْنِ خُدْرَةَ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ(2) مِنْ بَنِي حُرَيْشٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ أَبِي حِينَ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ الْحِجَارَةُ، أُرْعِبْتُ، فَضَمَّنِي إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ(3).

---

(1) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٣ وما بعدها).

(2) سمي الحريش في (أسد الغابة: ٢٥٣/١، والإصابة:٥٧/٢، ولسان الميزان:٧٥/٢).

(3) تقدم تخريج الحديث مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٩٨).

ففي هذا الحديث جاء ذكر قصة رجم ماعز بن مالك ﷺ، فهي قصة مؤثرة جدا، وفيها دروس وعبر للأوّابين والتوّابين، والعاصين والخطّائين، وللمعتدين على حدود الله، وفيها مظهر من مظاهر الشريعة الإسلامية بتطبيق نظامها وتنفيذ حدودها، ومن بركات هذا النظام الربّاني يستقر الأمن والحياة في المجتمع البشري، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

فالحاصل أن أسلوب القصة من الأساليب المهمّة والمؤثرة على المدعوين، وهي وسيلة غير مباشرة، فكأن الداعي يبيّن القصة للمدعوين بحسب ما تقتضي حالتهم، فلا يأمرهم ولا ينهاهم، بل يبين لهم قصص الآخرين بأسلوب مؤثر حتى يستفيدون به ويعتبرون، فهكذا هذا الأسلوب مهم للغاية للذين لا يحبون خطاب الأمر والنهي كما يقال لهم: "افعل كذا"، أو "لا تفعل كذا"، فهؤلاء لا يقبلون صيغة الخطاب، فللداعية الحصيف أن يختار هذا الأسلوب لمثل هؤلاء.

المطلب السابع في الأسلوب: القدوة الحسنة.

القُدوة في اللغة: الأُسوة، يقال: فلان قُدْوةٌ يُقتدى به، والقَدوة: التقدُّم؛ يقال: فلان لا يقاديه أحد، ولا يماديه أحد، ولا يباريه أحد، ولا يجاريه أحد، وذلك إذا بَرّز في الخِلال كلها(٢).

قال ابن فارس: "القاف والدال والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على اقتباسٍ بالشيء واهتداءٍ، ومُقادَرةٍ في الشيء حتى يأتيَ به مساويًا لغيرِه. من ذلك قولهم: هذا قِدَى رُمحٍ، أي قَيْسُه. وفلان قدوة: يُقتدى به"(٣).

تعريف القدوة في الاصطلاح: عرفها المناوي بقوله: "القدوة: بالكسر والضم:

---

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) ينظر: مادة (قدا) في الصحاح للجوهري (٦/٢٤٥٩). ولسان العرب لابن منظور (١٥/١٧١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/٦٦) مادة (قدو).

الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به"[١].

وقيل في تعريفها: "القدوة اسم مِن اقتدى به إذا فعل مثْلَ فعلِه تأسيا، وفلانٌ قدوةٌ أي يُقتدى به، والضم أكثر من الكسر"[٢].

وقيل في تعريفها: "طلب موافقة ذي الفضل والخير فعلهم، ولزوم غرزهم، وسلوك سبيلهم، والثبات على نهجهم"[٣].

فهذه التعريفات كلها واردة في القدوة الحسنة كأنه أسلوب من أساليب الدعوة، وقد ذكره بعض الباحثين باعتبار أنها اسم بمعنى مفعول فكأنها نوع من أنواع الدعاة؛ فقالوا: المقصود بالقدوة الحسنة في الاصطلاح الدعوي: هو "الداعية الذي ينظر إليه الناس فتجلّه أنظارهم وتحبّه قلوبهم ويكون صالحاً في نفسه، مصلحا لغيره، بالسِّيرة الحسنة والمسلك الطيب والأثر الحميد"[٤].

فكأن هذا التعريف هو تعريف الداعية المقتدى به، وليس تعريف للقدوة الحسنة باعتبار الأسلوب الدعوي.

لا شك أن القدوة الحسنة من أرقى أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وذلك لأنها أبلغ وأكثر تأثيرا بالنسبة للأساليب الأخرى؛ ولأن القدوة الحسنة، والأخلاق السامية تدعوا الناسَ بلسان الحال دون لسان المقال، وله أثر أكثر من غيره من الأساليب القولية، كما يُلاحظ هذا فيما حصل مع النبي ﷺ في غزوة صلح الحديبية، حين أمر أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا رءوسهم.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ص٢٦٩).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي (٤٩٤/٢).

(٣) أبعاد قدوة الحسنة في حياة الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله، أ. د. غازي بن غزاي المطيري، (ص٤). بدون ذكر الناشر وسنة الطبع، وهو بحث مصور في مكتبة المسجد النبوي، برقم: (٢١٨،١- م ط ا)، والرقم التسلسلي: ١٢٢٢٤٢.

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، (٧٢٨/٢). ووسائل الدعوة (ص٢٠٥) كلاهما للأستاذ الدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**». فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما"(١).

فهذا يدل صراحة على أن القدوة العملية أكثر تأثيرا في بعض المواقف من الأساليب الأخرى، فلذا يجب على الداعية أن يكون عمله موافقا لقوله؛ ليكون هو قدوة للآخرين.

يستفاد هذا الأسلوب من حديث عطاء فيما رواه الإمام الدارمي عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»(٢).

فهذا الحديث عظيم الفائدة للمسلمين عامة ولمعشر الدعاة خاصة، ففيه تسلية للدعاة، وترغيب وحثّ على الاقتداء والتأسّي بهدي النبي ﷺ، فعلى الداعية أن يتذكر مصائب النبي ﷺ ويقتدي بهديه ﷺ فيما إذا أصابه من المصائب والمحن، وعليه أن يصبر عليها كما صبر النبي ﷺ على ما أصابه من أعظم المصائب، فالنبي ﷺ هو القدوة والأسوة في الأمور كلها، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾(٣).

وكذلك الأنبياء كلهم أسوة لنا كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٣/٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٠٢).

(٣) الأحزاب: ٢١.

كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾(١).

وقال أيضاً جل شأنه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(٢).

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "الاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله"(٣).

فالحاصل أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم القدوة والأسوة وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، ثم الصحابة رضي الله عنهم، ثم من تبعهم بإحسان، فلذا يجب على الداعية أن يكون هو القدوة الحسنة للآخرين، فلا يكون عمله مخالفا لقوله، بل يكون عمله موافقا لقوله تماما حتى يصدقه الناس في قوله وعمله، فهكذا تكون القدوة أسلوبا مؤثرا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثامن في الأسلوب: المحاورة.

المحاورة في اللغة: المجاوبة، ومراجعة القول، والمنطق، والكلام في المخاطبة، وهو مشتق من حارَ يَحُورُ حَوْراً وحُؤُوراً أي: رَجَعَ.

والحَور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال: كلَّمته فما أحار إليَّ جوابًا، وما رجع إليَّ خَوِيراً ولا حَوِيرَةً ولا مَحُورَةً ولا حِوَاراً، أَي: مَا ردَّ جَوَابًا(٤).

المحاورة في الاصطلاح: عرفها العلماء بتعريفات عديدة، بعضها فيما يلي:

عرّفه الشيخ صالح بن حميد: بأن الحوار هي: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من

---

(١) الممتحنة: ٦.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٣٥/٧).

(٤) ينظر: كتاب العين للخليل الفراهيدي باب الحاء والراء (٢٨٧/٣)، والصحاح للجوهري (٦٣٨/٢)، ولسان العرب؛ لابن منظور (٢١٧/٤-٢١٨) مادة (حور).

القول والرأي"[1].

وقيل في تعريفه: "هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"[2].

فالمحاورة هي: تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً[3].

هناك اصطلاحات أخرى متقاربة منها كالمجادلة، والمناظرة، والفرق بين المحاورة والمجادلة: أنهما يلتقيان في كونهما حديثاً، أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصب له. وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه. فالحوار أعم من الجدال من هذا الوجه[4].

والفرق بين المحاورة والمناظرة: أن المناظرة قريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله[5].

---

(١) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، (ص ٣) كتاب منشور في المواقع الإلكترونية منها: موقع دار الإسلام، http://www.islamhouse.com/337800/ar/ar/books/ تم زيارته في تاريخ: ١٤٣٥/١١/١٦هـ.

(٢) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، (ص١١)، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة، ١٤٠٩هـ.

(٣) الحوار مع أتباع الأديان، مشروعيته آدابه، د. منقذ بن محمود السقار، الباحث في إدارة الدراسات والبحوث في رابطة العالم الإسلامي. (ص٨) الناشر: رابطة العالم الإسلامي، بدون ذكر سنة الطبع.

(٤) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد بن حسن زمزمي (ص٢٦) دار المعالي، عمّان الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٥) نفس المصدر (ص ٢٨).

يستفاد هذا الأسلوب من أحاديث وآثار كثيرة، فيما رواها الإمام الدارمي ﵀، وسأكتفي بذكر بعض منها؛ فروى عن ابْنِ عبَّاسٍ ﵄، أنه قال: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ، سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، فَتَسَمَّعَ حَدِيثَهُمْ، فَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا فَإِبْرَاهِيمُ خَلِيلُهُ، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[(١)][(٢)].

وروى عن عَامِرٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ ﵄، أَنَّهُمَا كَانَا جَالِسَيْنِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَسَأَلَهُمَا عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لِحُذَيْفَةَ: «لِأَيِّ شَيْءٍ تَرَى يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا؟ قَالَ: يَعْلَمُونَهُ ثُمَّ يَتْرُكُونَهُ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: مَا سَأَلْتُمُونَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى نَعْلَمُهُ، أَخْبَرْنَاكُمْ بِهِ، أَوْ سُنَّةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرْنَاكُمْ بِهِ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِمَا أَحْدَثْتُمْ»[(٣)].

ففي هذا الأثر أن رجلا جاء إلى عبد الله بن مسعود ﵁ يسأل عن بعض المسائل، فكأنه يبحث عن الرخص، أو يسأل المسائل على وجه غير شرعي، فبيّن له الحقيقة بأسلوب الحوار، فسأل أولا عن الحذيفة ﵁ عن مقصدهم من السؤال لكي يتضح لهم المسألة بوضوح.

ومن الآثار الدالة على هذا الأسلوب الجيد أثر عَلْقَمَةَ ﵀، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: إِنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ الْبَارِحَةَ ثَمَانِيًا.

قَالَ: بِكَلَامٍ وَاحِدٍ؟

قَالَ: بِكَلَامٍ وَاحِدٍ.

قَالَ: فَيُرِيدُونَ أَنْ يُبِينُوا مِنْكَ امْرَأَتَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

---

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) تقدم كامل الحديث مع تخريجه (ص ٢٥٩).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٢٥).

قَالَ: وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ مِائَةَ طَلْقَةٍ.

قَالَ بِكَلَامٍ وَاحِدٍ؟

قَالَ: بِكَلَامٍ وَاحِدٍ.

قَالَ: فَيُرِيدُونَ أَنْ يُبِينُوا مِنْكَ امْرَأَتَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ،

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ الطَّلَاقَ، وَمَنْ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَّلْنَا بِهِ لَبْسَهُ وَاللَّهِ لَا تُلَبِّسُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَنَتَحَمَّلُهُ نَحْنُ، هُوَ كَمَا تَقُولُونَ»[(1)].

فهذا الحوار وقع بين عبد الله بن مسعود ﷺ وبين الرجل السائل، في مسألة الطلاق، فسأل ابن مسعود ﷺ عن الرجل بعض الأسئلة لتوضيح المسألة، ثم وعظه وحثّه على اتباع الكتاب والسنة، وحذّره من مخالفتهما.

وهناك حوار هادئ وعلمي وقع بين عمر بن عبد العزيز ﷺ وابن شهاب ﷺ كما روى الإمام الدارمي عن أَبِي سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ عَلَى امْرَأَتِي اعْتِكَافُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَسَأَلْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعِنْدَهُ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: قُلْتُ: عَلَيْهَا صِيَامٌ؟

---

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (٢٣٦/١ رقم: ١١١). قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٦): رجاله ثقات. أخرجه الحافظ عبد الرزاق (المصنف: ٣٩٤/٦، رقم: ١١٣٤٢) والطبراني (المعجم الكبير: ٣٧٩/٩، ٣٨٠، رقم: ٩٦٢٩) والبيهقي (السنن الكبير: ٣٣٥/٧) وعزاه في المطالب العالية: ٦٢/٢) إلى إسحاق بن راهوية، وسعيد بن منصور (السنن رقم: ١٠٦٣، ١٠٩٣) والطحاوي (شرح معاني الآثار: ٥٨/٣) وابن أبي شيبة (المصنف:١٢/٥).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: لَا يَكُونُ اعْتِكَافٌ إِلَّا بِصِيَامٍ(1).

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ؟

قَالَ: لَا؟

قَالَ: فَعَنْ عُمَرَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعَنْ عُثْمَانَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَى عَلَيْهَا صِيَامًا.

فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ طَاوُسًا وَعَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، فَسَأَلْتُهُمَا.

فَقَالَ طَاوُسٌ: «كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما لَا يَرَى عَلَيْهَا صِيَامًا إِلَّا أَنْ تَجْعَلَهُ عَلَى نَفْسِهَا». قَالَ: وَقَالَ عَطَاءٌ: ذَلِكَ رَأْيِي(2).

فهذا حوار علمي وهادئ وقع بين الإمامين في مسألة من المسائل الدينية، ألا وهي مسألة الاعتكاف، فهل من الواجب على المعتكف أن يكون صائما؟ فذهب الإمام الزهري إلى وجوب الصيام على المعتكف، وذهب الإمام عمر بن عبد العزيز إلى عدم وجوبه، وذلك لعدم وجود دليل صحيح وصريح عن النبي ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وإلى هذا ذهب أيضاً عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن أبي رباح وطاووس.

---

(1) هذا رأي الزهري، والراجح ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز، وإن جمع بينهما فمن باب الاستحباب لا الوجوب.

(2) تقدم تخريجه (ص ٢٩٣).

فهكذا كان الحوار في السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وذلك لإظهار الحق ودحض الباطل، وكانوا يراعون آداب الحوار، كما أنهم كانوا يحترمون آراء الآخرين.

وكذلك ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذا الأسلوب الرائع في تبليغ الدين ونشره، اتباعا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وتمسكاً بهدي الصحابة والتابعين.

المطلب التاسع في الأسلوب: التيسير.

من الأساليب النافعة في الدعوة إلى الله تعالى "أسلوب التيسير"، فعلى الداعية الحصيف أن ييسّر على المدعوين ولا تعسّر عليهم.

يستفاد هذا الأسلوب من أثر عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ كما روى الإمام الدارمي عنه أنه قال: «لَمَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرُ مِمَّنْ سَبَقَنِي مِنْهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَيْسَرَ سِيرَةً، وَلَا أَقَلَّ تَشْدِيدًا مِنْهُمْ»[1].

فهذا الأثر صريح في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسيرون في تبليغ الدين ونشره على أسلوب التيسير؛ لأن لها تأثير في قبولها والإذعان لها، كما تقدم نحو هذا البيان في القواعد الدعوية[2].

المطلب العاشر في الأسلوب: عدم التصريح بذكر اسم المخطئ.

من الأساليب المهمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى "أسلوب عدم التصريح بذكر اسم المخطئ"، فعلى الداعية الحصيف أن لا يصرّح باسم المخطئ، حيث يقول: إن فلانا فعل هذا المنكر"؛ لأن ذلك يكون سببا لفضيحته، كما يكون سببا للتنفير عن الدعوة.

يستدل على هذا الأسلوب بأحاديث وآثار كثيرة، ومن جملتها حديث الوضين كما رواه الإمام الدارمي رحمه الله عنه، أنه قال: «عَنِ الْوَضِينِ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

(١) تقدم تخريجه (ص ١٦٣).
(٢) ينظر: (ص ١٦١).

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، وَكَانَتْ عِنْدِي بِنْتٌ لِي فَلَمَّا أَجَابَتْ ...» إلخ(١).

الشاهد في هذا الحديث هو: أن الوضين ذكر قصة الرجل الذي يبين قصته من قصص الجاهلية، ولكنه لم يذكر اسم صاحبها، لأن ذلك يكون سببا لفضيحته، كما يكون سببا للطعن في شخصيته، وقد يطعن الناس فيما بعد في ذاته، ويقولون: إن فلانا فعل في الجاهلية كذا وكذا، ثم يكون ذلك سببا للتنفير عن الدين والدعوة، ولذلك قال المناوي رحمه الله: "عدم التعيين أوقع في النصيحة وأجلب للدعوة إلى الإيمان وأبعد عن النفور والمخاصمة"(٢).

وهناك آثار كثيرة تدل على هذا الأسلوب، ومن جملتها أثر مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه فَقَالَ فَتًى: مَا تَقُولُ يَا عَمَّاهُ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَكَانَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: «فَأَعْفِنَا حَتَّى يَكُونَ»(٣).

ففي هذا الأثر لم يُذكر اسم السائل (الفتى) الذي سأل عما لم يقع؛ لأنه مخطئ في سؤاله، والسؤال عما لم يقع مكروه كما تقدم بيان ذلك في مسائل المدعو(٤)، فهكذا كان السلف الصالح لا يذكرون أسماء المخطئين اتباعا لهدي النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وإذا نقرأ سيرة النبي ﷺ نجد في مواقف كثيرة أنه ﷺ لم يذكر أسماء المخطئين، ومنها على سبيل المثال حديث عائشة رضي الله عنها قالت: رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَمْرٍ. فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«مَا بَالُ**

---

(١) تقدم كامل الحديث مع التخريج، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٣).

(٢) فيض القدير (٤٦٤/١).

(٣) سنده حسن، رواه الحافظ أبو خيثمة (العلم:١٢٧، رقم:٧٦) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ٨/٢) وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ١٧٤/٢،٧٢، رقم: ٢٩٥) وابن بطة (الإبانة: ٤٠٨/١، رقم:٣١٥)، وابن سعد (الطبقات: ٤٩٩/٣)

(٤) ينظر (ص ٣٠٢).

أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[1].

فالحديث ظاهر في هذا الأسلوب بأن النبي ﷺ لم يذكر أسماء الذين يرغبون عن الرُخَص الشرعية، بل نصح لهم بأسلوب الترغيب والترهيب، وبأسلوب عدم التصريح بذكر اسم المخطئ[2].

فالحاصل أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ولا يذكر أسماء المخطئين في مواعظه وخطبه ونحو ذلك، اتباعا لهدي النبي ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

المطلب الحادي عشر: أسلوب تعجيز آلهة المشركين.

من الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله تعالى: "أسلوب تعجيز آلهة المشركين"؛ فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوة المشركين، ويبيّن لهم عجز آلهتهم، فإذا كانت آلهتهم عاجزين، ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فكيف يدافعون عنكم وينصرونكم؟ وكيف يستحقون العبادة؟ فهكذا يستدل على بطلانهم، كما يستفاد على إفراد العبادة لله سبحانه وتعالى، وأن الله تعالى هو الذي وحده يستحق العبادة دون غيره.

يستفاد هذا الأسلوب من أثر مجاهد فيما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: حَدَّثَنِي مَوْلَايَ: أَنَّ أَهْلَهُ بَعَثُوا مَعَهُ بِقَدَحٍ فِيهِ زُبْدٌ وَلَبَنٌ إِلَى آلِهَتِهِمْ، قالَ: فَمَنَعَنِي أَنْ آكُلَ الزُّبْدَ لِمَخَافَتِهَا، قَالَ: "فَجَاءَ كَلْبٌ فَأَكَلَ الزُّبْدَ وَشَرِبَ اللَّبَنَ، ثُمَّ بَالَ عَلَى الصَّنَمِ وَهُوَ: إِسَافٌ، وَنَائِلَةُ" قَالَ هَارُونُ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ، حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته (١٨٢٩/٤، رقم: ٢٣٥٦) واللفظ له.

(٢) وقد ذكر هذا الأسلوب الدعوي غيرُ واحد من الباحثين في كتبهم، منهم الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني في رسالته الدكتوره: "فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري" (٨٩٠/٢)، والشيخ حمود بن جابر بن مبارك الحارثي في رسالته الدكتوره "فقه الدعوة فيما انفرد به الإمام مسلم في صحيحه عن الإمام البخاري في صحيحه" (ص٢١٣).

ثَلَاثَةٌ لِقِدْرِهِ وَالرَّابِعُ يَعْبُدُهُ، وَيُرَبِّي كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ[(١)].

فهذا الأثر صريح في أن آلهة المشركين عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، فالكلب قد سلَبَهم الزُبدَ واللبن، فلم يستنقذوا منه، ووصل عجزهم إلى حد أن الكلب قد بال على الصنم، فلم يستطع الدفاع عن نفسه.

وقد جاء ذكر هذا الأسلوب في مواضع عديدة من القرآن الكريم، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[(٢)].

قال الإمام ابن القيم ﷺ في تفسير هذه الآية: "وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة ...، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك، ولم يقدروا عليه، ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ أي ضعُف العابد والمعبود والمستَلِب والمستَلَب"[(٣)].

وقد استخدم هذا الأسلوب النافع خليلُ الله إبراهيم -عليه السلام- في دعوة المشركين إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فحينما دعا الناسَ إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ولم يقبلوا دعوته استخدم هذا الأسلوب؛ حيث جاء يوم عيد فخرج الناس إلى العيد، فوجد إبراهيم الفرصة وكسر الأصنام الصغار وترك كبيرهم، فلما رجع الناس سألوه عن هذا الفعل، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[(٤)]، فهذا الجواب يشير إلى عجز آلهة المشركين،

---

(١) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٢٨٠).

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٣٩) بالاختصار.

(٤) الأنبياء: ٦٣.

وكان -عليه السلام- أراد أن يبين لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله[1]، ثم قال إبراهيم -عليه السلام- لتمام الحجة مستنكرا على فعلهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[2].

فالحاصل أن "أسلوب تعجيز آلهة المشركين" يفيد في دعوة المشركين، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذا الأسلوب، ويستخدمه حسب ما تقتضي الحكمة، والحاجة والضرورة.

المطلب الثاني عشر: أسلوب الاستدلال بالفطرة.

المقصود بهذا الأسلوب: أن الإنسان خُلق على فطرة الإسلام، أي على دين الإسلام، كما قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»**[3]، ثُمّ استدل عليه أبو هريرة رضي الله عنه بالآية وقال: واقروءا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[4].

ويراد بالفطرة: ما ركزه الله في طبيعة الإنسان وجِبِلّتِه من الإقرار بربوبية الله -جل وعلا- وألوهيته، وأنه وحده لا شريك له يستحق منا العبادة سبحانه وتعالى[5].

وأما الاستدلال بالفطرة على وجود الله -عز وجل-: فإن كل إنسان إذا نزلت به

---

(١) ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني (٣/٤٨٩).

(٢) الأنبياء: ٦٦ – ٦٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله: لدين الله، (٦/١١٤، رقم: ٤٧٧٥). وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/٢٠٤٧ رقم: ٢٦٥٨).

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) خطب ودروس الشيخ عبد الرحيم الطحان، جمع وإعداد: أبو عبد الرحمن المحروسي، (٧/٣٣٦) ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، من: موقع الشيخ: http://www.al-tahaan.com

نازلة وعجز عن دفعها، وجد نفسه مندفعًا إلى النداء والاستغاثة بالله وحده دون سواه؛ فيقول مضطرًا: يا الله يا الله؛ فإذا به يجاب إلى ما سأل، فيكشف عنه ما سأل كشفه، أو يعطى ما طلبه. وهذا شيء محسوس ومجرب دعت إليه الفطرة التي فطر الناس عليها، وهو دليل على وجود الله السميع البصير، اللطيف الخبير وفي ذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]،[2].

يستفاد هذا الأسلوب من أثر وَاصِلٍ، عَنِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: عَائِذَةُ، قَالَتْ: رَأَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُوصِي الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيَقُولُ: «مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ مِنَ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ، فَالسَّمْتَ الْأَوَّلَ السَّمْتَ الْأَوَّلَ، فَإِنَّكُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: السَّمْتُ: الطَّرِيقُ[3].

ظهر من هذا الأثر أسلوب الاستدلال بالفطرة، حيث استدل ابن مسعود رضي الله عنه بالفطرة على السَّمت الأول أي الطريق الأول وهو طريق الخلفاء الراشدين المهديين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[4]، وقد أشار الإمام مالك رحمه الله إلى فضل تمسك السمت الأولين بقوله: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها" كما تقدم.

وقد يراد بـ"السمت الأول" -والله أعلم- الميثاق الذي أخذه الله من آدم وذرِّيَّته في عالم الأرواح، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[5]؛ لأن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بعد وصيته: "فإنكم على الفطرة"، والمراد بالفطرة هو العهد والوعد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى من بني آدم في عالم

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية (ص٣٥).

(٣) تقدم تخريج الأثر، وترجمة راويه (ص ١٠٤).

(٤) تقدم تخريج الحديث (ص ١١٣).

(٥) الأعراف: ١٧٢.

الأرواح، وعلى هذا العهد وُلد كل مولود، وفسّر أهلُ العلم الفطرةَ بدين الإسلام[(١)]؛ لأن العهد هو الإسلام والتوحيد في الحقيقة؛ ولأن الإسلام يدعو إلى هذا العهد والفطرة؛ إذ الفطرة هي دين الإسلام.

فالحاصل أن الاستدلال بالفطرة أسلوب نافع من أساليب الدعوة إلى الله، فينبغي للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته، ويُقنع الإنسان المدعو بأنه وُلِد على العهد والوعد، والفطرة، فعليه أن يبقى على ميثاق عهده وإيفائه، وهو بقائه على كلمة التوحيد ونفي الشرك.

وأختم هذا المطلب بقول الإمام ابن القيم ﵀ إذ يقول في تفسير الآية المذكورة: "ولما كانت هذه آية الأعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والإشهاد العام لجميع المكلفين ممن أقرّ بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك، وهو ميثاق وإشهاد تقوم به عليهم الحجة، وينقطع به العذر، وتحلّ به العقوبة، ويستحق بمخالفته الإهلاك، فلا بد أن يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك ما فطرهم عليه من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم، وفاطرهم وأنهم مخلوقين مربوبون، ثم أرسل إليهم رسله يذكرونهم مما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وأمره ونهيه ووعده ووعيده"[(٢)].

المطلب الثالث عشر: أسلوب التأكيد بالتكرار.

وهو مصدر من كرّر يكرر تكرارا؛ إذا ردّد وأعاد، هو "تَفْعَال" بفتح التاء، وليس بقياس بخلاف التفعيل. وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض[(٣)].

---

(١) تقدم قبل سطور قول أبي هريرة ﵁ في هذا المعنى؛ إذ يقول: اقرءوا إن شئتم .. إلخ، وينظر التفصيل عن هذا الموضوع في فتح الباري لابن حجر (٣/٢٤٨).

(٢) الروح (ص ١٦٧).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٣/٨) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ. والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٣/٢٢٤) تحقيق: محمد =

وقد ذكر الزمخشري والسيوطي فوائدا كثيرة للتكرار، ومن جملتها بعض أهمها فيما يلي بإيجاز غير مخل، وبإطناب غير ممل:

أحدها: التأكيد، واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يُقرِّر إرادة معنى الأول وعدم التجوُّز.

الثاني: التقرير وقد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرَّرَ، وقد نبّه تعالى على السبب الذي لأجله كرَّر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[(١)].

الثالث: زيادة التنبيه على ما يَنفي التُّهمة ليَكمُل تلقِّي الكلام بالقَبول.

الرابع: إذا طال الكلام وخُشِي تَناسِي الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده.

الخامس: في مقام التعظيم والتهويل كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[(٢)].

السادس: في مقام الوعيد والتهديد كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[(٣)] وذكر "ثم" في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول.

السابع: التعجب كقوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾[(٤)] فأعيد تعجبا من تقديره وإصابتِه الغرضَ على حدٍّ، قاتله الله ما أشجعه!.

الثامن: لتعدد المتعلق كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[(٥)] فإنها

=

أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(١) طه: ١١٣.

(٢) الحاقة: ١ – ٢.

(٣) التكاثر: ٣ – ٤.

(٤) المدثر: ١٩ – ٢٠.

(٥) الرحمن: ١٣. تكررت هذه الآية ٣١ مرة.

وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله[١].

ثبت من خلال ما تقدم أن أسلوب التكرار من أساليب القرآن الكريم في مخاطبته المدعوين، وقد جاء ذكره في مواضع كثيرة، وكذلك ثبت استخدام هذا الأسلوب عن النبي ﷺ، فروى البخاري عن أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا»[٢].

دل هذا الحديث على أن النبي ﷺ كان يستخدم هذ الأسلوب، وإذا دعت الحاجة يعيد الكلمة ثلاث مرات حتى تُفهم عنه، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته حسب ما تقتضي الحاجة والضرورة.

يستفاد هذا الأسلوب من أحاديث كثيرة، ومن جملتها حديث مِسْعَرٍ[٣] كما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: أَخْرَجَ إِلَيَّ مَعْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[٤] كِتَابًا، فَحَلَفَ لِي بِاللَّهِ أَنَّهُ خَطُّ أَبِيهِ[٥]،

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي (٣/١١-١٨). والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٣/٢٢٤-٢٣٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعادها الحديث ثلاثا ليفهم عنه، (١/٣٠، رقم:٩٥).

(٣) هو أبو سلمة مِسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث الهلالي العامري ، الكوفي، من كبار أتباع التابعين، وهو ثقة ثبت، أحد الأعلام، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ١٥٣ هـ أو ١٥٥ هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٨/١٣)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٣٤٥). وتاريخ الإسلام (٤/٢١٢). وسير أعلام النبلاء كلاهما للذهبي (٧/١٦٣).

(٤) هو أبو القاسم معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي، الكوفي، من كبار أتباع التابعين ثقة إمام عفيف، قليل الحديث، قاضي على الكوفة، روى له البخاري ومسلم، يراجع ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٣٠٥)، وتهذيب الكمال للمزي (٢٨/٣٣٣).

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي، الكوفي، ثقة من كبار التابعين، روى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة ٧٩ هـ. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٥/٢٩٩)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢١٨)، وتهذيب الكمال للمزي (١٧/٢٣٩).

فَإِذَا فِيهِ: «قَالَ عَبْدُ اللَّهِ[1]: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ﵁، وَإِنِّي لَأَرَى عُمَرَ ﵁ كَانَ أَشَدَّ خَوْفًا عَلَيْهِمْ أَوْ لَهُمْ»[2].

فقد جاء في هذا الحديث ذكر أسلوبين مهمين: الأول: أسلوب التأكيد بالقسم -وسيأتي بيانه في المطلب التالي-، والثاني: أسلوب التأكيد بالتكرار، وقد تكررت فيه كلمة "ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين" لبيان التأكيد وذكر التنبيه على خطورة هذا العمل. والله تعالى أعلم.

فالحاصل أن التكرار من الأساليب النافعة في مجال نشر الدعوة إلى الله وتبليغها، فينبغي للداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب في تبليغ الدين ونشره؛ إذا اقتضت الحاجة إلى استخدامها.

المطلب الرابع عشر: أسلوب التأكيد بالقسم.

التأكيد قد يكون بالتكرار -كما تقدم- وقد يكون بالقسم، وقد اُستخدم

---

(١) أي عبد الله بن مسعود الهذلي ﵁، الصحابي المعروف من علماء الصحابة.

(٢) **تخريج الحديث**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (١/٢٤٩/٢٥٠، رقم: ١٤٠)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٦): فيه محمد بن قدامة الجوهري: فيه لين، وأخرجه أبو يعلى (المسند: ٨/٤٣٧) ابن أبي شيبة (المصنف:٩/٥٠، رقم: ٦٤٨٠) والطبراني (المعجم الكبير: ١٠/٢١٦، رقم: ١٠٣٦٧) وينظر: الهيثمي (مجمع الزوائد: ١٠/٢٥١) وفي المطالب العالية (٣/٢٠٠، رقم: ٣٢٥٢) ويشهد له حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (هلك المتنطعون) أخرجه مسلم حديث (٢٦٧٠)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨/٤٣٧).

شرح غريب الحديث:

«المتنطعين»: جمع المتنطع، وهو اسم فاعل من التنطع، ومعناه: التعمق والغلو والتكلّف لما لم يُؤمر به. ينظر: غريب الحدي؛ لابن الجوزي (٢/٤١٨).

أسلوب التأكيد بالقسم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية أكثر من أن تحصى.

وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١).

ومن السنة قوله ﷺ : **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا»**(٢).

يستفاد هذا الأسلوب من أحاديث كثيرة، ومنها الحديث المتقدم لمسعر بن كدام؛ إذ يقول: «أَخْرَجَ إِلَيَّ مَعْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كِتَابًا، فَحَلَفَ لِي بِاللَّهِ أَنَّهُ خَطُّ أَبِيهِ» إلخ، فهذا صريح في استخدام أسلوب القسم في الدعوة إلى الله ونشر الدين، لأن القسم يثبت المعاني في النفوس وتطمئن به القلوب.

ومن الأحاديث الدالة على هذا الأسلوب حديث طويل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه حينما وعظ المهلّلين والمكبّرين والمسبحين بالحصى، فقال لهم: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ»(٣).

الشاهد في هذا الحديث هو قوله: "والذي نفسي بيده"، فقد استخدم أسلوب القسم في هذه الموعظة الحسنة، أثناء ترهيبهم عن البدعة.

ومن الآثار الدالة على هذا الأسلوب: أثر الشعبي رحمه الله؛ إذ يقول: «إِيَّاكُمْ وَالْمُقَايَسَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَخَذْتُمْ بِالْمُقَايَسَةِ لَتُحِلُّنَّ الْحَرَامَ وَلَتُحَرِّمُنَّ الْحَلَالَ،

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، (١٣٠/٨، رقم: ٦٦٣٧). وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما (٣٢٠/١، رقم: ٤٢٦).

(٣) تقدم كامل الأثر مع التخريج، وشرح غريبه (ص ٢٥٦).

وَلَكِنْ مَا بَلَغَكُمْ عَمَّنْ حَفِظَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاعْمَلُوا بِهِ»[1].

ففي هذا الأثر جاء ذكر القسم بقول الشعبي رحمه الله: "والذي نفسي بيده"، وكان يعظ موعظة بليغة، وكان يحذّر عن البدع والمقايسة، كما يحض على اتباع الأثر، وعلى اتباع عمل الصحابة رضي الله عنهم الذين تعلّموا الدين مباشرة عن النبي ﷺ.

وفي هذا الأثر فائدة دعوية أخرى ألا وهي أن العمل يكون على ما ثبت عن النبي ﷺ وثبت عن الصحابة رضي الله عنهم، وأما ما نُقل إلينا من غير تثّبت، فلا يكون العمل عليه، كما قال الشعبي رحمه الله: "ما بلغكم عمن حفظ من أصحاب محمد ﷺ فاعملوا به"، فمفهومه ظاهر بأن ما بلغكم عمن لم يحفظوا من أصحاب النبي ﷺ فلا تعملوا به. والله تعالى أعلم بالصواب. وهو الهادي إلى السواء السبيل.

فالحاصل أن أسلوب القسم من الأساليب المؤثرة في الدعوة إلى الله، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب فيما يناسب استخدامه من الأوقات المناسبة، والأماكن الملائمة له.

المطلب الخامس عشر: أسلوب الحض والحث.

الحض والحث من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، والفرق بينهما أن

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، (١/٢٣٥، رقم: ١١٠)، قال الداراني: إسناده ضعيف.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣٦): فيه عيسى الحناط، قال الذهبي: ضعفوه (الكاشف ٢/٣٧٠)، أخرجه الحافظ البيهقي (المدخل: ١٩٧، رقم: ٢٢٥)، وابن حزم (الإحكام: ٨/٥٤٢-٥٤٣)، وابن عبد البر (جامع بيان العلم: ٢/١٦٧)، والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١/١٨٣-١٨٤).

شرح غريب الأثر:

«لَئِنْ أَخَذْتُمْ بِالْمُقَايَسَةِ»: المراد به أخذ القياس مع وجود النص، وإلا أن القياس مصدر ثالث من مصادر التشريع الإسلامي. والله تعالى أعلم.

الحث يكون في السير والسوق وكل شيء، والحض لا يكون في سير ولا سوق[1].

وقد جاء ذكر هذا الأسلوب في حديث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري ﭬ كما روى الإمام الدارمي عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﭭ، قَالَ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى ﭬ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «**تَسَانَدَا، وَتَطَاوَعَا، ويسِّرا وَلَا تُنَفِّرَا**» فَقَدِمَا الْيَمَنَ، فَخَطَبَ النَّاسَ مُعَاذٌ فَحَضَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي القرْآنِ ...» إلخ[2].

الحديث صريح في أن النبي ﷺ لما أرسل معاذا وأبا موسى إلى اليمن، فإن معاذا حضّ الناسَ على الإسلام، وأمرهم بالتفقّه في القرآن الكريم، فإنه ﭬ استخدم هذا الأسلوب النافع في تبليغ الدين ونشره، فلذا ينبغي للداعية الحصيف أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوة الناس إلى الإسلام اتباعا لهدي السلف الصالحين.

المطلب السادس عشر: أسلوب العفو والصفح[3].

المقصود من هذا الأسلوب أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعفو ويصفح عن المدعوين، ولكن هذا العفو لابد أن يكون عن حكمة، وإذا كانت الحكمة تقتضي العفو، فعليه أن يعفوا عنهم وإلّا فلا، فالعفو له فضائل كثيرة في الكتاب والسنة، كما له تأثير عظيم في نفوس الناس، ولذلك عفى النبي ﷺ عن كثير من المشركين والمنافقين، كما عفى ﷺ عن الشخص الذي سل السيف عليه وأراد أن يقتله والنبي ﷺ نائم، ولكن النبي ﷺ لَـمّا عفى عن الرجل أسلم، ورجع إلى قومه، ودعاهم إلى الإسلام، فأسلم كثير من الناس بسبب أسلوب العفو.

وقد قال النبي ﷺ في فضل العفو: «**سلوا الله العفو والعافية؛ فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية**»[4].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١٣) (مادة: حض).

(٢) تقدم كامل الحديث مع التخريج، وشرح غريبه (ص ١٦٢).

(٣) وقد تقدم شيء من التفصيل عن الصفح والعفو في صفات الداعية ينظر: (ص ٢١١).

(٤) الجامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن بشار، (٥/٥٥٧، رقم: ٣٥٥٨).
=

فعلم من هذا أن العفو والعافية خير من كل شيء بعد الإيمان واليقين، وهو سبب العِزّ للعبد كما قال ﷺ : **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»**(١).

يستفاد هذا الأسلوب من حديث أَبِي صَالِحٍ كما روى الإمام الدارمي عنه أنه قال: قَالَ كَعْبٌ: «نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ...»(٢) إلخ.

فهذا الحديث ظاهر في صفة النبي ﷺ حسب ما ورد في التوراة بأنه ﷺ كان يعفو ويصفح ويغفر، ولا شك أن النبي ﷺ عفى عن خلق كثير من الناس كما عفى عن أهل الطائف وعن أهل مكة في فتح مكة، وعفى من المسلمين حاطب بن أبي بلتعة الذي أراد أن يفشي سر النبي ﷺ.

فالحاصل أنه جاء في هذا الحديث ذكر هذا الأسلوب النافع، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتخذ هذا الأسلوب في دعوة الناس إلى الله تعالى. اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي مالي.

المطلب السابع عشر: أسلوب الاحتياط في الدعوة(٣).

الاحتياط في الكلام من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ولها أهمية بالغة في الشريعة الإسلامية حتى عدّه بعض أهل العلم ضمن الأدلة الشرعية التبعية(٤).

=

وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، (١٢٦٥/٢، برقم، ٣٨٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٠/٣)، وصحيح ابن ماجه (٣٣٨/٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، (٢٠٠١/٤، رقم: ٢٥٨٨).

(٢) تقدم كامل الحديث مع التخريج، وشرح غريبه (ص ١٣١).

(٣) تقدم البيان عن الاحتياط في "الأحكام التي تختص بالداعية"، ينظر: (ص ٢٥٩).

(٤) ينظر: الاحتياط الشرعي حقيقته وضوابطه، د. قطب الريسوني، (ص ٢) بحث منشور في مجلة =

المقصود من الاحتياط: "حفظ النفس عن الوقوع في المآثم"(١). وعبّره بعض أهل العلم بالورع على أساس "بأن الورع هو الاحتياط نفسه"(٢)، وقيل في تعريف الورع: "هو اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات"(٣)، وقيل: هو ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس(٤).

يستفاد هذا الأسلوب من عدة آثار الدراسة كما روى الإمام الدارمي عن هشامِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ بِمَرْجِ الدِّيبَاجِ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَلْوَةً، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لِي: مَا تَصْنَعُ بِالْمَسَائِلِ؟ قُلْتُ: لَوْلَا الْمَسَائِلُ، لَذَهَبَ الْعِلْمُ. قَالَ: لَا تَقُلْ ذَهَبَ الْعِلْمُ، إِنَّهُ لَا يَذْهَبُ الْعِلْمُ مَا قُرِئَ الْقُرْآنُ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتَ يَذْهَبُ الْفِقْهُ»(٥).

الشاهد في هذا الأثر هو قول ابن محيريز: "لا تقل ذهب العلم ... ولكن لو قلتَ يذهب الفقه" (فكان أحسن وأحوط).

وروى الإمام الدارمي عن الْأَعْمَشِ، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ قَطُّ: حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ: كَانُوا يَتَكَرَّهُونَ، وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ»(٦).

ظهر من هذا الأثر أن إبراهيم النخعي مع جلالة قدره وشأنه كان لا يتكلم في تحليل الحلال وتحريم الحرام إلا بالألفاظ المحتاطة، وكان يقول في مسائل الحلال: "فكان السلف الصالح يستحبونه"، ويقول في مسائل الحرام: "فكان السلف الصالح يتكرّهون"، فكل ذلك احتياطاً في مسائل الدين، خاصة في بيان الحلال والحرام. والله أعلم بالصواب.

=

البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي، (عدد ٢٣٤) صفر ١٤٢٨هـ.

(١) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٢).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (١/٥١)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ٢٥٢).

(٤) الفروق للقرافي (٤/٢١٠).

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢٦١).

(٦) تقدم تخريج الأثر، وترجمة راويه (ص ٢٦١).

المطلب الثامن عشر: أسلوب النداء بالكنى والألقاب المحمودة.

المقصود من هذا الأسلوب: أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن ينادي الناس ويخاطبهم بالكنى، والألقاب الحسنة، وبكل ما يحبّوه من الصفات الجميلة؛ لأن ذلك يحرك النفوس ويثير القلوب على قبول الدعوة.

يستفاد هذا الأسلوب من عدة آثار، منها أثر مَيْمُون أَبِي حَمْزَةَ كما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: قال لي إِبْرَاهِيمُ: «يَا أَبَا حَمْزَةَ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَكَلَّمْتُ، وَلَوْ وَجَدْتُ بُدًّا مَا تَكَلَّمْتُ، وَإِنَّ زَمَانًا أَكُونُ فِيهِ فَقِيهَ أَهْلِ الْكُوفَةِ زَمَانُ سُوءٍ»[(1)].

الشاهد في هذا الأثر أن إبراهيم النخعي خاطب ميمون بكنيته؛ إذ يقول: "يا أبا حمزة"، ثم أكّد كلامه بأسلوب القسم وقد تقدم بيان ذلك في موضعه.

ومن الآثار الدالة على هذا الأسلوب أثر تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁، قَالَ: تَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ فِي زَمَنِ عُمَرَ ﵁ فَقَالَ عُمَرُ: «يَا مَعْشَرَ الْعُرَيْبِ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ، إِنَّهُ لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ، وَلَا إِمَارَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ ...إلخ»[(2)].

الشاهد في هذا الأثر أن عمر بن الخطاب ﵁ خاطب الناس بلقبهم المحبوب وهو "العُريب" فقال: "يا معشر العُريب"، فصغّرهم تعظيما وتوقيرا لشأنهم. فهكذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن ينادي الناس بما يحبّونه، ويخاطبهم بما لا يكرهونه. هذا والله أعلم بالصواب.

المطلب التاسع عشر: أسلوب التعجب.

المقصود من أسلوب التعجب ما خَفي سببُه ولم يعلم، وإنما يتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه[(3)].

ويستعمل التعجب على وجهين: أحدهما: ما يَحمَدُه الفاعلُ، ومعناه: الاستحسانُ، والإخبار عن رِضاه به. والثاني: ما يَكْرَهُه، ومعناه: الإنكار والذم له.

---

(١) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٢٥).

(٢) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه (ص ١٩٢).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٨٤/٣)، (مادة: عجب).

ففـي الاستحسـان يقـال: أعجبـني، بـالألف، وفي الـذم والإنكـار: عَجِبْـتُ وِزان تَعِبْتُ. وقال بعض النحاة: التعجب: انفعال النفس لزيادة وصفٍ في المتعجَّب منه[1].

يستفاد هذا الأسلوب من عدة آثار، منها: أثر الشَّعْبِيِّ فيما رواه الإمام الدارمي رحمه الله عنه أنه قال: شَهِدْتُ شُرَيْحًا وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ، مَا دِيَةُ الْأَصَابِعِ؟ قَالَ: «عَشْرٌ عَشْرٌ». قَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، أَسَوَاءٌ هَاتَانِ؟ جَمَعَ بَيْنَ الْخِنْصِرِ وَالْإِبْهَامِ. فَقَالَ شُرَيْحٌ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، أَسَوَاءٌ أُذُنُكَ وَيَدُكَ؟ ... إلخ [2].

الشاهد في هذا الأثر هو قوله: «يا سبحان الله»، فلما بيّن القاضي الشريح دية الأصابع تعجب عليه المستفتي، وقال: يا سبحان الله، أسواء هاتان؟ وجمع بين الخنصر والإبهام، فأجاب له شريح بنفس الأسلوب، وتعجّب عليه أكثر؛ لأنه يعرض القياس مع وجود النص، فهذا يدل على أنه لا حرج للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب عند وقت الحاجة والضرورة.

ومما يدل على هذا الأسلوب حديث الذي طلب فيه النبي ﷺ صنع المنبر، وفي آخره: «... فَلَمَّا أَنْ بَنَوْا لَهُ، قَالَ الْحَسَنُ: حَنَّتْ -وَاللَّهِ- الْخَشَبَةُ، قَالَ الْحَسَنُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، هَلْ تُبْتَغَى[3] قُلُوبُ قَوْمٍ سَمِعُوا؟»[4].

ففي هذا الأثر أيضا جاء ذكر هذا الأسلوب؛ إذا قال تعجباً «سبحان الله» فهذا يدل على جواز استخدام هذا الأسلوب في مجال الدعوة إلى الله تعالى. والله تعالى أعلم.

المطلب العشرون: أسلوب التأليف بالتهنئة وطيب الكلام.

"تـأليف القلـب" أسـلوب مهـم مـن الأسـاليب الدعويـة لتـأثير عميـق في نفـوس

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للحموي (٣٩٣/٢) (مادة: ع ج ب). والتعريفات للجرجاني (ص ٦٢).

(٢) تقدم كامل الأثر مع التخريج، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٢٧).

(٣) هل تبتغى: الاستفهام إنكاري، أي لا يبتغي الشيطان قلوبهم، يئس لقوة إيمانهم.

(٤) تقدم كامل الحديث مع التخريج، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٣٢٩).

المدعوين، سواء كان هذا التأليف بالشيء المادي كالمال والهدية ونحوها، أم كان بالشيء المعنوي كطيب الكلام والتهنئة أو نحو ذلك، فإذا كان بالشيء المادي فيعدّ هذا في الوسائل كما تقدم بيان ذلك في الوسائل الدعوة، وإذا كان التأليف بالشيء المعنوي فيعدّ في الأساليب.

فهذا الأسلوب نافع جدا في مجال الدعوة إلى الله تعالى خاصة في دعوة غير المسلمين؛ لأن طيب الكلام والتهنئة ونحوها تطيب خاطر المدعوين وتترك الأثر الدائم في نفوسهم حتى يقبلون الدعوة أو يقربون إليها على الأقل.

يستفاد هذا الأسلوب من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، فيما روى الإمام الدارمي ﵀ عنه أنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ ﵂ فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ، فَقَالَ: «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي**»، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَاحِقٌ بِي**» فَضَحِكتُ، [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ فَقَالَ: «**هُمْ أَرَقُّ أفْئدةً، وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»][2].

الناظر والمتأمل في هذا الحديث يجد نموذجا من طيب كلامه ﷺ مع ابنته ومع أهل اليمن؛ حيث لما بكت فاطمة ﵂ بخبر وفاته ﷺ، أخبر لها النبي ﷺ بأنها أول لاحقة به ففرحت، وكذلك بشارته ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والحكمة، وترحيبهم بقوله «وجاء أهل اليمن» فمثل هذا الكلام الطيب الحلو يترك الأثر في نفوس المدعوين، ويبقى هذا الأثر إلى وقت لاحق، فلذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدم هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله في المواضع التي دعت الحاجة إليها وبما يناسب حالات المدعوين وظروفهم.

****

---

(١) سورة النصر: ١.

(٢) تقدم تخريج الحديث (ص ٢٣٨). وما بين المعكوفتين لم يذكرها صاحب القطوف الدانية.

الفصل الخامس: فقه مجالات الدعوة

من خلال أحاديث الدراسة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مجالات العقيدة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثاني: مجالات العبادة من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث: مجالات المعاملات من خلال أحاديث الدراسة.

المبحث الرابع: مجالات الأخلاق من خلال أحاديث الدراسة.

توطئة:

المقصود من مجالات الدعوة الإسلامية في هذا الموضع هي موضوعاتها، ومضامينها، ومحتوياتها، كأركان الإيمان، وأركان الإسلام، والجهاد في سبيل الله، والأخلاق الحسنة، والعبادات، والمعاملات، وما إلى ذلك.

وليس المقصود بها ههنا ميادينها أو وسائلها، كما ذكرها بعض أهل العلم ضمن مجالات الدعوة[1]، وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: "نعني بمجال الدعوة إلى الله تعالى ميادينها المختلفة، فإن الدعوة إلى الله ليست محصورة في ميدان معيّن؛ بل لها ميادين متعددة"[2].

ولكنني أردت بالمجالات ههنا موضوعات الدعوة ومضامينها فقط؛ لأن الوسائل والأساليب ذكرتها في مباحث مستقلة كما تقدم في الفصل السابق.

فأعني بمجالات الدعوة: مجال العقيدة، ومجال العبادة، ومجال المعاملات، ومجال الأخلاق. لأن أحكام الشريعة إما أن تتعلق بأمور العقيدة أو بالأخلاق أو بالعبادات أو بالمعاملات، كما ذكرها الشيخ الدكتور عبد الكريم زيدان وغيره من أهل العلم[3].

وعبّرها الأستاذ الدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي بـ"المحتويات"، ثم قال: "يقصد بمحتويات منهج الدعوة: ما يتضمنه المنهج الدعوي من عقيدة، وشريعة، وأخلاق، ومسالك، وآداب، ونظم، وتعليم للأمة الإسلامية، ولغيرها من الأمم"[4].

وقد عبّر الأستاذ الدكتور غازي بن غزاي المطيري هذه المجالات الدعوية بـ "الأسس الدعوية"[5].

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤٠٧/٨)، وفتاوى الشيخ ابن جبرين (١٦/٥٨).

(٢) رسالة في الدعوة إلى الله (ص٢٠).

(٣) أصول الدعوة (ص٦٤).

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٤٣٢/١).

(٥) ينظر: الدعوة في الواقع المعاصر (ص ٢٣-٢٦).

المبحث الأول: مجالات العقيدة

من خلال أحاديث الدراسة.

توطئة:

لا ريب أن مجال العقيدة من أعظم مجالات الدعوة إلى الله تعالى وأهمها؛ لأنها أساس الدين الذي يقوم عليها بنيانه، ومعرفتها وتعليمها من أوجب الواجبات على المرء، كما قال الإمام اللالكائي: "فإنَّ أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده، وصفاته، وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين"(١).

وتتلخص العقيدة في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي من أجل ذلك أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، ويتفرّع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتمسكوا بعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم، في الاعتقاد والعمل والسلوك، وأن يتركوا كل ما خالف هذا المنهج القويم والصراط المستقيم(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أما العقيدة الإسلامية، فأسسها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"(٣).

وقد قسّم بعض أهل العلم العقيدة الإسلامية إلى أربعة أقسام: الأول: الإلهيات،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٩).

(٢) ينظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله، أ. د. حمود بن أحمد الرحيلي (ص١٢٧-١٣٧)، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ١١٩، سنة ١٤٢٣هـ.

(٣) شرح أصول الإيمان، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، (ص ١٢)، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

والثاني: النبوات، والثالث: الروحانيات، والرابع: السمعيات[١].

ولكن رتّبت مجالات العقيدة في هذا البحث حسب ما ورد ترتيبه في الكتاب والسنة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٣].

وقد بيّن النبي ﷺ أسس العقيدة الإسلامية حينما سأله جبريل -عليه السلام- عن الإيمان، فقال ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٤].

وأما تعريف الإيمان: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تعريفه: "فهو التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به؛ والانقياد ظاهرا وباطنا. فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن. وذلك شامل للقيام بالدين كله"[٥].

وسيأتي بيان هذه العقيدة الإسلامية بإيجاز غير مخل، وإطناب غير ممل، مستنبطا من أحاديث الدراسة وآثارها في المطالب التالية:

---

(١) ينظر: من سلسلة العقائد: الإيمان باليوم الآخر، والقضاء والقدر، للأستاذ أحمد عزّ الدين البيانوني، (ص ٣)، دار السلام، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. والإيمان بالرسل عليهم السلام، أحمد عز الدين البيانوني (ص ٧) مكتبة الهدى، الحلب حول القلعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) القمر: ٤٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والقدر..، (٣٦/١، رقم: ٨).

(٥) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٢١/٦) الناشر: الميمان للنشر والتوزيع بالرياض، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى.

المقصود من الإيمان بالله تعالى: أن يعتقد المرء بأن الله ربّه وربّ كل شيء، وهو خالقه ومالكه ورازقه، وهو مستحق لجميع أنواع العبادات وحده لا شريك له. وهو منفرد في صفاته العلى وأسمائه الحسنى، وليس مثله شيء وهو السميع البصير. وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالإيمان به في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾(١).

وقد ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله في شرح كتاب التوحيد معنى الإيمان بالله تعالى بقوله: "هو إفراده بالعبادة التي تتضمن غاية الحب بغاية الذل والانقياد لأمره، وهذا هو الإيمان بالله المستلزم للإيمان بالرسل عليهم السلام، المستلزم لإخلاص العبادة لله تعالى، وذلك هو توحيد الله تعالى ودينه الحق المستلزم للعلم النافع، والعمل الصالح، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وحقيقة المعرفة بالله، وحقيقة عبادته وحده لا شريك له"(٢).

الإيمان بالله تعالى ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إفراد الله تعالى بالربوبية، وهو يُسمّى بـ "توحيد الربوبية".

وقد جاء ذكر هذا النوع في أحاديث وآثار كثيرة، ومنها أثر عبد الله بن سلام رضي الله عنه فيما رواه الإمام الدارمي عَنْ أَبِي حَرِيزٍ الْأَزْدِيِّ(٣)، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَجِدُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِمًا عِنْدَ رَبِّكَ وَأَنْتَ مُحْمَارَّةٌ وَجْنَتَاكَ،

---

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص ٩٧).

(٣) هو أبو حريز عبد الله بن الحسين الأزدي البصري، قاضي سجستان، مختلف فيه، حكَم عليه الحافظ ابن حجر بأنه صدوق يخطئ، وروى له أصحاب السنن والبخاري تعليقاً. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (١٤/٤٢٠)، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٠٠).

مُسْتَحْيٍ مِنْ رَبِّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ[1].

الشاهد في هذا الأثر أنه جاء فيه ذكر "الربّ" سبحانه وتعالى في قوله: "قائما عند ربّك" وفي قوله: "مستحي من ربّك" إلخ فهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى رب كل شيء حتى رب ليوم القيامة، وهذا الأثر إن كان ضعيف الإسناد إلا أن هناك أدلة أخرى تدل على هذا النوع، ومنها أثر عبد الله بن مسعود ﷺ كما روى الإمام الدارمي عن شَقِيقٍ[2] قَالَ: سُئِلَ عَبْدُ اللهِ (بْن مسعود ﷺ) عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أُحِلَّ لَكَ شَيْئًا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، أَوْ أُحَرِّمَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَكَ»[3].

وجه الاستدلال من هذا الأثر: أن عبد الله بن مسعود ﷺ كان يكره أن يحلل الحرام، أو يحرّم الحلال؛ لأن حق التحليل والتحريم ليس لأحد إلا لله سبحانه وتعالى، ومَن جعل هذا الحق في غيره سبحانه وتعالى فقد جعله ربًّا سوى الله، كما حكى

---

(١) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ (١/٢٢٤، رقم: ٩٠)، قال الداراني: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن ميسرة أبي عبد الجليل وهو موقوف على عبد الله بن سلام وباقي رجاله ثقات.

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٨): فيه أبو عبد الجليل لم أقف على ترجمته، وأبو حريز، صدوق يخطئ، ولم يدرك الصحابة ففي الإسناد انقطاع.

(٢) هو أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، الكوفي، ثقة من كبار التابعين، أو مخضرم لأنه أدرك النبي ﷺ ولم يره، وروى له أصحاب الكتب الستة، وكان مولده السنة الأولى من الهجرة، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل غيره . يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٤/٢٤٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٩٦). والثقات لابن حبان (٤/٣٥٤) دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ. وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/١٦٥).

(٣) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (١/٢٥٣ رقم: ١٤٨)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٤٨): رجاله ثقات.

سبحانه وتعالى عما فعل اليهود والنصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1]. فلما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: «**أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟**» قال: قلت: بلى! قال: «**فتلك عبادتهم!**»[2].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: "وفي هذه الآية ما يزجُر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المُتمَذهِب لمن يَقتدِي بقوله ويَستنُّ بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص، وقامت به حجج الله وبراهينه، ونطقت به كتبه وأنبياؤه، هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أربابا من دون الله، للقطع بأنهم لم يعبدوهم، بل أطاعوهم، وحرموا ما حرموا، وحللوا ما حللوا. وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء فيا عباد الله! ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانبا، وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما ... فدعوا أرشدكم الله وإياي كتبا كتبها لكم الأموات من أسلافكم، واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم، ومتعبدهم ومتعبدكم، ومعبودهم ومعبودكم، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءوكم به من الرأي بأقوال إمامكم وإمامهم وقدوتكم وقدوتهم، وهو الإمام الأول محمد بن عبد الله ﷺ.

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر"[3].

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٠٦/٧)، والطبري في تفسيره الجامع البيان (٢١٠/١٤)، وروى الترمذي نحوه في سننه (٢٧٨/٥)، وقال: هذا حديث [حسن] غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب و غطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. وذكره العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦١/٧، رقم: ٣٢٩٣).

(٣) تفسير فتح القدير (٤٠٣/٢-٤٠٤).

والنوع الثاني: إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو يسمى بـ "توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة". فباعتبار إضافته إلى الله تعالى سُمّي "توحيد الألوهية"، وباعتبار إضافته إلى العابد سُمّي "توحيد العبادة"(١).

وقد جاء ذكر هذا النوع في أثر عبد الله بن سلام ﷺ، فيما رواه الإمام الدارمي عنه أنّه كان يقول: إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ، وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ الْمِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ بِأَنْ يُشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا»(٢).

الشاهد في هذا الأثر أن عبد الله بن سلام ﷺ ذكر صفات النبي ﷺ كما جاء ذكره في التوراة، ومن جملة صفاته ﷺ أنه بُعث ليقيم الملّة المعوّجة بأن يُشهد أن لا إله إلا الله، وهذا هو حقيقة الإيمان بالله تعالى حيث يعتقد الناس أنه لا معبود بحق إلا الله وحده، ولذا يجب على الدعاة أن يدعو الناس أول ما يدعون إلى الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالله لا يعني اعتقاد بأن الله رب وخالق ومالك ورازق فقط، بل يجب أيضاً أن يعتقد المرء بأن لا معبود بحق سوى الله سبحانه وتعالى.

ويدل أيضا على هذا النوع حديث عدي بن حاتم ﷺ -تقدم ذكره- حينما قال على قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٣): "إنا لسنا نعبدهم" فهذا يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن العبادة لا ينبغي إلا للرب تعالى، كما يدل على أن الرب هو مستحق للعبادة.

والنوع الثالث: إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهو يسمى بـ "توحيد الأسماء والصفات".

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٢٤).

(٢) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٩١).

(٣) التوبة: ٣١.

بالله تعالى وهي الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته[1].

وقد جاء ذكر هذا النوع في أحاديث وآثار كثيرة، منها أثر ابن عباس رضي الله عنهما حينما قال: إن الله فضّل محمداً على الأنبياء، فاستدل عليه بالآيتين:

الأولى في شأن جميع الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2].

والثانية في فضل نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

والشاهد هنا في الآية الأولى؛ إذ جاء فيها ذكر الاسمين من أسماء الله الحسنى، وهما: العزيز، والحكيم، وهذان الاسمان يشتملان على صفتين جميلتين لله سبحانه وتعالى، وهما: العزة، والحكمة.

واجتماع هذين الاسمين (العزيز والحكيم) في مكان واحد يدلّ على الكمال الخاصّ لكلّ اسم منهما، ويدلّ على كمال آخر، وهو أنّ عزّة الله سبحانه وتعالى مرتبطة بالحكمة، فلا يقارنها ظلم، وحكمته سبحانه وتعالى مقرونة بالعزّة فلا يقارنها ذلّ، كما يكون في المخلوقات غالبًا[4].

وقد قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله كلاما جامعا ومختصرا في أهمية معرفة أسماء الحسنى وفوائده؛ إذ يقول: "معرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته. فكلما ازداد العبد

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٥) عمادة خدمة المجتمع، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ..

(٢) إبراهيم: ٤.

(٣) سبأ: ٢٨.

(٤) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى؛ لابن عثيمين (ص٨).

معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه. فينبغي للمؤمن وللداعية إلى الله تعالى أن يبذل مقدوره ومستطاعه في دعوة الناس إلى معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان"(١).

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة.

الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- هم: "أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكُّل بأشكالٍ مختلفة مسكنها السموات خلقت من النور"(٢).

وقيل هم: "أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التمثّل بأمثلة مختلفة بإذن الله تعالى، لا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة"(٣).

وقيل: "خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون"(٤).

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٦/٦) (بتصرف يسير).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٦/ ٣٠٦).

(٣) ينظر: الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام، أحمد عز الدين البيانوني، (ص٧) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ. والإيمان بالملائكة عليهم السلام، صفاتهم، أصنافهم، وظائفهم، مواقفهم، ومعه بحث حول عالم الجن، بقلم: عبد الله سراج الدين، (ص١٩) مكتبة دار الفلاح، حلب أقيول، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.

(٤) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، (ص٩٩) الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

وقيل: "الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبداً"(١).

قال الإمام البيهقي: الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ:

أحدها: التصديق بوجودهم.

والثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه -كالإنسان والجن- مأمورون مكلّفون، لا يقدرون إلا على ما قدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالي جعل لهم أمداً بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصَفون بشيء يؤدّي وصفهم به إلي إشراكهم بالله تعالي جَدُّه، ولا يدَّعون آلهةً كما ادَّعتْهم الأوائلُ.

والثالث: الاعتراف بأن منهم رُسل الله، يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله، أو بأكثره"(٢).

يستفاد الإيمان بالملائكة من عدة أحاديث وآثار الدراسة، منها حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ فَقَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ الْآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ زِنْهُ بِرَجُلٍ، فَوُزِنْتُ بِهِ فَوَزَنْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَنْتَثِرُونَ عَلَيَّ مِنْ خِفَّةِ الْمِيزَانِ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَوْ وَزَنْتَهُ**

(١) عالم الملائكة الأبرار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، (ص٧) الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) شعب الإيمان، (٢٩٦/١) تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَهَا»(١).

جاء في هذا الحديث ذكر الملكين، فهذا يدل على أن هناك مخلوق آخر غير الإنس والجن، وهو يسمى بالملائكة، والإيمان بهم واجب على كل مسلم كما تقدم بيان ذلك.

وقد جاء ذكر الملائكة في أثر كعب الأحبار، كما روى الإمام الدارمي عن نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ، أَنَّ كَعْبًا دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كَعْبٌ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى يَحُفُّوا بِقَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا، عَرَجُوا وَهَبَطَ مِثْلُهُمْ فَصَنَعُوا مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ، خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَزِفُّونَهُ»(٢).

---

(١) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ (١/١٦٤ رقم: ١٤)، قال الداراني: في إسناده علتان: الأولى: ضعف عبد الله بن صالح فهو سيئ الحفظ جدا وكانت فيه غفلة، والثانية: الانقطاع، فإن نبيه بن وهب لم يدرك كعبا.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص١٧): فيه عروة لم يسمع من أبي ذر، وأخرجه البزار (كشف الأستار، رقم ٢٣٧١) وقال: لا نعلمه يروي عن أبي ذر إلا من هذا الوجه، واللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، رقم: ١٤٠٥) وابن حبان (الإحسان: ١٤/٤٣٤) والطبراني (المعجم الكبير: ١٢/٤٣١) وأخرج طرفا منه أحمد (٤/١٨٤) وخبر الوزن ثابت عند أحمد، والبزار.

وقال العلامة الألباني: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات معروفون، وفي جعفر بن عثمان كلام لا يضر إن شاء الله تعالى. ثم ذكر له شواهد، يُنظر: السلسلة الصحيحة (٦/٦٩).

وقد ذكره أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني في كتابه "الصَّحيح من أحاديث السّيرة النبوية" (ص ١٣)، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. ثم حكم عليه بأنه حسن بما قبله. والله تعالى أعلم.

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته، (١/٢٢٨ رقم: ٩٥) قال =

جاء في هذا الأثر ذكر الملائكة، فهذا يدل أيضاً على أن هناك مخلوق غير الإنس والجن، ألا وهو الملائكة، كما جاء فيه ذكر صفة الملائكة بأنهم ذو أجنحة. كما قال تعالى في بيان صفتهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١﴾[1].

وقد جاء ذكر خاص لسيد الملائكة جبريل عليه السلام في حديث ابْنِ غَنْمٍ، قَالَ: «نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَقَّ بَطْنَهُ. ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ فِيهِ أُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ وَعَيْنَانِ بَصِيرَتَانِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الْمُقَفِّي، الْحَاشِرُ، خُلُقُكَ قَيِّمٌ، وَلِسَانُكَ صَادِقٌ، وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ»[2].

الشاهد في هذا الحديث أنه جاء فيه ذكر خاص لجبريل عليه السلام، وهو سيد الملائكة، وواسطة بين الله تعالى وبين النبي ﷺ لنزول الوحي، فينبغي للدعاة إلى الله تعالى

=

الداراني: في إسناده علتان: الأولى ضعف عبد الله بن صالح فهو سيئ الحفظ جدا، وكانت فيه غفلة، والثانية: الانقطاع؛ فإن نبيه بن وهب لم يدرك كعبا.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣١): فيه خالد بن يزيد الجهني: مقبول، وهو موقوف على كعب الأحبار وهو من رواة الإسرائيليات، ولم أقف عليه عند غير الدارمي، ولا نشك في أن نبينا ﷺ حقيق بذلك، ولكن لا نجزم بصحة الخبر، والله أعلم.

شرح غريب الأثر:

«**يَحُفُّوا**»: حَفَّ يَحُف حفيفا: صوتُ الشيء تُحسُّه كالرَمْية أو طَيَران طائر، وحَفَّه بالشيء يَحُفُّه كما يُحَفُّ الهَوْدَجُ بالثِّياب، وَفِي حَدِيثِ أَهْلِ الذِّكْرِ: «فَيَحُفُّونَهم بأَجْنِحَتِهم» أَي يَطُوفُونَ بِهِمْ ويدُورُون حَوْلَهم. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إلَّا حَفَّتْهم الملائكةُ». ينظر: لسان العرب (٩/٤٩).

«**يَزِفُّونَهُ**»: زف الطَّائِر يزف زفا وزفيفا إذا بسط جناحيه وَقرب من الأَرْض. والزَّفِيفُ: سُرْعةُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ خَطْو وَسُكُونٍ، يزفون أي: يُسرعون. ينظر: لسان العرب (٩/١٣٦-١٣٧).

(١) فاطر: ١.

(٢) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٩٨).

أن يؤمنوا بالملائكة وأن يدعوا الناس إلى الإيمان بهم كما أمر الله ورسوله بالإيمان بهم في الكتاب والسنة.

الإيمان بالملائكة من أهم مجالات الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الإيمان بهم يمنع الإنسانَ عن الشر والمعاصي، فالإنسان حين يعلم أن معه ملائكة موكلون بحفظ أعماله، ويكتبون كل ما يصدر عنه الأقوال والأفعال من خير وشر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2]، فهذا الإيمان واليقين يمنعه من كل شر ومعصية، وأما الذين لا يؤمنون بهم، ولا يتركون المعصية والشر، فهؤلاء يُنادُون يوم القيامة: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[3].

فالحاصل أن الإيمان بالملائكة من المجالات المهمة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه ركن من أركان الإيمان، كما أنه سبب لمنع المعاصي والشر، فينبغي للداعية الحصيف أن يدعو الناس إلى الإيمان بالله والملائكة والرسل والكتب والقدر خيره وشره. -كما سيأتي بيان بقية أركان الإيمان في السطور التالية-.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب.

المراد بالكتب هنا: "الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام. سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملَك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب"[4].

والمقصود من الإيمان بالكتب: الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان

---

(١) الانفطار: ١٠ – ١٢.

(٢) ق: ١٧ – ١٨.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: نخبة من العلماء، (ص١٢٧).

الإيمان. وهي:

١ - التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله عز وجل، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه.

٢ - الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء.

٣ - الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تناقض بينها ولا تعارض.

٤ - الإيمان بما سمى الله عز وجل من كتبه على وجه الخصوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والقرآن العظيم.

٥ - الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال، ويجب الإيمان المفصل على القرآن الكريم بكل ما جاء فيه من قصص الرسل وأخبار الأقوام السابقة، وأحوال الآخرة، و غيرها من المسائل الأخرى[(١)].

إذا كان الإيمان بالكتب ركن عظيم من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا به، فكيف لا يكون هذا مجال عظيم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فيجب على الداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذا الموضوع عناية تامة.

وقد جاء ذكر هذا المجال أو الموضوع في أثر النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ فيما روى الإمام الدارمي ﵀، عنه أنه قَالَ: مَا خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ خُطْبَةً بِالْكُوفَةِ إِلَّا شَهِدْتُهَا، فَسَمِعْتُهُ يَوْمًا -وَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ ثَمَانِيَةً وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ- قَالَ: هُوَ كَمَا قَالَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ

(١) ملخصاً من كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: نخبة من العلماء (ص ١٣١-١٣٧).

اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابَهُ وَبَيَّنَ بَيَانَهُ، فَمَنْ أَتَى الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَقَدْ بُيِّنَ لَهُ، وَمَنْ خَالَفَ فَوَاللَّهِ مَا نُطِيقُ خِلَافَكُمْ»[(١)].

الشاهد في هذا الأثر هو قوله: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابَهُ وَبَيَّنَ بَيَانَهُ» فالمراد بالكتاب هو "القرآن الكريم"، والمراد بالبيان "السنة"، فقد جاء في هذا الأثر ذكر كتاب وهو أحد الكتب المنزّلة من الله سبحانه وتعالى، فالإيمان به واجب، ولا يتحقق إيمان العبد إلا به، فيجب على الداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى الإيمان به.

المطلب الرابع: الإيمان بالرسل.

المقصود من الإيمان بالرسل: هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالا وتفصيلا.

فالإيمان المجمل: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله. وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون. وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم. وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأما شرائعهم فمختلفة. وبأنهم قد بلّغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق. ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. كما يجب اعتقاد تفاضل الرسل على ما أخبر عز وجل في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[(٢)].

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عن الرسل على وجه العموم إيمانًا مجملًا.

---

(١) تقدم تخريج الأثر مع ترجمة راويه (ص ٢٢٥).

(٢) البقرة: ٢٥٣.

وأما الإيمان المفصل: فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته منهم، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم. والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. فيجب الإيمان بهم إيمانًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم. وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص. وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم(1).

لا ريب أن الإيمان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أعظم مجالات الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه أصل من أصول الإيمان، وأساس من أسس ملة الإسلام، فلذا يجب على الداعية إلى الله أن يعتني بهذا الجانب، ولا ينبغي الغفلة عن هذا. أسأل الله سلامة الإيمان والتوفيق والسداد.

وقد جاء ذكر هذا المجال في كثير من الأحاديث والآثار، وسأكتفي بذكر واحد منها لغرض الاختصار، وأقول وبالله التوفيق:

روى الإمام الدارمي رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ -عليهم السلام-، وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، ... قَالُوا: فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام؟ قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(2) الْآيَةَ. وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾(3)

(1) ينظر التفاصيل عن هذا مع الأدلة في: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: نخبة من العلماء، (ص١٦٠-١٦١).

(2) إبراهيم: ٤

(3) سبأ: ٢٨

فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»[١].

وجه الاستشهاد من هذا الأثر: أنه جاء فيه ذكر الآيتين، الآية الأولى في شأن جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، والآية الثانية في شأن نبينا محمد ﷺ، فمفهوم الآيتين يدل على أن الله أرسل الرُسل وآخرهم نبينا محمد ﷺ إلى كافة الناس، فيجب الإيمان بهم، كما أمر الله ورسوله في الكتاب والسنة، وتقدم بيان صفة الإيمان مجملا ومفصلاً.

فالحاصل أن الإيمان بالرسل مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فيجب على الداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى الإيمان بهم مجملا ومفصلا؛ لأن إيمان العبد لا يتحقق إلا به.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المراد باليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسُمّي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم[٢].

المقصود من الإيمان به ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلا غير مختتنين.

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه.

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق. فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين.

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، مثل فتنة القبر،

---

(١) تقدم تخريج الحديث (ص ٦٨).

(٢) شرح أصول الإيمان، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، (ص٣٨).

وعذاب القبر ونعيمه(١).

وقد جاء ذكر هذا المجال في عدة أحاديث الدراسة وآثارها، ومنها أثر ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَدْرِ عَلَى مَا هُوَ مِنْهُ، إِذَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

قد جاء في هذا الأثر ذكر ركنيين من أركان الإيمان: الأول: الإيمان بالكتب، -وقد تقدم بيان ذلك في المطلب الثالث قبل قليل-. والثاني: الإيمان باليوم الآخر. والشاهد هنا هو قوله: «إِذَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ» فلقاء الله عز وجل لا يكون إلا يوم القيامة، وهو اليوم الآخر، وهكذا جاء فيه ذكر ركن من أركان الإيمان، وهو مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾(٣).

ومن الأحاديث التي جاء فيها ذكر هذا المجال حديث أَبِي حَرِيزٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَجِدُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِمًا عِنْدَ رَبِّكَ وَأَنْتَ مُحْمَارَّةٌ وَجْنَتَاكَ، مُسْتَحْيٍ مِنْ رَبِّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ»(٤).

الشاهد في هذا الحديث أنه جاء فيه ذكر يوم القيامة، أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ذكر -كما وجد في التوراة- للنبي ﷺ كيف تكون صفته ﷺ يوم القيامة، بأنه يكون

(١) ملخصاً من المرجع السابق (ص٣٨-٤٢).

(٢) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، (١/٢٥٩ رقم: ١٦٠)، قال الداراني: إسناده صحيح إذا كان عبدة سمعه من ابن عباس.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٥٢): رجاله ثقات، رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٣٨) وأبو الفضل الهروي (أحاديث في ذم الكلام وأهله: ٢/١٢٣) والخطيب (الفقيه والمتفقه: ١/١٨٣) وابن حزم (الإحكام: ٦/٢٢١).

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) تقدم تخريجه (ص ٣٩٧).

قائما عند ربه، وتكون وجنتاه محمارّة، ويستحي من ربه مما أحدثت الأمة بعده من البدع والمنكرات، والخرافات. أسأل الله السلامة والتوفيق.

فعلى كل حال أنه جاء فيه ذكر هذا المجال الدعوي، وهو الإيمان بيوم القيامة، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بدعوة الناس إلى هذا الركن العظيم؛ لأن الإيمان لا يتم إلا به، وهكذا هو مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب السادس: الإيمان بالقدر والقضاء.

القضاء: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير[1].

والقدر: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك[2].

الفرق بين القضاء والقدر: أن القدر: هو تقدير لشيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر بمنزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر[3].

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء (ص٢٤٣-٢٤٤).

(٢) نفس المصدر والنفس الصفحة.

(٣) ينظر التفصيل عن الفَرق بينهما في : الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تأليف: علماء نجد الأعلام، (٢١٣/٣) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ. وشرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، (١٨٧/٢) المحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ. والآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة بن محمد بن جبريل، (٤٩٤/١) عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.

قال ابن الأثير: "فالقضاء والقدر أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البِناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدْم البناء ونقضه"(١).

ما وجدت أثرا أو حديثا من مجموع أحاديث الدراسة التي جاء فيه ذكر القضاء والقدر، ولكن ذكرته ههنا بالاختصار لإكمال الموضوع ولأنه ركن من أركان الإيمان. فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى الإيمان بالقدر خيره وشره، وذلك لما ثبت الإيمان به في الكتاب والسنة، وتقدم الأدلة على ذلك في بداية هذا المبحث.

المطلب السابع: المسائل المتفرقة في مجال العقيدة.

المسألة الأولى: الحياء شعبة من شعب الإيمان.

تعريف الحياء: قال الإمام ابن قيم الجوزية ﷺ: "الحياء من الحياة. وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُقِ الحياء. وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتمَّ. وفي الحقيقة أنها خُلُقٌ يَبعثُ على ترك القبائح. ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق"(٢).

وقال العظيم آبادي وغيره: "الحياء بالمد وهو في اللغة تغير وانكسار يتعرى الإنسان من خوف ما يعاب به، وفي الشرع: خُلُق يَبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. وإنما أفرده بالذكر لأنه كالدَّاعي إلى باقي الشُعَب؛ إذ الحيي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر"(٣).

ولا ريب أن الحياء خُلق عظيم، بل هي شعبة من شعب الإيمان، كما جاء في

---

(١) ينظر قوله في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٧٨).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/٢٤٨-٢٤٩).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود، أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي (١٢/٢٨٢-٢٨٣) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ. وينظر أيضاً: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، الأمير محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، (٢/٣١٣) تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: ١، ١٤٣٢ هـ.

حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ –أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ– شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**(١).

تستفاد هذه المسألة من أثر عطاء بن أبي رباح كما روى الإمام الدرامي عنه أنه سئل عن شيء، فقال: «لَا أَدْرِي، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي»(٢).

فقد جاء في هذا الأثر ذكر شعبة من شعب الإيمان ألا وهي الحياء، فالحياء تعدّ شعبة من الإيمان؛ لأنه يمنع العبد من الأعمال السيئة، كما منع عطاء رحمه الله عن القول بالرأي في الدين؛ لأن الدين لا يبني على الرأي بل هو مبني على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فاستحيى عطاء رحمه الله من الله تعالى عن القول بالرأي في الدين اتباعا لهدي النبي ﷺ وامتثالا لأمره ﷺ: **«اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»**. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: **«لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»**(٣).

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله في شرح هذا الحديث: فإذا حفظ الرأس وما حوى، فماذا يحفظ في الرأس؟ يحفظ العين من أن تنظر إلى محرم، ويحفظ الأذن من أن تسمع إلى محرم، ويحفظ اللسان من أن يغتاب أو يكذب أو يتكلم بمحرم، أو يتناول طعاماً محرماً أو شراباً محرماً، فإذا حفظ الرأس بما فيه من أعضاء، وحفظ البطن وما حوى،

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب في أمور الإيمان (١/١١، رقم: ٩). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/٦٣ رقم: ٣٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٤٦).

(٣) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، (٤/٦٣٧، رقم: ٢٤٥٨)، قال أبو عيسى: "هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد". وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٢٢، رقم: ٩٣٥).

وهذا كناية عما يتبع البطن مما فيه من اتصال غير مشروع، وهكذا، ويذكر الموت والبلى، وإذا تذكر الموت والبلى، وحفظ جوارحه من المعاصي فإنه حقاً يعيش على حذر مما بين يديه، وإذا تذكر الموت وما وراء الموت عمل لليوم الآخر"(١). ومن هذا يتبين أن الحياء شعبة من الإيمان.

المسألة الثانية: أن العمل يدخل في مسمى الإيمان.

وفي الأثر السابق للعطاء مجال دعوي آخر وهو "أن العمل يدخل في مسمى الإيمان"؛ لأن الحياء من الأعمال الظاهرة والباطنة، فالحياء قد يظهر آثاره على وجه المستحي، فهذا من أعماله الظاهرة. وقد يحس المستحي أثر الحياء في نفسه وقلبه فهذا من أعماله الباطنة. فهكذا الأثر يدل على أن الإيمان قول وعمل كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص"(٢).

وقال ابن أبي حاتم: "سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا؛ فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٣).

وقال البغوي: "اتفقت الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان"(٤).

وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في شرح الحديث السابق في بيان شعب

---

(١) شرح الأربعين النووية، الدرس: (٤/٤٦)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢)شرح أصول الاعتقاد للالكائي (١/١٧٣، ١٧٤).

(٣) أصل السنة لابن أبي حاتم (ص٢٢٥-٢٢٦)، طبع ضمن كتاب "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة" لسعدي الهاشمي ط/ الجامعة الإسلامية.

(٤) شرح السنة (١/٣٨، ٣٩).

الإيمان: "المقصود من إيراد هذا الحديث أن الإيمان له شعب، وأن الأعمال داخلة في هذه الشعب، مثل إماطة العظم عن الطريق، فهذا عمل من الأعمال وأدخله في الإيمان، وكذلك قول اللسان هو عمل اللسان، وكذلك الحياء شعبة من الإيمان، وهو عمل القلب، فكل هذه داخلة في مسمى الإيمان وهي أعمال، ولكن الشيء الذي هو عمل واضح في هذا الحديث هو إماطة العظم عن الطريق، وقد جاء في بعض الروايات: إماطة الأذى، وهو أعم من أن يكون عظماً، فقد يكون الأذى شوكاً، أو عظماً، أو زجاجاً، أو حجراً، أو شيئاً يحصل به الانزلاق كقشر الموز، وغير ذلك من الأشياء، فإزالة ذلك من الإيمان. فهذا الحديث يدل على أن هذه كلها داخلة تحت مسمى الإيمان، وأنها شعبة من شعبه، وفيها ما هو عمل"(١).

فالحاصل أن العمل يدخل في مسمى الإيمان، فيجب على الداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى هذا المجال الدعوي؛ لأنه لا يكمل الإيمان إلا بالعمل الصالح.

****

---

(١) شرح سنن أبي داود، (٤٧٨/٢٦)، رقم الدرس: (٥٢٤) نسخة الشاملة.

المبحث الثاني: مجالات العبادة.

من خلال أحاديث الدراسة.

توطئة:

إن من المجالات المهمة في الدعوة إلى الله تعالى مجال العبادة بل هي أعظم مجال؛ لأن العبادة حق الله تعالى على العباد، ولا شك أن حق الله تعالى أعظم شيء، كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟**»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا**»[1]. فالحديث صريح أن العبادة حق الله تعالى على عباده، فلا ينبغي صرفها لغيره.

ومن أجل تلك العبادة أُرسلت الرُسل، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)** ﴾[3]، فيتضح من هذا أن الغرض من إرسال الرسل هو دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وأن العبادة لا ينبغي لأحد إلا لله سبحانه وتعالى.

ومن أجل ذلك خلق اللهُ تعالى الإنسَ والجنَّ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب اسم الفرس والحمار (٢٩/٤، رقم: ٢٨٥٦) وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (١١٤/٩، رقم: ٧٣٧٣). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحُرِّم على النار (٥٨/١، رقم: ٣٠).

(٢) النحل: ٣٦.

(٣) الأنبياء: ٢٥.

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]؛ فتبيّن من هذا أن العبادة هي الهدف الأسمى من وجود الإنسان في هذا الكون؛ فلا يصلح لأحد أن يصرفها عن الله تعالى إلى غيره، ومن صرف شيئا منها لغير الله تعالى فقد ضل ضلالا بعيداً، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ﴾[2].

المراد بالعبادة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[3].

ثم فسّر هذا التعريف بقوله: "فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك ... كله من العبادة"[4].

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: "العبادة: تطلق على أمرين، على الفعل والمفعول.

تطلق على الفعل الذي هو التعبد، فيقال: عبد الرجل ربه عبادة وتعبداً، وإطلاقها على التعبد من باب إطلاق اسم المصدر، ونعرفها باعتبار إطلاقها على الفعل بأنها: "التذلل لله عز وجل حباً وتعظيماً، بفعل أوامره واجتناب نواهيه". وكل من ذل لله عز بالله، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾[5].

وتطلق على المفعول، أي: المتعبد به، وهي بهذا المعنى تعرف بما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) النساء: ١١٦.

(٣) العبودية (ص ٤٤)، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٢٦هـ. وطبعت أيضاً هذه الرسالة في مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) المنافقون: ٨.

هذا الشيء الذي تعبدنا الله به يجب توحيد الله به، لا يصرف لغيره، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والدعاء والنذر والخشية والتوكل.. إلى غير ذلك من العبادات"(١)اهـ.

وبعد إيضاح مفهوم العبادة وأهميتها، فالبيان عن مجالات العبادة في عدة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: الصلاة.

الصلاة في اللغة: تأتي لعدة معان منها: الدعاء، والرحمة والاستغفار(٢).

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: "الصلاة هي: عبارة عن أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة"(٣).

وقيل: "هي عبادة لله ذات أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة"(٤).

قال الإمام الشاطبي ﷺ: "نحن نعلم أن النطقَ بالشهادتين، والصلاةَ، وغيرهما من العبادات؛ إنما شُرعت للتقرب بها إلى الله، والرجوعِ إليه، وإفرادِه بالتعظيم والإجلال، ومطابقةِ القلب للجوارح في الطاعة والانقياد"(٥).

الصلاة من أعظم مجالات الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الصلاة أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولأن الصلاة هي التي تفرق بين المسلم والكافر، فالصلاة فرض

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص ٢٥).

(٢) ينظر: تاج العروس للزبيدي (٤٣٨/٣٨)، مادة (صلو).

(٣) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٣٤).

(٤) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (٥١/٢٧) صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الطبعة: من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ. ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢٠٧/٩).

(٥) الموافقات (١٢١/٣).

عين على كل مكلَّف، سواء كان المكلف في المرض أو الصحة، وسواء كان في السفر أو الحضر، وسواء كان في الحرب أو الأمن، ففي جميع الأحوال هي فرض على كل مسلم، وإن كانت خُفّفت وتغيّر أحكامها ومسائلها في بعض الأحوال كالسفر والمرض.

فالصلاة هي أول ما يُسأل عنها العبدُ يوم القيامة، فلذا يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يهتم بها، كما يجب عليه دعوة الناس إلى أدائها في أوقاتها المقررة.

يستفاد هذا المجال الدعوي من بعض أحاديث وآثار الدراسة كما روى الإمام الدارمي عن شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ(١)، عَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، أَوْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ فَإِذَا هُوَ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ ذِئْبٍ قَدْ أَقْعَيْنَ وُفُودُ الذِّئَابِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: **«تَرَضَّخُونَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ طَعَامِكُمْ وَتَأْمَنُونَ عَلَى مَا سِوَى ذَلِكَ؟»** فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْحَاجَةَ قَالَ: **«فَآذِنُوهُنَّ»** قَالَ: فَآذَنُوهُنَّ فَخَرَجْنَ وَلَهُنَّ عُوَاءٌ(٢).

---

(١) هو شمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي، من الطبقة السادسة ومن الذين عاصروا صغار التابعين، وثقه النسائي، وقال الحافظ: صدوق. يراجع ترجمته: تهذيب الكمال للمزي (١٢/٥٦٠). وتقريب التهذيب (ص ٢٦٨، رقم الترجمة: ٢٨٢١).

(٢) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ إِيمَانِ الشَّجَرِ بِهِ، وَالْبَهَائِمِ، وَالْجِنِّ، (١/١٧١-١٧٢ رقم: ٢٢) قال الداراني: رجاله ثقات ولكن قيل: أخطأ محمد بن يوسف في مئة وخمسين حديثا من حديث سفيان.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ١٩): منقطع إذ أن شمر من الطبقة السادسة، وهم الذين لم يدركوا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/٤٨٠، ١١٧٨٥) من وجه آخر عن الأعمش، أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٤/٣٧٦) وانظر (البداية والنهاية: ٦/١٤٦).

شرح غريب الحديث:

« عَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، أَوْ جُهَيْنَةَ»: شك من الراوي، هل هو الرجل من مزينة أو جهينة، وهذا الشك وجهالة الراوي لا يضر في سنده إذا كان هو صحابي؛ لأن الصحابة كلهم عدول كما هو معروف، وفيه احتمال أن الرجل المجهول لا يكون صحابياً؛ لأن شمر بن عطية لم =

الشاهد في هذا الحديث أنه جاء فيه ذكر صلاة الفجر، وهي إحدى الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة على كل مسلم، ولا شك أن لجميع الصلوات أهمية بالغة في دين الإسلام، إلا أنه جاء ذكر بعض الصلوات بالأخص في القرآن الكريم كصلاة الفجر والعصر، وقد أقسم الله تبارك وتعالى بهما في القرآن الكريم، وذلك لأهميتهما، فقال سبحانه في شأن صلاة الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾[(١)]،

=

يدرك أحد من الصحابة كما تقدم قبل سطور، والله أعلم.

«**مُزَيْنَةَ**»: هي قبيلة من مضر، هم بنو مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر واسم ولده عثمان وأوس، وأمهما مزينة، فسمي جميع ولديهما بها، وكانت مساكن مزينة بين المدينة ووادي القرى. ينظر: تاريخ ابن خلدون (٣١٨/٢) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ. ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر بن رضا، (١٠٨٣/٢) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

«**جُهَيْنَةَ**»: قبيلة من قضاعة من القحطانية، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة. يراجع: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٠هـ.

«**ذِئْبٍ**»: حيوان مفترس معروف، يُسمى: كلب البر، جمعه: أذؤب وذئاب وذؤبان. ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص:٨٤) فصل الدال.

«**أَقْعَيْنَ**»: من الإقعاء، وهو صفة جلوس الحيوان كالكلب والذئب، إذا جلسَ على استه مفترشاً رجلَيه وناصباً يديه. ينظر: الصحاح للجوهري: (٢٤٦٥/٦) (مادة: قعا).

«**تَرَضَّخُونَ**»: المراد إعطائهم شيئا من الطعام. والرضخ: العطية القليلة، العطاء ليس بالكثير، والشيء اليسير، ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٢٨/٢). ومجمل اللغة لابن فارس (ص٣٨١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

«**فَآذِنُوهُنَّ**»: أي أخبروهم بشكواكم.

«**عُوَاءٌ**»: صَوْتُ السِّباع، وكأَنَّه بالذئْبِ والكَلْبِ أَخَصُّ، يقال: عَوَى يَعْوِي عُواءً فهو عاوٍ: أي صاحَ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٢٤/٣).

(١) الفجر: ١ — ٢.

المراد بـ"الفجر" الصبح، أو صلاة الفجر، وقيل غير ذلك[1]. وقد بيّن النبي ﷺ فضل صلاة الفجر وأهميتها بقوله: **«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»**[2].

وقال تعالى في شأن صلاة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾[3]، ذكر ابن الجوزي في تفسيره ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدَّهر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه العشي، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة. والثالث: صلاة العصر، قاله مقاتل[4].

وقال الزمخشري: "أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[5]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ، فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»**[6]، ولأنّ التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم"[7].

وقد بوّب الإمام الدارمي رحمه الله في سننه بابا في فضل هاتين الصلاتين بقوله: "باب فضل صلاة الغداة وصلاة العصر" ثم ساق الحديثين، منهما حديث أبي بكر بن موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»** قِيلَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ: مَا الْبَرْدَيْنِ؟ قَالَ: «الْغَدَاةُ وَالْعَصْرُ»[8].

وعلى كل حال أن الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهي فرض عين على كل

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٣٩٠). والكشاف للزمخشري (٤/٧٤٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (١/٤٥٤، رقم: ٦٥٧).

(٣) العصر: ١.

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٤/٤٨٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

(٥) البقرة: ٢٣٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إثم من فاتته العصر (١/١١٥ رقم: ٢٥٢). وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت العصر (١/٤٣٦ رقم: ٦٢٦).

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/٧٩٤)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

(٨) سنن الدارمي، كتاب الصلاة (٢/٨٩٣، رقم: ١٤٦٦). قال الداراني: إسناده صحيح.

مكلَّف، ولذا تعدّ هذه من أعظم المجالات في الدعوة إلى الله تعالى؛ فيجب على الداعية إلى الله تعالى أن يحث الناس على إقامة هذه الفريضة وأدائها على الصفة التي ثبت عن النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١). أسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

المطلب الثاني: الصيام والاعتكاف.

ذكرت هاتين العبادتين في مطلب واحد؛ لأنه جاء ذكرهما في أثر واحد، ولأن بينهما علاقة قوية، وهي أن المعتكف يعتكف غالبا في حالة الصيام، فذكرتهما في مكان واحد.

الصوم في اللغة: الإمساك مطلقا عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير. والصوم: مصدر صام يصوم صوما وصياما(٢).

وفي الاصطلاح: هو "إمساك عن المُفطِر على وجهٍ مخصوص"(٣).

الصوم ركن ثالث من أركان الإسلام، فيجب على كل مكلّف صيام شهر رمضان، قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣** ﴾(٤).

وأما الاعتكاف، فهو في اللغة: الاحتباس، والإقامة على الشيء، ولزوم المكان، وإقبالك على الشيء لا تنصرف عنه، يقال: عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عُكُوفاً فَهُوَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة (١/١٢٨ رقم: ٦٣١).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٢/٣٥٠-٣٥١).

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٢/١٤٠) دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ. وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨/٧).

(٤) البقرة: ١٨٣.

عَاكِف، واعْتَكَفَ يَعْتَكِفُ اعْتِكَافاً فَهُوَ مُعْتَكِف[١].

وفي الاصطلاح: "اللبث في المسجد على صفة مخصوصة بنية"[٢].

الاعتكاف عبادة مستحبة في غير رمضان، وسنة مؤكدة في الرمضان، وواجب على من يوجبه على نفسه بالنذر ونحوه[٣]، قال ابن المنذر ﷺ: "وأجمعوا على أنّ الاعتكاف لا يجب على النّاس فرضاً؛ إلاَّ أنْ يوجبه المرء على نفسه؛ فيجب عليه"[٤]. وقال الحافظ ابن حجر ﷺ: "والاعتكاف ليس بواجب إجماعاً إلاَّ على مَنْ نذرَه"[٥]. كما جاء في حديث عائشة ﵂ عن النّبيّ ﷺ قال: «**من نَذَر أنْ يطيع الله فليُطعه، ومن نذر أن يعصيَه فلا يعصِه**»[٦].

والدليل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾[٧]. وقوله تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٨].

والدليل من السنة النبوية حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ**

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٨/٤). والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٨٤/٣).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٠٦/٥). ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (١٨٨/٢).

(٣) ينظر: فتح القدير، لابن الهمام، (٣٩٠/٢) دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) الإجماع، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٧١/٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، وباب النذر فيما لا يملك وفي معصية (١٤٢/٨، رقم: ٦٦٩٦ و٦٧٠٠).

(٧) البقرة: ١٨٧.

(٨) البقرة: ١٢٥.

فَلْيَعْتَكِفْ»[1].

يستفاد هذا المجال الدعوي من أثر أَبِي سُهَيْلٍ، أنه قَالَ: كَانَ عَلَى امْرَأَتِي اعْتِكَافُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَسَأَلْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعِنْدَهُ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: قُلْتُ: عَلَيْهَا صِيَامٌ؟ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: لَا يَكُونُ اعْتِكَافٌ إِلَّا بِصِيَامٍ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: لَا؟ قَالَ: فَعَنْ عُمَرَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَعَنْ عُثْمَانَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَى عَلَيْهَا صِيَامًا. فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ طَاوُسًا وَعَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، فَسَأَلْتُهُمَا، فَقَالَ طَاوُسٌ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، «لَا يَرَى عَلَيْهَا صِيَامًا إِلَّا أَنْ تَجْعَلَهُ عَلَى نَفْسِهَا». قَالَ: وَقَالَ عَطَاءٌ: ذَلِكَ رَأْيِي[2].

فقد جاء في هذا الأثر ذكر الصيام والاعتكاف، وفيه مشروعية الاعتكاف للمرأة في المسجد، وجاء فيه بيان للمسألة الخلافية بين أهل العلم، وهي هل يجب الصوم على من نذر الاعتكاف، أو يجزئ الاعتكاف بدون صيام؟

كان الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله يرى أنه لا يكون اعتكاف إلا بصيام.

وكان عمر بن عبد العزيز، وطاووس، وعطاء، وابن عباس رضي الله عنهما لا يرون عليه الصيام إلا أن يوجبه على نفسه، وهذا هو الراجح في المسألة؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم وجوب الصيام على المعتكف، بل ثبت الاعتكاف بدون صيام، كما اعتكف النبي ﷺ في العشر الأول من شهر شوال قضاء لما فاته من الرمضان، ولا شك أن يوم العيد في العشر الأول من شهر شوال، ولا يصام يوم العيد، فكأنه اعتكف بلا صيام، وكذلك ثبت عنه ﷺ أنه أمر عمر رضي الله عنه بوفاء نذره في اعتكاف ليلة، وهذا في غير رمضان، ولم يأمره في بالصيام مع الاعتكاف، فكل هذا يدل على أن الصيام ليس بشرط للاعتكاف، ولكن الاعتكاف مع الصيام

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر، والحث على طلبها، وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها (٢/٨٢٦، رقم: ١١٦٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٩٣).

أفضل خروجا من الخلاف، ولما ثبت أنه ﷺ كان يعتكف دائما في الرمضان إلا سنة واحدة إذا فات عنه في الرمضان[(١)].

فالحاصل أن الصيام والاعتكاف مجالان مُهمَّان من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى أدائهما، خاصة فريضة صيام رمضان؛ لأنه ركن من أركان الإسلام.

المطلب الثالث: الدعاء.

إن للدعاء أهمية عظمى، وفضائل كثيرة؛ لأنه هو العبادة، والعبادة لها فضل عظيم، من أجل ذلك خلقت الإنس والجن، ولتبليغه ودعوته أرسلت الرسل، وكون الدعاء العبادة دل عليه الكتاب والسنة، قال الله ربنا جل وعلا: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[(٢)]، قال الإمام الشوكاني رحمه الله في هذه الآية الكريمة: "قد دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمَر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار"[(٣)].

وأما الدليل من السنة: فهو حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية[(٤)].

---

(١) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/١٢٥)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٠/١٥٥، و١٦٢).

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، (ص٣٣) دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

(٤) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة البقرة، (٥/٢١١، رقم ٢٩٦٩)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، (٢/٦٠٣، رقم ١٤٧٩). وسنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، (٥/٥، رقم ٣٨٢٨)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الدعاء، ومنها حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس شيء أكرم على الله -عز وجل- من الدعاء**»[1].

يستفاد هذا المجال الدعوي من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، فيما رواه الإمام الدارمي ﷺ عنه أنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[2].

وجه الاستشهاد في هذا الحديث: حيث إنه جاء في آخره ذكر الدعاء وهو دعاء المسلمين، بل الحديث كله مشتمل على المجال الدعوي، بأن فيه دعاء النبي ﷺ دعاء النضارة لمن حفظ حديثه ثم بلَّغه كما سمعه، هكذا كان ﷺ يحثّ الناس على تبليغ الدين ونشر الأحاديث.

فالحديث هذا من جوامع الكلم التي أُعطي للنبي ﷺ؛ لأنه مشتمل على عدة مضامين الدعوية وفضائلها ومسائلها؛

منها: فضل الدعوة والتبليغ.

ومنها: فضل الداعية والمبلِّغ حيث يكون مستحقا لدعاء النبي ﷺ.

ومنها: إخلاص العمل لله، وهي صفة مهمة من صفات الداعية إلى الله، كما هو مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله.

ومنها: النصيحة لكل مسلم، وهو أسلوب رائع من أساليب الدعوة إلى الله.

ومنها: لزوم جماعة المسلمين، وهي مسألة مهمة من مسائل الدعوة إلى الله.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦٢/٢). وسنن الترمذي كتاب الدعوات، باب فضل الدعاء (٤٥٥/٥، رقم ٣٣٧٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ٢٦٥، رقم ٥٤٩).

(٢) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٥٨).

وقد جاء نحو هذا الحديث عند الإمام مالك ﷺ، والإمام مسلم ﷺ فرويا عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، (زاد مالك في الموطأ: وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ)، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ"(1).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ تعليقاً على هذا الحديث ونحوه: "فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث:

١- إخلاص العمل لله. ٢- ومناصحة أولي الأمر. ٣- ولزوم جماعة المسلمين.

وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة.

وبيان ذلك أن الحقوق قسمان: حق لله وحق لعباده،

فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئا، كما جاء لفظه في أحد الحديثين؛ وهذا معنى إخلاص العمل لله، كما جاء في الحديث الآخر.

وحقوق العباد قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل بِرُّ كلِّ إنسانٍ والدَيه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية. وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة مناصحتهم؛ وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، (٣/١٦٤٠، رقم: ١٧١٥). والموطأ للإمام مالك بن أنس، كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين (٥/١٤٤١).

فهذه الخصال تجمع أصول الدين، وقد جاءت مفسَّرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ : «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»(١).

فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين"(٢).

فالحاصل أنه جاء في هذا الحديث ذكر الدعاء وهو مجال مهم من مجال الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعلّم الناس الأدعية المسنونة، وآدابها، ومسائلها، ويحثّهم على الدعاء والتوبة والاستغفار ببيان فضلها وأهميتها.

أدعو الله أن يوفقنا إلى دعوة الدين وتبليغه وفق منهج قويم كمنهج السلف الصالح.

ومن أهم مجالات العبادة: الزكاة والحج؛ لأنهما ركنان من أركان الإسلام، ولكنني لم أذكر التفصيل عنهما لأنني لم أجد الحديث أو الأثر ضمن أحاديث الدراسة وآثارها الذي يحتوي بذكرهما أو أحدهما، فاكتفيت بالإشارة إليهما؛ لأنهما ركنان من أركان الإسلام ولهما أهمية بالغة في الدين، فينبغي للدعاة إلى الله تعالى التنبه إلى دعوتهما أيضاً، ببيان فرضيتهما وفضلهما وأهميتهما.

****

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٧٤/١، رقم: ٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١-١٩).

المبحث الثالث: مجالات المعاملات.

من خلال أحاديث الدراسة.

التوطئة:

إن ديننا الإسلام دين شامل، وكامل يشد جميع حوائج المجتمع، فالإنسان يسكن مع بعض في المجتمع، فيحصل فيما بينهم أمور، ومعاملات، ومشاكل اجتماعية، واقتصادية، فدين الإسلام يقدّم الحلول لجميع مشاكلهم، ومسائلهم، ومعاملاتهم، كما يبيّن طريقة التعيّش فيما بينهم. فلله الحمد والمنة.

ومن تلك المعاملات والمسائل أمور النكاح، والطلاق، والتجارة، فسأذكر بعضا منها حسب ما ورد ذكرهم في أحاديث الدراسة وآثارها على النحو التالي في مطلبين:

المطلب الأول: النكاح.

النكاح في اللغة يأتي لمعان عديدة، منها: الضم، والجمع، والوطئ، والبلوغ، والعقد، والتزوّج، والبُضْع وغيرها من المعاني[(١)].

وأما في الاصطلاح فله تعريفات كثيرة، ومن أحسنها: "عقد وضعه الشارع الحكيم يفيد ملك استمتاع الرجل بالمرأة، وحل استمتاع المرأة بالرجل أصالة"[(٢)].

لا شك أن الدعوة الإسلامية دعوة فطرية؛ لأن الإسلام دين فطرة موافق للناس أجمعين، وهو يسدّ جميع حوائج البشرية، فإذا حرّم الزنا للمرء أحل النكاح والزواج له؛ لكي يقضي المرء شهوته، وهكذا في جميع المعاملات، فإذا حرّم شيئا أحل شيئا آخر أفضل منه، فإذا حرم الربا أحل البيع والتجارة، وإذا حرم الخمر أحل المشروبات الطيبات

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن المنظور (٢/٦٢٥-٦٢٦) (مادة: نكح). والقاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب (ص٣٦٠).

(٢) الأحوال الشخصية لعبد العظيم شرف الدين (ص٥). نقلا من مقدمات النكاح (دراسة مقارنة)، محمد بن عبد العزيز السديس (ص٢٠٢)، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٨- ١٤٢٥هـ.

الأخرى، قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾[1].

وكذلك النكاح والزواج من الأعمال الطيبة أيضاً؛ لأنه سنة النبي ﷺ، كما أنه سبب من أسباب غض البصر وحفظ الفرج، ولذا حثّ النبي ﷺ الشبابَ على هذا العمل الطيب كما روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**[2].

فالنكاح والزواج من المجالات المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، وهو يدخل في مجال المعاملات؛ لأن الزوجان يتعاملان مع بعض في حياتهما الزوجية، وقد يحصل فيما بينهما بعض المشاكل، فينبغي لهما أن يحلا مشاكلهما في ضوء الكتاب والسنة؛ لأن دين الإسلام قدّم حلولا لجميع المشاكل الاجتماعية، والفردية. فلله الحمد والمنة على نعمة دين الإسلام.

ويستفاد هذا المجال الدعوي من أثر طويل عن عكرمة في حادثة وفاة النبي ﷺ، وفيه قال العباس رضي الله عنه: **«... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -وَاللَّهِ- مَا مَاتَ حَتَّى تَرَكَ السَّبِيلَ نَهْجًا وَاضِحًا، فَأَحَلَّ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ ...»**[3].

فقد بيّن العباس رضي الله عنه في هذا الحديث عن مسؤولية النبي ﷺ بأنه أدّاها وبلّغ هذه الأمانة، ووضّح الحلال من الحرام، والحرام من الحلال، حتى بيّن مسائل النكاح والطلاق، والمحاربة والمسالمة. والشاهد في هذا الأثر هو قوله: «ونَكَحَ»، فالنبي ﷺ نكح، وكان ﷺ يحث عليه الشباب، -كما تقدم- ويرغب إليه كما جاء في قصة ثلاثة نفر

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة (٣/٢٦، رقم ١٩٠٥)، وكتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم (٣/٧، رقم ٥٠٦٦). وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه (٢/١٠١٨، رقم ١٤٠٠).

(٣) تقدم كامل الأثر مع تخريجه، وشرح غريبه (ص ١٥٣).

حينما جاءوا إلى أزواج النبي ﷺ وسألوا عن عمله، وهذه القصة رواها الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول:

جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[1].

فهذا يدل صراحة على أهمية النكاح والزواج في دين الإسلام، وقد تزوّج النبي ﷺ، وكان يحثّ الشبابَ عليه؛ وذلك لأنه ضرورة للإنسان كما أنه سبب من أسباب منع المنكرات، فهكذا النكاح مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحثَّ الناسَ -خاصة الشبابَ- على هذه السنة النبوية، ويبيّن لهم أهميته وفضله بأسلوب الترغيب، كما يبيّن لمن لم يستطيع أن يصوم؛ لأنه له وِجاء.

المطلب الثاني: الطلاق.

إن النكاح شُرع لبقاء النسل والتناسل والتكاثر، ولوقاية الفرج وحفظها من الوقوع في الفواحش وغيرها من المقاصد والمصالح، ولكن إذا حصل الخلاف بين الزوجين وفقدت مصالح النكاح فشرع الشارع الطلاق رغم أنه من أبغض الحلال، كما دل عليه

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧، رقم:٥٠٦٣). وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٠٢٠/٢، رقم: ١٤٠١).

بعض النصوص من السنة وأقوال أهل العلم.

فروى الإمام أبو داود في سننه عن مُحارب بن دِثار عن النبي ﷺ قال: **«ما أحلَّ الله شيئاً أبغَضَ إليه مِنَ الطلاقِ»**(١).

وعن ثَوْبَانَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»**(٢).

فهذا يدل على كراهية الطلاق من غير سبب، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: "الطلاق في الأصل مما يبغضه الله، وهو أبغض الحلال إلى الله، وإنما أباح منه ما يحتاج إليه الناس، كما تباح المحرمات للحاجة"(٣).

فالطلاق مجال من مجالات الدعوة إلى الله باعتبار أن الإنسان قد يحتاج إليه فلازم عليه أن يعرف مسائله وأحكامه حتى لا يقع في المعاصي بإيقاع الطلاق البدعي، ولذا ينبغي للداعية إلى الله أن يعتني ببيان مسائل الطلاق وأحكامه.

يستفاد هذا المجال الدعوي من بعض الأحاديث والآثار التي جاء فيها ذكره، فروى الإمام الدارمي ؒ عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ: مَا خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ خُطْبَةً بِالْكُوفَةِ إِلَّا شَهِدْتُهَا، فَسَمِعْتُهُ يَوْمًا -وَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ ثَمَانِيَةً وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ- قَالَ: هُوَ كَمَا قَالَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابَهُ وَبَيَّنَ بَيَانَهُ، فَمَنْ أَتَى الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَقَدْ بُيِّنَ لَهُ، وَمَنْ خَالَفَ فَوَاللَّهِ مَا نُطِيقُ خِلَافَكُمْ»(٤).

وعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ (بْنِ مَسْعُوْدٍ) ؓ فَقَالَ: إِنَّهُ طَلَّقَ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق (٣/٥٠٤، رقم: ٢١٧٧)، قال محققه: رجاله ثقات ولكنه مرسل، ومع إرساله يحتج به عند الأئمة الثلاثة أبي حنيفة ومالك وأحمد إذا لم يكن في الباب ما يخالفه. وضعّفه الألباني في إرواء الغليل (٧/١٠٦، رقم: ٢٠٤٠).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٧/٦٢، رقم: ٢٢٣٧٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/١٠٠، رقم ٢٠٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٣/٢١).

(٤) تقدم تخريج الأثر مع ترجمة راويه (ص ٢٢٥).

امْرَأَتَهُ الْبَارِحَةَ ثَمَانِيًا. قَالَ: بِكَلَامٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: بِكَلَامٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَيُرِيدُونَ أَنْ يُبِينُوا مِنْكَ امْرَأَتَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ مِائَةَ طَلْقَةٍ، قَالَ بِكَلَامٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: بِكَلَامٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَيُرِيدُونَ أَنْ يُبِينُوا مِنْكَ امْرَأَتَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ الطَّلَاقَ، وَمَنْ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَّلْنَا بِهِ لَبْسَهُ وَاللَّهِ لَا تُلَبِّسُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَنَتَحَمَّلُهُ نَحْنُ، هُوَ كَمَا تَقُولُونَ"[1].

ففي هذين الأثرين جاء ذكر الطلاق وهو مجال دعوي من مجالات المعاملات، كما جاء فيه ذكر مسألة خلافية بين أهل العلم، وهي مسألة طلاق الثلاث في مجلس واحد، هل يقع واحد أم ثلاث؟

ووقع خلاف شديد بين أهل العلم في هذه المسألة فذهب الجمهور -ومنهم الأئمة الأربعة- إلى أنه يقع ثلاث، وذهب بعض المحققين كابن تيمية وابن القيم، ومن المتأخرين الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين وغيرهم من علماء أهل الحديث -رحمهم الله- إلى أنه يقع واحد لوجود النصوص الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، ولما أنه يحصل به مصالح العباد[2].

ومن أجل هذا الخلاف كره بعض السف الكلام في الطلاق، فروى الإمام الدارمي عن جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَا لَكَ لَا تَقُولُ فِي الطَّلَاقِ شَيْئًا؟ قَالَ: «مَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُحِلَّ حَرَامًا، أَوْ أُحَرِّمَ حَلَالًا»[3].

فهذا يدل على أن سعيد بن جبير كان يكره الكلام في الطلاق.

وفي الأخير لتوضيح هذه المسألة أذكر فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٧١).

(٢) ينظر التفصيل عن هذه المسألة في مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٣/٧ وما بعدها)، ومجموع فتاوى ابن باز (٢٢/١٣١)، والشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٣/٩٥).

(٣) سنن الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١/٢٤٨، رقم ١٣٦)، قال الداراني: إسناده صحيح.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص٤٥): سنده حسن.

فأنه سُئل ﷺ: ما قولكم في رجل طلق ثلاثا أو سبعا لامرأته في مجلس واحد هل وقع الطلاق ثلاثا مغلظة، أم واحدا رجعيا، بينوا تؤجروا، وقد كانت المرأة حاملا عند طلاقه حتى الآن؟

فأجاب ﷺ بقوله: فهذه المسألة مسألة خلاف بين أهل العلم قديما وحديثا فيما إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا أو أكثر بلفظ واحد هل تقع ثلاثا وتبين المرأة بينونة كبرى أم تقع واحدة رجعية. الصواب في ذلك هو أنها تقع واحدة رجعية، لما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان الطلاق على عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ﷺ طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر ﷺ: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه**»[1] وفي مسند أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا ركانة طلق امرأته ثلاثا فحزن عليها فردها عليه النبي ﷺ وقال: «**إنها واحدة**»[2] وقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله الكلام في هذه المسألة ورجح هذا القول وبين أدلته في كتبه الإعلام، وزاد المعاد، وإغاثة اللهفان من مكايد الشيطان، وإغاثة اللهفان في طلاق الغضبان، ومن أحب الاطلاع على كلامه فليراجع هذه الكتب أو ما يتيسر منها. والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بالمملكة العربية السعودية.[3] اهـ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطلاق (رقم: ١٤٧٢).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطلاق (رقم: ٢١٩٦) .

(٣) صدرت هذه الفتوى من مكتب سماحته بتاريخ ١٣٩٩/٤/٢٥هـ. راجع: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، (١٣١/٢٢) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، بدون ذكر سنة الطبع.

المبحث الرابع: مجالات الأخلاق.

من خلال أحاديث الدراسة[1].

توطئة:

إن الأخلاق مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، ولها أهمية بالغة في حياة المسلم عامة وفي حياة الداعية خاصة؛ لأن الناس يتأثرون بالأخلاق أكثر مما سواها، ولذلك دعا النبي ﷺ الناسَ إلى الإسلام بأخلاقه الفاضلة، حتى اشتهر في الناس بـ"الصادق" و"الأمين"، وقد جعله سبحانه وتعالى على مكانة عظيمة من الأخلاق؛ إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[2]، بل بعثه لإتمام الأخلاق كما قال ﷺ: «**إنما بُعثتُ لأُتَمِّم مكارم الأخلاق**»[3]،

يستفاد هذا المجال الدعوي من حديث ابْنِ غَنْمٍ، فيما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: «نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَقَّ بَطْنَهُ. ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ فِيهِ أُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ وَعَيْنَانِ بَصِيرَتَانِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الْمُقَفِّي، الْحَاشِرُ، خُلُقُكَ قَيِّمٌ، وَلِسَانُكَ صَادِقٌ، وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ»[4].

الشاهد في هذا الحديث هو ما ذكره جبريل عليه السلام من أخلاقه القيِّمة بقوله «خُلُقك قيِّم، وَلِسَانُكَ صَادِقٌ.. إلخ» فكل هذا يدل على أخلاقه الفاضلة، وقد جاء فيه ذكر شَقّ بطنه أي شق صدره؛ كما جاء في رواية أخرى صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ فروى الإمام مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً،

---

(١) تقدم البيان عن الأخلاق بالتفصيل في صفات الداعية (ص ١٨٩ وما بعدها)، وسأكتفي هنا هنا بذكر بعض منها باعتبار موضوع الدعوة ومجالاتها.

(٢) القلم: ٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣١٨/٢)، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٢/١رقم٤٥).

(٤) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٩٨).

فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يَعْنِي ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»(١).

فيدل هذا على أنه ﷺ مغسول القلب بماء زمزم، وقد أُخذ من قلبه حظ الشيطان، واستسلم له قرينه من الجن كما روى الإمام مسلم عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»** قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»**(٢).

وأما حكم الأخلاق فهي إذا كانت حسنة يجب الأخذ بها كالصدق والوفاء والأمانة والعدل وغيرها، وإذا كانت سيئة يجب الحذر منها كل الحذر كالكذب والخيانة والغدر وما إلى ذلك.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "الأحكام الأخلاقية بالوجوب والتحريم ضرورية لكل إنسانٍ ولكل مجتمع إنساني يريد الصلاح والسداد، إنَّه لا يغني عن الأخلاق أيّ تقدُّم في مجال الثقافة والعلوم، إنَّ الأزمة التي يمر بها العالم اليوم، والاضطراب في المجتمعات، وسوء العلاقات بين الأفراد، مردُّها إلى زعزعة القيم الأخلاقية في النفوس وتجاوزها، فهي أزمة أخلاقية في جوهرها وأساسها"(٣).

العلاقة بين المجال الأخلاقي وبين المجالات السابقة:

هناك علاقة قوية بين الأخلاق وبين المجالات السابقة؛ لأن المجال الأول العقيدة هي الأساس الأول الذي تصدر عنه الأخلاق الفاضلة، وارتباط الأخلاق بالعقيدة أمر

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (١٤٧/١، رقم ١٦٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا (٢١٦٧/٤، رقم: ٢٨١٤).

(٣) الأشعار عن مكارم الأخلاق، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي (٨٦٨/٦).

معلوم لكل من له فكر ورؤية بأمور الإسلام، وهذا الارتباط يشكل ضمانة لثبات الأخلاق واستقرارها وعدم العبث بها، كما يعتبر في الوقت نفسه شجرة مثمرة طيبة لهذه العقيدة، يقول الشيخ محمود شلتوت في هذا المعنى: "إن العقيدة دون خُلق شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، وإن الخلق دون عقيدة ظل لشبح غير مستقر"(١).

وأما ارتباط الأخلاق بالعبادات، والمعاملات، فصلة الأخلاق بالعبادات لا تحتاج إلى تقرير، وصلتها بالمعاملات لا تنفك، وعلى هذا فإن العبادات والمعاملات إذا عريت عن الأخلاق لا تغني عن صاحبها شيئاً(٢).

بعد بيان عن أهمية الأخلاق وفضلها، وعلاقتها مع المجالات السابقة؛ فالبيان عن رؤوس الأخلاق(٣) في المطلبين كالآتي:

المطلب الأول: الأخلاق الحسنة.

ذكر العلماء للأخلاق الحسنة تعريفات عديدة، بعض منها فيما يلي:

- إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ بَذْلُ النَّدَى، وَكَفُّ الْأَذَى، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى.
- وَقِيلَ: حُسْنُ الْخُلُقِ: بَذْلُ الْجَمِيلِ، وَكَفُّ الْقَبِيحِ.
- وَقِيلَ: التَّخَلِّي مِنَ الرَّذَائِلِ، وَالتَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ(٤).
- وقيل: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من

(١) الإسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت (٤٣/٤)، نقلا من موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية (٤/١).

(٢) موسوعة الأخلاق (١٥/١).

(٣) ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله للأخلاق الحسنة أربعة أركان: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، كما ذكر للأخلاق السيئة أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب، فهذه الأركان منشأ لجميع الأخلاق. ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢٩٤/٢).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢٩٤/٢).

غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا"[١].

بعد تعريف حُسن الخُلُق أذكر رؤوس الأخلاق أو أركان الأخلاق من خلال أحاديث الدراسة وآثارها فيما يلي:

أولا: الصبر.

الصبر من أهم الأخلاق الحسنة ورؤوسها؛ لأنه يحمل الإنسان على التحمّل وكظْم الغيظ، وكفِّ الأذى، والحِلم والأناة والرفق، وعدم الطَّيْش والعَجَلة، وغيرها من معالي الأخلاق الفاضلة[٢].

يستفاد هذا الخُلُق الطيب من أثر الحسن البصري ﷺ فيما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: «سُنَّتُكُمْ -وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- بَيْنَهُمَا: بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى، وَهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ فِيمَا بَقِيَ: الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الْإِتْرَافِ فِي إِتْرَافِهِمْ، وَلَا مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي بِدَعِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ فكذاكمْ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- فَكُونُوا»[٣].

ففي هذا الأثر بيّن الحسن البصري ﷺ منهج أهل السنة والجماعة، وهو منهج وسط بين الغالي والجافي، ثم حثّ الناسَ على تمسّك هذا المنهج بتواصي الصبر، ثم بيّن أوصاف أهل السنة والجماعة قديما وحديثا بأنهم أقل الناس فيما مضى، وأقل الناس فيما بقيَ، كما ذكر من أخلاقه العالية بأنهم صبروا على السنن، أي صبروا على طاعة الله، وعن معصية الله، فهكذا أيها الناس عليكم أن تصبروا كما صبر السلف الصالح على العمل بالسنن، وإذا ننظر بشيء من الإمعان في هذا الأثر نجد فكأنه تفسير عملي لسورة العصر، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٠١).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٢٩٤).

(٣) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه (ص ١٧٤).

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[(١)].

فالحاصل أن هذا الخلق الطيب -أي الصبر- مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى الصبر على طاعة الله، وإلى الصبر عن معصية الله، ويبين لهم أهميته وفضائله وثمراته في ضوء الكتاب والسنة، امتثالا لأمر الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

ثانيا: العِفَّة.

تعريفه في اللغة: قال صاحب اللسان: العِفّة: الكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلّ ويَجْمُلُ. عَفَّ عَنِ المِحارِمِ والأَطْماع الدَّنِية يَعِفُّ عِفَّةً وعَفّاً وعَفافاً وعَفافة، فَهُوَ عَفِيفٌ وعَفٌّ، أَي كَفَّ وتَعَفَّفَ واسْتَعْفَفَ وأَعَفَّه اللَّهُ. الاسْتِعْفاف: طلَبُ العَفَافِ وَهُوَ الكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ، أَي مَنْ طَلَبَ العِفّة وتكلّفها أَعطاه اللَّهُ إِيَّاهَا، وَقِيلَ: الاسْتِعْفَاف الصبْر والنَّزاهة عَنِ الشَّيْءِ[(٢)].

وأما **تعريفها في الاصطلاح**: فقد عرفه الجرجاني بقوله: "هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور -الذي هو إفراط هذه القوة-، والخمود -الذي هو تفريطها-، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة"[(٣)].

تعتبر العِفَّة من رؤوس الأخلاق الحسنة؛ لأنه تحمل الإنسان على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، كما تحمله على الحياء. وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة وغيرها من الأخلاق الرذائل[(٤)].

لم أجد لهذا الخُلُق الجميل نصا صريحا في أحاديث الدراسة وآثارها إلا أنه يستدل لها بمترادفاتها كالحياء، فروى الإمام الدارمي ﷺ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «كَانَ

(١) العصر: ١ - ٣.

(٢) لسان العرب لابن المنظور (٢٥٣/٩) (مادة: عفف).

(٣) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٥١)

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢٩٤/٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيِيًّا لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»[١].

وجه الاستدلال: جاء في هذا الأثر ذكر صفة من صفات النبي ﷺ وهي الحياء، وهذا الحياء مترادف للعِفّة[٢]؛ لأنه يمنع صاحبَه من البخل، والشُّحِّ، والإمساك، والتقتير، والفحشاء والمنكر وغيرها من الأخلاق السيئة، كما تمنع العفّة أيضاً من الوقوع في مثلها من المحارم، انظروا إلى خلُق النبي ﷺ؛ أنه كان حَيِيًّا لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه؛ لأن الحياء يمنعه من الإمساك والبخل، ويحمله على الأخلاق الحسنة كالجود والسخاء والكرم والبذل والندى ونحوها.

ويُستدل أيضاً لهذا الخُلق الجليل من حديث أَبِي حَرِيزٍ الْأَزْدِيِّ كما روى الإمام الدارمي رحمه الله عنه، أنه قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه لِلنَّبِيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَجِدُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِمًا عِنْدَ رَبِّكَ وَأَنْتَ مُحْمَارَّةٌ وَجْنَتَاكَ، مُسْتَحْيٍ مِنْ رَبِّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ»[٣].

جاء في هذا الحديث ذكر هذا الخلق الطيب بلفظ "الحياء" وهو مترادف للعِفّة كما تقدم، ووجه الاستدلال في هذا الموضع هو أن الحياء يكفّ عن النواهي، والبدع، والمحدثات ...، ولكن الناس أحدثوا في الدين أمورا كثيرةً بعد وفاته ﷺ ولم يستحيوا من مخالفة قوله ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»**[٤]، وعلى أفعال هؤلاء يستحي النبي ﷺ يوم القيامة أمام ربه سبحانه وتعالى، حتى يتغيّر وجه لونه،

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٠٩).

(٢) المعجم المفصل في المترادفات في اللغة العربية، الأستاذ مجيد طراد (ص ٢٠٣)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٩٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (١٨٤/٣، رقم ٢٦٩٧). وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣، رقم ١٧١٨).

ويقول لهم إذا يأتوا إليه عند حوض الكوثر: «**سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**»[1].

فالحاصل أن العفة والحياء يكفّ صاحبه عن الفحشاء والبخل والكذب والنميمة والغيبة وغيرها من الأخلاق الرذائل، ويحمل صاحبه على الأخلاق الحسنة سواء كانت هذه الأخلاق متعلقة بالعبادات أو المعاملات، وقد قال ﷺ: «**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[2].

يُستفاد هذا الخلق الطيب من أثر عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ أيضاً، فيما روى الإمام الدارمي رحمه الله عنه أنه قال: سُئِلَ عَطَاءٌ عَنْ شَيْءٍ فقالَ: «لَا أَدْرِي»، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي»[3].

ففي هذا الأثر أن عطاء رحمه الله إذا سئل عن شيء وليس عنده علم، فيقول: "لا أدري"، ولم يستحي من هذه المقولة، بل يستحي أن يقول في الدين بالرأي. فهكذا كان السلف الصالح يكرهون القول بالرأي في الدين.

فالحاصل أن خلُق الحياء والعفة مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فيجب على الداعية إلى الله أن يتخلّق ويتجمّل بهذا الخُلق العظيم، ويدعو الناس إليه، ويرغّبهم ويحثهم عليه، ويبيّن لهم فضله وأهميته وضرورته في الدين والدنيا.

ثالثاً: الشجاعة.

الشجاعة هي: "هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهوُّر والجبن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين"[4].

وتعدّ الشجاعة في رؤوس الأخلاق الفاضلة؛ لأنه تحمل صاحبها على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشِّيَم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (٨/١٢٠، رقم ٦٥٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء (٨/٢٩، رقم: ٦١١٧). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/٦٤ رقم: ٣٧).

(٣) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٤٦).

(٤) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٢٥).

وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم. فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش. كما قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب»(1) وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه(2).

يستفاد هذا الخلق الحسن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه الإمام الدارمي رحمه الله في صفات النبي ﷺ عنه أنه قال: **«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْجَدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»**(3).

ففي هذا الحديث ذكر ابن عمر رضي الله عنهما بعض صفات النبي ﷺ، وفي ضمنها ذكر نجدته وشجاعته ﷺ، بأنه لم ير أحداً أنجد ولا أشجع من النبي ﷺ، النجدة مرادف للشجاعة، فهذا يدل على أن "الشجاعة" خلق عظيم، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى هذا الخلق الفاضل، باستخدام الوسائل والأساليب المناسبة.

رابعاً: العدل.

العدل هو: "عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق"(4).

وتعتبر "العدل" من رؤوس الأخلاق الحسنة؛ لأنه يحمل صاحبه على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خُلُق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذُّلّ والقِحَة. وعلى خلق الشَّجاعة، الذي هو توسط بين الجبن

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (28/8، رقم: 6114). وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب (2014/2، رقم 2609).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (294/2).

(3) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه (ص 209).

(4) كتاب التعريفات للجرجاني (ص 147).

والتهَوُّر. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمَهانة وسقوطِ النفس[1].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل في القرآن الكريم في مواضع عديدة؛ منها قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2].

لم أجد لهذا الخُلق العظيم أيضا دليلا صريحا في أحاديث وآثار الدراسة المختصة لي إلا أنه يستدل له بلفظ مترادف له، وهو الاستقامة[3]، فروى الإمام الدرامي ﷺ عن حَيَّةَ بِنْتِ أَبِي حَيَّةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بِالظَّهِيرَةِ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: «أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي فِي بُغَاءٍ لَنَا فَانْطَلَقَ صَاحِبِي يَبْغِي وَدَخَلْتُ أَنَا أَسْتَظِلُّ بِالظِّلِّ وَأَشْرَبُ مِنَ الشَّرَابِ». فَقُمْتُ إِلَى لُبَيْنَةٍ حَامِضَةٍ -ورُبَّمَا قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَى ضَيْحَةٍ حَامِضَةٍ- فَسَقَيْتُهُ مِنْهَا، فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ. قَالَتْ: وَتَوَسَّمْتُهُ فَقُلْتُ: يَا عَبْد اللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: «أَنَا أَبُو بَكْرٍ». قُلْتُ: أَنْتَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَتْ: فَذَكَرْتُ غَزْوَنَا خَثْعَمًا، وَغَزْوَةَ بَعْضِنَا بَعْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأُلْفَةِ وَأَطْنَابِ الْفَسَاطِيطِ – وَشَبَّكَ ابْنُ عَوْنٍ أَصَابِعَهُ، وَوَصَفَهُ لَنَا مُعَاذٌ، وَشَبَّكَ أَحْمَدُ – فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ حَتَّى مَتَى تَرَى أَمْرَ النَّاسِ هَذَا؟ قَالَ: «مَا اسْتَقَامَتِ الْأَئِمَّةُ»، قُلْتُ: مَا الْأَئِمَّةُ؟ قَالَ: «أَمَا رَأَيْتَ السَّيِّدَ يَكُونُ فِي الْحِوَاءِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ؟ فَمَا اسْتَقَامَ أُولَئِكَ»[4].

الشاهد في هذا الأثر هو: أنه جاء فيه ذكر الاستقامة، ومن المعلوم أن الاستقامة مرادف للعدل والاعتدال، فهكذا يستفاد من الأثر فضل العدل وأهميته وضرورته للمسلم عامة وللأئمة والدعاة خاصة؛ لأنه ما دامت الأئمة والدعاة على الاستقامة

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٢٩٤).

(٢) النحل: ٩٠

(٣) ينظر لمترادفات العدل: المعجم المفصل في المترادفات في اللغة العربية، الأستاذ مجيد طراد (ص ٤٦)، (لفظ: استقام).

(٤) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، (ص ٢١٦).

والاعتدال فرعيّتهم كذلك تبقى على العدل والاستقامة.

ويُستدل له أيضاً من أثر ابن عباس ﷺ كما روى الإمام الدارمي عن عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فَقُلْتُ أَوْصِنِي. فَقَالَ: نَعَمْ، «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»(١).

ففي هذا الأثر جاء ذكر بعض الأخلاق الفاضلة، وهي التقوى والاستقامة والاتباع، فوجه الاستدلال في هذا الأثر هو لفظ الاستقامة؛ لأنه مرادف للعدل كما تقدم، فتبيّن بهذا الأثر فضل العدل والاستقامة حيث إن ابن عباس ﷺ أوصى بها.

فالحاصل أن العدل خلق عظيم، ومجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يتحلوا بهذا الخُلق الطيب، كما ينبغي لهم أن يدعوا الناس إلى هذا المجال العظيم، لما له فضل وضرورة في حياة الإنسان.

المطلب الثاني: الأخلاق السيئة.

للتجنّب من الأخلاق السيئة والسافلة يجب معرفتها، ومعرفة أوصافها؛ ولأجل ذلك أبيّن في السطور التالية عن رؤوس الأخلاق السيئة والسافلة. قال الإمام ابن القيم ﷺ: "مَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَبِنَاؤُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ. وَالظُّلْمُ. وَالشَّهْوَةُ. وَالْغَضَبُ"(٢)، فالكلام عن هذه الأخلاق السافلة كالآتي:

أولاً: الجهل.

ما هو الجهل؟ الجهل في اللغة: نقيض العلم، والجهالة: أن يفعل أحد فعلا بغير علم، والجاهلية: زمان الفترة قبل الإسلام(٣).

وأما في اصطلاح الأصوليين: فهو "اعتقاد الشيء جزما على خلاف ما هو عليه

---

(١) تقدم تخريج الأثر مع ترجمة راويه (ص ١٦٦).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٢٩٥).

(٣) ينظر: كتاب العين للخليل الفراهيدي (٣/٣٩٠)، ولسان العرب لابن منظور (١١/١٢٩) (مادة: جهل).

في الواقع"[1].

ولماذا الجهل يُعدّ من رؤوس الأخلاق السافلة؟ لأن صاحب الجهل يرى الحسنَ في صورةِ القبيح، والقبيحَ في صورةِ الحسنِ، ويرى الكمالَ نقصاً والنقصَ كمالاً[2].

يستدل على سوء هذا الخُلُق من حديث الوضين فيما رواه الإمام الدارمي عنه أنه قال: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ ....إلخ»[3].

وجه الاستدلال في هذا الحديث من وجهين:

الأول: إن الرجل الذي حكى قصته اعترف بنفسه أنهم فعلوا هذه الأعمال السيئة والسافلة حين كانت فيهم جهالة، فهذا كما يدل على ذم الجهل، يدل كذلك على ذم ما يصدر بسبب الجهل من الأخلاق السيئة، كعبادة الأوثان، وقتل الأولاد.

ثانياً: لما أورد الإمام الدارمي رحمه الله هذا الحديث في «بَابُ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ»؛ فأراد أن العمل المذكور (عبادة الأوثان وقتل الأولاد) صدَر منهم بسبب جهالتهم وضلالتهم، فهذا يدل على ذم الجهل.

ويستدل أيضاً على هذا الخُلق السيّئ من أثر يَحْيَى بن سعيد الأنصاري كما روى الإمام الدارمي عنه، أنه قال: قُلْتُ لِلْقَاسِمِ: مَا أَشَدَّ عَلَيَّ أَنْ تُسْأَلَ عَنِ الشَّيْءِ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ إِمَامًا، قَالَ: «إِنَّ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ أَرْوِيَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ»[4].

وجه الاستدلال في هذا الأثر: تقدم قبل قليل أن الجهل هو الفعل بغير علم، ففي هذا الأثر جاء ذمّ الفعل بغير علم، وكان السلف الصالح يرون الفتوى بغير علم، أو

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، د. سعدي أبو حبيب (ص ٧٢).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٢٩٥).

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٣).

(٤) تقدم تخريج الأثر، وترجمة راويه (ص ١٤٧).

الرواية عن غير ثقة أشد شيئا عند الله تبارك وتعالى. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع، آمين.

فالحاصل أن الجهل خلُق سافل، يصدر بسببه أخلاق أخرى سيئة، فيجب الحذر منه كل الحذر، وينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحذّر الناس من الجهالة، ومن الأعمال الجاهلية، ويبيّن لهم نقصانه وخطره في الدنيا والآخرة. فنعوذ بالله من الجهل والجهالة.

ثانياً: الظلم.

الظلم هو وضع الشيء في غير محله.

ويُعدّ الظلم من رؤوس الأخلاق الرذيلة؛ لأنه يحمل صاحبه على وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا. وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ. وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْأَنَاةِ. وَيَبْخَلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ. وَيَبْذُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ. وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ. وَيُقْدِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ. وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ. وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ. وَيَتَوَاضَعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ. وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضُعِ[1].

يستدل على أن الظلم من رؤوس الأخلاق السيئة بلفظ مرادف له وهو "الأذى"[2]، كما جاء في حديث الْعَبَّاس رضي الله عنه، فيما روى الإمام الدارمي عنه أنه قال: لَأَعْلَمَنَّ مَا بَقَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَاهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَآذَاكَ غُبَارُهُمْ، فَلَوِ اتَّخَذْتَ عَرِيشًا تُكَلِّمُهُمْ مِنْهُ؟ فَقَالَ: **«لَا أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَطَؤُونَ عقِبِي، وَيُنَازِعُونِي رِدَائِي حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُرِيحُنِي مِنْهُمْ»** قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ بَقَاءَهُ فِينَا قَلِيلٌ[3].

الشاهد في هذا الحديث هو قول عباس رضي الله عنه: «إِنِّي أَرَاهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَآذَاكَ غُبَارُهُمْ» الأذى مرادف للظلم، وفي الحديث إشارة إلى ظلم المنافقين، ولا شك أن

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٢٩٥).

(٢) ينظر: معجم المعاني الجامع، في موقع المعاني، وهو متاح على الرابط التالي؛ وتمّ زيارته في تاريخ: ١٤٣٦/٤/١٥هـ http://www.almaany.com/ar/dict/ar-

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٢٠٦).

المنافقين قد ظلموا على النبي ﷺ في مواضع كثيرة بأساليب متنوعة، كما ظلموا عليه في غزوة أحد حيث رجعوا من وسط الطريق، وفي غزوة تبوك حينما تخلفوا عنها، وأكبر من كل هذا أنهم آذوه بحادثة الإفك، وغيرها من المظالم.

فالحاصل أن الظلم صفة سيئة، وخلُق سافل، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحذّر الناسَ منه بأسلوب المناسب للمدعوين كالترهيب وغيره لما أن الظلم سيكون ظلمات يوم القيامة. أسأل الله السلامة والتوفيق.

ثالثاً: الشهوة.

الشهوة هي: الرَّغْبَة الشَّدِيدَة وَالْقُوَّة النفسانية الراغبة فِيمَا يشتهى، وَمَا يشتهى من الملذات المادية، جمعها: شهوات، وأشهيةُ، وشُهيً[1]. وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[2].

وقيل هي: "حركة للنفس؛ طلبًا للملائم"[3].

وتعدّ الشهوة من الأخلاق السيئة والسافلة؛ لأنها تحمل صاحبها على الحِرص، والشُّحِّ والبخل، والفحشاء، والمنكر، وعدمِ العفّة والنَّهْمَة والجَشَعِ، والذُّلِّ والدَّناءات، وغيرها من الأخلاق الرذائل[4].

يُستدل على سوء هذا الخُلق من لفظ مترادف لها، واللفظ هو: "الأهواء"[5]، وقد جاء ذكر هذا اللفظ في حديث وهب بن عمرو الجُمَحي فيما روى الإمام الدارمي رحمه الله عنه، وهو يُحدّث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«لَا تَعْجَلُوا بِالْبَلِيَّةِ قَبْلَ نُزُولِهَا، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَا تَعْجَلُوهَا قَبْلَ نُزُولِهَا، لَا يَنْفَكُّ الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِمْ إِذَا هِيَ نَزَلَتْ مَنْ إِذَا قَالَ، وُفِّقَ**

---

(١) المعجم الوسيط (٤٩٨/١).

(٢) آل عمران: ١٤.

(٣)كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٢٩).

(٤) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢٩٥/٢).

(٥) ينظر: المعجم المفصل في المترادفات في اللغة العربية، الأستاذ مجيد طراد (ص ٣٣٧ و٦١٦).

وَسُدِّدَ، وَإِنَّكُمْ إِنْ تَعْجَلُوهَا، تَخْتَلِفْ بِكُمِ الْأَهْوَاءُ، فَتَأْخُذُوا هَكَذَا وَهَكَذَا» وَأَشَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ[1].

الشاهد في هذا الحديث هو قوله «**تَخْتَلِفْ بِكُمِ الْأَهْوَاءُ**»، الأهواء جمع هوى، ومن معاني الهوى: "ميل النفس إلى الشهوة"[2]، أو بعبارة أخرى: أن الهوى مرادف لـ"الشهوة" -كما تقدم-، فهذا يدل على أن الشهوة من الأخلاق السيئة؛ فيجب على الداعية إلى الله أن يحذر منها، ويبيّن للناس خطرها ونقصانها في الدنيا والآخرة.

رابعاً: الغضب.

الغضب في اللغة: ضد الرضا، ومعناه السخط، يقال: إنَّ الغَضْبة: الصَّخرة الصُّلبة. قالوا: ومنه اشتُقَّ الغَضَب، لأنَّه اشتدادُ السُّخط. يقال: غَضِب يَغْضَبُ غَضَباً، وهو غضبانُ وغَضُوب[3].

وفي الاصطلاح: "هُوَ ثَوَرَانُ دمِ القَلْبِ لقَصْدِ الانْتِقَام"[4].

وقيل: "تغير يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التشفي للصَّدر"[5].

وقيل: "هو الشوق إلى دفع منافر للطبع"[6].

ويُعدّ الغضب في الغالب[1] من الأخلاق الرذائل؛ لأنه يحمل صاحبه على الكِبْرِ،

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ١٥٨).

(٢) ينظر: معجم المعاني الجامع، وهو متاح في موقع المعاني على الرابط التالي، وقد تم زيارته في تاريخ: ١٥/٤/١٤٣٦هـ : http://www.almaany.com/ar/dict/ar-

(٣) معجم مقاييس اللغة؛ لابن فارس (٤/٤٢٨) (مادة: غضب). ولسان العرب؛ لابن منظور (١/٦٤٨) (مادة: غضب).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (٣/٤٨٥)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون ذكر سنة الطبع. والمفردات في غريب القرآن؛ للراغب الأصفهاني (ص ٦٠٨).

(٥) كتاب التعريفات للجرجاني (ص ١٦٢).

(٦) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي الأحمد نكري (٣/٦).

والحِقد، والحسَد، والعُدوان، والسَّفَه[٢]. ولأنه تتولّد منه كل المعاصي، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، وكان نهاية قوة الغضب القتل، ونهاية قوة الشهوة الزنا، جمع الله تعالى بين القتل والزنا، وجعلهما قرينين في سورة الأنعام، وسورة الإسراء، وسورة الفرقان، وسورة الممتحنة[٣]. والمقصود: أنه سبحانه أرشد عباده إلى ما يدفعون به شرَّ قوّتَي الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة"[٤].

ولكن الغضب قد يكون محمودا إذا كان لله ولرسوله ولدينه، كما جاء ذكر غضب موسى عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ**﴾[٥].

فهذا الغضب كان دفاعا عن حق الله سبحانه وتعالى؛ لأن موسى عليه السلام لما رجع من الطور وجد قومه اتخذوا العجل إلهاً، فغضب عليهم غضبا شديدا.

ومن الأمثلة على الغضب المحمود في حياة النبي ﷺ: ما جاء ذكره في حديث أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ، مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»**[٦].

=

(١) قيّدته بـ "الغالب"؛ لأنه قد يكون الغضب حسنا، إذا كان لله ولرسوله ولدينه.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لابن القيم (٢/٢٩٥).

(٣) ينظر الآيات في: سورة الأنعام: آية ١٥١، وسورة الإسراء: آيات ٣١-٣٣، وسورة الفرقان: آية ٦٨، وسورة الممتحنة: آية ١٢.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٢/٤٢٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: ٢٧، ١٤١٥هـ.

(٥) الأعراف: ١٥٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، (١/٣٠،
=

فهذا، ولكن الغضب إذا كان لغير الله ورسوله، كالغضب للحمية، والعصبية أو نحوها، فهو مذموم، كما جاء في حديث أبي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا القِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(١).

فالحديث صريح فيمن قاتل غضبا أو حمية، فلا يعتبر قتاله جهادا في سبيل الله، ولكن إذا قاتل غضبانا لتكون كلمة الله هي العليا، فهو يعتبر في سبيل الله عز وجل.

الدليل على خلق الغضب من أحاديث الدراسة: لم أجد هذا الخُلق السيء بلفظ صريح في أحاديث الدراسة وآثارها، إلا أنه يُستدل له بلفظ مرادف له، وهو "السُخط"(٢)، فروى الإمام الدارمي رحمه الله عن رَبِيعَةَ الْجُرَشِيّ، يَقُولُ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: **«لِتَنَمْ عَيْنُكَ، وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلْيَعْقِلْ قَلْبُكَ، قَالَ: فَنَامَتْ عَيْنَايَ، وَسَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَعَقَلَ قَلْبِي، قَالَ: فَقِيلَ لِي: سَيِّدٌ بَنَى دَارًا، فَصَنَعَ مَأْدُبَةً، وَأَرْسَلَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَسَخِطَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ، قَالَ: فَاللَّهُ: السَّيِّدُ، وَمُحَمَّدٌ: الدَّاعِي، وَالدَّارُ: الْإِسْلَامُ، وَالْمَأْدُبَةُ: الْجَنَّةُ»**(٣).

الشاهد: أنه جاء في هذا الحديث ذكر "السُخط" وهو مرادف للغضب، بل هو أول مرتبة من مراتب الغضب، كما قال الثعالبي مبيّنا ترتيب أحوال الغضب: أوَّلُ

=

رقم: ٩٠) وكتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله (٨/٢٧، ٦١١٠).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم، عالما جالسا (١/٣٦، رقم: ١٢٣).
وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (، رقم ١٩٠٤).

(٢) ينظر: المعجم المفصل في المترادفات في اللغة العربية، الأستاذ مجيد طراد (ص ٤٤١). ومعجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير، نجيب اسكندر (ص ٢٦٢)، مطبعة الزمان بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٤).

مَراتِبِها السُّخْطُ: وهو خلافُ الرِّضَا. ثم الاخْرِنْطَامُ: وهو الغَضَبُ مع تَكَبُّرٍ وَرَفْعِ رَأْس. ثُمَّ البَرْطَمَةُ: وهي غضب مع عبُوس وانْتِفَاخ، عَنِ اللَّيْثِ. ثُمَّ الغَيْظُ وهو غضب كَامِنٌ للعَاجِزِ عَنِ التَّشَفِّي. ثُمَّ الحَرَدُ بفتحِ الراء وتَسْكينها: وهو أنْ يَغْتَاظَ الإنْسانُ فَيَتَحَرَّشَ بالّذي غَاظَهُ وَيهُمَّ به. ثم الحَنَقُ: وهو شدَّةُ الاغْتِيَاظِ مع الحِقْدِ. ثُمَّ الاخْتِلاَطُ: وهو أشَدُّ الغَضَبِ(١).

فالحاصل أن الغضب بجميع مراتبه المذكورة مذموم، وهو من رؤوس الأخلاق السيئة، إلا ما كان لله ولرسوله، ولذا حرض النبي ﷺ على تمليك النفس عند الغضب، كما جاء في رواية عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**(٢). فينبغي للداعية الحصيف أن يحذّر الناس من الغضب المذموم، ويبيّن لهم الفرق بين الغضب المحمود والمذموم، كما يوضّح لهم علاج الغضب في ضوء الكتاب والسنة.

فثبت من خلال ما تقدم أن الأخلاق مجال مهم من مجالات الدعوة إلى الله تعالى، ومن تلك الأخلاق بعضها حسنة؛ فينبغي التخلّق والتحلّي بها، وبعضها سيئة؛ فينبغي الحذر منها، ويجب على الداعية إلى الله تعالى أن يدعو الناس إلى الأخلاق الحسنة، ويحثّهم عليها بأسلوب الترغيب، والتحريض، كما يجب عليه أن يحذّر الناس من الأخلاق السيئة والسافلة بأسلوب الترهيب، والتحذير.

****

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) (ص ١٣٠)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٢٨/٨، رقم: ٦١١٤). وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب (٢٠١٤/٤، رقم: ٢٦٠٩).

الفصل السادس:

نماذج من تاريخ الدعوة الإسلامية

من خلال أحاديث الدراسة

وفيه توطئة وأربعة مباحث:

المبحث الأول: نماذج أحوال الناس قبل بعثة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: نماذج من تاريخ الدعوة في زمن النبي ﷺ.

المبحث الثالث: نموذج تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: نماذج من تاريخ الدعوة بعد عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

توطئة:

وتشتمل هذه التوطئة على الآتي:

أولاً: تعريف التاريخ لغة واصطلاحا.

ثانياً: تعريف تاريخ الدعوة.

ثالثاً: الارتباط بين التاريخ العام والتاريخ الخاص بالدعوة.

رابعاً: أهمية تاريخ الدعوة وفضله.

أولاً: تعريف التاريخ لغة واصطلاحاً:

أما في اللغة: فهو تعريف الوقت، والتَّوريخُ مثلُه، يقال: أرّخت وورّخت. وقيل: الإعلام بالوقت، يقال: أرخت الكتاب، وورّخته، أي: بيَّنت وقت كتابته(١).

وأما في الاصطلاح: فقد اختلفت عبارات العلماء في بيان تعريف له وذلك لكثرة الفنون والفروع للتاريخ، ومن بعض هذه التعريفات فيما يلي:

وعرّفه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ﵀ بمعنيين: الظاهر والباطن، فيقول: "هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدّول، والسّوابق من القرون الأول، ... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق"(٢).

وعرّفه المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ﵀ بقوله: "الإخبار عما حدث في العالم في الزمان

(١) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور (٤/٣) (مادة: أرخ) والصحاح للجوهري (٤١٨/١).

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ) (٦/١)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

الماضي"[١].

وعرفه الكافيجي (ت ٨٧٩هـ) رحمه الله بقوله: "فهو علم يبحث عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته"[٢].

وعرّفه الإمام السخاوي (ت ٩٠٢هـ) رحمه الله بتعريف طويل ثم قال: "والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم"[٣].

وعرّفه حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) رحمه الله بقوله: "إنه معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم"[٤].

وقال الشيخ عمر بن علي بادحدح تعليقا عليه: "هذا التعريف شامل للأبعاد الثلاثة التي هي: البعد المكاني، والبعد الزماني، والبعد الإنساني المتعلق بالأشخاص.

قوله: معرفة أحوال الطوائف. أي: الأشخاص والقبائل.

وقوله: وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم ووفياتهم. هذا من الناحية الاجتماعية.

وقوله: وبلدانهم. هذا يتعلق بالناحية المكانية"[٥].

(١) علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنثال (ص ٢٦)، ترجمه د. صالح أحمد العلي من الإنجليزية إلى العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٠٣م. ومنهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطوُّر التدوين ومناهج المؤرخين؛ للدكتور محمد بن صامل العلياني السَّلمي (ص٥٠-٥١)، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

(٢) نقلا من كتاب: علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنثال (ص ٢٦).

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٧)، تحقيق: فرانز رُوزنثال، دار الكتب العلمية بيروت، بدون ذكر سنة الطبع. والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك؛ لابن الجوزي (١/٩٩)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ.

(٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) (١/٢٧١)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

(٥) دروس صوتية للشيخ علي بن عمر بادحدح، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، وهو متاح في المكتبة الشاملة، (رقم الدرس: ٥١، والصحيفة: ٤).

وقيل في تعريفه: "أن التاريخ في أوسع معانيه هو قصة ماضي الإنسان، أو هو عرض منظم مكتوب للأحداث، وخاصة تلك الأحداث التي تؤثر في أمة، أو نظام أو علم أو فن، وهو لا يسجل الأحداث باعتبارها خطوات في التقدم البشري فحسب، بل يسعى إلى إيضاح أسباب هذه الأحداث ودلالتها"(١).

وقيل: "هو رواية وتدوين كل ما حدث ، وهو محاولة لتعليل تلك الأحداث"(٢).

وقيل: "أن التاريخ علم نظري إنساني، يُبحث فيه عن حوادث الزمان، من حيث التعيين، والتوقيت، والتفسير، والتعليل. ويشمل جانبين: الأول: نقل الحدث بالرواية أو المشاهدة، والثاني: تعليله"(٣).

ثانياً: تعريف تاريخ الدعوة.

من المعلوم أن تاريخ الدعوة فرع أو جزء من التاريخ العام، وبناء على تعريفه العام فقد عرّفه العلماء بتعريفه الخاص بالدعوة:

منها: "هو فن يبحث فيه عن كيفية نشر الإسلام، وإقناع الناس باتباعه، ثم إثباتها بالتعيين والتوقيت لاطلاع الأمة عليها وإفادتهم منها"(٤).

شرح هذا التعريف:

في قوله: «هو فن»: الفن هو الضرب من الشيء، أي النوع. فتاريخ الدعوة نوع مستقل بذاته عن غيره من العلوم.

وفي قوله: «ثم إثباتها بالتعيين»: أي رصد هذه المعلومات بتعيين الحادثة وأبرز

---

(١) المدخل إلى علم التاريخ، للدكتور تاج السر أحمد حران (ص ١٤)، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطوُّر التدوين ومناهج المؤرخين؛ للدكتور محمد بن صامل السُّلمي (ص ٥٢).

(٤) مجلة البحوث الإسلامية: الجزء ٥٨، الصفحة:٢٢٩.

الأشخاص الذين شاركوا فيها.

وفي قوله: «والتوقيت»: أي ربط ذلك بالتوقيت الزمني لهذه الأحوال والمراتب[(١)].

ومن تعريفات تاريخ الدعوة: "هو الوقوف على قصة الإيمان على ظهر الأرض، وتاريخ الصراع بين الحق والباطل على صفحة الوجود، وكيف تنتصر الدعوات، وكيف تنهزم، وكيف يجني من يزرع الخير، ويحصد من يزرع الشوك، وكيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور، وما هي معالم الطرق الذي سار فيه الأنبياء من أولهم إلى خاتمهم محمد ﷺ، ومتى عرفت البشرية ربها وأقرت بتوحيده وعظمته..."[(٢)].

وقيل في تعريفه: "علم يبحث في مسارات الدعوة وجهود الدعاة والمصلحين، والتيارات الفكرية السائدة في مجتمعٍ ما"[(٣)].

فالحاصل من خلال هذه التعريفات أن تاريخ الدعوة عبارة عن دراسة الوقائع، وتحليل الحوادث التي تتعلق بالدعوة والدعاة، والاستفادة من تجاربهم السابقة في الحاضر والمستقبل.

ثالثاً: الارتباط بين التاريخ العام والتاريخ الخاص بالدعوة.

هناك ارتباط قوي بين التاريخ العام والتاريخ الخاص بالدعوة؛ لأن تاريخ الدعوة جزء من التاريخ العام أو هو فرع عنه، أو بعبارة أخرى أنه فن من فنون التاريخ، كما ذكر الإمام السخاوي ﷺ نقلا عن الإمام الذهبي ﷺ للتاريخ حوالي أربعين فنونا، وفي ضمن هذه الفنون ذكر فنونا عديدة متعلقة بالدعوة والدعاة أو مختصة بها، فيقول:

"فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية: الجزء ٥٨، الصفحة:٢٢٩.

(٢) تاريخ الدعوة، جمعة علي الخولي (١٩/١)، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٣) موقع الألوكة، وهو متاح على الرابط التالي:
http://www.alukah.net/culture/0/9955/#ixzz3T7UWZBUf
تم زيارته في تاريخ: ١٤٣٦/٥/١٠هـ

في ستمائة مجلد:

١- سيرة نبينا ﷺ.

٢- قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٣- تاريخ الصحابة ﵃.

٤- تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر.

٥- تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياصرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والإخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لقّب بالملك.

٦- تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك......

٧- تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك.

٨- تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين"(١).

ثم ذكر أربعين فناً للتاريخ، واكتفيت في هذا الموضع على ذكر بعضها مما له تعلق بالدعوة والدعاة إلى الله. فظهر من هذا أن تاريخ الدعوة فرع من فروع التاريخ العام، وهكذا بينهما ارتباط متين، وعلاقة قوية.

رابعاً: أهمية تاريخ الدعوة وفضله.

إن الإنسان حين يرى شكله في المرآة وينظر في وجهه ما يقبحه فإنه يصلحه ويرتب أشعاره، ولحيته، ويزيل كل ما يرى شيئا من القبح، وهكذا الداعية الحصيف كلما يقرأ التاريخ يستفيد من تجارب الدعاة السابقين، ويجتنب من الأخطاء التي وقع فيها

---

(١) الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي (ص ١٥٠- ١٥٤). والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (١٠/١).

السابقون، فهكذا يزداد تجربته وعقله، ويقلّ خطأه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: "من قرأ التاريخ زاد عقله، وقل خطأه"(١).

ومن قرأ التاريخ عاش الدهر كله؛ لأنه يطلع على أحداثهم ووقائعهم، وأحوالهم وكيفياتهم، ولأنه يرى في حياته أحوال معاصريهم، كما يرى أحوال السابقين من خلال التاريخ فكأنه عاش الدهر كله.

فقال حاجي خليفة: "وفائدته: العبرة بتلك الأحوال، والتنصح بها، وحصول ملكة التجارب، بالوقوف على تقلبات الزمن، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار، ويستجلب نظائرها من المنافع. وهذا العلم كما قيل: عمر آخر للناظرين، والانتفاع في مصره بمنافع تحصل للمسافرين"(٢).

ومن المعلوم أن تاريخ الدعوة فرع من التاريخ العام، ويتجلّى أهميته وفضله بأهمية التاريخ العام، فقال المسعودي في بيان فضله: "إنه علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزين في كل محفل ومقام، وإنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرا محمودا، وعلما منظوما عتيدا"(٣).

ففي ضوئها تتحدد الاستفادة، وذلك بتجنب الأخطاء، وإيجاد الحلول التي يمكن أن تكون إيجابية لمجتمع ما وسلبية لمجتمع آخر، فكم من مجتمعات أخذت من التاريخ عبراً، وحددت في ضوئها الخطوات التي يجب أن تتبعها، وكم من مجتمعات وقعت

---

(١) ترسيخ المدخل إلى علم التاريخ، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري (ص ٢٤)، الدار الأثرية عمان الأردن، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٢) كشف الظنون (١/١٧١).

(٣) مقدمة مروج الذهب ١/ ٤ ط القاهرة.

فريسة ولقمة سائغة في أيدي أعدائها وذلك نتيجة تطبيق المستفيد من إيجابيات التاريخ وسلبياته"(١).

وقال محمد فريد مجدي في بيان أهميته: "هو من أجل العلوم الإنسانية، فبه يعرف الإنسان مكانه من السلسة الإنسانية، ومكان أمته من الهيئة الاجتماعية، ولو كانت الفائدة تنحصر في هذه المعرفة لسهل الاستغناء عنه، ولكنه فوق ذلك محل العبر، ومثار العظات ومصدر العلم بالسنن الإلهية في تكوين الأمم وحلها وإصعادها وإهباطها. وعلم هذا شأنه جدير بأن يجعل في مقدمة العلوم اعتبارا وفي صدرها إكبارا"(٢).

يقول أحمد أحمد غلوش: "إن علم تاريخ الدعوة يبحث موضوعه في إطار منهج علم التاريخ العام، وبذلك يقدم فوائد جليلة للدعوة إلى الله تعالى في العصر الحديث؛ لأنه يقدم أحداث الماضي رصيدا للحاضر، وتوجيها للمستقبل، ويكفي الدعاة أن يعرفوا الحاضر صورة مكشوفة، ويحيطوا بالإنسان المدعو ظاهرا وباطنا؛ لأنهم بدراسة التاريخ يفهمون نفوس الناس، وأخلاقهم، وخواطرهم، واتجاهاتهم، ومواقفهم التي سيتخذونها إزاء الدعوة التي ستوجه إليهم.

والدعاة حين يعلمون ذلك عن الناس يمكنهم اختيار ما يطلبونه من الناس، وطريقة الطلب، ووسيلة الخطاب، ومنهج الدعوة والبلاغ"(٣).

فالحاصل أن قراءة تاريخ الدعوة ودراسته لها فوائد كثيرة، وأهمية بالغة في حياة الداعية إلى الله تعالى، لأنه يستخرج ويستنبط الدروس المفيدة والحلول المناسبة للمشاكل النازلة من خلال الحوادث المتقدمة والوقائع السابقة.

ويمكن تلخيص هذه الفوائد في النقاط التالية:

---

(١) المسلمون وكتابة التاريخ، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر (ص٦٣)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢) دائرة المعارف القرن الرابع عشر، العشرين، محمد فريد وجدي (١/١٥١-١٥٢)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.

(٣) دعوة الرسل عليهم السلام، (ص ١٢) مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١- التصبر على ما يصيب الداعية أثناء قيامه بواجب الدعوة.

٢- الاستفادة من خبرات السابقين من العلماء والدعاة.

٣- العبرة بما سبق من الحوادث والوقائع مع الدعاة والمدعوين.

٤- من فوائده: الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

٥- ومن فوائده أيضاً رفع الهمة ودفع اليأس وذلك عن طريق قراءة سِير الصالحين والدعاة إلى الله، وأولي العزم من الرسل، لما كانت هممهم عالية، وأنهم لم يئسوا عن رحمة الله تعالى بما أصابهم من الشدة والبلاء.

٦- يستفاد من دراسة تاريخ الدعوة معرفة أساليب وطرق الدعوة المناسبة للفئات المختلفة من المدعوين، كأساليب دعوة المشركين، وأساليب دعوة اليهود والنصارى، وما إلى ذلك. وذلك من خلال دراسة تاريخ الأنبياء، كيف دعا هؤلاء أقوامَهم إلى الله تعالى، وأية أساليب استخدموها في دعوة الناس؟

٧- يستفاد من دراسة تاريخ الدعوة: معرفة المنهج القويم للدعوة الإسلامية.

٨- يستفاد من دراسة تاريخ الدعوة: معرفة أسباب نجاح الدعوة وفشلها.

٩- ويستفاد أيضا من دراسته: معرفة معوقات الدعوة وعلاجها.

١٠- ومن فوائده أيضاً: رفع المستوى العلمي والثقافي للداعية إلى الله، ومن قرأ تاريخ الدعاة والمصلحين السابقين فكأنه عاصرهم.

١١- ومن فوائده أيضاً: أنه سبب لزيادة العقل، قاله الشافعي ﷺ -كما تقدم قبل صفحتين- وابن الأثير ﷺ أيضاً[(١)].

****

(١) ينظر: الكامل في التاريخ (١/١٠).

المبحث الأول: أحوال الناس قبل بعثة النبي ﷺ

من خلال أحاديث الدراسة.

كان الناس قبل مبعث النبي ﷺ في ظلمات الجهل والضلالة، فمنّ الله تعالى عليهم ببعث النبي ﷺ إليهم؛ ليزكيهم من أجناس الشرك، وغلاظة الجهالة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

فهذه الآية صريحة بأن الناس كانوا قبل بعثة النبي ﷺ في ضلال مبين، وكانوا يعبدون الأصنام، والأحجار والأشجار، ويقتلون الأولاد مخافة الرزق، ويئدون البنات مخافة العار، وقد فصّل الإمام الدارمي ﷀ عن هذه الأحوال في سننه، وعقد بابا خاصا لبيان جهالتهم وضلالتهم وأحوالهم بقوله: «بَابُ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ» ثم أورد بسنده عدة أحاديث وآثار.

منها: حديث الْوَضِينِ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، فَكُنَّا نَقْتُلُ الْأَوْلَادَ، وَكَانَتْ عِنْدِي بِنْتٌ لِي فَلَمَّا أَجَابَتْ(٢)، وَكَانَتْ مَسْرُورَةً بِدُعَائِي إِذَا دَعَوْتُهَا، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَاتَّبَعَتْنِي فَمَرَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بِئْرًا مِنْ أَهْلِي غَيْرَ بَعِيدٍ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَرَدَّيْتُ بِهَا فِي الْبِئْرِ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَتَاهُ يَا أَبَتَاهُ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى وَكَفَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْزَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ**» **ثُمَّ** قَالَ لَهُ: «**أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ**» فَأَعَادَهُ، فَبَكَى حَتَّى وَكَفَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ عَلَى لِحْيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ**»(٣).

---

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) المراد أنها بلغت من السن أن تجيب إذا دعاها.

(٣) تقدم تخريج الحديث مع شرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦٣ وما بعدها).

فهذه القصة مؤثرة جدا؛ لأنها تحمل في طياتها العظة والعبر والدروس، وتبيّن لنا أحوال زمن الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ، وفي هذه الأحوال والظروف السيئة منّ الله عليهم بنعمة الإسلام، فأخرجهم من ظلمات الجهل والضلالة إلى أنوار العلم والهداية.

ومن الآثار الدالة على بيان أحوال الجاهلية: أثر مُجَاهِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَوْلَايَ(١): «أَنَّ أَهْلَهُ بَعَثُوا مَعَهُ بِقَدَحٍ فِيهِ زُبْدٌ وَلَبَنٌ إِلَى آلِهَتِهِمْ، قَالَ: فَمَنَعَنِي أَنْ آكُلَ الزُّبْدَ لِمَخَافَتِهَا، قَالَ: فَجَاءَ كَلْبٌ فَأَكَلَ الزُّبْدَ وَشَرِبَ اللَّبَنَ، ثُمَّ بَالَ عَلَى الصَّنَمِ وَهُوَ: "إِسَافٌ"، وَ"نَائِلَةُ" قَالَ هَارُونُ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَافَرَ، حَمَلَ مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ ثَلَاثَةٌ لِقِدْرِهِ وَالرَّابِعُ يَعْبُدُهُ، وَيُرَبِّي كَلْبَهُ، وَيَقْتُلُ وَلَدَهُ»(٢).

ومنها: أثر أَبِي الرَّجَاءِ، قَالَ: «كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَصَبْنَا حَجَرًا حَسَنًا عَبَدْنَاهُ، وَإِنْ لَمْ نُصِبْ حَجَرًا، جَمَعْنَا كُثْبَةً مِنْ رَمْلٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالنَّاقَةِ الصَّفِيِّ فَتَفَاجُّ عَلَيْهَا، فَنَحْلُبُهَا عَلَى الْكُثْبَةِ(٣) حَتَّى نَرْوِيَهَا ثُمَّ نَعْبُدُ تِلْكَ الْكُثْبَةَ مَا أَقَمْنَا بِذَلِكَ الْمَكَانِ»(٤).

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ (الدارمي): "الصَّفِيُّ: الْكَثِيرَةُ الْأَلْبَانِ، فَتَفَاجُّ يَعْنِي: النَّاقَةَ إِذَا فَرَّجَتْ بَيْنَ رِجْلَيْهَا لِلْحَلْبِ، وَالْفَجُّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَجَمْعُهُ: فِجَاجٌ"

فهذه الآثار تبيّن لنا حالة الناس قبل المبعث، كيف اخترع الناس ألوان الشرك، وابتدعوا صورا عديداً للعبادات، فكانوا يعبدون الأحجار الحسنة المنظر، ويحملونها معهم في السفر؛ لكي يعبدوها في أي مكان، وإذا لم يجدوا حجرا يجمعون كُثبة من رمل، ثم يأتون بالناقة عليها ويحلبونها ثم يعبدونها. والعياذ بالله.

فهذا ما يتعلق بحالتهم الدينية، وأما ما يتعلق بحالتهم الاجتماعية والسياسية فهي

---

(١) لعله السائب بن أبي السائب رضي الله عنه، أو ابنه عبد الله رضي الله عنه، أو قيس بن السائب المخزومي رضي الله عنه، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٢٢٨/٢٧).

(٢) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٢٨٠).

(٣) كثبت الشيء كثباً: إذا جمعته والجمع: الكثبان وهي تلال الرمل، يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٥١/٤)، والصحاح للجوهري (٣٧٧/٢).

(٤) تقدم تخريج الأثر، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٢٨١).

أيضاً مؤسفة جدا، كما تقدم في حديث الوضين أنهم كانوا يقتلون أولادهم الذين هم زينة حياتهم الدنيوية، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] وقال سبحانه أيضاً: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾[2].

قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ﷺ في معرض بيان حالتهم الدينية: "فالمشركون الذين كانوا يدّعون أنهم على دين إبراهيم كانوا بعيدين عن أوامر ونواهي شريعة إبراهيم، مهملين ما أتت به من مكارم الأخلاق. فكثرت معاصيهم، ونشأ فيهم على توالي الزمان ما ينشأ في الوثنيين من عادات وتقاليد تجري مجرى الخرافات الدينية، وأثرت في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية تأثيرا بالغا جدا"[3].

وقد روى الإمام الدارمي ﷺ موعظة عظيمة، وعظها عبد الله بن الأهتم[4] أمام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ، فهذه الموعظة تشتمل على أحوال الناس قبل بعثة النبي ﷺ، وهي موعظة جامعة، وبليغة، وموجزة؛ فروى عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ[5] قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْتَمِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ الْعَامَّةِ فَلَمْ يَفْجَأْ عُمَرَ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَكَلَّمُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا لِمَعْصِيَتِهِمْ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ، فَالْعَرَبُ بِشَرِّ تِلْكَ الْمَنَازِلِ: أَهْلُ الْحَجَرِ وَأَهْلُ الْوَبَرِ، وَأَهْلُ

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) آل عمران: ١٤.

(٣) الرحيق المختوم (ص ٣٣)، دار الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، بدون سنة الطبع.

(٤) هو أبو معمر عبد الله بن الأهتم واسم الأهتم سمي ابن سنان بن خالد المنقري، أحد الوعاظ والخطباء زمن عمر بن عبد العزيز، وفد على سليمان بن عبد الملك رسولاً من يزيد بن المهلب. يراجع ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٤٧/٥). وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٠٧/٢٧).

(٥) هو أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كَريب الكَلاعي الحمصي، شيخ أهل الشام، تابعي ثقة عدل يرسل كثيرا، وروى له أصحاب الكتب الستة، وتوفي ١٠٣هـ وقيل بعدها. يراجع ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨٩/١٦). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٣٦/٤).

الدَّبَرِ، تَجْتَاز دُونَهُمْ طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا وَرَخَاءُ عَيْشِهَا، لَا يَسْأَلُونَ اللَّهَ جَمَاعَةً، وَلَا يَتْلُونَ لَهُ كِتَابًا، مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ، وَحَيُّهُمْ أَعْمَى نَجِسٌ مَعَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ، وَالْمَزْهُودِ فِيهِ ...»[(١)].

فكهذا كانت حالتهم التي تؤكد حاجة الناس إلى دين ينقذهم من هذا الضياع الذي هم فيه، فبعث الله النبي محمداً ﷺ بدعوة الإسلام لينقذهم من هذا الضلال الديني والجهالة العمياء، كما روى الإمام الدارمي رحمه الله عن عبد الله بن الأهتم أنه قال في خطبته التي ألقاها أمام عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «...فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَحُوهُ فِي جِسْمِهِ وَلَقَّبُوهُ فِي اسْمِهِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ نَاطِقٌ، لَا يُقَوَّمُ إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَلَا يُرْحَلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَلَمَّا أُمِرَ بِالْعَزْمَةِ، وَحُمِلَ عَلَى الْجِهَادِ، انْبَسَطَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَوْثُهُ، فَأَفْلَجَ اللَّهُ حُجَّتَهُ، وَأَجَازَ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا ...»[(٢)].

---

(١) **تخريج الأثر**:

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ (١/٢٢٥، رقم: ٩٢). قال الداراني: إسناده فيه مجهولان. وهو موقوف على ابن الأهتم.

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٨-٣٠): فيه يحي بن سعيد بن العاص، صدوق يغرب، ومعروف بن خربوذ، صدوق ربما وهم، وهي موعظة عظيمة حسنة مقبولة، وأخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق: ١٤٧/٢٤، ومختصره: ١٦٣١/١).

شرح غريب الأثر:

«**أَهْلُ الْحَجَرِ**» : أهل البادية والصحراء الذين يعيشون في بيوت من الأحجار.

«**أَهْلُ الْوَبَرِ**» الوبر؛ صوف الإبل والأرانب، وأهل الوبر سكان البادية؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه.

«**وَأَهْلُ الدَّبَرِ**» : الدَبر؛ قيل: النحل، وقيل: الزنابير.

(٢) تقدم تخريج الأثر في الهامش السابق، وأما شرح غريبه فهو كالآتي:

«**مَا عَنِتُّمْ**» : العنت؛ الشدة والمشقة.

«**لَوْثُهُ**» : أي ما كان ملتفا مطويا. قال في (الصحاح:٤٦١/٢) لاث العمامة على رأسه، =

ففي هذه الظروف والأحوال نشأ تاريخ الدعوة الإسلامية، وسيأتي بيانه لبعض جوانبه المهمة في المباحث التالية.

****

=

يلوثها لوثا، عصبها. ينظر: (النهاية: ٤/٢٧٥).

«**فَأَفْلَجَ**» : أي قومها وأظهرها. انظر: (الصحاح: ٢/٢٥٦).

المبحث الثاني:

نماذج من تاريخ الدعوة في زمن النبي ﷺ

فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بداية تاريخ الدعوة الإسلامية ومراحلها في العهد المكي.

لا شك أن تاريخ الدعوة الإسلامية يبدأ من آدم عليه السلام، أو من دعوة نوح عليه السلام؛ لأن آدم عليه السلام لم يُبعث إلى الناس المنحرفين، بل هُبط إلى الأرض في الوقت الذي ليس فيه أحد، وأما نوح عليه السلام فإنه بُعث إلى الناس المنحرفين عن العقيدة الصحيحة، والضالين عن الصراط المستقيم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهكذا بدأت الدعوة أول مرة، ثم مرّت الدعوة بأدوار كثيرة، وبُعث الأنبياء والرُسل للقيام بهذا العمل الجليل، حتى بُعث خاتم الأنبياء سيد البشر نبينا محمد ﷺ، في الوقت الذي غرق العالم في جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، ومن هنا يبدأ تاريخ دعوة خاتم الأنبياء ﷺ.

بدأ تاريخ هذه الدعوة بنزول الوحي أول مرة على نبينا محمد ﷺ، وقد ساق الإمامان البخاري والمسلم -رحمهما الله- قصة هذه البداية في صحيحيهما، وذكرا عدة أحاديث عن كيفية نزول الوحي وبدئه.

منها حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: **«مَا أَنَا بِقَارِئٍ»**، قَالَ: **«فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»**، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ

عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾(١) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: **«زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»** فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: **«لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»** فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»**؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ(٢).

وقد ذكر الإمام الدارمي رحمه الله قصة هذه البداية في سننه فروى عن أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ فَقَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ الْآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ زِنْهُ بِرَجُلٍ، فَوُزِنْتُ بِهِ فَوَزَنْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَنْتَثِرُونَ عَلَيَّ مِنْ خِفَّةِ الْمِيزَانِ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَهَا»**(٣).

---

(١) العلق: ١ – ٣.

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/٧ رقم ٣). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/١٣٩، رقم ١٦٠).

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه (ص ٤٠٣).

ففي هذا الحديث جاء ذكر سؤال أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن بداية هذه الدعوة، وقد سأل عنه عما كان يخطر بباله، فقال: يا رسول الله كيف علمتَ أنك نبي حتى استيقنتَ؟ فأجاب ﷺ بكل ثقة واطمئنان، وذكر قصته بالتفصيل حتى اطمئن قلب أبي ذر رضي الله عنه مما خطر بباله.

وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله حديثاً نحو هذا يتعلق برؤية الـمَلَك في السماء، وبداية المرحلة الدعوية، فروى عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه، أنه قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: **«بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(١). **فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ»**(٢). أي كثر نزوله ومجيئه.

فظهر من حديث الدارمي وحديث البخاري بداية تاريخ الدعوة؛ إذ استيقن النبي ﷺ بأنه نبي ورسول؛ لأنه رأى الملكين، أحدهما يخبر الآخر بأنه نبي، ثم وُزن النبي ﷺ برجل، ثم بعشرة، ثم بمائة، ثم بألف، حتى رجح على الجميع، ثم قال أحد الملكين للآخر: **«لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَهَا»** وزاد يقينه لما أُمر النبي ﷺ بتبليغ الدين في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فقام النبي ﷺ بتبليغ الدين ودعوته، ودعاهم إلى عبادة رب العلمين، وخاطبهم بصيغة العموم؛ لأنه بُعث إلى عامة الناس، كما روى الإمام الدارمي رحمه الله عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِيهِمْ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**(٣).

فالمنادى بلفظ "الناس" عام يدخل فيه كل من أجناس المدعوين، من المشركين،

---

(١) المدثر: ١ – ٥.

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/٧-٨، رقم: ٤).

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٦١).

واليهود والنصارى، والعرب والعجم، الإنس والجن، والذكر والأنثى.

وكذلك دعا النبي ﷺ الناس فردا فردا كما روى الإمام الدارمي رحمه الله عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَيْنَ تُرِيدُ؟»** قَالَ: إِلى أَهْلِي قَالَ: **«هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟»** قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: **«تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»** فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: **«هَذِهِ السَّلَمَةُ»** فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ[(١)].

فظهر مما سبق أن النبي ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد، والأخلاق العالية، وكانت دعوته ﷺ في العهد المكي مرت بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: الدعوة السرّية.

بعد ما أنزل الله الوحي على الرسول ﷺ وكلفه حمل الرسالة وأمره بتبليغها بقوله: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾. أخذ يدعو لدين الله فبدأت المرحلة السرية التي استمرت ثلاثة أعوام، فكان فيها ﷺ يدعو من آنس فيه الاستعداد لقبول هذه الدعوة بغضّ النظر عن سنه ومكانته وبغضّ النظر عن جنسه وأصله، فكان يدعو جميع من يتوسّم فيهم القبول والتعقل، فأسلم خلالها جماعة من ذوى العقل والرأي.

المرحلة الثانية: الدعوة الجهرية.

لما نزلت الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[(٢)] جمع رسول الله ﷺ قومه من بني عبد المطلب وكانوا يومئذ أربعين رجلا، وتحدث معهم بلطف، وشرح لهم الدعوة في بساطة وعطف فقال لهم: "إني ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فلقد

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه (ص ٦٧).

(٢) الشعراء: ٢١٤.

جئتكم بخير الدنيا والآخرة".

ثم نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(١). فأظهر ﷺ الدعوة وخرج في أصحابه إلى الكعبة في نظام دقيق لم تعهده العرب من قبل، فطاف بهم حول الكعبة، ونادى قريشاً وأبلغهم الدعوة فهتف به عمه أبو لهب: "تبّاً لك ألهذا دعوتنا؟ "، فنزل قوله سبحانه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾(٢). فانتقلت الدعوة من دور الاستخفاء إلى دور الإعلان.

المرحلة الثالثة: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل.

عرض الرسول ﷺ نفسه على بني عامر بن صعصعة وغسان وفزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نصر وكندة وكلب وبني الحارث بن كعب وبني عذرة، دون مساومة. وذهب النبي ﷺ إلى الطائف يتلمس نصرة ثقيف فاتصل بسادتها وأشرافها ودعاهم إلى عبادة الله وإلى نصرته فلم يجيبوه، ورجع ﷺ إلى مكة واستأنف دعوته إلى عبادة الله وحده، ثم حدث واقعة الإسراء والمعراج، واستمر يعرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، حتى حصل بيعة العقبة الأولى مع أهل يثرب، ثم العقبة الثانية، وهكذا انتشرت الدعوة خارج مكة إلى يثرب وقبائل العرب، فلما رأى الكفار انتشار دعوته ﷺ كل يوم أرادوا قتله ﷺ، فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة المنورة(٣).

فهذه المراحل باعتبار التقسيم الزمني، وأما باعتبار مراتب الدعوة فهي خمسة مراتب كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله؛ إذ يقول: "فصل في ترتيب الدعوة ولها مراتب: المرتبة الأولى: النبوة. الثانية: إنذار عشيرته الأقربين. الثالثة: إنذار قومه. الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة. الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته

---

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) المسد: ١ – ٣.

(٣) ملخّصا من بحث: "من مراحل الدعوة الإسلامية في مكة" للدكتور جميل عبد الله المصري، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ٣٩، (ص ٢٠٠-٢١٨).

من الجن والإنس إلى آخر الدهر. وأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفيا، ثم نزل عليه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[1] فأعلن ﷺ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين"[2].

ومن بعثته ﷺ إلى هجرته إلى المدينة الطيبة تسمى هذه المرحلة بالعهد المكّي، ومن الهجرة إلى وفاته ﷺ تسمى هذه المرحلة بالعهد المدني[3].

المطلب الثاني: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة الطيبة ودعوته فيها.

لما اشتد أذى مشركي مكة على النبي ﷺ وأرادوا أن يقتلوه أذِن الله له بالهجرة إلى المدينة الطيبة، فخرج النبي ﷺ ليلة الخميس السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣ من النبوة، الموافق ١٢/١٣ سبتمبر ٦٢٢م[4]، وأتى بيت صديقه أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأعد متاع السفر اللازم، وفي ظلمة تلك الليلة انطلقا حتى وصلا غار ثور على بعد حوالي أربعة أميال من مكة، فدخل أبو بكر أولا في الغار؛ فنظفه وسد جحوره بمخاريق من ثوب جسده، وبعدها طلب من النبي ﷺ أن يدخل، وكمنَا في الغار ثلاث ليال، وفي الليلة الرابعة اتجه النبي مع رفقائه إلى المدينة في ليلة الإثنين غرة ربيع الأول سنة ١هـ،

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٨٤).

(٣) من أراد التفصيل عن دعوته ﷺ في العهد المكي فليراجع كتاب: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، لـ أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، خاصة المبحث الثاني عشر: السيرة المحمدية من الرسالة حتى الهجرة (ص ٣٣٦).

(٤) تعليق مهم: إذا فرضنا بداية السنين من شهر محرم فيكون شهر صفر هذا من السنة الرابعة عشرة من النبوة، وأما إذا بدأنا السنين من الشهر الذي أكرم الله فيه نبيه ﷺ بالنبوة، فيكون شهر صفر هذا من السنة الثالثة عشرة قطعا. وعامة من يكتب في السيرة ربما يختار هذا، وربما يختار ذاك. فليتنبه إلى ذلك.

ينظر: كتاب: "إنك لعلى خلق عظيم، الرسول محمد ﷺ"، إعداد وإشراف: صفي الرحمن المباركفوري (١/١٣٨، هامش رقم ٢)، الناشر: شركة كندة للإعلام والنشر، ٢٠٠٦م.

الموافق ١٦ سبتمبر ٦٢٢ م[١].

وفي يوم الإثنين، ٨ ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة -وهي السنة الأولى من الهجرة- الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢م نزل رسول الله ﷺ بقباء، وأسس مسجد قباء، ولما كان يوم الخامس -يوم الجمعة- (١٢ ربيع الأول سنة ١هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ٦٢٢م) اتجه النبي ﷺ نحو المدينة، ولم يكد يصل إلى بيوت بني سالم بن عوف حتى أدركته الجمعة فصلاه مع مائة شخص فكانت أول جمعة في الإسلام، ثم سار النبي ﷺ بعد الجمعة حتى دخل المدينة، ومنذ ذلك اليوم صار اسمها «مدينة الرسول، أو مدينة النبي» ويطلق عليها اختصاراً «المدينة»[٢].

وقد مكث النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وفي المدينة عشر سنين، كما روى الإمام البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ»[٣].

أهم الأعمال التي قام بها النبي ﷺ في المدينة بعد وصوله إليها:

لما أن وصل النبي ﷺ المدينة قام ببعض الأعمال المهمة لبناء المجتمع الصالح، ومن أهمها فيما يلي:

- بناء المسجد؛ لتوطيد علاقة المسلمين مع ربه.

---

(١) ينظر: رحمة للعالمين، القاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري (ص ٨٠)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ. وينظر أيضاً كتاب: "إنك لعلى خلق عظيم، الرسول محمد ﷺ"، إعداد وإشراف: صفي الرحمن المباركفوري (١/١٣٨).

(٢) ينظر: رحمة للعالمين للمنصورفوري (ص ٨٤-٨٦). و إنك لعلى خلق عظيم، بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري (١/١٤٧-١٥٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٩/٥٧، رقم: ٣٩٠٢).

- المؤاخاة؛ لتقوية علاقات المسلمين صلاتهم مع بعضهم.
- المعاهدة مع اليهود؛ لتنظيم العلاقات مع غير المسلمين.

فهذه قصة مختصرة عن هجرة النبي ﷺ، ولا ريب أن هجرة النبي ﷺ من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة الإسلامية، وفيها دروس وعبر لأولي الألباب، ويُستدل على هذا الحدَث التاريخي من بعض أحاديث الدراسة:

منها حديث كَعْب الأحبار فيما روى الإمام الدارمي عنه، أنه قال: «نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا فَظًّا وَلا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، وَيَحْمَدُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، يَتَأَزَّرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَتَوَضَّئُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ»(١).

الشاهد في هذا الحديث هو قوله: «وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ» فقد جاء فيه ذكر مكان هجرته ﷺ وهو المدينة الطيبة، فالطيبة اسم من أسماء المدينة النبوية، كما جاء في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عند الشيخين أن النبي ﷺ قال: **«إِنَّهَا طَيْبَةُ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ-، وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ»**(٢).

ومن الأحاديث الدالة على هذا الحدَث التاريخي حديث الحَسَن البصري رحمه الله فيما رواه الإمام الدارمي رحمه الله عنه، أنه قال: لَمَّا أَنْ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ جَعَلَ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى خَشَبَةٍ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ، فَكَثُرُوا حَوْلَهُ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُسْمِعَهُمْ، فَقَالَ: **«ابْنُوا لِي شَيْئًا أَرْتَفِعُ عَلَيْهِ»**، قَالُوا: كَيْفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: **«عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى»** فَلَمَّا أَنْ بَنَوْا لَهُ، قَالَ الْحَسَنُ: حَنَّتْ -وَاللَّهِ- الْخَشَبَةُ، قَالَ الْحَسَنُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، هَلْ تُبْتَغَى قُلُوبُ

---

(١) تقدم تخريج الحديث مع شرح غريبه (ص ١٣١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٩٦/٥، رقم ٤٠٥٠)، وباب "فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا" (٤٧/٦، رقم ٤٥٨٩). وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها (١٠٠٦/٢، رقم ١٣٨٤).

قَوْمٍ سَمِعُوا؟[1].

الشاهد في هذا الحديث هو قوله: «لما أن قدم النبي ﷺ إلى المدينة ...»، فهذا قدوم النبي ﷺ إلى المدينة هو هجرته إليه. والحديث إن كان ضعيفا -لكونه مرسلا-؛ لكن حادثة الهجرة معروفة ولا تحتاج إلى دليل إثبات؛ لأنه جاء ذكرها في القرآن الكريم وفي معظم كتب الأحاديث والسيرة والتاريخ.

ثبت من خلال ما تقدم أن الهجرة حدَث عظيم في تاريخ الدعوة الإسلامية، وفيها دروس وعبر للدعاة إلى الله خاصة وللمسلمين عامة، وسوف أختصر هذه الدروس في السطور التالية:

الدروس والعِبَر في هجرة النبي ﷺ [2]:

١- أولوية الدين والعقيدة على كل شيء حتى النفس والمال والأهل والأقارب، كما فعل النبي ﷺ والصحابة المهاجرون، فقد تركوا المال والأهل والأقارب؛ لإعلاء كلمة الله. وقد جاء في حديث النبي ﷺ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[3].

٢- وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام؛ إذا لم يستطع العبد إظهار دينه

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٣٢٩).

(٢) ينظر لمعرفة الأحكام والدروس المستفادة من الهجرة الكتب التالية:

١- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، أ. د. مهدي رزق الله أحمد (ص ١٩٢-١٩٥)، دار إمام الدعوة، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢- السيرة النبوية دروسٌ وعِبَر، الدكتور مصطفى السباعي (ص ٦٩-٨١)، المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م.

٣- أصول الدعوة وطرقها ٣، (ص ١٥١-١٨١) المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/١٢، رقم: ١٥). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد (١/٦٧، رقم ٤٤)

والعمل عليه.

٣- اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل، كما اتخذ النبي ﷺ كل الوسائل والأسباب والتدابير لنجاح سفر الهجرة بقدر المستطاع، ورغم ذلك إذا وصل العدو إليه فقال -كما قال تعالى حكاية عنه ﷺ-: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١). فهذا من كمال توكله ﷺ.

٤- الصبر العظيم؛ لا شك أن النبي ﷺ وأصحابه قد صبروا على إيذاء الكفار صبرا عظيما، وفيه درس عظيم لكل من يعمل في حقل الدعوة إلى الله، بأن يصبروا على كل ما أصابوا من المشاق والأذى في سبيل الدعوة إلى الحق.

٥- التخطيط والتنظيم؛ إن النبي ﷺ خطط سفر هجرته تخطيطا جيدا؛ إذ خرج من مكة وسار جهة الجنوب وكمن في غار ثور، مع أنه أراد المدينة وهو جهة الشمال؛ لكي لا يدركه العدو... ففيه درس عظيم للدعاة إلى الله بأن يخططوا أعمالهم الدعوية؛ كي لا يفشل عملهم.

٦- جواز الاستعانة بالمشرك، إذا لم يُعرف عنه العداوة، والبغض، والغدر والخيانة؛ كما استعان النبي ﷺ بـ عبد الله بن أريقط في سفره الهجرة لمعرفة الطرق.

هذا من أهم الدروس المستفادة من سفر الهجرة، وإلا أن هناك دروس كثيرة فيه، فاكتفيت على أهمها، ومن أراد التفصيل فليراجع كتب السير، والتاريخ والدعوة.

المطلب الثالث: فتح مكة.

هناك علاقة قوية بين هذا المطلب والمطلب السابق، وتظهر هذه العلاقة من خلال حديث النبي ﷺ **«لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»**(٢). فصارت الهجرة مستحبة غير واجبة؛ لأن الدين ظهر وغلب بفتح عظيم.

تقدم في المطلب الأول في نفس المبحث أن دعوة النبي ﷺ في حياته المكّيّة مرت بثلاثة مراحل: الأولى: الدعوة السرية، والثانية: الدعوة الجهرية، والثالثة: عرض الرسول

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فضل الجهاد والسير (٤/١٥، رقم: ٢٧٨٣)،

ﷺ نفسه على القبائل، وبعض الباحثين والكاتبين لم يذكروا الثالثة، واكتفوا على الاثنتين الأولين[1].

وأما دعوته ﷺ في حياته المدنية فقد مرّت بمرحلتين، وكلتيهما جهريتين:

المرحلة الأولى: الدعوة جهراً مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال أو الشّر، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

المرحلة الثانية: الدّعوة جهرا مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام -بعد فترة الدعوة والإعلام- من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين[2].

و في هذه المرحلة الأخيرة وقعت عدة غزوات، منها: فتح مكة، وهو فتح عظيم في مسيرة التاريخ الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ. ففي هذا المطلب أتحدث عن هذا الفتح العظيم، وما اشتمل عليه من الدروس والعبر والفوائد الدعوية.

فتح الله تعالى لرسوله ﷺ مكة المكرمة في رمضان سنة ٨ من الهجرة، وهو الفتح الأعظم، أعز الله به دينه ورسوله، وأنقذ به بيته، وبلده، ودخل به الناس في دين الله أفواجا، وسبب هذه الغزوة هو نقض أهل مكة العهد والوعد والهدنة التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ بعد عامين من صلح الحديبية[3].

يعد هذا الفتح في مسيرة تاريخ الدعوة من أعظم الفتوحات؛ لأن الناس دخلوا به في دين الله أفواجا، ويستفاد هذا النموذج التاريخي من بعض الأحاديث التي جاء فيها

---

(١) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محّمد سَعيد رَمضان البوطي (ص ٦٧)، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ينظر التفاصيل عنه في كتب السير، كـكتاب السيرة النبوية لابن هشام (٣٨٩/٢)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٢. وينظر أيضاً كتاب: "إنك لعلى خلق عظيم" بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري (٢٥٥/١).

ذكره، كما روى الإمام الدارمي ﷺ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[(١)] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ ﷺ فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ، فَقَالَ: «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي**»، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَاحِقٌ بِي**» فَضَحِكتُ، [وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ فَقَالَ: «**هُمْ أَرَقُّ أفْئِدةً، وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»][(٢)].

ومن الأحاديث الدالة على هذا الفتح التاريخي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فيما روى الإمام الدارمي ﷺ عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ لَمَّا أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾[(٣)] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيَخْرُجُنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوهُ أَفْوَاجًا**»[(٤)].

فقد جاء في هذين الحديثين ذكر فتح مكة، وجاء فيهما ذكر السورة التي نزلت في شأن فتح مكة، وهي المسمى بـ "سورة النصر".

---

(١) سورة النصر: ١.

(٢) تقدم تخريج الحديث (ص ٢٣٨). وما بين المعكوفتين لم يذكرها صاحب القطوف الدانية.

(٣) النصر: ١- ٢.

(٤) **تخريج الحديث:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ (١/٢٢٤، رقم: ٩١)، لم يحكم عليه محقق الكتاب الشيخ الداراني.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٨): سنده حسن، وأبو الأسود هو يتيم عروة، والحديث من رواية صحابي عن صحابي، وأخرجه الحاكم (المستدرك: ٤/٥٤١). اهـ. وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وضعف الألباني زيادة: «لَيَخْرُجُنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوهُ أَفْوَاجًا». ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٧/١٤٣، رقم: ٣١٥٣). والله أعلم بالصواب.

وأما الدروس والأحكام والعبر المستفادة من هذا الفتح الأعظم فهي كالآتي[1].

١- جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية فقد أفطر الرسول ﷺ عندما بلغ كديدا[2].

٢- قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة.

٣- إقرار أمان وجوار النساء، حيث أمضى الرسول ﷺ جوار أم هانئ لرجلين من أحمائها.

٤- إن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولا وغضبا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده.

٥- جواز دخول مكة بغير إحرام لمن لا يريد العمرة أو الحج؛ لأن الرسول ﷺ دخل مكة يوم الفتح محارباً، وعليه عمامة سوداء بغير إحرام.

٦- جواز تجريد المرأة، وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة كما في قصة المرأة التي كانت

---

(١) ينظر لتفاصيل هذه الدروس والأحكام الكتب الآتية:
١- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (٣/٣٦٩ وما بعدها).
٢- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، مهدي رزق الله أحمد (ص ٥٧٤-٥٧٨)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة: ١، ١٤١٢هـ.
٣- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، مهدي رزق الله أحمد (ص٣٩١-٣٩٣).
٤- غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة، عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، (ص ١٣٥) تحقيق: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، بدون ذكر سنة الطبع.

(٢) الكديد: موضع في الطريق بين مكة والمدينة، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن النبي ﷺ صام حتى أتى قُدَيداً فأفطر حتى أتى مكة، وفي خبر آخر: حتى بلغ الكَدِيد ثم أفطر، وهو أصح وأثبت. وسميت قديداً لتقدد السيول بها. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، (٣/١٠٥٤)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

تحمل رسالة حاطب، وموقف علي والمقداد منها.

٧- إن رسول الكفار لا يقتل، فإن أبا سفيان كان ممن جرى عليه حكم انتقاض العهد، ولم يقتله رسول الله ﷺ إذ كان رسول قومه إليه.

٨- إن قتل الجاسوس راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح، أو وجدت علة مانعة، استبقاه كما في قصة حاطب رضي الله عنه.

هذه بعض الفوائد والدروس المهمة مستفادة من غزوة الفتح، وهناك غزوات أخرى في مسيرة التاريخ الدعوة الإسلامية، ولكن اكتفيت بواحدة فقط لِما ورد ذكرها في أحاديث الدراسة.

المطلب الرابع: حادثة وفاة النبي ﷺ.

هناك علاقة قوية بين هذا المطلب والمطلب السابق حيث إنه جاء ذكرهما في سورة واحدة، وهي سورة النصر، فقد جاء فيها ذكر فتح مكة وهو إيماء إلى وفاة النبي ﷺ كما سيأتي في السطور التالية.

فلمّا تكاملت الدعوة الإسلامية، وسيطر الإسلام على الموقف، أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره ﷺ، وتتضح بعباراته وأفعاله، فاعتكف النبي ﷺ في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوما، في حين كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، ودارسه جبريل -عليه السلام- القرآن الكريم مرتين، وقال ﷺ يوم النحر حينما يرمي الجمرة: **«لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»**(١)، وأنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، وأنه نعيت إليه نفسه(٢).

وقد روى الإمام الدارمي رحمه الله عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، وبيان قوله ﷺ «لتأخذوا مناسككم» (٩٤٣/٢، رقم ١٢٩٧)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ينظر: إنك لعلى خلق عظيم، بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري (٣٠٤/١).

نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾(١) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ ﵂ فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ، فَقَالَ: «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي**»، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَاحِقٌ بِي**» فَضَحِكْتُ(٢).

ولذا تُسمى هذا السورة بـ (سورة التوديع) لما فيها من الإيماء إلى قرب وفاته ﷺ وتوديعه الدنيا وما فيها، قاله ابن مسعود ﵁(٣).

وقال السيد سليمان سلمان المنصور فوري ﵀: "وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، عام أحد عشر من الهجرة، وكان عمره المبارك آنذاك ثلاثا وستين سنة وأربعة أيام بالتوقيت القمري"(٤).

وروى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ ، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ»(٥).

وقد روى الإمام الدارمي ﵀ بعضَ التفاصيل عن حادثة وفاته ﷺ عَنْ عِكْرِمَةَ، أنه قَالَ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فَحُبِسَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتَهُ وَالْغَدَ حَتَّى دُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ» وَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ كَمَا عُرِجَ بِرُوحِ مُوسَى فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ كَمَا عُرِجَ بِرُوحِ مُوسَى،

---

(١) سورة النصر: ١.

(٢) تقدم تخريج الحديث (ص ٢٣٨).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) (١٥/٤٩١)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤) رحمة للعالمين (ص٢٣٠).

(٥) صحيح البخاري، كتاب (٣٩٠٢).

وَاللَّهِ لَا يَمُوتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أَقْوَامٍ وَأَلْسِنَتَهُمْ(١)، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَزْبَدَ شِدْقَاهُ مِمَّا يُوعِدُ وَيَقُولُ. فَقَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ، وَإِنَّهُ لَبَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْسُنُ(٢) كَمَا يَأْسُنُ الْبَشَرُ، أَيْ قَوْمِ فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ. فَإِنَّهُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُمِيتَهُ إِمَاتَتَيْنِ. أَيُمِيتُ أَحَدَكُمْ إِمَاتَةً وَيُمِيتُهُ إِمَاتَتَيْنِ وَهُوَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ؟. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ، فَإِنْ يَكُ كَمَا تَقُولُونَ فَلَيْسَ بِعَزِيزٍ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ التُّرَابَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ مَا مَاتَ حَتَّى تَرَكَ السَّبِيلَ نَهْجًا وَاضِحًا، فَأَحَلَّ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ، مَا كَانَ رَاعِي غَنَمٍ يَتَّبِعُ بِهَا صَاحِبُهَا رُءُوسَ الْجِبَالِ يَخْبِطُ عَلَيْهَا الْعِضَاةَ بِمِخْبَطِهِ وَيَمْدُرُ حَوْضَهَا بِيَدِهِ بِأَنْصَبَ وَلَا أَدْأَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كَانَ فِيكُمْ. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ. قَالَ: وَجَعَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ أَيْمَنَ تبْكِينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ قَالَ حَمَّادٌ: خَنَقَتْ الْعَبْرَةُ أَيُّوبَ حِينَ بَلَغَ هَاهُنَا(٣).

فهذا الحديث يشتمل على نبأ عظيم عن وفاة الرسول ﷺ، كما يشتمل على بعض مواقف الصحابة ﵃ عن وفاته ﷺ، وهي كالآتي:

موقف عمر من وفاته ﷺ:

فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ كَمَا عُرِجَ بِرُوحِ مُوسَى»، ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾(٤)(٥)، ثم قال عمر ﵁:

(١) يعني المنافقين. كما جاء ذكره صراحة في حديث عند الإمام أحمد، وسيأتي الحديث مفصلا مع التخريج على صفحة (٤٨٤).

(٢) تتغير رائحته. ينظر (الصحاح:١/٢٩).

(٣) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه (ص ١٥٣).

(٤) البقرة: ٥١.

(٥) ينظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، القاضي أبي بكر بن العربي (ص٥٠، هامش رقم: ١)، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

«وَاللَّهِ لَا يَمُوتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أَقْوَامٍ وَأَلْسِنَتَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَزْبَدَ شِدْقَاهُ مِمَّا يُوعِدُ وَيَقُولُ».

المراد بـ أقوام: "المنافقون" كما جاء في حديث عند الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، فَرَأَى أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ، قَالَ: وَكِدْنَا أَنْ نُفْتَتَنَ فِي صَلَاتِنَا فَرَحًا لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَنْكُصَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ: كَمَا أَنْتَ، ثُمَّ أَرْخَى السِّتْرَ، فَقُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ"، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: "إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ رَبَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ كَمَا أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى، فَمَكَثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِي رِجَالٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَلْسِنَتَهُمْ يَزْعُمُونَ -أَوْ قَالَ: يَقُولُونَ:- إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ مَاتَ[1].

فهكذا كان موقف عمر رضي الله عنه في البداية، ولكن تغير موقفه حينما سمع الآية من أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما سيأتي في السطور التالية.

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من وفاته ﷺ:

روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾** ﴾[2]، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا" فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المسَيِّبِ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل (٣٣١/٢٠، رقم: ١٣٠٢٨). وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ»(١).

فظهر من هذا الحديث موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من وفاته ﷺ كما ظهر أيضاً رجوع عمر رضي الله عنه عن موقفه الأول إلى موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

موقف عم النبي ﷺ عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

موقف عباس رضي الله عنه هو نفس الموقف الذي كان عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكان يقول العباس رضي الله عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ، وَإِنَّهُ لَبَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْسُنُ(٢) كَمَا يَأْسُنُ الْبَشَرُ، أَيْ قَوْمِ فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ. فَإِنَّهُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُمِيتَهُ إِمَاتَتَيْنِ. أَيُمِيتُ أَحَدَكُمْ إِمَاتَةً وَيُمِيتُهُ إِمَاتَتَيْنِ وَهُوَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ؟. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ، فَإِنْ يَكُ كَمَا تَقُولُونَ فَلَيْسَ بِعَزِيزٍ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ التُّرَابَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ مَا مَاتَ حَتَّى تَرَكَ السَّبِيلَ نَهْجًا وَاضِحًا، فَأَحَلَّ الْحَلاَلَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ، مَا كَانَ رَاعِي غَنَمٍ يَتَّبِعُ بِهَا صَاحِبُهَا رُءُوسَ الْجِبَالِ يَخْبِطُ عَلَيْهَا الْعِضَاةَ بِمِخْبَطِهِ وَيَمْدُرُ حَوْضَهَا بِيَدِهِ بِأَنْصَبَ وَلَا أَدْأَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. كَانَ فِيكُمْ. أَيْ قَوْمِ، فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ»(٣).

موقف أم أيمن رضي الله عنها من وفاته ﷺ :

وقد ظهر موقف أم أيمن رضي الله عنها من خلال أثر العباس رضي الله عنه، إذ قال: «... وَجَعَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ أَيْمَنَ تبْكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي والسير، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (١٣/٦، رقم: ٤٤٥٤).

(٢) تتغير رائحته. ينظر (الصحاح:١/٢٩). قال الغمري تعليقا عليه: أن وصفه ﷺ بالبشرية، وأنه يموت لا يعني ذلك بالضرورة أنه يتغير ويبلى كما يبلى ويتغير سائر البشر، ولعل العباس أراد كفّهم عما هم فيه من الضجة والاختلاف وأن يكرموا نبيهم ﷺ بالإسراع في تجهيزه ودفنه، وأن ذلك أولى من التأخير، والله أعلم. فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي (٥٣٢/١).

(٣) تقدم تخريج الأثر مع شرح غريبه (ص ١٥٣).

أَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ ...»[1].

فظهر من خلال هذا الأثر موقف أم أيمن رضي الله عنها، بأنها كانت تؤمن على وفاة رسول الله ﷺ، وكانت تصبر على هذه المصيبة العظيمة، وظهر أيضاً فضلها؛ لأنها كانت صابرة وكانت عندها رغبة شديدة لتلقي علم الكتاب والسنة، ألا هو خبر السماء، فإنها كانت حزينة على انقطاع خبر السماء أي الوحي.

فالحاصل أن حادثة وفاة النبي ﷺ أكبر حادثة على الإطلاق في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ لأنه انقطع بسببها نزول الوحي من الله تعالى، كما انقطع صحبته ورؤيته ﷺ، فهذا أكبر همّ وغمّ للمسلمين. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن هنا انتهى نماذج من تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ بالإيجاز.

الدروس المستفادة من هذه الحادثة:

١. الصبر العظيم؛ وفاة النبي ﷺ أعظم مصيبة، فصبر عليها آله وأهل وأصحابه، رضوان الله عليهم أجمعين، وهكذا على الداعية أن يتأسى بهدي النبي ﷺ وهدي أصحابه.
٢. إثبات موته ﷺ، والرد على المبتدعة الذين ينكرون وفاته ﷺ، ويعتقدون حياته كحياة الدنيا.
٣. كل نفس ذائقة الموت حتى النبي ﷺ، والحياة الأبدية هي من خصائص الله سبحانه وتعالى، كما قال جل شأنه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾[2].
٤. رد الخلافات إلى الكتاب والسنة؛ كما رد الصحابة كل الخلافات بعد وفاته ﷺ إلى الكتاب والسنة، كاختلافهم في وفاته، ومكان دفنه، وخلافته وغيرها من المسائل، فردوها إلى الكتاب والسنة، فهكذا اجتمع كلمتهم.
٥. ما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجا واضحاً.

---

(١) تقدم كامل الحديث مع تخريجه وشرح غريبه (ص ١٥٣).

(٢) الفرقان: ٥٨.

٦. إشارة إلى خلافة أبي بكر الصديق ﷺ حيث أصر النبي ﷺ على أن يصلي بالناس في حياته.

٧. فضل أم أيمن التي تبكي على انقطاع خبر السماء أي الوحي.

٨. أهمية الصلاة وفضلها حيث حثّ النبي ﷺ عليها في آخر أوقاته.

****

المبحث الثالث:

نماذج من تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين ﵃

(سنة ١١هـ - ٤٠هـ)

توطئة:

لحِق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، فأجمعت الأمة على اختيار أبي بكر الصديق ﵁ للخلافة، واستمرت خلافته (من سنة ١١هـ إلى سنة ١٣هـ)، هكذا شهد تاريخ الدعوة في عهده سنتين وثلاثة أشهر.

ثم عهد أبو بكر ﵁ لعمر بن الخطاب ﵁ بالخلافة، وكانت غالبية المسلمين في ميادين الجهاد أمام الفرس والروم بعد أن استشار من بقي في المدينة منهم، واستمرت خلافته (من عام ١٣هـ إلى عام ٢٣هـ)، وهكذا انتشرت الدعوة في عهده عشر سنين.

ثم عهد عمر بن الخطاب ﵁ بالخلافة إلى واحد من ستة، فتم اختيار عثمان بن عفان ﵁ خليفة للمسلمين، واستمرت خلافته (من عام ٢٣هـ إلى عام ٣٥هـ)، وشهد تاريخ الدعوة في عهده اثنتي عشرة سنة، وقد اجتمعت الأمة صفاً واحداً وراء هؤلاء الخلفاء وشاعت الدعوة إلى الإسلام، وانتشرت وتأصلت حتى كانت الفتنة التي أودت بعثمان ﵁، فوقع ما وقع. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم أجمعت الأمة مرة أخرى على خلافة علي بن أبي طالب ﵁، واستمرت خلافته (من عام ٣٥هـ إلى عام ٤٠هـ)، وهكذا وجد تاريخ الدعوة في عهده أربع سنوات[١].

فهذا مختصر عن تاريخ الدعوة في العهد الراشدي، وقد أشار الإمام الدارمي ﵀ إلى بعض المواقف والجوانب لهذا التاريخ الراشدي، إذا نقل خطبة عبد الله الأهتم التي

---

(١) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخفاء الراشدين، د. جميل عبد الله المصري (ص ٤٠٦)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. بتصرّفٍ.

ألقاها أمام عمر بن عبد العزيز ﷺ، وهي خطبة موجزة وبليغة، فروى عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْتَمِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ الْعَامَّةِ فَلَمْ يَفْجَأْ عُمَرَ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَكَلَّمُ، "فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا لِمَعْصِيَتِهِمْ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ، فَالْعَرَبُ بِشَرِّ تِلْكَ الْمَنَازِلِ: أَهْلُ الْحَجَرِ وَأَهْلُ الْوَبَرِ، وَأَهْلُ الدَّبَرِ، تَحْتَاز دُونَهُمْ طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا وَرَخَاءُ عَيْشِهَا، لَا يَسْأَلُونَ اللَّهَ جَمَاعَةً، وَلَا يَتْلُونَ لَهُ كِتَابًا، مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ، وَحَيُّهُمْ أَعْمَى نَجِسٌ مَعَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ، وَالْمَزْهُودِ فِيهِ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَحُوهُ فِي جِسْمِهِ وَلَقَّبُوهُ فِي اسْمِهِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ نَاطِقٌ، لَا يُقَوَّمُ إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَلَا يُرْحَلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَلَمَّا أُمِرَ بِالْعَزْمَةِ، وَحُمِلَ عَلَى الْجِهَادِ، انْبَسَطَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَوْثُهُ، فَأَفْلَجَ اللَّهُ حُجَّتَهُ، وَأَجَازَ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا.

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَكَ سُنَّتَهُ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ، وَارْتَدَّتْ الْعَرَبُ -أَوْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ- فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا الَّذِي كَانَ قَابِلًا، انْتَزَعَ السُّيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهَا، وَأَوْقَدَ النِّيرَانَ فِي شُعُلِهَا، ثُمَّ رَكِبَ بِأَهْلِ الْحَقِّ أَهْلَ الْبَاطِلِ(١)، فَلَمْ يَبْرَحْ يُقَطِّعُ أَوْصَالَهُمْ، وَيَسْقِي الْأَرْضَ دِمَاءَهُمْ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ فِي الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَرَّرَهُمْ بِالَّذِي نَفَرُوا عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللَّهِ بَكْرًا يَرْتَوِي عَلَيْهِ، وَحَبَشِيَّةً أَرْضَعَتْ وَلَدًا لَهُ، فَرَأَى ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ غُصَّةً فِي حَلْقِهِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبِهِ.

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ، وَخَلَطَ الشِّدَّةَ بِاللِّينِ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقَيْهِ وعدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا، وَلِلْحَرْبِ آلَتَهَا، فَلَمَّا أَصَابَهُ قين

---

(١) كذا في نسخ الخطية وهو الصواب وفي النسخ المطبوعة: ثم نكب.. (الداراني)

الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ[1]، أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُ النَّاسَ: هَلْ يُثْبِتُونَ قَاتِلَهُ. فَلَمَّا قِيلَ: قِينِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، اسْتَهَلَّ يَحْمَدُ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ أَصَابَهُ ذُو حَقٍّ فِي الْفَيْءِ فَيَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ حَقِّهِ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللَّهِ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا، فَكَسَرَ لَهَا رِبَاعَهُ وَكَرِهَ بِهَا كَفَالَةَ أَوْلَادِهِ، فَأَدَّاهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّكَ يَا عُمَرُ بُنَيُّ الدُّنْيَا وَلَّدَتْكَ مُلُوكُهَا، وَأَلْقَمَتْكَ ثَدْيَيْهَا، وَنَبَتَّ فِيهَا تَلْتَمِسُهَا مَظَانَّهَا، فَلَمَّا وُلِّيتَهَا أَلْقَيْتَهَا حَيْثُ أَلْقَاهَا اللَّهُ، هَجَرْتَهَا وَجَفَوْتَهَا، وَقَذِرْتَهَا إِلَّا مَا تَزَوَّدْتَ مِنْهَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَا بِكَ حَوْبَتَنَا، وَكَشَفَ بِكَ كُرْبَتَنَا، فَامْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ، فَإِنَّهُ لَا يَعِزُّ عَلَى الْحَقِّ شَيْءٌ، وَلَا يَذِلُّ عَلَى الْبَاطِلِ شَيْءٌ. أَقُولُ قَوْلِي هذا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ». قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ فِي الشَّيْءِ قَالَ لِيَ ابْنُ الْأَهْتَمِ: امْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ[2].

---

(١) كذا في النسخ الخطية وهو الصواب ووقع في النسخ المطبوعة فتى المغيرة، والقين معناه: الحداد. قاله المحقق (الداراني).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ (١/٢٢٥، رقم: ٩٢). قال الداراني: إسناده فيه مجهولان. وهو موقوف على ابن الأهتم.

قال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٢٨-٣٠): فيه يحي بن سعيد بن العاص، صدوق يغرب، ومعروف بن خربوذ، صدوق ربما وهم، وهي موعظة عظيمة حسنة مقبولة، وأخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٢٤/١٤٧، ومختصره: ١/١٦٣١).

شرح غريب الأثر:

«**لَوْثُهُ**» : أي ما كان ملتفا مطويا. قال في (الصحاح:٢/٤٦١) لاث العمامة على رأسه، يلوثها لوثا، عصبها وانظر/ (النهاية: ٤/٢٧٥).

«**فَأَفْلَجَ**» : أي قومها وأظهرها. انظر: (الصحاح: ٢/٢٥٦).

«**بَكْرًا**» : الفتي من الإبل. (الصحاح: ١/١٠٦).

«**بُنَيُّ الدُّنْيَا**» : أي دنياك مبنية، باعتباره سليل الخلافة العباسية.

=

ففي هذا الأثر الطويل ذكر الإمام الدارمي ﷺ خطبة عبد الله بن الأهتم، وقد ذكر في هذه الخطبة أحوال الناس قبل بعثة النبي ﷺ، وأحوالهم في زمن البعثة، ثم أشار إلى بعض المواقف التاريخية للدعوة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ثم ذكر عن عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وقد قسمت هذا الأثر إلى أربعة مطالب كالآتي:

=

«أَهْلُ الْحَجَرِ» : أهل البادية والصحراء الذين يعيشون في بيوت من الأحجار.

«أَهْلُ الْوَبَرِ» الوبر؛ صوف الإبل والأرانب، وأهل الوبر سكان البادية؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه.

«وَأَهْلُ الدَّبَرِ» : الدبر؛ قيل: النحل، وقيل: الزنابير.

«مَا عَنِتُّمْ» : العنت؛ الشدة والمشقة.

«فَلَمْ يَبْرَحْ» : برح: زال، ما زال، ما برح، من الأفعال الناقصة.

«أَوْصَالَهُمْ»: المفاصل والأعضاء.

«فَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ» : أنشأ البلدان وعمرها.

«وَحَسَرَ عن ذراعيه» : أي كشف الثوب عن ساعديه.

«وعدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا» : ما يلزمها ويناسبها من إعداد، أي أراد حسن السياسة.

«اسْتَهَلَّ» : الاستهلال؛ أول صياح المولود عند ولادته.

«الْفَيْءِ» : ما يؤخذ من العدو من مال ومتاع بغير حرب.

«رِبَاعَهُ» : جمع: ربع، وهو دار الإقامة، المنزل. (الفائق: ٣٢/٢) أي باعها بثمن بخس.

«وَأَلْقَمَتْكَ ثَدْيَيْهَ» : وضعتهما في فمك كأنهما لقمة، وهي هنا كناية عن شدة العطاء.

«مَظَانَّهَا» : مواطن وجود الشيء وتوافره، أو التي يغلب على الظن وجوده فيها.

«وَجَفَوْتَهَا» : جفا فلانا: أعرض عنه وقطعه.

«وَقَذِرْتَهَا» : كرهه وأنف منه.

«حَوْبَتَنَا» : الحوبة: الخطيئة.

يراجع لشرح غريب الأثر: موقع جامع السنة وشروحها، فإن أغلبه مأخوذ منه، وهو متاح على الرابط الآتي: http://hadithportal.com/index.php، وتم زيارته: ١٤٣٦/٦/٢هـ.

المطلب الأول: نماذج تاريخ الدعوة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١-١٣هـ):

بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى بايع الناس أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول، سنة ١١ من الهجرة، وانعقدت تلك البيعة في سقيفة بني ساعدة، واستمرت البيعة إلى اليوم الثاني أي صبيحة يوم الثلاثاء في المسجد النبوي من قبل عامة الناس، وهكذا اتفق المسلمون على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[(١)].

النصوص الدالة على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

من الكتاب قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[(٢)].

قال أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي حول تفسير هذه الآية: "وفي الآية دلالة على صحة إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم؛ وذلك لأن الذين ارتدوا من العرب بعد وفاة النبي ﷺ إنما قاتلهم أبو بكر، وهؤلاء الصحابة. وقد أخبر الله أنه يحبهم ويحبونه، وأنهم يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم. ومعلوم أن من كانت هذه صفته فهو ولي الله، ولم يقاتل المرتدين بعد النبي ﷺ غير هؤلاء المذكورين، وأتباعهم، ولا يتهيأ لأحد أن يجعل الآية في غير المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ من العرب، ولا في غير هؤلاء الأئمة؛ لأن الله تعالى لم يأت بقوم يقاتلون المرتدين المذكورين في الآية غير هؤلاء الذين قاتلوا مع أبي بكر رضي الله عنه"[(٣)].

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤١٣/٩). وعصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، أكرم بن ضياء العمري (ص ٥٢)، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) أحكام القرآن (٥٥٦/٢).

والدليل من السنة حديث جبير بن مطعم ﷺ قال: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ، فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»(١)..

هناك نصوص كثيرة حول هذا الموضوع ذكرها الإمام ابن كثير ﷺ ثم قال: "ظهر إجماع الصحابة -المهاجرين منهم والأنصار- على تقديم أبي بكر، وظهر برهان قوله عليه الصلاة والسلام: «**يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»(٢) وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة، ولا لعلي كما يقوله طائفة الرافضة، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كلُّ ذي لُبٍّ وعقلٍ إلى الصدِّيق. ولله الحمد"(٣).

أهم الأعمال التي قام بها أبو بكر الصديق ﷺ:

على كل حال فإن تاريخ الدعوة الإسلامية امتدت في عهد أبي بكر الصديق ﷺ على نهج النبي ﷺ، وسنته، وقد دلت على ذلك كتب التاريخ والحديث والسيرة، كما روى الإمام الدارمي ﷺ أثرا طويلا وفيه خطبة عبد الله بن الأهتم سابقة الذكر، والشاهد فيها قوله: «...ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَكَ سُنَّتَهُ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ، وَارْتَدَّتْ الْعَرَبُ -أَوْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ- فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا الَّذِي كَانَ قَابِلًا، انْتَزَعَ السُّيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهَا، وَأَوْقَدَ النِّيرَانَ فِي شُعُلِهَا، ثُمَّ رَكِبَ بِأَهْلِ الْحَقِّ أَهْلَ الْبَاطِلِ، فَلَمْ يَبْرَحْ يُقَطِّعُ أَوْصَالَهُمْ، وَيَسْقِي الْأَرْضَ دِمَاءَهُمْ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ فِي الَّذِي

(١) صحيح البخاري، كتاب فضل أصحاب النبي ﷺ، باب الاستخلاف (٩/٨١، رقم ٧٢٢٠). وصحيح مسلم، كتاب الصحابة، باب من فضائل أبي بكر (٤/١٨٥٦، رقم: ٢٦٨٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر (٤/١٨٥٧، رقم ٢٣٨٧).

(٣) البداية والنهاية (٨/٩٤). ينظر لتفاصيل حول هذه المسألة، والخلاف، والراجح فيها: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، (الجزء الأول في الدعوة في حياة الصديق أبي بكر ﷺ)، د. يسري محمد هانئ (١/١٨٨ وما بعدها)، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَرَّرَهُمْ بِالَّذِي نَفَرُوا عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللَّهِ بَكْرًا يَرْتَوِي عَلَيْهِ، وَحَبَشِيَّةً أَرْضَعَتْ وَلَدًا لَهُ، فَرَأَى ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ غُصَّةً فِي حَلْقِهِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبِهِ...».

فهذا النص يحتوي على بعض الأعمال الدعوية التي قام بها أبو بكر الصديق ﷺ في عهده المبارك، ومن جملة تلك الأعمال هي كالآتي:

١- تسيير جيش أسامة بن زيد ﷺ إلى الشام:

رجع النبي ﷺ من حجة الوداع، ومضت بقية ذي الحجة ومحرم وصفر من العام العاشر فبدأ بتجهيز جيش إلى الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة مؤتة وأمّر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين، فتجهّز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى، وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، فلم يقبل الرسول ﷺ طعنهم في إمارة أسامة وأوصى به خيراً. ولكن هذه الحملة تأخرت بسبب مرض الرسول ﷺ بعد البدء بتجهيزها بيومين فقط. وكان أسامة قد أخذ اللواء الذي عقده الرسول ﷺ بيده وعسكر بالجرف(١).

يُستدل عليه بما قاله عبد الله بن الأهتم في شأن أبي بكر ﷺ: «فَسَلَكَ سُنَّتَهُ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ»: فهذا لفظ عام ولكن استدللت به على حدث خاص، وهو تنفيذ جيش أسامة ﷺ؛ لأن أبا بكر الصديق ﷺ سلك مسلك النبي ﷺ في تنفيذ هذا الجيش، وقد أمر النبي ﷺ بتنفيذه ؛ إذ قال: «**جَهِّزُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ**»(٢) فجهّزه أبو بكر بعد أن استخلف تنفيذا لوصيته واتباعا لأوامره، فسار الجيش عشرين ليلة إلى

---

(١) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري (٢/٥٥٢)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: ٦، ١٤١٥هـ.

(٢) الفوائد، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي الدمشقي (المتوفى:٤١٤هـ) (١١٢١/٣)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة: ١، ١٤١٢هـ.

الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه ورجع الجيش سالمًا وقد غنموا[١].

وقد وُفّق أبو بكر ﷺ في تنفيذه، وهكذا أخذ سبيله ﷺ وسنته في جميع الأمور الدينية والدنيوية، ولله الحمد.

قال الشيخ أحمد أحمَد غلوش: "ولعل من أوضح دروس هذا البعث تولية أسامة إمارة الجيش ليكون درسًا للشباب الإسلامي ليعلموا دورهم في بناء الأمة، ويتقنوا من أهميتهم في المحافظة على قوتها، وقد انضم كبار الصحابة إلى جيش أسامة طاعة لرسول الله ﷺ، وحبًا في الجهاد، وإبقاء لضرورة طاعة أمر الله ورسوله على الزمن كله، وتقديم النص الصريح على أي اجتهاد عقلي مهما كانت دقته ووضوحه"[٢].

٢- محاربة المرتدين:

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت كثير من قبائل العرب، ما عدا الطائف ومكة والمدينة وما بينهما من القبائل، ولما وصل الخبر عن ارتدادهم إلى خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ تشاور الناس في هذه القضية المهمة، وقام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنما أنا رجل منكم أُغْنِي ما تُغْنُونَ، وَأُحَامِي كما تُحَامُون، وأنتم شركائي في هذا الأمر، فهاتوا ما عندكم من الرأي، قال: فقام إليه عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ، إن العرب قد ارتدت على أعقابها كفارا كما قد علمتَ، وأنت تريد أن تُنفِذ جيش أسامة بن زيد، وفي جيش أسامة جماهير العرب وأبطالُهم، فلو حبستَه عندك لقَوِيتَ به على من ارتدت من هؤلاء العرب، فقال أبو بكر ﷺ: لو علمتُ أن السِّباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذت جيش أسامة بن زيد، كما قال النبي ﷺ: «**امضوا جيش أسامة**»، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾[٣]، وأما من ارتدت من هؤلاء العرب، فمنهم من لا

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٥٢/٨).

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش (ص ٦٧٤)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) التوبة: ٥١.

يصلي وقد كفر بالصلاة، ومنهم من يصلي وقد منع الزكاة، ولا والله يا أبا حفص ما أفرق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقرونتان.

فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، فلو أغمضتَ وتجافيتَ عن زكاة هؤلاء العرب في عامك هذا ورَفَقتَ بهم، لرجوتُ أن يرجعوا عن ما هم عليه، فقد علمتُ أن النبي ﷺ كان يقول: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»[(١)].

قال فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو منعوني من الزكاة عقالا مما كان يأخذ منهم النبي ﷺ لقاتلتهم عليه أبدا ولو ما حَيِيتُ، ثم لنحاربنهم أبدا حتى يُنجِز اللهُ وعدَه، ويَفِيَ لنا عهدَه، فإنه قال، وقولُه صِدقٌ لا يُخْلَف له: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ** ﴾[(٢)]. قال، فقال عمر: يا خليفة رسول الله، إنما قد شرح الله صدرك لقتال القوم، فسَمْعٌ وطاعة. قال: وتتابع الناس على رأي أبي بكر[(٣)].

لما وافق الناس على موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال المرتدين جهّز الجيش، وأرسله في قيادة خالد بن الوليد إلى مناطق المرتدين، فأظفر الله لهم ظفرا عظيما، ورجع الناس إلى ما خرجوا منه، ولله الحمد والمنة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٩/٩٣، رقم: ٧٢٨٤). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/٥٢، رقم: ٢١).

(٢) النور: ٥٥.

(٣) ينظر تفاصيل عن أحداث الردة بعد وفاة الرسول ﷺ في كتاب: الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) (ص ٤٨ وما بعدها)، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

يستفاد هذا النموذج التاريخي للدعوة إلى الله من أثر عبد الله بن الأهتم؛ إذ بيّن أحوال الناس بعد وفاة الرسول ﷺ بقوله: «...وَارْتَدَّتْ الْعَرَبُ -أَوْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ- فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا الَّذِي كَانَ قَابِلًا، انْتَزَعَ السُّيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهَا، وَأَوْقَدَ النِّيرَانَ فِي شُعُلِهَا، ثُمَّ رَكِبَ بِأَهْلِ الْحَقِّ أَهْلَ الْبَاطِلِ، فَلَمْ يَبْرَحْ يُقَطِّعُ أَوْصَالَهُمْ، وَيَسْقِي الْأَرْضَ دِمَاءَهُمْ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ فِي الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَرَّرَهُمْ بِالَّذِي نَفَرُوا عَنْهُ ...».

ففي هذا الأثر جاء ذكر أهل الردّة، وما فعل معهم خليفة رسول الله ﷺ حتى أدخلهم في الذي خرجوا منه، وقرّرهم بالذي نفروا عنه.

هذه هي بعض الأعمال التي قام بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عهده المبارك لخدمة الإسلام والمسلين، وإلّا فإن هناك أعمال أخرى ولكن اكتفيت على ذكر بعضها لما ورد ذكره في أحاديث الدراسة، ومن أعماله أيضاً: جمع القرآن، وقتال مانعي الزكاة، والجهاد في سبيل الله مع أهل الكتاب من الفرس والروم، واستخلاف عمر بعده بمشورة الصحابة الموجودين بالمدينة.

وتوفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، الموافق ٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤، وله ٦٣ سنة كسن رسول الله ﷺ، وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر(١).

الفوائد الدعوية المستفادة من هذا العهد الميمون:

١. اتخاذ القرار الصحيح والصائب في وقت مناسب بحكمة، يتضح ذلك من خلال تنفيذ جيش أسامة، وبقتال المرتدين ومانعي الزكاة.
٢. من أنكر أي ركن من أركان الإسلام فقد ارتد، وخرج من الإسلام، وحل ماله ودمه، ويجب رجوعه إلى الإسلام كله، وإلا فيُقتل.

---

(١) ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣٠/١). والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٥٠/٤). و أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، لمحمد رضا (المتوفى: ١٣٦٩هـ)، (ص ١٨) تحقيق: الشيخ خليل شيحا، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣. أهمية المشورة في مجال الدعوة إلى الله، حيث اتخذ الصحابة أبا بكر خليفة للمسلمين بمشورة فيما بينهم، وكذلك استشار أبو بكر الناس في قضية المرتدين ومانعي الزكاة.
٤. اهتمام أبي بكر الصديق ﷺ بالمصدر الأول من مصادر الدعوة إلى الله، وهو القرآن الكريم، حيث أمر بجمعه في دفتيه خشية الضياع.
٥. استخلاف أبو بكر بعده عمر بن الخطاب يدل على فراسته حيث أنقذ الناس من الوقوع في الخلاف.

المطلب الثاني: نماذج تاريخ الدعوة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ):

لما مرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه واستبان له من نفسه جمع الناسَ إليه، واستشارهم في أمر الخلافة بعده، فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلا ميت لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، وردَّ عليكم أمرَكم، فأمِّروا عليكم من أحببتم؛ فإنكم إن أمَّرتم في حياةٍ مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي، فقاموا في ذلك، وخَلَّوا عليه فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: رأْيُنا يا خليفةَ رسول الله رأيُك، قال: فلعلكم تختلفون، قالوا: لا، قال: فعليكم عهد الله على الرِّضى، قالوا: نعم، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان فقال: أشِرْ عليَّ برجل، ووالله إنك عندي لها لأهل وموضع، فقال: عمر، فقال: اكتب، فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه، ثم أفاق فقال: اكتب عمر، وقد أجمعت الأمة على بيعته والرضا به[1].

وقد جاء في خطبة عبد الله بن الأهتم ذكر يسير عن تاريخ الدعوة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ يقول: «...ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ، وَخَلَطَ الشِّدَّةَ بِاللِّينِ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقَيْهِ وعدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا، وَلِلْحَرْبِ

(١) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، (٦٦٥/٢) تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩ هـ. وعصر الخلافة الراشدة، أكرم بن ضياء العمري (ص ٥٥).

آلَتَهَا، فَلَمَّا أَصَابَهُ قين الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ(١)، أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُ النَّاسَ: هَلْ يُثْبِتُونَ قَاتِلَهُ. فَلَمَّا قِيلَ: قين الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، اسْتَهَلَّ يَحْمَدُ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ أَصَابَهُ ذُو حَقٍّ فِي الْفَيْءِ فَيَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ حَقِّهِ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللَّهِ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا، فَكَسَرَ لَهَا رِبَاعَهُ وَكَرِهَ بِهَا كَفَالَةَ أَوْلَادِهِ، فَأَدَّاهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبَيْهِ ...»(٢).

من خلال هذه الخطبة الجامعة البليغة المختصرة اتضح لنا بعض الأعمال المهمة التي قام بها عمر بن الخطاب ﷺ في عهد خلافته، كما ظهر لنا سلوكه العطرة في حياته العملية، وهي كالأتي:

١- تولية زِمام الخلافة: أول ما قام به عمر بن الخطاب ﷺ هو تولَّى زِمام أمر الخلافة بيده، وأخذ البيعة العامة من الناس على خلافته.

يستفاد هذا من قوله: « ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ..» أي صار خليفة المسلمين بعد أبي بكر الصديق ﷺ، وقد أشار إليه النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر ﷺ عند البخاري، فروى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا، جَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، فَنَزَعَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»**، قَالَ وَهْبٌ بن جرير (من رواة هذا الحديث): "العَطَنُ: مَبْرَكُ الإِبِلِ، يَقُولُ: حَتَّى رَوِيَتِ الإِبِلُ فَأَنَاخَتْ"(٣).

---

(١) كذا في النسخ الخطية وهو الصواب ووقع في النسخ المطبوعة فتى المغيرة، والقين: الحداد. قاله محقق الكتاب الداراني. وهذا الحداد اسمه أبو لؤلؤة المجوسي وهو غلام المغيرة بن شعبة.

(٢) تقدم كامل الأثر مع تخريجه، وشرح غريبه، وترجمة راويه (ص ٤٩٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا» (٥/٩، رقم: ٣٦٧٦)، وكتاب التعبير، باب نَزعِ الماء من البئر حتى يَروَى الناسُ (٣٨/٩، رقم: ٧٠١٩).

قال الحافظ ابن حجر ﷺ: "قوله: « **ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ**» كذا هنا، ولم يذكر مثله في أخذ أبي بكر الدلو من النبي ﷺ، ففيه إشارة إلى أن عمر ولي الخلافة بعهد من أبي بكر إليه بخلاف أبي بكر، فلم تكن خلافته بعهد صريح من النبي ﷺ، ولكن وقعت عدة إشارات إلى ذلك، فيها ما يقرب من الصريح(١)".

٢- تمصير الأمصار: من الأعمال المهمة التي قام بها عمر الخطاب ﷺ: تمصير الأمصار، أي تعمير المدن وتنظيمها.

يستفاد هذا من قوله: «فَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ» أي عمّرها ورتبها. ومن أهم الأمصار التي مُصرت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ هي: مدينة البصرة، والكوفة، والفسطاط، والموصل، والجيزة، ومدينة سرت(٢).

وقال الحسن: "إن عمرَ مصّر سبعةَ أمصار: المدينة، والبحرين، والبصرة، والكوفة، والجزيرة، والشام، ومصر"(٣).

٣- سلوكه بين الشدة واللين:

يظهر ذلك من قوله: «وَخَلَطَ الشِّدَّةَ بِاللِّينِ»: أي أنه كان يشدد للحق على الباطل، وللعدل على الظلم، وكان ألين على أصحاب السلامة والدين.

ويتضح هذا بوضوح أكثر من خلال خطبته التي ألقاها حينما بلغه أن الناس أهابوه، فصيح في الناس: "الصلاة جامعة" فحضروا ثم جلس من المنبر حيث كان أبو بكر يضع قدميه، فلما اجتمعوا قام قائمًا، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤١٢/١٢).

(٢) ينظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبد الله المصري، (ص ٣٣٢-٣٤٠).

(٣) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، (٢٧/٤) تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

"بلغني أن الناس قد هابوا شدتي وخافوا غلظتي وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف إذا صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق، قد كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عبده وخادمه، وكان ممن لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة وقد سماه الله بذلك، ووهب له اسمين من أسمائه: "رءوف رحيم"، فكنت سيفًا مسلولًا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، حتى قبض رسول الله ﷺ وهو عني راضٍ، والحمد لله وأنا أسعد بذلك.

ثم ولِيَ أمر المسلمين أبو بكر فكان ممن لا ينكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتي بلينه، فأكون سيفًا مسلولًا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، فلم أزل معه كذلك حتى قبض وهو عني راض، والحمد لله وأنا أسعد بذلك.

ثم إني قد وُلِّيت أموركم أيها الناس! واعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا ويتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق.

ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها:

- لكم علي أن لا أخبأ شيئًا من خراجكم مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه.
- ولكم علي إذا وقع عندي أن لا يخرج إلا بحقه، ولكم علي أن أرد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى.
- ولكم علي أن لا ألقيكم في المهالك، وإذا رغبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم"(١).

فظهر من ذلك سلوكه رضي الله عنه بين الشدة واللين، بأنه كان شديداً في موضع الشدة، وليّناً حليما وقت اللين.

---

(١) **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، أبو العباس، أحمد بن عبد الله، محب الدين الطبري (ت: ٦٩٤هـ)، (٢/٣١٥-٣١٦)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: ٢، بدون ذكر سنة الطبع.

٤- **حسن السياسة**: يستفاد هذا من قوله: «وعدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا»؛ أي أعدّ ما يلزمها ويناسبها من إعداد، فكأنه أشار عبد الله بن الأهتم بهذا إلى حسن سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(1)، وقد ظهر حسن سياسته رضي الله عنه من خلال فتوحاته العظيمة كفتح بيت المقدس والمصر والعراق، كما ظهر أيضاً من خلال أعماله الجليلة، كتنظيم بيت المال، وتأسيس تاريخ الهجري، وتولية الولاة على المناطق المتعددة، وتنظيم المدن والأمصار، وتدوين الدواوين، والقيام بالحسبة، وغيرها من الأعمال الجليلة.

وفاته رضي الله عنه: وقد جاء في الأثر السابق ذكر شهادته رضي الله عنه بقوله: «فَلَمَّا أَصَابَهُ قين الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ (أي لما قتله حدّاد أو النجار المغيرة بن شعبة) أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُ النَّاسَ: هَلْ يُثْبِتُونَ قَاتِلَهُ. فَلَمَّا قِيلَ: قين الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، اسْتَهَلَّ يَحْمَدُ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ أَصَابَهُ ذُو حَقٍّ فِي الْفَيْءِ فَيَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ حَقِّهِ» وفي رواية أنه قال: «الحمد الله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا إله إلا الله»، وفي رواية أنه قال: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام»(2).

قُتل عُمَر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين من ذي الحجة، طعنه أَبُو لؤلؤة فيروز غلام الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة لثلاث بقين من ذي الحجة، وقيل: لأربع بقين من ذي الحجة، وكان ابن ٦٣ سنة، وقيل: ٥٨، أو ٥٩ سنة وقيل غير ذلك، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر(3).

---

(١) ينظر: تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، (ص ٢٤٠) المكتب الاسلامي، بيروت، ومؤسسة الإشراق، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٥٥/٣). وأسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير (١٥٦/٤) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ. والرياض النضرة في مناقب العشرة، للطبري (٤٠٧/٢-٤١٢).

(٣) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٥٢/٣).

الفوائد الدعوية المستفادة من هذا العهد المبارك:

١-أهمية منهج الوسطية بين الشدة واللين في الدعوة إلى الله.

٢-ظهر فضل عمر بن الخطاب ﷺ من عدة وجوه؛

أ- منها: أنه خدم دين الإسلام بنشره وتبليغه في مشارق الأرض ومغاربها باتخاذ الوسائل المناسبة والأساليب الملائمة، كوسيلة الجهاد، وأسلوب الحكمة واللين.

ب-ومنها: أنه حصل شرف الشهادة، وقد بشّر بها النبي ﷺ في حياته، ودعا هو بنفسه لنفسه؛ إذ قال: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ»(١)، فاستجاب الله دعائه، وأعطاه الشهادة في المدينة النبوية.

٣-وفيه دليل من دلائل النبوة، حيث أخبر النبي ﷺ عن شهادة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد حصلت كما أخبر بها، وكذلك أشار النبي ﷺ إلى خلافته بعد أبي بكر الصديق ﷺ وقد حصلت أيضاً، فلله الحمد.

٤-أهمية الشورة للدعاة إلى الله في الحياة الدعوية، ظهر هذا من تركه للخلافة على شورى بين ستة أشخاص.

٥-الحرص الشديد على اتباع سنة النبي ﷺ؛ ظهر هذا من حياته عموما، ومن عمله قبل الموت وبعد ما أصابه جرح شديد بالخصوص؛ إذ نصح لمن جرّ ثوبه أن يرفع ثوبه فوق الكعبين.

٦-من مظاهر حرصه على اتباع السنة أن لم يعيّن الخليفة بعده اتباعا لهدي النبي ﷺ، كما حرص أيضا على اتباع منهج من هو أفضل منه وهو أبو بكر الصديق ﷺ، فعيّن ستة أشخاص للخلافة، فحاول الجمع بين المنهجين، وإلى هذا أشار ابن الأهتم في الأثر السابق بقوله: «... وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا نَقِيًّا عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبَيْهِ» .

٧-فيه دليل على أفضلية أداء صلاة الفجر في الغلس؛ لأن عمر ﷺ كان يصلي الفجر بالغلس ولذا لم يُعرف أبو لؤلؤة المجوسي الملعون.

٨-أهمية أداء الدين عن الميت؛ لأن عمر ﷺ أمر ابنه بأداء دينه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة (٣/٢٣-٢٤، رقم: ١٨٩٠).

أكتفي على هذا القدر مخافة التطويل وإلا هناك دروس أخرى كثيرة في عهده المبارك، والمكان أيضاً لا يسع لذكرها.

المطلب الثالث: نماذج تاريخ الدعوة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤-٣٥):

تمت بيعة عثمان رضي الله عنه بعد اجتماع مجلس الشورى الذي عينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طُعن، وأعضاءه الستة هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ويحضر عبد الله بن عمر اجتماعات المجلس لإبداء المشورة دون أن يكون له حق الترشيح للخلافة أو التصويت لصالح أحد المرشحين، وفي أول اجتماع للمجلس جرى الحوار التالي:

قال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي.

فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان.

وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه. واللهُ عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه؟

فسكت الشيخان- عثمان وعلي- فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ، واللهُ عليَّ أن لا آل عن أفضلكم؟ قالا: نعم(١).

وقام عبد الرحمن بن عوف بمشاورة الصحابة من أعضاء مجلس الشورى وغيرهم ليلا ونهاراً، ثلاثة أيام، ثم في ليلة الرابع(٢)، قال المسور بن المخرمة: طرقني عبد الرحمن بن

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه (١٥/٥، رقم: ٣٧٠٠).

(٢) ينظر: عصر خلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري (ص ٥٦-٥٧) بتصرف يسير.

عوف بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: «أراك نائما فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدا»، فدعوتهما له، فشاورهما، ثم دعاني، فقال: «ادع لي عليًّا»، فدعوته، فناجاه حتى ابهارّ الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئا، ثم قال: «ادع لي عثمان»، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: «أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا»، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله، والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد والمسلمون[(١)].

فأصبح عثمان بن عفان ﷺ خليفة المسلمين باتفاق الجميع من يوم الإثنين مستهل المحرم عام ٢٤هـ [(٢)]، يقول ابن تيمية ﷺ: "عثمان لم يصر إماما باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عن بيعته أحد"[(٣)].

وهكذا بدأ العهد الجديد في تاريخ الدعوة الإسلامية، وانتشرت الدعوة في هذا العهد الميمون إلى بلاد كثيرة، كبلاد الفرس والروم، وأوربا وبلاد الإفريقة، وغيرها من البلاد، ولله الحمد، ولكن أعداء الإسلام لما رأوا الفتوحات العظيمة التي تحققت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ مكروا به، حتى قتلوه ظلما وعدوانا في يوم الجمعة، الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ وقيل غير ذلك[(٤)]، ومن هنا باشرت الدعوة فتنا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمامُ الناسَ (٧٨/٩، رقم: ٧٢٠٧).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٩٠/١٠).

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٥٣٢/١). تحقيق محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٤) هذا هو ما رجحه الباحث: محمد بن عبد الله بن عبد القادر الصبحي في كتابه: فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ (٢٤١/١)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، =

ومشاكل كثيرة كما سيأتي بالإيجاز في المطلب التالي.

وأكتفي بالإشارة إلى هذا العهد لكي لا يقع الخلل والقطع في سرد تاريخ الدعوة في هذه الرسالة، ولم أذكر أي تفصيل عنه لأني لم أجد في أحاديث الدراسة ذكر هذا العهد، ولا واقعة وقعت فيه.

المطلب الرابع: نماذج تأريخ الدعوة في عهد علي بن أبي طالب ﵁ (٣٥-٤٠هـ):

لما استشهد عثمان بن عفان ﵁ تولى الخلافة علي بن أبي طالب ﵁، ولكن حصلت مشاكل كثيرة في بداية هذا العهد، بل قبل البداية؛ إذ دخل أعداء الإسلام في الإسلام ليخربوه من داخله، فأظهروا إسلامهم، وأخفوا كفرهم في باطنهم، وأخذوا يكيدون بين المسلمين حتى نجحوا في مكائدهم السيئة، ووقعت معاركة عظيمة بين المسلمين أنفسهم، ومن تلك المعارك؛ معركة الجمل والصفين، والنهروان.

وأما مؤخرة الذكر فقد جاء ذكره في إحدى أحاديث الدراسة كما روى الإمام الدارمي ﵀: عن عَمْرو بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ﵁ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ للهِ- إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا:

=

المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ»، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ[(١)].

جاء في هذا الحديث ذكر معركة النهروان، وهي معركة عظيمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وقعت هذه المعركة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ مع الخوارج، سنة ٣٨هـ، ولم يشارك في هذه المعركة أي صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ مع الخوارج ضد علي ﵁، كما حصل في الجمل والصفين، وهي معركة حازمة، وانتصر قوات علي ﵁ على الخوارج انتصارا عظيما، وهو فتح عظيم في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ لأنه هزم أعداء الدعوة، بل قُتلوا أكثرهم، ورفعت همم الدعاة وعزائمهم، ومن هنا بدأ تاريخ جديد للدعوة الإسلامية، وانتشر الدعوة مرة أخرى إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ولله الحمد والمنة.

وقد ذكر أكثر المؤرخين هذه القصة في كتبهم ولكن أفضل ما وجدت هو ما رواه الإمام أحمد ﵀ عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال: جاء عبد الله بن شدَّاد، فدخل على عائشة، ونحن عندها جُلوس، مرجِعَه من العراق لياليَ قُتِل عليٌّ، فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنتَ صادقِي عما أسألك عنه؟ تُحَدِّثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ، قال: وما لي لا أصدُقُكِ؟ قالت: فحدِّثني عن قصتهم قال:

فإن عليًّا لما كاتب معاويةَ، وحكَّم الحكمين، خرج عليه ثمانيةُ آلاف من قُرّاء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حَرُوراء، من جانب الكوفة، وإنهم عتَبُوا عليه فقالوا:

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وشرح غريبه، وتراجم رواته (ص ٢٥٦).

انسلَخْتَ من قميصٍ ألبَسكَهُ الله تعالى، واسم سمّاك الله تعالى به، ثم انطلقتَ فحكَّمتَ في دين الله، فلا حكمَ إلا لله تعالى. فلما أن بلَغ عليًّا ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذنا فأذن: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجلٌ قد حمل القرآنَ. فلما امتلأتِ الدارُ من قراء الناس، دعا بمصحفٍ إمامٍ عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يَصُكُّه بيده ويقول: أيها المصحف، حدِّثِ الناس، فناداه الناسُ فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مِداد في ورقٍ، ونحن نتكلم بما رُوِّيْنَاهُ منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾(١) فأمة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليّ أن كاتبتُ معاويةَ: كتَب عليُّ بن أبي طالب (أي كتَب اسمَه مُجردًا عن إمرَةِ الْمُؤمنين).

وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية، حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال: سهيل لا تكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال: "كيف نكتب؟" فقال: اكتب «باسمك اللهم»، فقال رسول الله ﷺ: «فاكتب: محمد رسول الله» فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أُخالفْك. فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً. يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾(٢).

فبعث إليهم عليٌّ عبدَ الله بن عباس، فخرجتُ معه، حتى إذا توسَّطْنا مُعسكَرهم، قام ابنُ الكوّاء يخطب الناس، فقال: يا حملةَ القرآن، إن هذا عبدُ الله بن عباس، فمن لم يكن يَعرِفه فأنا أُعرِّفُه من كتاب الله ما يَعرِفُه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾(٣).

---

(١) النساء: ٣٥.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الزخرف: ٥٨.

فرُدُّوْه إلى صاحبه، ولا تُوَاضِعُوه كتابَ الله. فقام خُطباؤُهم فقالوا: والله لَنُواضِعَنَّه كتابَ الله، فإن جاء بحق نَعرفه لنتبعنَّه، وإن جاء بباطل لَنُبَكِّتَنَّهُ بباطله. فواضعوا عبدَ الله الكتابَ ثلاثةَ أيام، فرجع منهم أربعةُ آلاف كلهم تائب، فيهم ابنُ الكوَّاء، حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفةَ.

فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمِ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ.

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آللَّهُ؟ قَالَ: آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ.

قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَحَدَّثُونَهُ؟ يَقُولُونَ: ذُو الثُّدَيِّ، وَذُو الثُّدَيِّ. قَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ، وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلَى، فَدَعَا النَّاسَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِثَبَتٍ يُعْرَفُ إِلَّا ذَلِكَ.

قَالَتْ: فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: اللهُمَّ لَا. قَالَتْ: أَجَلْ، صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ اللهُ عَلِيًّا إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ(1).

وكان عدد الخوارج ألفَ رجل فقتلهم، ولم يُقتل من جيش علي إلا أربعةٌ أو سبعةٌ

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢/٨٤-٨٦، رقم: ٦٥٦) وقال محققوه: إسناده حسن. وروى أيضاً هذه القصة ابنُ كثير عن الإمام أحمد في البداية والنهاية (١٠/٥٦٥-٥٦٨) وقال: تَفَرد به أحمد وإسناده صحيح، واختاره الضياء (يعني في "المختارة").

في بعض الروايات. وكان بينهم الـمُخَدَّج ذو الثُّديّة الذي رآه علي ﵁ وكان رسول الله ﷺ قد أخبر أنه تخرجُ فرقةٌ على حين اختلاف بين المسلمين تقتلهم أَولَى الطائفتين بالحق، وذكر في حديث آخر أن فيهم ذا الثدية، فصار عليٌّ يبحث عنه في القتلى حتى وجده، فلما وجده سجد لله شكرا؛ إذ علِم أنه على الحق[1].

الفوائد الدعوية المستفادة من هذا العهد المبارك:

حديث الدراسة يشمل بعض الدروس والفوائد الدعوية أختصرها فيما يلي:

١- عامة المبتدعة والخوارج يستدلون بكلمة حق ويريدون بها الباطل، كما فعل هؤلاء أصحاب الحلق حينما قال لهم عبد الله بن مسعود ﵁: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» .... قالوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ»، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ. وهكذا قالوا هؤلاء الخوارج في المعركة: "إن الحكم إلا لله"، فقال لهم علي ﵁: «كلمة حق أريد بها الباطل».

٢- ثبت من الأثر أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة، بعيدة عن البدعة، وقد أشار إلى هذا عبد الله بن مسعود ﵁ بقوله أيضا: "اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة"[2].

٣- "إن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﵁"[3]؟

٤- ظهر من هذا الحديث حكم السبحة بأنها بدعة، والسنة فيها قولا وفعلاً وتقريراً

---

(١) حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس (ص ١٩٧) مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ..

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١٣/٥-١٤).

(٣) المصدر نفسه (١٤/٥).

التسبيح بالأنامل(١).

قال الشيخ بكر أبو زيد: "كان من هدي النبي ﷺ الذي دَلَّ أمته عليه: عقد التسبيح بالأنامل، أنامل اليدين، أو اليد اليمنى؛ لأنهن مسؤولات ومستنطقات يوم القيامة، فهن شواهد على العبد، فعهد به الشرع إلى وسيلة لعد الذكر، يملكها في كل وقت وحال، بلا عناء، ولا اتخاذ شعار، ولا رسوم، ولا داعية للرياء، ولا غلو"(٢).

٥- فهذا الحديث دليل من دلائل نبوته ﷺ؛ إذ أخبر النبي ﷺ عن المستقبل، فظهر الخوارج في زمن علي رضي الله عنه بنفس الصفات التي أخبر بها ﷺ، وفيه فضل لعليٍّ رضي الله عنه لأن النبي ﷺ أمر بقتلهم وبشّر بأجر يوم القيامة لمن قاتل معهم، فعليّ رضي الله عنه قاتل معهم في موقعة النهروان. وجاء في الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِن الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ، فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

****

(١) ينظر: قول الشيخ العلامة الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/١٩٢-١٩٣).

(٢) السبحة تاريخها وأحكامها، الشيخ بكر أبو زيد (ص ٩٦)، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. وهو كتاب نفيس في هذا الموضوع، وقد فصّل المؤلف حول مسائل السبحة وأحكامها وتاريخها، ثم ذكر في الأخير خلاصة التحقيق بأنها لمن تكن سنة، ولم تكن معروفة لدى العرب في تعبداتها في الجاهلية. ومن أراد التفصيل فليراجعه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم. (٩/١٦، رقم: ٦٩٣٠). وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٢/٧٤٦، رقم: ١٠٦٦).

المبحث الرابع:

نماذج من تاريخ الدعوة بعد عهد الخلفاء الراشدين ﷺ .

يشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: من نماذج تأريخ الدعوة: واقعة الحرة (٦٣هـ).

واجهت الدعوة الإسلامية عبر تاريخها حوادث كثيرة ونقمات عديدة، ومن تلك الحوادث واقعة الحرة، وهي حادثة عظيمة مرّ بها تاريخ الدعوة.

وقعت هذه الحادثة في زمن يزيد بن معاوية بالمدينة المنورة عام ٦٣ هـ، إذ خرج بعض الناس عن طاعته، ولم يبايعه، فأرسل يزيد جيشا كبيرا عددهم اثنا عشر ألفاً، بقيادة مسلم بن عقبة إلى المدينة واستشهد فيها خلق وجماعة من الصحابة.

وقد جاء ذكر هذا الحدَث التاريخي في أثر سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ(١)، قَالَ: لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا، وَلَمْ يُقَمْ، وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ الْمَسْجِدَ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ(٢).

---

(١) هو أبو محمد –ويقال: أبو عبد العزيز– سعيد بن عبد العزيز التنوخي، الدمشقي، فقيه أهل الشام ومفتيهم بدمشق، ثقة ثبت إمام، من كبار أتباع التابعين، روى له أصحاب الكتاب الستة إلا أن البخاري روى في الأدب المفرد، ولد سنة تسعين، وتوفي ١٦٧هـ وقيل: بعدها. يراجع ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩٣/٢١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢/٨).

(٢) **تخريج الأثر:**

سنن الدارمي، المقدمة، باب ما أكرم الله تعالى نبيَّه ﷺ بعد موته (٢٢٧/١، رقم: ٩٤) قال محقق الكتاب الداراني: رجاله ثقات ولكن سعيد بن عبد العزيز أصغر من أن يدرك هذه الحادثة أو يسمع من سعيد بن المسيب.

وقال الزهراني في القطوف الدانية (ص ٣١): رجاله ثقات.

شرح غريب الأثر:

=

وقد قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه الرد على من استحب الدعاء عند القبر؛ إذ يقول: "ولا يدخل في هذا الباب: ما يروى من أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ، أو قبور غيره من الصالحين. وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة، ونحو ذلك. فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم"[(١)].

الدروس والعبر المستفادة من هذه الحادثة:

- وجوب طاعة الأمير وإن كان فاسقاً.
- الصبر الجميل وقت الفتن.
- فيه إثبات الكرامات لأولياء الله، كما حصل لسعيد بن المسيب؛ حيث أنه سمع صوت الهمهمة من قبر النبي ﷺ وقت الصلاة.
- فيه فضل سعيد بن المسيب؛ حيث أنه كان باقياً في المسجد وقت الفتنة ولم يخرج منه، وظهر له كرامة حيث كان يعرف وقت الصلاة بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ. والله أعلم بالصواب.

المطلب الثاني: نموذج تاريخ الدعوة في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله (٩٩-١٠١هـ).

يعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله خامس الخلفاء الراشدين، حيث أنه عمّ العدل في عهده، ونشر الدعوة الإسلامية إلى أقطار العالم، وأمر بتدوين الحديث النبوي.

لم أجد في أحاديث الدراسة ذكر أحداث ووقائع التي وقعت في عهده المبارك إلا ما جاء ذكره في أثر عبد الله بن الأهتم -كما تقدم ذكره في توطئة هذا المبحث-،

=

«هَمْهَمَةٍ» : أي كلاما خفيا لا يفهم. وأصل الهمهمة: صوت البقر. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٢٧٦).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٢٥٤) تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

حيث إنه ألقى خطبة بليغة أمام عمر بن عبد العزيز، فظهر من خلال هذه الخطبة: أسلوب الدعوة إلى الله تعالى ووسائلها المستخدمة في هذا العهد المبارك لتبليغ الدين ونشره، ألا وهي الخطبة والموعظة الحسنة.

****

الخاتمة

الحمد لله المنان الذي منّ علينا بنعمه الكثيرة، ومن هذه النِعم إتمام هذه الرسالة فإتمامها لم يكن إلا بعونه، وتوفيقه، فأحمده وأشكره أولا وآخراً: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[1]، ثم الصلاة والتسليم على خاتم الأنبياء نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد وصلت إلى خاتمة هذه الرسالة بعد رحلة علمية ممتعة طفت من خلالها بمفهوم فقه الدعوة، وبترجمة موجزة للإمام الدارمي ﷺ، والتعريف بسننه، واستخراج الدروس الدعوية منها وترتيبها على موضوعات الدعوة في الفصول والمباحث والمطالب، وبخاصة بيان الفوائد المتعلقة بالدعوة، ومفهومها ووسائلها وأساليبها وقواعدها وضوابطها، وتاريخها، والدروس المتعلقة بالداعية، والمدعو وما إلى ذلك.

فبذلت كل ما في وسعي للتوصل إلى ذلك حتى خرج هذا البحث على هذه الصورة المتواضعة البسيطة، فلله الحمد والمنة.

وفي هذه الأسطر المعدودة أهم النتائج -التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة-، ثم أهم التوصيات، والاقتراحات التي خطرت ببالي أثناء الدراسة كالآتي:

أولاً: النتائج:

أما أهم النتائج التي توصلت إليها فهي كالآتي:

١-أهمية السنة النبوية وما بها من أحاديث السيرة وشمائل النبي ﷺ وفضل العلم مما يتخذ منه الداعية طريقا يسلكه لتأصيل علم الدعوة إلى الله تعالى.

٢-العلم بأحاديث الرسول ﷺ من سننه وأقواله أفعاله وتقريره -بعد كتاب الله تعالى- أصل الزاد للداعية إلى الله تعالى.

(١) القصص: ٧٠.

٣-المفهوم الصحيح للدعوة إلى الله بأنها نشر دين الإسلام وتبليغها إلى كافة الناس بواسطة الداعية المؤهل مستخدما الوسائل والأساليب الشرعية.

٤-حكم الدعوة يختلف بحسب الأحوال والظروف؛ إما فرض عين، وإما فرض كفاية؛ فإذا لم يقم بها أحد فهي فرض عين على كل مسلم حسب الاستطاعة، وكذلك إذا لم يستطيع أحد تغيير المنكر إلا شخص معين فهي فرض عين عليه.

٥-منهج السلف الصالح في نشر الدعوة إلى الله تعالى كان مبنيا على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

٦-المشاكل التي واجهوها الدعاة في حقل الدعوة إلى الله تعالى، لا يمكن حلولها المناسب إلا في ضوء الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

٧-إن المنهج الدعوي المستنبط من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة لا يتعارض أبداً مع مستجدات العصر وتقنياته، فكل ما هو سالم من المحظورات الشرعية من الوسائل المستحدثة فلا حرج في استخدامها.

٨-إن للدعوة إلى الله تعالى أركان مهمة تستند إليها، وهذه الأركان هي:

أ- الداعية: هو "الشخص المسلم الذي يدعو إلى الله، بأوامر الله".

ب-المدعو: هو الذي يُدعى إلى دين الإسلام، سواء كان هذا المدعوّ كافرا ينكر دين الإسلام، أم مسلماً يحتاج إلى مزيد من الإصلاح والتوجيه. وسواء كان هذا المدعو ذكراً أم أنثى، وسواء كان هذا المدعو من أي إقليم أو بلد، أو من أي لون وجلدة، فكلهم مخاطبون بدعوة الإسلام.

ج- الوسائل والأساليب الملائمة للدعوة فهي ما يتوصل به إلى دعوة الناس وفق منهج الدعوة القويم.

د- موضوعات الدعوة ومجالاتها وهي المضامين الدعوية، أو بعبارة أخرى أنها دين الإسلام كله.

٩-هناك فرق بين الوسائل والأساليب، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فالفرق بينهما حينما اجتمعا بأن الوسائل هي حسية، وأما الأساليب فهي معنوية، وقيل: أن الوسائل هي الآلات أو الأدوات التي تُنقل من خلالها الأساليب، فلا يمكن استخدام الأساليب إلا بالوسائل.

١٠- إن للدعوة إلى الله تعالى خصائص تتميّز بها عن غيرها، وهي ربانية، وفطرية، وعالمية وذو رحمة.

١١- للدعوة إلى الله تعالى مقاصد عالية وأهداف سامية حيث تهدف الإنسان لكي تنقذه من النار وتدخله الجنة، كما تسعى له الأمن والاستقرار في الدنيا والآخرة.

١٢- الدعوة إلى الله منضبطة بقواعد هامة يلتزم بها الداعية الحصيف لكي يَصِل إلى نتائج مثمرة، وتكون الدعوة على منهج قويم مستقيم، بعيداً عن الانحرافات الفكرية والخرافات البدعية.

١٣- إن الدعوة إلى الله تعالى مستمدة من مصادرها الأصلية -وهي القرآن والسنة، والإجماع، والقياس-، ومن المصادر الفرعية التي هي تابعة للمصادر الأصلية.

١٤- إن الاطلاع على تاريخ الدعوة إلى الله تعالى واجب على الدعاة إلى الله لحلول المشاكل المستحدثة في ضوء تجارب السابقين من العلماء والدعاة.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

وأما التوصيات والمقترحات فهي كالآتي:

١. أوصي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة إلى الله بتقوى الله تعالى في السر والعلن كما أوصى بها سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾[1].

(١) النساء: ١٣١.

٢. أوصي إخواني الدعاة إلى الله تعالى أن يقرؤوا أحاديث الرسول ﷺ وسيرته قراءة شاملة من نظرة دعوية، ثم يطبقوها في حياتهم العملية.

٣. أوصي قراءة سير الدعاة إلى الله، والاستفادة من تجاربهم في حياتهم الدعوية.

٤. أوصي لإخواني الدعاة التمسك بمنهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله، والبعد كل البعد عن الانحرافات الفكرية.

٥. أوصي الدعاة والباحثين أن يربطوا الدعوة بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

٦. أوصي الدعاة إلى الله تعالى بالحرص التام على التثبت عند نقل أحاديث الرسول ﷺ وأقوال أهل العلم.

٧. أقترح أن يكون فقه الدعوة إلى الله تعالى في أحاديث الرسول ﷺ مادةً إلزامية تُدرَّسُ في جميع الكليات الشرعية في الجامعة الإسلامية وغيرها من الجامعات.

٨. وأقترح لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أن يعقد المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، امتدادا للمؤتمر الأول الذي أقيم قبل أربعين سنة تقريبا في تاريخ ٢٤-٢٩/ ٢/ ١٣٩٧هـ الموافق ١٢-١٧/ ٢/ ١٩٧٧م.

٩. وأقترح لإخواني الباحثين أن يدرسوا كتب السنة النبوية دراسة دعوية، ويربطوها بالدعوة إلى الله تعالى.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

الفهارس

فهرس الآيات

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ ﴾	١٨٥	١٥٦، ١٦٢
﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾	١٨٧	٤٢٩
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ ﴾	٢١٧	٣٠٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾	٢٢١	٥٢، ٢٤٦
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ ﴾	٢٢٢	٣٠٦
﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾	٢٣٨	٤٢٧
﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾	٢٥٣	٤١٤
﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾	٢٦٩	٣٥٧
﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾	٢٧٢	٢٥٦
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾	٢٨٦	١٦٣
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾	٧	٣٤٧
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾	١٤	٤٥٣، ٤٧٤

الآيــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾	٢٨	١٥٦
﴿ صدق ـ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ يهدى	٨٥-٨٦	٦١
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	٢٢١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	١٠٢	٧
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾	١٠٣	٢١٦
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١٠٤	٧١
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٣٥٣
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾	١٤٤	١٥٣، ٤٩٣
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾	١٥٩	٢٠٦، ٢٣٣
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	١٦٤	٤٧٢
سورة النساء		

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا (١) ﴾	١	٧
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾	١١	٣٤١
﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾	٣٥	٥١٧
﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾	٤٦	٢٤٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾	٤٨	٨٢
﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا (٥٨) ﴾	٥٨	٢٢٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا (٥٩) ﴾	٥٩	١١٢، ١١٥، ١٥٢، ١٩٣
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾	٦٥	٣٨٧
﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾	٧٨	٢٤
﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾	١١٦	٤٢٣
﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾	١٢٣	١٥٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾	١٣٦	٤٠٢

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾	١٤٢	٢٣٧
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾	١٦٤	٣٧٤
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٣٥)﴾	٣٥	٣٥٣
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	٣٨	١٠٠
﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾	٤٥	٩٩
﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾	٤٨	١٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾	٥٤	٣٥٣، ٥٠١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾	١٠١	١٦٢
سورة الأنعام		
﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٦٨)﴾	٦٨	٢٦٤، ٣٤٥، ٣٤٨
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (٨٢)﴾	٨٢	٩٥

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾	٩٠	١٣٢، ٣٧٢
﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾	١١٦	١٧٩
﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾	١١٩	١٥٢
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾	١٥٣	١٦٦، ١٧٥، ٢٩٠
سورة الأعراف		
﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾	١٢	١٢٣
﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾	٢٨-٢٩	٢٣٨
﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ ﴾	١٥٠	٤٥٥
﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾	١٥٧	٤٣٦
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	١٠٧
﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ ﴾	١٧٢	٣٨٢
﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾	١٧٦	٣٦٨
﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾	١٩٩	٢١٤

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	٣٣	١٠٨، ١٠٩
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٨٩، ٣٥٤
﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٦٣	٣٤٩
سورة التوبة		
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	٤٠٤، ٤٠٥
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٩٠
﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾	٤٠	٤٨٦
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ ﴾	٥١	٥٠٥
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾	٥٨	٨٧، ١٧١، ٢٨٧، ٢٩٧
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾	٦٠	٣٥٠
﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾	٦١	٨٧، ١٧١،

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
		٢٨٧، ٢٩٧
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾	٧٣	٣٥٨
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾	٧٥	٨٧، ١٧١، ٢٨٦، ٢٩٧
﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٩٩	٢٩٣
سورة يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٢-٢٣	٩٥
﴿ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ ﴾	٧١	١١٧
﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ ﴾	٨٣	٣٠٨
سورة هود		

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	١٠٤، ١١٢
﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾	٣	٢٧٩
﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ ﴾	٩	٢٣٥
﴿ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾	٩١	٢٤
سورة يوسف		
﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾	٣	٣٦٧
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾	١٧	٢٢٨
﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾	٨٧	٢٣٥
﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١٠٨	٢٦، ٥٥، ٥٧، ٧١، ٨٥، ١٤٦، ١٩٢
سورة الرعد		

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	٢٢٣
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾	٤	٦٨، ١٤٥، ١٠٣، ١٠٦، ٢٤٢، ٢٥٥، ٣٣٦، ٤٠٦، ٤١٥
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾	٢٨-٢٩	٦٢
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٠٣
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾	٩٤	٤٨١، ٤٨٢
سورة النحل		
﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٦٦
﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴾	٢٦	١٣٧

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الكهف		
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾	٦	٩٤
﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٤٦	٤٧٤
﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾	٤٩	٤١١
﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴾	٥٢	٤٩
﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾	١١٠	٤١٦
سورة مريم		
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾	٤١	٢٠١
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾	٥٤	٢٠١
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾	٥٦	٢٠١
سورة طه		
﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٥-٢٨	٢٣
﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾	٤٣-٤٤	٢٠٦، ٣٥٨
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠	٢٥	٨١،

الآيـــة	رقمها	الصفحة
فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾		٤٢٢
﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٢٩	٦٨، ١٠٦
﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	٦٣	٣٨٠
﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾	٦٦–٦٧	٣٨١
﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾	٩٠	٣٦٢
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	١٠٧	٦١، ١٠٧
سورة الحج		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾	٣	١٥٢
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾	١٨	٦٨
﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	٦٧	٧١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾	٧٣	٣٨٠
سورة المؤمنون		

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	١٢-١٤	١٥٦
﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾	٩٦	١٤٣
سورة النور		
﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	٥٤	١٤٥
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾	٥٥	٥٠٥
سورة الفرقان		
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾	٣	٢٨٣
﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾	١٤	٤٩
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ ﴾	٥٨	٤٩٥
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾	٦٣	٢٠٨
سورة الشعراء		
﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٩٥

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٩	١٩٦
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾	٢١٤	٤٨٠
سورة النمل		
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	١٠٤
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ ﴾	٦٢	٣٨٢
سورة القصص		
﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ ﴾	٤١	٢٤٦
﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾	٥٦	١٤٥، ٢٥٥
﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	٨٧	٧١
سورة العنكبوت		
﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾	٢-٣	٣٠٨
﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ ﴾	١٣	٦٦
﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ ﴾	١٨	٢٥٦
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾	٤٦	٢٩٩
﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ ﴾	٦٥	٩٦

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الروم		
﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾	٢١	٢١٥
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	١٠٤، ٣٨١
سورة لقمان		
﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	٢٠٥
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	١٧٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	٢٠٥
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾	٣٢	٩٦
سورة الأحزاب		
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	٣٧١، ٥١٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٤٥	١٤٢
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	٤٦	١٨٧، ١٨٩

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾	٧٠-٧١	٧
سورة سبأ		
﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾	١٣	١٧٩
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾	٢٨	٦٨، ١٠٣، ١٠٦، ١٤٥، ٢٥٥، ٢٧٦، ٣٣٦، ٤٠٦، ٤١٥
سورة فاطر		
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾	١	٤١٠
﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾	٨	٩٥
﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾	٢٨	٢٢٣
﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ	٣٢	٢٧٧

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾		
سورة يس		
﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١٤٦
سورة ص		
﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾	٢٦	١٧١
﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ ﴾	٣٥	٥١
سورة الزمر		
﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٧	٣٦٦
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	١٥٣
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾	٤١	١١٠
﴿لَا تَقۡنَطُواْ ﴾	٥٣	١٥٦
﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾		٢٣٥
سورة غافر		
﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾	٤١	٥٠
﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾	٦٠	٤٣١
سورة فصلت		
﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	١١٢

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	١-٢	٦٨، ١٠٦
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	٢٨	٩٠، ٣٥٤
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾	٦	١٧٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾	١٣	١٩٨
سورة ق		
﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾	١٧-١٨	٤١١
سورة الذاريات		
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٨١، ٤٢٢
سورة النجم		
﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾	٢-٤	١٧٠
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾	٣٢	٢٦٠
سورة القمر		
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٤٠١
سورة الرحمن		

الآيــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٤٤١
سورة الحاقة		
﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴾	١-٢	٣٨٤
سورة الجن		
﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	٣٢٩
سورة المدثر		
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾	١-٥	٤٧٩
﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	١٩-٢٠	٣٨٤
سورة التكوير		
﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾	٨-٩	١٤٥
سورة الانفطار		
﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	١٠-١٢	٤١١
سورة الشمس		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾	٩	٢٥٩
سورة العلق		
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾	١	١٤٦
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾	١-٥	٣٣٥

****

فهرس أحاديث الدراسة

****

فهرس الأحاديث الواردة في الشرح والتوثيق

****

فهرس الآثار

****

فهرس الأبيات

****

فهرس الأعلام

*****

فهرس المصطلحات العلمية

****

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم مُنزَّل من الرحمن الرحيم على نبينا الكريم ﷺ.

ثانياً: المصادر والمراجع العامة:

الألف

١- **الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية**، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي (٤٨/١)، ط: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٤هـ.

٢- **إنك لعلى خلق عظيم، الرسول محمد ﷺ**"، إعداد وإشراف: صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: شركة كندة للإعلام والنشر، ٢٠٠٦م.

٣- **أبعاد قدوة الحسنة في حياة الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله**، أ. د. غازي بن غزاي المطيري، بدون ذكر الناشر وسنة الطبع، وهو بحث مصور في مكتبة المسجد النبوي، برقم: (١،٢١٨– م ط ا)، والرقم التسلسلي: ١٢٢٢٤٢.

٤- **أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين**، محمد رضا (المتوفى: ١٣٦٩هـ)، تحقيق: الشيخ خليل شيحا، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٥- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦- **الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة**، حياة بن محمد بن جبريل، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

٧- **أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي**، د. مصطفى ديب البغا، دار الإمام البخاري. بدون سنة.

٨- **الإجماع**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: فؤاد

عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٩- **الاحتياط الشرعي حقيقته وضوابطه**، د. قطب الريسوني، بحث منشور في مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي، (عدد ٢٣٤)، صفر ١٤٢٨هـ.

١٠- **أحكام القرآن**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٣.

١١- **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

١٢- **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع، عدد الأجزاء: ٨.

١٣- **الآداب الشرعية**، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، المحقق: شعيب الأرناؤوط + عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٣.

١٤- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، عالم الكتب. بدون ذكر السنة طبع.

١٥- **آراء الإمام البخاري الأصولية من خلال تراجم صحيحه**، لفضيلة الدكتور سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المحرم، ١٤٢٠هـ، العدد: ٢٥.

١٦- **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٧- **إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد**، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد، الناشر: الدار السلفية — الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٨- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٩- **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٠- **أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم**، الدكتور أبو المجد سيد نوفل، أستاذ بجامعة الأزهر، بحث منثور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ٥٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٢١- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤

٢٢- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).

٢٣- **أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله**، فوّاز بن هليل بن رباح السحيمي، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٤- **الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر**، خالد الخياط. دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٥- **الإشراف في منازل الأشراف**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: د نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٢٦- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

٢٧- **أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم**، للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي، الطبعة الثالثة، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م.

٢٨- **أصول الدعوة**، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٩- **أصول الدعوة وطرقها ١**، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، المرحلة: بكالوريوس، الناشر: جامعة المدينة العالمية، عدد الأجزاء: ١.

٣٠- **أصول الدعوة وطرقها ٣**، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، بدون ذكر سنة الطبع.

٣١- **أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة**، سعود بن عبد العزيز الخلف، بدون اسم الناشر، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٣٢- **الاعتصام**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

٣٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء:٤.

٣٤- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣٥- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي**، تحقيق: فرانز روزنثال، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون ذكر رقم وسنة الطبعة.

٣٦- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المعروف بابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٧- **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة

البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣٨- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٣٩- **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: طُبع منه ٦ مجلدات: ١ - ٥، ١١ فقط.

٤٠- **الإيمان بالرسل عليهم السلام**، أحمد عز الدين البيانوني، مكتبة الهدى، الحلب حول القلعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

٤١- **الإيمان بالملائكة عليهم السلام، صفاتهم وأصنافهم وظائفهم مواقفهم، ومعه بحث حول عالم الجن**، بقلم: عبد الله سراج الدين، مكتبة دار الفلاح، حلب أقيول، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٤٢- **الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام**، أحمد عز الدين البيانوني، دار السلام للطباعة النشر والتوزيع، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٣- **الإيمان باليوم الآخر، والقضاء والقدر**، للأستاذ أحمد عزّ الدين البيانوني، دار السلام، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

الباء

٤٤- **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٥- **البحث العلمي ومناهجه النظرية -رؤية إسلامية-**، د. سعد الدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٤٦- **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ)، تحقيق : محمد محمد تامر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٤٧- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٤٨- **بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو**، مجموعة من العلماء، ط: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ.عدد الأجزاء: ١.

٤٩- **بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو**، مجموعة من العلماء، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٥٠- **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٥١- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٧.

٥٢- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع، عدد الأجزاء: ٤ .

٥٣- **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

التاء

٥٤- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون ذكر سنة الطبع.

٥٥- **تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من**

ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٦- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٥٧- **تاريخ بغداد وذيوله**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢٤.

٥٨- **تاريخ التشريع الإسلامي**؛ مناع بن خليل القطان، مكتبة وهبة، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٥٩- **تاريخ الثقات**، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (المتوفى: ٢٦١هـ)، الناشر: دار الباز، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٦٠- **تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين**، د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٦١- **تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين**، الجزء الأول في الدعوة في حياة الصديق أبي بكر ﷺ، د. يسري محمد هانئ، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

٦٢- **تاريخ الدعوة، جمعة علي الخولي**، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٦٣- **التاريخ الكبير**، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.

٦٤- **تاريخ المدينة لابن شبة**، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

٦٥- **تاريخ دمشق،** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر بيروت لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ .

٦٦- **تأويل مختلف الحديث،** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المكتب الاسلامي، بيروت، ومؤسسة الإشراق، الطبعة: الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٧- **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين،** محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

٦٨- **التدرج في دعوة النبي ﷺ،** إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٦٩- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي،** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٧٠- **تذكرة الحفاظ،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.

٧١- **تذكيرُ أسودِ الصحْوةِ بجُملٍ من قواعد الدعوة،** وليد بن راشد السعيدان، دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٧٢- **ترسيخ المدخل إلى علم التاريخ،** أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية عمان الأردن، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٧٣- **تفسير الراغب الأصفهاني،** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، من أول سورة آل عمران - وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن الرياض، الطبعة١ : ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

٧٤- **تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٧٥- **تفسير القرآن**، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧٦- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٧- **التفسير الكبير (المسمى: مفاتيح الغيب)**، للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.

٧٨- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، عدد المجلدات: ١٠ مجلدات.

٧٩- **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء ٣.

٨٠- **تقريب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

٨١- **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان، ط: دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

٨٢- **التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ٤.

٨٣- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،

محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.

٨٤- **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ**، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، المعروف بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ١١.

٨٥- **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ، عدد الأجزاء: ١٢.

٨٦- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٣٥.

٨٧- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

٨٨- **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار**، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.

٨٩- **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٦/٦) الناشر: الميمان للنشر والتوزيع بالرياض، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

٩٠- **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٩١- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش،

المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

الثاء

٩٢- **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ٩.

٩٣- **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ٩ (٨ ومجلد للفهارس).

الجيم

٩٤- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٩٥- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد).

٩٦- **جامع بيان العلم وفضله**، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤- ٢٠٠٣ هـ

٩٧- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٩٨- **الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح**، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠

هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١

٩٩- **الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٧١هـ ١٩٥٢ م.

الحاء

١٠٠- **حاشية السندي على سنن ابن ماجه =كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.

١٠١- **الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية**، عبد السلام بن برجيس بن ناصر آل عبد الكريم، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ

١٠٢- **الحطة فى ذكر الصحاح الستة**، أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، ط: دار الكتب التعليمية بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى

١٠٣- **حقبة من التاريخ**، عثمان بن محمد الخميس، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ.

١٠٤- **حقيقة البدعة وأحكامها**، سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

١٠٥- **الحكمة في الدعوة إلى الله**، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ. أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠٦- **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، يحيى بن محمد بن حسن زمزمي، دار المعالي، عمّان الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

١٠٧- **الحوار مع أتباع الأديان، مشروعيته آدابه**، د. منقذ بن محمود السقار، الباحث في إدارة الدراسات والبحوث في رابطة العالم الإسلامي. الناشر: رابطة العالم الإسلامي، بدون ذكر سنة الطبع.

الخاء

١٠٨- **خصائص الدعوة الإسلامية**، محمد أمين حسن، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٠٩- **خصائص القرآن الكريم**، د. فهد عبد الرحمن الرومي، بدون ذكر الناشر، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ.

١١٠- **الخطابة في الإسلام وإعداد الخطيب الداعية**، د. مصلح سيد بيومي، مكتبة المجلد العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١١١- **الخلاصة في أحكام هجر المسلم**، جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة، دار المعمور، بهانج ماليزيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

الدال

١١٢- **دائرة المعارف القرن الرابع عشر، العشرين**، محمد فريد وجدي (١/١٥١-١٥٢)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.

١١٣- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، تأليف: علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٦.

١١٤- **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٤.

١١٥- **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**، د. أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١١٦- **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، محمد راوي، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (والصحيح أنها طبعة ثالثة) ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١١٧- **الدعوة الإسلامية ودعاتها**، د. محمد طلعت أبو صير، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

١١٨- **دعوة الرسل عليهم السلام**، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١١٩- **دعوة النبي ﷺ للأعراب**، حمود بن جابر الحارثي، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٢٠- **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل**، محمد بن سيدي بن الحبيب، ط:١، دار الوفاء، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٦هـ

١٢١- **الدعوة إلى الله**، لسعيد بن مسفر القحطاني، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٠هـ / ١١٩٩م.

١٢٢- **الدعوة في الواقع المعاصر**، غازي بن غزاي المطيري، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

الذال

١٢٣- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

الراء

١٢٤- **رحمة للعالمين**، القاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢٥- **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهلال، بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى، بدون سنة الطبع.

١٢٦- **الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني**، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٢٧- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (المتوفى: ١٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ-

٢٠٠٠م

١٢٨- **رسالة إلى الدعاة**، محمد بن صالح العثيمين، ط:١، مؤسسة آسام للنشر، ١٤١٢هـ.

١٢٩- **رسالة في الدعوة إلى الله**، محمد بن صالح العثيمين، ط: ١، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ.

١٣٠- **رسالة في الدعوة إلى الله**، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٨هـ

١٣١- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

١٣٢- **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٣٣- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م.

١٣٤- **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٣٥- **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (المتوفى: ٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الثانية، بدون ذكر سنة الطبع، عدد الأجزاء: ٤.

الزاء

١٣٦- **زاد الداعية إلى الله (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م.

١٣٧- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي

(المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٣٨- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: ٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.

السين

١٣٩- **السبحة تاريخها وحكمها**، بكر بن عبد الله أبو زيد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٤٠- **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١٢.

١٤١- **سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين**، جمعها وخرجها وذكر بعض فوائدها: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح العبيلان، دار الفاروق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٤٢- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء : ١٤.

١٤٣- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ /٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧.

١٤٤- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد

الأجزاء: ٥ أجزاء.

١٤٥- **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المغني بالرياض، ودار ابن حزم بيروت، سنة ١٤٢١هـ.

١٤٦- **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند بمدينة حيدر آباد، الطبعة: الأولى ـ ١٣٤٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

١٤٧- **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الناشر : دار المعرفة ببيروت، الطبعة : الخامسة ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء : ٨ في اربع مجلدات.

١٤٨- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء : ٢٣. بدون سنة طبع.

١٤٩- **السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

١٥٠- **السيرة النبوية دروسٌ وعِبَر**، الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م.

١٥١- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، دراسة تحليلية، مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٥٢- **السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، عدد الأجزاء: ٢.

١٥٣- **السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني**، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

١٥٤- **السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي**، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

الشين

١٥٥- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١١.

١٥٦- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٥٧- **شرح أصول الإيمان**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٥٨- **شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

١٥٩- **شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (المتوفى : ٧٩٣هـ)، تحقيق : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

١٦٠- **شرح السنة**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.

١٦١- **شرح العقيدة الواسطية**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

١٦٢- **الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول**، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ -

٢٠١١ م

١٦٣- **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

١٦٤- **شرح الورقات في أصول الفقه**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ)، قدَّم له وحققه وعلَّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، ط: جامعة القدس، فلسطين، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٦٥- **شرح رياض الصالحين**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦

١٦٦- **شرح سنن أبي داود**، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، نسخة الشاملة.

١٦٧- **شرح صحيح البخارى لابن بطال**، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: مكتبة الرشد، الرياض السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.

١٦٨- **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.

١٦٩- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، في إشراف الشيخ مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٤.

١٧٠- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

الصاد

١٧١- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت،

الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

١٧٢- **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري،** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، بدون ذكر بلد الطبع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٧٣- **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، واعتنى به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧٤- **صحيح الجامع الصغير وزياداته،** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

١٧٥- **صحيح السيرة النبوية،** محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان — الأردن، بدون سنة الطبع، الطبعة: الأولى.

١٧٦- **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

١٧٧- **الصَّحِيحُ من أحاديث السّيرة النبوية،** أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١٧٨- صفات الداعية، د. حمد العمار، دار إشبيليا، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م.

١٧٩- **صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية،** أ. د. مهدي رزق الله أحمد (ص ١٩٢-١٩٥)، دار إمام الدعوة، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

١٨٠- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

الطاء

١٨١- **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨.

١٨٢- **طبقات المفسرين للداوودي**، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بدون سنة طبع.

العين

١٨٣- **عالم الملائكة الأبرار**، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨٤- **العبودية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: السابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٨٥- **عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، سراج الدين ابن الوردي، تحقيق وتعليق وتقديم أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس، بدون سنة طبع.

١٨٦- **العدة في أصول الفقه**، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر : بدون ناشر، الطبعة : الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء : ٥ أجزاء في ترقيم مسلسل واحد.

١٨٧- **العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ، عدد الأجزاء: ٥.

١٨٨- **عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين**، أكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٨٩- **علم التاريخ عند المسلمين**، [A Histoty of Muslim Historiography] فرانز

روزنثال، ترجمه د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٠٣م.

١٩٠- **العلماء هم الدعاة**، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٩١- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

١٩٢- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ**، القاضي أبي بكر بن العربي (المتوفى ٨٤٣هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

١٩٣- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٤.

الغين

١٩٤- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥هـ.

١٩٥- **غريب الحديث**، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٣.

١٩٦- **غريب الحديث**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، عدد الأجزاء: ٣.

١٩٧- **غريب الحديث**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٩٨- **غريب الحديث**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٢

١٩٩- **غريب الحديث**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني — بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، عدد الأجزاء: ٣.

٢٠٠- **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٢٠١- **غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة**، عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، تحقيق: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

الفاء

٢٠٢- **الفتاوى الكبرى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

٢٠٣- **فتح الباري لابن رجب**، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، السعودية الدمام الطبعة: الثانية - ١٤٢٢هـ، ، عدد الأجزاء / ٦.

٢٠٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

٢٠٥- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٢٠٦- **فتح القدير**، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٠٧- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

٢٠٨- **فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن، المسمى بـ المسند الجامع**، السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، والمكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، عدد الأجزاء ١٠.

٢٠٩- **فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه**، محمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٢.

٢١٠- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.

٢١١- **الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، دار عالم الكتب، الطبعة: بدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤.

٢١٢- **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، بدون سنة طبع.

٢١٣- **الفصول في الأصول**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء:٤.

٢١٤- **فقه الدعوة إلى الله تعالى**، د. علي عبد الحليم محمود، مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

٢١٥- **فقه الدعوة**، بسام العموش، دار النفائس، عمان الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٢١٦- **فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري**، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، أصل

الكتاب: رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٢١٧- **فقه الدعوة والداعية**، إبراهيم النعمة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، بدون سنة الطبع.

٢١٨- **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ.

٢١٩- **فقه اللغة وسر العربية**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢٠- **فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية**، لسعد بن عبد الله بن سعد القعود، دار أطلس الخضرء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٢٢١- **الفقيه والمتفقه**، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ط: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٢٢٢- **الفوائد**، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢، عدد الأجزاء: ٢.

٢٢٣- **الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٢٢٤- **في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي**، وحدة الدراسات والبحوث، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة، ١٤٠٩هـ.

٢٢٥- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

القاف

٢٢٦- **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٢٢٧- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٢٨- **قُرَّةُ العَيْنِ لِشَرْحِ وَرَقَاتِ إمَامِ الحَرَمَينِ**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: جلال علي عامر الجهاني.

٢٢٩- **القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية**، جمع وتحقيق: مرزوق بن هياس الزهراني، بدون ذكر الناشر، الطبعة: ١٤٢٨هـ.

٢٣٠- **قواعد الدعوة الإسلامية**، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، مطابع ابن تيمية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٣١- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، محمد بن صالح العثيمين، عمادة خدمة المجتمع، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

٢٣٢- **قواعد منهجية في الدعوة إلى الله**، أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، دار ابن الأثير، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

٢٣٣- **قوت المغتذي على جامع الترمذي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة -كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ.

الكاف

٢٣٤- **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٣٥- **كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، نخبة من العلماء، الناشر: مجمع الملك

فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٣٦- **كتاب التعريفات،** علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٣٧- **كتاب التلخيص في أصول الفقه،** عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد الله جولم النيبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، عدد الأجزاء: ٣. بدون سنة طبع.

٢٣٨- **كتاب التوحيد،** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

٢٣٩- **كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مع شرحه قول السديد،** للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.

٢٤٠- **كتاب العين،** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

٢٤١- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: ٣، ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٢٤٢- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،** مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٢٤٣- **الكفاية في علم الرواية،** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، بدون سنة طبع.

اللام

٢٤٤- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٤٥- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ط: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

الميم

٢٤٦- **مجلة البيان**، تصدر عن المنتدى الإسلامي، (عدد: ١٢).

٢٤٧- **مجمل اللغة لابن فارس**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤٨- **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٤٩- **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله**، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، عدد الأجزاء: ٣٠ جزءا.

٢٥٠- **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن - دار الثريا، الطبعة ١٤١٣ هـ، عدد الأجزاء : ٢٦.

٢٥١- **المحصول**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٢٥٢- **المحلى بالآثار**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٢.

٢٥٣- **مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن

نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتَبة المعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

٢٥٤- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٥٥- **المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب،** بكر بن عبد الله أبو زيد (المتوفى : ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، عدد الأجزاء : ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

٢٥٦- **المدخل إلى علم التاريخ،** للدكتور تاج السر أحمد حران، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٥٧- **مدخل إلى علم الدعوة،** أ. د. عبد الرب نواب الدين، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٥٨- **مدخل إلى علم الدعوة،** د. البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٥٩- **المدخل إلى علم الدعوة،** د. محمد أبى الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٢٦٠- **مذكرة أصول الدعوة،** للدكتور حامد حجيلي، مقررة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٢٦١- **مرشد الدعاة،** د. الخطيب، دار المعرفة، ١٤٠١هـ.

٢٦٢- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،** علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٦٣- **المسالك والممالك،** لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، ط: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م.

٢٦٤- **المستدرك على الصحيحين للحاكم،** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة،

مصر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٥.

٢٦٥- **المسلمون وكتابة التاريخ**، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢٦٦- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٦٧- **المسوّى شرح الموطأ**، شاه ولي الله محدّث الدهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون ذكر سنة الطبع.

٢٦٨- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.عدد الأجزاء : ٣

٢٦٩- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ٢ في مجلد واحد.

٢٧٠- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

٢٧١- **معالم في السلوك وتزكية النفوس**، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، (ص ٥٧)، الناشر: دار الوطن، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.

٢٧٢- **معالم في منهج الدعوة**، لصالح بن عبد الله بن حميد، دار الأندلس الخضراء، بدون ذكر بلد الطبع، ١٩٩٩م.

٢٧٣- **المعتمد في أصول الفقه**، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٢٧٤- **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٧.

٢٧٥- **معجم الصواب اللغوي، دليل المصقف العربي**، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ط: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

٢٧٦- **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٤.

٢٧٧- **معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير**، نجيب اسكندر، مطبعة الزمان بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

٢٧٨- **المعجم المفصل في المترادفات في اللغة العربية**، الأستاذ مجيد طراد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢٧٩- **المعجم المفهرس أو: تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة**، للحافظ: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢هـ، تحقيق: محمد شكور محمود الحاجي أمرير المياديني، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٨٠- **معجم المؤلفين**، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون سنة طبع.

٢٨١- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م

٢٨٢- **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، عمر بن رضا بن محمد راغب (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: ٦، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.

٢٨٣- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٢٨٤- **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء : ٦.

٢٨٥- **معرفة الصحابة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧

٢٨٦- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٦.

٢٨٧- **المفاتيح في شرح المصابيح**، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٦.

٢٨٨- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، بدون سنة طبع.

٢٨٩- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٢٩٠- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ القرطبيُّ (المتوفى ٦٥٦هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٩١- **مفهوم الحكمة في الدعوة إلى اللَّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، بدون سنة الطبع.

٢٩٢- **مفهوم الحكمة في الدعوة**، د صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩٣- **مقدمات النكاح (دراسة مقارنة)**، محمد بن عبد العزيز السديس، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٨- السنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٩٤- **مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة -مفهوم، ونظر، وتطبيق**؛ د. سعيد

ابن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، بدون سنة الطبع.

٢٩٥- **مقومات نجاح الدعاة في العصر الحديث**، أحمد محمد حسانين، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٢٩٦- **الملل والنحل**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي، بدون سنة طبع، عدد الأجزاء: ٣.

٢٩٧- **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٩٨- **من صفات الداعية**، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٠٥م.

٢٩٩- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م، عدد الأجزاء : ٢.

٣٠٠- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦.

٣٠١- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

٣٠٢- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، عدد المجلدات: ٩.

٣٠٣- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

٣٠٤- **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**، ربيع بن هادي المدخلي،

الناشر: مكتبة الفرقان- عجمان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٠٥- **المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله**، أ. د. حمود بن أحمد الرحيلي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ١١٩، سنة ١٤٢٣هـ.

٣٠٦- **منهج النبي ﷺ في دعوة الآخر**، د. محمد حسان، مؤسسة الرحمة للنشر والتوزيع، بدون ذكر سنة الطبع، وهو في الأصل رسالته الدكتورة.

٣٠٧- **منهج في إعداد خطبة الجمعة**، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ.

٣٠٨- **منهج كتابة التاريخ الإسلامي** مع دراسة لتطوُّر التدوين ومناهج المؤرخين، الدكتور محمد بن صامل العلياني السَّلمي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٣٠٩- **منهجية علم الدعوة**، د. محمد قاسم الشوم، دار الكتب العملية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٣١٠- **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧.

٣١١- **موسوعة الأخلاق**، إعداد: القسم العلمي بمؤسسة الدُرر السَّنِيّة، إشراف: علوي بن عبد القادر السَّقّاف، ط. مؤسسة الدرر السنية، الظهران، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٣١٢- **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الطبعة: من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ.

٣١٣- **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، النبلاء للكتاب، مراكش المغرب، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٠، بدون سنة الطبع.

٣١٤- **الموطأ**، الإمام مالك بن أنس، المحقق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة : الاولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء : ٨.

النون

٣١٥- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣١٦- **النكت على كتاب ابن الصلاح**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عدد المجلدات : ٢، الطبعة : الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣١٧- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين بيروت، الطبعة: ٢، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٣١٨- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الهاء

٣١٩- **هجر المبتدع**، بكر أبو زيد، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٣٢٠- **هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة**، د. علي محفوظ، دار الاعتصام.

الواو

٣٢١- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٢٢- **الوسائل الأساسية لنشر الدعوة الإسلامية**، الدكتور أحمد بن محمد الدسم العدناني، دار لينة للنشر والتوزيع، بدون ذكر البلد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٣٢٣- **وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد**، دراسة تأصيلية، حسين محمد محمود عبد المطلب، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٣٢٤- **وسائل الدعوة في المسجد النبوي في العصر الحاضر**، بركة بن مضيف الطلحي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٣٢٥- **وسائل الدعوة**، أ. د. محمد إبراهيم الجيوشي، بدون الناشر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣٢٦- **وسائل الدعوة وأساليبها**، كتاب المادة، في جامعة المدينة العالمية ماليزيا، ٢٠١٠م.

٣٢٧- **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، ناصر بن سليمان العمر، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٢٨- **الوصية الكبرى**، بتحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان ضميرية، ط: مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

ثالثاً: المراجع من المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت:

٣٢٩- **أصول الحوار وآدابه في الإسلام**، للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، كتاب منشور في المواقع الإلكترونية منها: موقع دار الإسلام، تاريخ: ١٤٣٥/١١/١٦هـ
http://www.islamhouse.com/337800/ar/ar/books/

٣٣٠- **دروس صوتية للشيخ علي بن عمر بادحدح**، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، وهو متاح في المكتبة الشاملة، (رقم الدرس: ٥١، والصحيفة: ٤).

٣٣١- **موقع تراث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**
http://www.alalbany.net/3544. تم زيارته في تاريخ: ٢٠١٤/٨/٨م.

٣٣٢- **موقع جامع السنة وشروحها**، وهو متاح على الرابط الآتي:
http://hadithportal.com/index.php، وتم زيارته: ١٤٣٦/٦/٢هـ.

٣٣٣- **موقع الدرر السنية**، موسوعة الأخلاق، الأخلاق المحمودة، الحكمة، وسائل اكتساب الحكمة، على هذا الرابط: http://www.dorar.net/enc/akhlaq/469 ، تم زيارته في تاريخ ١٤٣٦/٧/١٦هـ، الموافق ٢٠١٥/٥/٤م.

٣٣٤- **موقع الشيخ عبد الرحيم الطحان:** http://www.al-tahaan.com

٣٣٥- **موقع صيد الفوائد:** http://www.saaid.net/Doat/sudies/14.htm

٣٣٦- موقع فيس بوك: فقه الدعوة، على الرابط التالي:
https://www.facebook.com/permalink.php?id=182059025178756&story_fbid=440346299350026 وتم زيارته في تاريخ ١٤٣٥/١/١٥هـ.

٣٣٧- **موقع مجلس الألوكة:** http://majles.alukah.net/t27589/ تاريخ ٢٠١٤/٨/٨م.

٣٣٨- **موقع ملتقى أهل الحديث:**

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-19633.html

٣٣٩- **موقــع يوتيــوب** http://www.youtube.com/watch?v=RYDm8n4vNXw

والرابط الثاني: http://www.youtube.com/watch?v=u3BZiwde9oU

****

فهرس الموضوعات

****

تم بحمد الله